مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية فصلية أكاديمية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

السنة الخامسة (5)–العدد السابع (7) / رمضان 1437هـ – جوان2016

في هذا العدد:

- ✓ أخلاقيات استخدام الأساليب الإحصائية في البحوث النفسية والتربوية

د.النوي بالطاهر،أ.رشيد زياد(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي– الجزائر).

- ✓ النسق الأسري وعلاقته بسلوك الاعتداء لدى المراهق (دراسة ميدانية بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين)

أ.مراد يعقوب (جامعة غرداية– الجزائر)

- ✓ دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي والمعيقات التي تحول دون انخراطهم فيها من وجهة نظرهم

د.ابراهيم المصري (جامعة الخليل– فلسطين)

- ✓ فلسفة الأخلاق ومعوقات التربية الأخلاقية في المجتمعات العربية المعاصرة

د.كريمة عبد السلام محمد شروي (جامعة القاسمية– الإمارات العربية المتحدة.)

- ✓ إستراتيجية وسائل الإعلام والاتصال في دعم الثورة التحريرية الجزائرية:رؤية تحليلية لتأثيراتها في العمل الثوري من 1954 إلى 1962

د.سلامي اسعيداني (جامعة المسيلة– الجزائر)

- ✓ الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف

د.محمد السعيد عقيب (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي– الجزائر)

ISSN 2170-0370

جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية أكاديمية فصلية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

السنة الخامسة– العدد السابع (7) رمضان 1437هـ / جوان2016

توجه جميع المراسلات الى:
رئيس تحرير مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية- جامعة الوادي، طريق الشط 39000- الوادي/ الجزائر
Tél/fax: 032210731 /B.P 789
Courriel : elbaheth@univ-eloued.dz

ISSN 2170-0370

ادارة المجلة

المدير الشرفي

أ.د/ عمر فرحاتي
مدير جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

مدير المجلة

أ.د/ عبد الرحمان تركي
عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

رئيس التحرير

د/ رضوان شافو
نائب رئيس قسم العلوم الانسانية لما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

اعضاء هيئة التحرير

د/ سلاف مشري

د/ معــاذ عمراني

أ/ اسمهان جبالي

بريد المجلّة الإلكتروني

elbaheth@univ-eloued.dz

* ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبة ولا يعبر عن رأي المجلة.

* يخضع ترتيب الموضوعات بالمجلة لاعتبارات فنية لا ترتبط برتبة الباحث ولا بمكانته العلمية.

الهيئة العلمية الاستشارية

من داخل الجـــزائر

أ.د/ بوبكر لشهب	(جامعة الوادي)	د/ علي غنابزية	(جامعة الوادي)
أ.د/ الطاهر سعدالله	(جامعة الوادي)	د/ جمال بلفردي	(جامعة الوادي)
أ.د/ اسماعيل العيس	(جامعة الوادي)	د/ السعيد شلالقة	(جامعة الوادي)
أ.د/ قمعون عاشوري	(جامعة الوادي)	د/ شوقي ممادي	(جامعة الوادي)
أ.د/ علي آجقو	(جامعة بسكرة)	د/ لامية بوبيدي	(جامعة الوادي)
أ.د/ مبخوت بودواية	(جامعة تلمسان)	د/ لزهر ضيف	(جامعة الوادي)
أ.د/ الشايب قدادرة	(جامعة قالمة)	د/ بوبكر منصور	(جامعة الوادي)
أ.د/ محمد الطاهر طعبلي	(جامعة الجزائر2)	د/ الطاهر بالنوي	(جامعة الوادي))
د/ عبد الفتاح ابي ميلود	(جامعة ورقلة)	د/ موسى بن موسى	(جامعة الوادي)
د/ محمد السعيد عقيب	(جامعة الوادي)	د/ م.عبد الرؤوف ثامر	(جامعة الوادي)
د/ محمد رشدي جراية	(جامعة الوادي)	د/ عبد الكامل عطية	(جامعة الوادي)

من خارج الجـــزائر

أ.د/ عبد الكريم الماجري	(جامعة منوبة – تونس)
أ.د/ اشرف صالح محمد سيد	(جامعة ابن رشد – هولند)
د/ محمد الامين ولد آن	(جامعة نواقشط – موريطانيا)
د/عمر زعل السعودي	(الجامعة الاردنية– الاردن)
د/عبد الواحد عبد السلام شعيب	(جامعة طرابلس– ليبيا)
د/ ساعد ساعد	(جامعة الملك خالد– السعودية)

شروط و قواعد النشر بمجلّة الباحث
في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

- المجلّة متفتّحة على جميع البحوث في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المؤلّفة باللغات الثلاث العربية والفرنسية والإنجليزية.
- أن يكون الباحث حاصلا على درجة الماجستير على الأقل، أو مسجّلا في الدكتوراه، ويُرفق مشروع مقاله ببيان سيرته الذاتية وصورة فوتوغرافية شخصيّة.
- يُعبّر المقال عن رأي صاحبه الذي يتحمّل المسؤولية المدنية المترتّبة عنه، ولا يُعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.
- ألاّ يكون المقال تلخيصا لمذكرة أو أطروحة جامعية.
- أن يكون مشروع المقال أصيلا وجديدا لم يعرض ولم ينشر سابقا.
- يتألّف مجموع المقال من 4000 إلى 6000 كلمة، على ألاّ يتجاوز بجميع مكوناته العشرين صفحة
- يُزوّد المؤلّف مقاله بملخصين أوّلهما بلغة المقال والثاني بلغة أخرى من المذكورة أعلاه، وعلى أن يكون أحدهما بالعربية، وألاّ يتجاوز الملخّص 100 كلمة.
- ويُزوّد المقال كذلك بخمسة كلمات مفتاحية بلغة المقال، وبترجمتها إلى العربية إن كان المقال بلغة أجنبية.
- أن لا يقل عدد صفحات البحث عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة مكتوبة بخط Traditional Arabic مقاس 14 وتباعد 1سم. وتكتب الهوامش بطريقة عادية في نهاية البحث، وبمقاس 10 وتباعد 1سم
- تخضع جميع المشاريع المقترحة لفحص علمي دقيق سري من قبل هيئة خبراء استشارية وقرارها غير قابل للنقض، ولا يمكن إجراء أي خطوة لنشر المقال قبل صدور قرار إيجابي.
- يتحمّل مؤلّف المقال مسؤولية إجراء كافّة التعديلات المطلوبة من هيئة الخبراء أو من فريق التحرير لنشر المقال.
- تتمّ مراسلات تأهيل المقال للنشر بين المجلّة والمؤلّف بالبريد الإلكتروني.
- يُلغى المشروع في حال عدم ردّ المؤلّف في أجل 30 يوما من تاريخ آخر مراسلة إلكترونية له من المجلّة.
- لا تنشر المجلّة إلاّ المقال الذي تكتمل فيه جميع الشروط،ولفريق التحرير الحقّ في تأجيل نشره إلى عدد لاحق عند الضرورة.
- لا ترد الدراسات والبحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- لا يترتّب أي تعويض مادّي للمؤلّف في حال نشر المجلّة لمقاله.

ترسل جميع البحوث والدراسات إلى العنوان الإلكتروني للمجلة: elbaheth@univ-eloued.dz

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين :

تحتفي مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية بصدور عددها السابع خلال شهر رمضان المبارك، والذي جاء ببحوث ودراسات متعددة ومتنوعة تباينت بين علم النفس وعلم الاجتماعي والتاريخ والفلسفة والاعلام، هو ما يصب في اهتمامات المجلة وتطلعاتها المعرفية.

وفي ظل مراسلات المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، ووفقا للمعطيات الجديدة المتعلقة بالمقاييس العالمية لتصنيف المجلات،وبعد الورشات التكوينية التي عقدت خلال سنة 2016 لرؤساء تحرير المجلات العلمية الصادرة عن جامعة الوادي، ستسعى ادارة المجلة مستقبلا، وابتداءً من العدد القادم الى تفعيل الشروط الجديدة المتعلقة بالنشر وفقا للطريقة المسماة بالـ APA Style ،وهو اختصار لـ American Psychological Association(الجمعية النفسية الأمريكية)، وباستخدام هذا الاسلوب يمكن ان تكون مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية ضمن قواعد البيانات الخاصة بالمجلات العالمية، وهذا ما سيساهم آلياً في ترقية جامعة الوادي وطنيا وعربيا وافريقيا وعالميا حسب المعايير الدولية لتصنيف الجامعات.

وفي الاخير نتمنى تظافر الجهود بين مختلف الباحثين من خلال اسهاماتهم العلمية، بهدف الرقي بهذه المجلة الى مصاف المجلات العالمية.

والله ولي التوفيق

رئيس التحرير

د. رضـــوان شافو

قائمة المحتويات

الموضوع **رقم الصفحة**

❖ كلمة العدد 06

❖ أخلاقيات استخدام الأساليب الإحصائية في البحوث النفسية والتربوية.....09

د.النوي بالطاهر،أ.رشيد زياد(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

❖ النسق الأسري وعلاقته بسلوك الاعتداء لدى المراهق (دراسة ميدانية بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين).....17

أ. مراد يعقوب (جامعة غرداية- الجزائر)

❖ إطار مقترح لتطوير نظام اختيار وتدريب القيادات الإدارية التربوية بمؤسسات التربية والتعليم في قطاع غزة في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية.....30

د. ميرفت محمد راضي (كلية فلسطين التقنية دير البلح- فلسطين)

❖ دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي والمعيقات التي تحول دون انخراطهم فيها من وجهة نظرهم.....53

د.ابراهيم المصري (جامعة الخليل- فلسطين)

❖ فلسفة الأخلاق ومعوقات التربية الأخلاقية في المجتمعات العربية المعاصرة.....66

د.كريمة عبد السلام محمد شروي (جامعة القاسمية- الإمارات العربية المتحدة.)

❖ معالجة قضايا المرأة في الصحافة الجزائرية : دراسة تحليلية لصحيفتي الخبر والشروق.....81

أ.نعيمة بيراردي (جامعة المسيلة- الجزائر)

❖ إستراتيجية وسائل الإعلام والاتصال في دعم الثورة التحريرية الجزائرية:رؤية تحليلية لتأثيراتها في العمل الثوري من 1954 إلى 1962.....91

د.سلامي اسعيداني (جامعة المسيلة- الجزائر)

❖ خليّة الاتصال في مواجهة رهانات أزمة فيضانات غرداية (2008).....104

أ.فطيمة بوهلي (جامعة الجزائر3- الجزائر)

❖ إشكالية وفاة محمد بن عبد المنعم الحميري صاحب كتاب" الروض المعطار في خبر الاقطار "بين المؤرخين القدامى والمحدثين دراسة في النصوص التاريخية.....115

أ.م.د.صباح خابط عزيز سعيد (جامعة بغداد- العراق)

❖ القيم الإنسانية والمبادئ السلميّة في الثورة التحريرية بين الكتابة التاريخيّة والخطاب الشّعريّ.....124

أ.الطاهر الغول (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

❖ الروابط الاقتصادية بين ضفتي الصحراء الكبرى ودور اليهود في النشاط التجاري أواخر العصر الوسيط.....138

أ.عبد القادر كركار (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

❖ الجمعية الوطنية الجزائرية على عهد الرئيس بن بلة وإشكالية النهج السياسي"دراسة في التصور والممارسة.....150

د. جمال بلفردي (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

❖ نشأة الإباضية بالمغرب العربي :دارسة تاريخية ومذهبية.....160

أ.د.عبد الرحمن تركي (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

❖ مظاهر إنتشار الثقافة العربية الإسلامية في حواضر السودان الغربي خلال القرنين و15-17.....165

د.عبد الكامل عطية (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

❖ الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف.....170

د.محمد السعيد عقيب (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

❖ علاقة الإمام عبد الحميد بن باديس بعلماء وادي سوف قبل تأسيس جمعية العلماء:الشيخ الطاهر العبيدي أنموذجا.....178

أ.جمال زواري احمد (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2016/03/03- تاريخ التحكيم: 2016 /04/14 -تاريخ النشر2016/06/28

أخلاقيات استخدام الأساليب الإحصائية في البحوث النفسية والتربوية

د.النوي بالطاهر

أ.رشيد زياد

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Abstract:

The present study aims to give a clear methodological and scientific idea on the ethical use of statistical methods in psychological and educational researches on the one hand, and to the importance of statistics in educational and psychological researches and its ethical use on the other hand.

The study also touched upon the most important standards of ethical and legal considerations when using statistical methods and tests in educational and psychological researches which should be complied with by researchers towards their the members of research sample and during the data collection and its statistical process.

The study allocates an important place to review the most important recommendations reached through this research paper in the field of ethical statistics.

Key words: ethics, statistics, statistical methods.

الملخص :

تهدف الدراسة الراهنة إلى تقديم فكرة واضحة منهجية وعلمية عن أخلاقيات استخدام الأساليب الإحصائية في البحوث النفسية والتربوية من جهة ، والى أهمية الإحصاء في البحوث التربوية والنفسية وأخلاقيات استخدامه من جهة أخرى.

كما تطرقت الدراسة إلى أهم المعايير والاعتبارات الأخلاقية والقانونية عند استخدام الأساليب والاختبارات الإحصائية في البحوث التربوية والنفسية ، والتي ينبغي للباحثين أن يلتزموا بها اتجاه أفراد عينة بحثهم وخلال عملية جمع البيانات ومعالجتها إحصائيا.

وتفرد الدراسة حيزا مهما لاستعراض أهم التوصيات المتوصل إليها من خلال هذه الورقة البحثية في مجال أخلاقيات الإحصاء.

الكلمات المفتاحية: الأخلاقيات ، الإحصاء ، الأساليب الإحصائية.

مقدمة :

اثبتت الطريقة الاحصائية صلاحيتها كأداة للبحث، فقد شاع استعمالها واخذت تشق طريقها بسرعة متزايدة الى مختلف العلوم الطبيعية والاجتماعية على حد سواء، ففي زمننا هذا نجد المربي، والباحث في التربية وعلم النفس، والاقتصادي، والطبيب، ومدير الاعمال والتاجر، وحتى الرجل العادي، يحاول استخدام المبادئ الاحصائية والتعامل بلغة الارقام ، بطريقة مباشرة او غير مباشرة.

وتعتبر الأساليب والاختبارات الإحصائية مثلها مثل العديد من التكنولوجيات الأخرى ، يمكن استخدامها للخير ويمكن استخدامها للشر في المجتمع ، حيث تشير العديد من البحوث والدراسات النفسية والتربوية والمنهجية إلى سوء استخدام الأساليب الإحصائية في الأعمال المنشورة ، فالأساليب الإحصائية عند استخدامها بشكل غير صحيح تؤدي بدون شك إلى نتائج خاطئة ومضللة ، لذا يعتبر تجاوز أخلاقي لأي مشروع بحثي(1).

وقد تحولت الكثير من الاختبارات الإحصائية من أساليب إلى طقوس فمن مشكلات البحث التربوي والنفسي الخطيرة هي تعارض نتائج الباحثين وتذبذبها(Bangert ,Drowns,1991) ، وبما أن الغاية من أي تطبيق إحصائي هو خدمة المجتمع بشكل مباشر أو غير مباشر ، لذلك فان العمل الإحصائي هو بحد ذاته مسؤولية أخلاقية وأن المهنة الإحصائية هي ذات قيمة أخلاقية قبل أن تكون ذات قيمة علمية أو مادية ، وبسبب أن تطور المجتمع يعتمد إلى حد كبير على الممارسات الإحصائية في البحوث العلمية السليمة والدقيقة ، لذا فان جميع ممارسي الإحصاء مهما يكن مستوى تدريبهم أو تحصيلهم العلمي ومهنهم عليهم التزامات اجتماعية لأداء عملهم بأسلوب أخلاقي ومهني وكفؤ (A.S.A,1999) (2) .

وعليه فإن هناك معايير أو اعتبارات أخلاقية ينبغي أن يلتزم بها الإحصائي ،وقد تزداد هذه المعايير أهمية للإحصائي في البحوث التربوية والنفسية ، لأنها تتعلق بشكل مباشر بالإنسان من جميع جوانب حياته العقلية والنفسية والتربوية والاجتماعية ، وهذا لا ينفي عدم وجود معايير أخلاقية للإحصائيين في مجالات البحث العلمي الأخرى، إلا أن الدراسة الحالية اقتصرت على البحوث في المجال التربوي والنفسي لكون الظواهر النفسية غير محددة وغير محسوسة مما تحتاج إلى دقة في تفسيرها وتحليليها التي تعتمد الإحصاء غالبا ، لكونه يسهل عملية تحليل الظواهر النفسية وقياسها والتحكم بها ، فضلاً عن تعدد الدراسات والبحوث في ميدان التربية وعلم النفس ، فالبحوث التربوية والنفسية تحتاج إلى الإحصاء ،لأنه أداة لا غنى عنها (3) .

و بيد أن العمل الإحصائي في البحوث التربوية والنفسية فضلاً عن حاجته إلى اعتبارات أو معايير أخلاقية ينبغي أن يستوعبها كل إحصائي يعمل في هذا الميدان ، فانه يتطلب أيضاً لبعض المعايير القانونية التي تنظم طبيعة علاقة الإحصائي بأفراد عينات الأبحاث وما يترتب عليه من تبعات قانونية في حالة تجاوزه للمعايير الأخلاقية وإحداث ضرر نفسي أو مادي أو معنوي لدى المشاركين معه لا سيما أفراد العينات .

وبناء على ما سبق، فانه سيتم تناول الموضوع ، وذلك بالتطرق الى:

1. أهمية الإحصاء في البحوث التربوية والنفسية .
2. المعايير والاعتبارات الأخلاقية والقانونية عند استخدام الأساليب والاختبارات الإحصائية في البحوث التربوية والنفسية.
3. التجاوزات الاخلاقية والقانونية في استخدام الاحصاء في البحوث التربوية والنفسية.

أولاً: أهمية الإحصاء في البحوث التربوية والنفسية :

للإحصاء أهمية خاصة ، ليس لأنه يخدم كل العلوم فقط لكن لأنه يلعب دوراً محورياً في دقة ومصداقية البحث العلمي ، فالإحصاء التربوي والنفسي له دوراً وأهمية خاصة في مجال البحث التربوي والنفسي ، فدراسة الظواهر بأنواعها المختلفة سواء أكان ذلك بطريقة وصفية أو بطريقة تحليلية أو تجريبية تحتاج إلى أساليب للمعالجة الإحصائية ، وهذا الأمر يدل على دور وأهمية الإحصاء في صناعة البحوث التربوية والنفسية ، ويمكن تحديد أهمية الإحصاء في البحوث التربوية والنفسية- كما اوردها السردي- في النقاط التالية : (2012) (4).

1. جمع البيانات عن الظاهرة العلمية أو التربوية والنفسية ، وهذا ما يتعلق بالكشف عن واقع الظاهرة و مدى تأثيرها في إحداث تغييرات.
2. استخدام الإحصاء في التعرف على مصداقية (صدق) ، وثبات أدوات البحث من حيث إمكانية جمع البيانات والمعلومات من الظواهر الطبيعية أو التربوية والنفسية بطمأنينة.
3. إجراء المعالجة الإحصائية للبيانات التي تم الحصول عليها ، بالأساليب الملائمة لخصائصها والفرضيات التي يسعى الباحث للتأكد من حدوثها أو تحققها.
4. تبويب البيانات الإحصائية وتفريغها بصورة تضمن للباحث معالجتها بالأساليب الإحصائية المناسبة.
5. إكساب الباحث القدرة على اتخاذ القرارات بشأن مصداقية الإجراءات الإحصائية قبل الشروع بتنفيذها أو التعامل معها.

كل ذلك يتطلب في البحوث التربوية والنفسية أن تكون العمليات الرياضية والمعالجات الإحصائية بأفضل ما تكون من دقة في الاختبار وفي الاستخدام وفي التفسير والتحليل ، واعتماد أكثر من عينة كي يمكن تصنيف الأفراد في مقدار ما يملكون من الظاهرة النفسية المقاسة بشكل منهجي بعيد عن الذاتية وتعميم النتائج على أفراد المجتمع (5) .

ثانياً : هدف الدراسة :

تهدف الدراسة الراهنة إلى إلقاء الضوء على أخلاقيات استخدام الأساليب الإحصائية في البحوث التربوية والنفسية ، بغية تشجيع العمل الإحصائي الأخلاقي والفعال في دراسات وأبحاث تتمتع بأخلاق البحث العلمي في الميدان التربوي والنفسي ،

لاسيما أن معظم متغيرات هذه الدراسات والأبحاث متغيرات افتراضية غير محسوسة تعتمد الأخلاق أو النزاهة والأمانة في تحديد وطريقة قياسها والحكم عليها ، لأن عدم التزام الباحث أو الإحصائي بهذه الاعتبارات أو القيم الأخلاقية المتعلقة باستخدام الإحصاء تبعد البحث عن مساراته العلمية وتجعل نتائجه غير علمية ، وبالتالي تؤدي إلى انعكاسات سلبية خطيرة على حركة البحث العلمي خاصة ، وحركة المجتمع ومسيرة تقدمه عامة.

ثالثاً : منهج الدراسة :

المنهج الذي أعتمده – الباحثان- في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي لما كتب حول أخلاقيات استخدام الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية ، فضلاً عن الاطلاع على عدد من رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه وبعض الأبحاث المنشورة في المجالات العلمية في ميدان البحث والدراسات التربوية والنفسية وبعض المصادر والكتب التي تناولت الإحصاء في التربية وعلم النفس لاستخلاص بعض المؤشرات حول مدى التزامها بأخلاقيات استخدام الأساليب الإحصائية.

رابعاً: الاعتبارات الأخلاقية والقانونية في استخدام الإحصاء في البحوث التربوية والنفسية:

إن العمل الإحصائي في البحوث التربوية والنفسية فضلاً عن حاجته إلى اعتبارات أو معايير أخلاقية ينبغي أن يستوعبها كل إحصائي يعمل في هذا الميدان ، فإنه يتطلب أيضاً لبعض المعايير القانونية التي تنظم طبيعة علاقة الإحصائي بأفراد عينات الأبحاث وما يترتب عليه من تبعات قانونية في حالة تجاوزه للمعايير الأخلاقية وإحداث ضرر نفسي أو مادي أو معنوي لدى المشاركين معه لا سيما أفراد العينات (6).

فقد تنطبق الاعتبارات الأخلاقية والقانونية Ethical and legal considerations على أي بحث أو باحث في جميع المجالات والميادين ، لكنها قد تبدو وبشكل واضح أو أكثر أهمية في مجال البحوث التربوية والنفسية ، لكون هذا المجال يتعامل مع الإنسان بشكل مباشر ، وأن معظم عينات أبحاثه الإنسان نفسه ، لذلك أكدت جمعية البحوث التربوية الأمريكية (EARA ,1999) أهمية التزام الباحثين ببعض المعايير الأخلاقية والقانونية ، بغية الحفاظ على سلامة البحث ومجتمعه وكل من له علاقات مهنية معه ، وبالتالي انجاز بحثه بكفاءة عالية ، مع الحفاظ على كرامة وحقوق الأفراد المشاركين معه ، وأفراد عينات البحث ، ويحافظ على خصوصياتهم ويحترم شخصياتهم (7).

لهذا اقترحت جمعية البحوث التربوية الأمريكية (EARA ,1999) عشر (10) اعتبارات أو معايير أخلاقية ينبغي أن يلتزم بها الباحث تجاه أفراد عينة بحثه ومن بين هذه المعايير والاعتبارات :

1. يحق لأفراد العينة أو أولياء أمورهم الاطلاع على مخاطر البحث وانعكاساته السلبية عليهم ، ويفضل أن يأخذوا موافقاتهم قبل المشاركة ، لذلك ينبغي أن يطلعوا على أهداف البحث و التغيرات التي قد تطرأ عليه.
2. عدم استغلال أي منفعة شخصية للباحث سواء من أفراد البحث أو من مؤسساته.
3. أن لا يستغل الباحث موقعه ويجبر الآخرين على المشاركة في البحث كعينة له ، ويحق للمشاركين الانسحاب من البحث في أي وقت يشاءون.
4. أن يراعي الباحث سياسات المؤسسة و إرشاداتها.
5. مراعاة النزاهة والصدق في علاقته مع المشاركين ، أو مع ممثلي المؤسسات ، وأن يقلل التمويه التي يضطر إليها أحياناً ويخبر المشاركين أو ممثلي المؤسسات بعد انجاز الدراسة بأسباب ذلك التمويه أو التضليل.
6. أن يراعي الباحث الفروق الثقافية و الدينية والجنسية وغيرها من الفروق المؤثرة عند إجراء بحثه وكتابة تقريره.
7. أن يقلل الباحث قدر الإمكان من استخدام الأساليب البحثية التي قد تكون لها نتائج اجتماعية سلبية ، أو الإجراءات التي قد تعطل الطلبة أو تحرمهم جزءا من المادة أو حضور قاعات الدراسة.

8. أن يراعي الباحث سلامة النشاطات المؤسسية التي يجري فيها البحث ، وينبغي تنبيه ممثليها عما قد حدث من تأثيرات أو قد تحدث نتيجة إجراء البحث فيها.

9. أن يوصل الباحث استنتاجاته وأهميتها العلمية بلغة واضحة وملائمة ومباشرة إلى المجتمعات أو المؤسسات المعنية ولكل من له صلة بالبحث.

10. يحق للمشاركين أو لمساعدي البحث بإخفاء هويتهم إذ ينبغي حماية سرية المشاركين والبيانات (8).

وفضلاً عن هذه المعايير، يضيف زياد بركات (2011) أنه ينبغي للباحث أن يحدد مسبقاً التحليل الإحصائي المناسب لبحثه (9).

ومن بين المشكلات الأخلاقية المطروحة والتي قد يواجهها الباحث تتصل باختيار الأساليب الإحصائية التي سيستخدمها في معالجة البيانات ، فقد يلجأ الباحث إلى اختيار أفضل أسلوب إحصائي يعطيه قدرا من التباين يبرز أهمية وجهة النظر التي يتبناها البحث أي أن اختيار الباحث للأسلوب الإحصائي ليس مبنياً على أسس علمية وإنما تحكمت فيه وجهة النظر الشخصية فالباحث بذلك يتخلى عن صفة الموضوعية التي يجب أن يتحلى بها ، كما أنه يتخلى عن الأمانة العلمية ويحيد عن الصواب في هذا التصور. فعلى سبيل المثال: قد يميل بعض الباحثين إلى إيجاد ثبات أدوات بحوثهم باستخدام أكثر من طريقة وذلك على أساس أن بعض الطرق تعطي معاملات ثبات أقل مما تعطيه طرق أخرى بنفس البيانات هذا أمر جائز من الناحية الأخلاقية ولا يتعارض في نفس الوقت مع الاعتبارات العلمية، أما إذا كان اختيار الأسلوب الإحصائي مرجعه الوحيد هو أن ذلك الأسلوب سوف يؤدي إلى إبراز وجهة نظر معينة يفضلها الباحث بذلك يقع في مأزق أخلاقي لا يتناسب ومكانته كمعالج للبيانات (10).

إذ ليس من الصحيح أن يختار الباحث التحليل الإحصائي الذي يدعم فرضيته أو ينقصها بحسب توقعه أو رغبته المسبقة ، ومن الضروري أيضاً أن يذكر جميع نتائج تحليلاته الإحصائية وليس فقط التي تكون دالة إحصائياً وأن تكون جميع تحليلاته الإحصائية مخطط لها مسبق(11).

ولذلك ينبغي أن يكون الباحثون التربويون موضوعيين ونزيهين ويبذلون عناية خاصة في جمع البيانات بطريقة لا تسمح لانحيازاتهم الشخصية التأثير في ملاحظاتهم ، وينشدون الحقيقة ويقبلونها حتى ولو كانت متعارضة مع آرائهم الذاتية (12).

وبما أن البحوث التربوية والنفسية تتعامل مع الإنسان وأن أداة جمع البيانات فيها لا تتسم بالدقة التامة والموضوعية المطلقة لذلك ينبغي استخدام الوسائل أو الاختبارات الإحصائية فيها بدقة متناهية وأمانة تامة لا سيما وان الإحصاء "مثل المكفوف يسير أينما يقوده المبصر".

خامساً:التجاوزات الأخلاقية والقانونية في استخدام الإحصاء في البحوث التربوية والنفسية:

ينبغي أن تكون لدى الباحث في جميع مجالات البحث العلمي بعامة وفي مجال البحث التربوي والنفسي بخاصة خبرة كافية في الإحصاء ، ولا سيما في اختيار أو تشخيص بعض الوسائل الإحصائية الأساسية المناسبة لبحثه ، حتى وان كانت خبرته وطبيعتها القياسية ذات العلاقة بنوع الوسيلة الإحصائية ، إذ من المشكلات الأساسية التي تواجه معظم الباحثين في هذا المجال هو صعوبة تحديد الإحصاء المناسب لفرضيات البحث ومتغيراته (13).

ولا شك ان الضعف الموجود لدى معظم الباحثين في مجال التربية وعلم النفس في قدرتهم على اختيار أو تحديد الوسيلة الإحصائية المناسبة لأبحاثهم يضع مسؤولية أخلاقية وعلمية إضافية على الإحصائي الذي يتبنى إجراء الإحصاءات للبحث ، إذ أصبحت معرفة استخدام التقنيات أو الوسائل الإحصائية الأساسية ضرورية للأبحاث الجيدة ،لأن دقة نتائجها تعتمد على دقة الوسائل الإحصائية التي تستخدم في تحليل هذه النتائج ، لذلك زاد في الآونة الأخيرة التركيز على تعلم الأساليب والمناهج الإحصائية وتحديد استخداماتها (14).

إن ضعف الباحثين التربويين في الإحصاء وعدم وجود معايير أخلاقية لدى الإحصائيين في التعامل مع إحصاءات البحوث ، فضلاً عن عدم وجود التزامات قانونية تحدد المسؤولية في التجاوز أو السلبيات التي يقع فيها الإحصائي قد دفعت إلى بروز تجاوزات أخلاقية في إحصاءات عدد كبير من البحوث التربوية والنفسية ومن أهم هذه التجاوزات :

أولاً: بروز ظاهرة المكاتب التجارية ومواقع الانترنت للتحليلات الإحصائية للباحثين والطلبة ، متجاوزة الالتزامات الأخلاقية والقانونية ، وقد حاول – الباحثان- الاطلاع على مجريات العمل في مثل هذه المكاتب، ولاحظا من خلال مقابلات أصحاب بعض المكاتب والباحثين الذين قامت هذه المكاتب بالتحليلات الإحصائية لأبحاثهم ما يأتي :

1. إن معظم المسؤولين عن هذه المكاتب ليس من المتخصصين بكفاءة في الإحصاء ، بل أن بعضهم أساسا ليس له علاقة باختصاص الإحصاء ولا حتى باختصاص القياس والتقويم.

2. أن بعض هذه المكاتب تقوم عن الباحث بتحليل النتائج الإحصائية لبحثه وتفسيرها ، ولا تكتفي بالتحليل الإحصائي ، مما يشكل خرقاً لأخلاقيات الإحصاء خاصة و لأخلاقيات البحث العلمي عامة.

3. بعض هذه المكاتب ، إن لم نقل معظمها ، لا يقوم بإدخال البيانات جميعها في الحاسوب بل يكتفي بعينة منها أو بجزء منها لاسيما عندما تكون البيانات كثيرة ومتنوعة ، ويقوم بإضافة أرقام أو بيانات للسهولة أو تكرار البيانات باستخدام الحاسوب.

4. يقوم البعض في هذه المكاتب بالاتفاق مع الباحث لإعداد أداة القياس أو الاختبار لبحثه وتطبيقها على العينة ، ومن ثم حساب الدرجات وتحليلها إحصائياً وتفسيرها ، في حين أنهم لا يقوموا فعلاً بكل هذه الإجراءات ، سوى إعداد الأداة ، ووضع نتائج قياسية لها بتقديراتهم الشخصية ومن ثم إخضاعها للتحليل الإحصائي (15).

ثانياً: قيام – الباحثان- بالاطلاع على العشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه المتوفرة في بعض المكتبات الجامعية ، ولاسيما في مجال البحوث الوصفية والتجريبية والبحوث الارتباطية التي تعتمد على فرضيات صفرية وفرضيات بديلة ، فوجد أن أغلب هذه البحوث ، كانت تؤكد في أهميتها على دور المتغير المستقل في المتغير التابع و تظهر تأثيره من خلال المناقشة والأدبيات واختيار الدراسات السابقة ، مما يظهر فيها تحيز الباحث المسبق للفرضية البديلة ، ثم جاءت نتائج هذه البحوث في أغلبها رافضة للفرضيات الصفرية ، وقبولها للفرضيات البديلة ، حتى أن البعض من طلبة الدراسات العليا ومن بعض الباحثين المستجدين يقوم بتغيير البيانات عندما لا يمكن رفض الفرضية الصفرية ، وذلك تهرباً من الاتهام من أن الباحث كان غير دقيق في اختيار المشكلة ، وأن الوقت والجهد المبذولين في البحث ، ذهبا سدى.

ثالثاً: يقوم بعض الإحصائيين بإدخال بيانات من عنده أو استخدام بيانات سابقة مخزونة في ذاكرة حاسوبه تقترب في نوعيتها ومقدار درجاتها من درجات البحث الجديد ، لاسيما عندما تكون البيانات كثيرة ، مما تصبح جميع النتائج الإحصائية مضللة أو مزيفة .

رابعاً: يحاول بعض الإحصائيين لإرضاء الباحث أو توقعاته التلاعب في إحصاءات البحث ، وأحياناً نتائجه لتتفق مع فرضياته(16).

خامساً: يقوم بعض الإحصائيين أو الباحثين باختيار الوسيلة الإحصائية وتطبيقها وفي ضوء النتيجة تصاغ الفرضيات ، أي يجعلون الإحصاء يهيمن على البحث أو على الفرضيات في حين ينبغي أن يكون الإحصاء هو في خدمة الفرضيات(17).

سادساً: عدم إدراك أصحاب الأبحاث أو المؤسسات للطبيعة المتداخلة جداً بين الصدق الإحصائي والأخلاقيات الإحصائية ، ما يضغطوا على الإحصائيين للوصول إلى نتيجة معينة بغض النظر عن صدقها الإحصائي(A.S.A ,1999) (18).

سابعاً: يحاول بعض الإحصائيين إخفاء التحليلات الإحصائية غير الدالة وإظهار التحليلات الإحصائية الدالة فقط (19).

ثامناً: يحاول بعض الإحصائيين بشكل مقصود أو عفوي التحيز لبعض التحليلات الإحصائية دون غيرها ، أما لشيوع هذه التحليلات بين وسط الباحثين أو لسهولتها في الاستخدام ، وأحياناً يختار الوسائل المعقدة أو الصعبة في الاستخدام والتفسير

ليظهر قدرته أمام الآخرين ، على الرغم من توافر إحصاءات تؤدي الغرض نفسه بأقل وقت وجهد ، وواضحة وسهلة في التحليل والتفسير(20).

تاسعاً: يحاول بعض الإحصائيين أو الباحثين تضليل المجيب للحصول على بيانات يرغبون بها، قد لا يعطيها المجيب عندما يكون هدف الحصول على البيانات واضحاً أمامه(21).

سادساً : المعايير والالتزامات الأخلاقية للإحصائيين في البحوث التربوية والنفسية:

تلعب الإحصاءات دوراً مهماً في العديد من جوانب الحياة العملية والاقتصادية والعقلية والاجتماعية ، مما ينبغي على الإحصائيين ممارسة عملهم بشكل مهني واحترام استخدام الإحصاءات عند تطبيقها في ميادين الحياة المختلفة ، لما لها من انعكاسات خطيرة ، على حياة المجتمع ، فعلى سبيل المثال أن استخدام الإحصاء في التشخيص الطبي والدراسات الطبية الحيوية فإن أي خطأ فيه أو عدم الدقة في استخدامه سيشكل كارثة طبية على حياة أفراد المجتمع ، فضلاً عن الصحة الاجتماعية والعقلية قد تكون مهدده بالخطر عندما يتجاوز الإحصائي المعايير الأخلاقية في الدراسات الاجتماعية والعقلية والنفسية وهذا ينطبق على جميع ميادين الحياة ومجالاتها الأخرى مثل الزراعية والهندسية والتربوية والنفسية والطبية وغيرها(22).

ولكن قد تقع على الإحصائي في البحوث التربوية والنفسية التزامات أخلاقية أكثر خطورة ولا يمكن التهاون بها ، لكونها ترتبط بالإنسان سواء بنتائجها أو بإجراءاتها ، ومن هذه المعايير أو الالتزامات ، ما يأتي:

1. أن الإحصاء هو في خدمة البحث فلا يهيمن عليه إذ ينبغي الالتزام بخطة البحث ويستخدم الإحصاء وفق فرضياته ومتغيراته.

2. ينبغي أن لا يكون الإحصاء منافيا للمنطق العلمي ، فعندما يتعارض الإحصاء مع المنطق على الباحث أن يتحقق من صحة الإحصاء ، أو من صحة اختيار الاختبار الإحصائي المناسب وهذا ما أكد عليه "فيشر" في العلاقة بين المنطق والإحصاء (23).

3. أن يحدد الباحث مسبقاً التحليل الإحصائي المناسب لفرضياته بعد أن يصوغ الفرضيات أو يحدد أسئلة بحثه بدقة وخبرة علمية كافية ، كي لا يغير التحليل الإحصائي بتحليل أخر عندما يخفق في دعم الفرضيات أو في رفضها.

4. أن يذكر الباحث جميع نتائج التحليلات الإحصائية وليس تلك الدالة إحصائياً فقط كي يكون القارئ على اطلاع بالتحليلات الإحصائية الدالة وغير الدالة ويقارن بينهما(24).

5. أن يخطط الباحث لنتائج التحليلات الجزئية قبل إجراء الدراسة وتستخدم الإحصاء المناسب معها ودعم الاكتفاء بالتحليلات العامة لمجموع العينة (25).

6. إن تصميم الدراسة هو الذي يحدد الأساليب الإحصائية التي ينبغي استخدامها ، وليس العكس، فالباحث يختار أولاً الإحصاءات التي تستهويه ومن ثم يصمم الدراسة لتناسب تلك الإحصاءات(26).

7. يجب على الباحث استخدام الاختبارات الإحصائية الهامة لتحديد مستوى الثقة(27).

8. أن يمتلك الباحث في الميدان التربوي والنفسي قدرا من المعرفة في تحديد أو اختيار الإحصاءات المناسبة لبحثه، ليتمكن من إيصال فكرة فرضياته وطبيعة المتغيرات الكمية إلى الإحصائي ليساعد في اختيار الوسيلة المناسبة(28).

9. يجب أن يبتعد الإحصائي عن المشاركة في أي عمل إحصائي وضعت نتائجه مسبقاً لأغراض معينة (A.S.A ,1999)(29).

10. أن يقوم الباحث بنفسه بتحليل نتائج بحثه في ضوء نتائج التحليل الإحصائي وعدم الاعتماد على الإحصائي غير المتخصص في الميدان.

11. لابد للباحث أن يحدد الاختبارات الإحصائية المناسبة لطبيعة بيانات البحث (30).

12. أن يوضح الإحصائي عند إعلان نتائج التحليلات الإحصائية حجم العينة وكيفية اختيارها ودافعية أفرادها للمشاركة ، كي يمكن الحكم على الاستنتاج والتعميمات في ضوء ذلك.

13. أن يرفض الإحصائي المساهمة بأية تحليلات إحصائية مضللة أو مزيفة ويبتعد أو يعارض وضع اسمه على مؤلفات غير مقتنع بها أو فيها عيوب وأخطاء إحصائية(31).

سابعاً: المعايير القانونية في إحصاءات البحوث التربوية والنفسية:

قد لا يكفي تحديد المعايير الأخلاقية للإحصائيين في ميدان البحوث التربوية والنفسية ، ولاسيما أن عدد كبيرا منهم هم من طلبة الدراسات العليا الذي همهم الوحيد انجاز أبحاثهم ضمن المدة المقررة لانجازها على وفق التعليمات الجامعية ، مما ينبغي أن يلازم ذلك معايير قانونية تصدر على شكل قانون أو تعليمات ويشرف على تنفيذها أو اعتمادها مؤسسة أو لجنة متخصصة في كل مجال من مجالات الأبحاث والدراسات ومن هذه المعايير التي نقترحها في هذه الدراسات التي جاء بعضها ضمن الاعتبارات الأخلاقية والقانونية التي أشارت إليها (A.S.A ,1999) الواردة في (الكبيسي والعمري،2007)و(المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية،2007) ، وهي :

1. أن يتم تنظيم عمل المكاتب الإحصائية الاستشارية بحيث يكون فيها إحصائي مؤتمن مسؤول كما هو الحال لدى المترجمين القانونيين.

2. أن يرفض الإحصائي أي تلاعب في البيانات المقدمة له سواء من مؤسسات رسمية أو من باحثين ، ويتحمل مسؤولية عدم الأخبار عن ذلك إلى الجهة المختصة.

3. في حالة ثبوت تواطئ الإحصائي أو قيامه بتزييف البيانات أو نتائج التحليل فيحال إلى المحاكم المختصة لمحاكمته على وفق الجرائم الخطيرة ذات المساس بحياة المجتمع.

4. أن يتحمل الإحصائي مسؤولية الضرر الذي يمكن أن ينشأ لإفراد العينة في حال نشر عمل إحصائي مضلل أو مزيف.

5. يتحمل الإحصائي مسؤولية إفشاء أسرار المشاركين وإعطاء معلومات عنهم يمكن أن تستخدم ضدهم في مواقف عديدة.

6. إخفاء السرية التامة على البيانات التي تكون لدى المكاتب الإحصائية ومحاسبتهم عند استخدامها لأغراض أخرى أو إفشاء سريتها(32).

ثامناً: التوصيات:

في ضوء ما تقدم من معايير أخلاقية وقانونية لتنظيم استخدام الأساليب الإحصائية في البحوث التربوية والنفسية يوصي – الباحثان- بما يأتي :

1. ضرورة وضع معايير قانونية تحد من تجاوز بعض الباحثين لأخلاقيات الإحصاء وتطبيقها بصرامة عند اللزوم .

2. نشر الثقافة الإحصائية في أوساط طلبة الجامعات واعتماد مقياس الإحصاء واعتباره أساسي في جميع التخصصات.

3. أن يعني الباحث عناية خاصة في عملية جمع البيانات ، وأن ينشر الحقيقة ويقبلها حتى لو كانت متعارضة مع أرائه .

4. تدريس مقياس الإحصاء في علم النفس وعلوم التربية وعلى مدار أكثر من فصل دراسي لطلبة الدراسات العليا واعتباره مقياس أساسي في جميع تخصصات التربية وعلم النفس.

5. تخصيص مشرف إحصائي مع مشرف البحث لطلبة الدراسات العليا..

6. توجيه المؤلفين والكتاب بوضع فصل خاص للاعتبارات القانونية والأخلاقية في كتب الإحصاء والقياس والتقويم.

7. أن يكون لدى كل جامعة أو مؤسسة تربوية مكتب مؤتمن للاستشارات والتحليلات الإحصائية .

8. إن تقوم الجامعات بفتح دورات إلزامية للأساتذة في مجال التحليل الاحصائي.

9. برمجة دورات تدريبية لفائدة الاساتذة في البرامج الاحصائية وتطبيقاتها.

الهوامش :

1. james A and M Graham(2001). The Ethical Use of Statistical Analyses in psychological Research .paper presented at the annual meeting of Division 17(counseling psychology)of the American psychological Association,Houston,TX.p:2.
2. American Statistical Association(1999). Ethical guidelines for Statistical practice. Phrinard by the committee on professional Ethics.p:3.
3. فتح الله ، سعد حسين(1998). مبادئ علم الإحصاء والطرق الإحصائية ، المطبعة الأكاديمية، الاردن،ص:15.
4. السردي ، محمد عبد الله(2012). تقويم الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحوث التربوية بالجامعة الإسلامية والحلول البديلة ، رسالة ماجستير غير منشورة الجامعة الإسلامية بغزة،ص:28.
5. Ghiselli, E ,E et al (1981). Measurement theory for behavioral Sciences, San Francisco, W.H.F.p23.
6. زياد ، بركات(2011). أخلاقيات البحث العلمي والإحصاء في البحوث التربوية والنفسية ،مركز الابحاث التربوية والاجتماعية، اكاديمية القاسمي للغة العربية وادابها مجلة جامعة، فلسطين، العدد (15) ،ص ص:11-124.
7. زياد ، بركات(2011). مرجع سابق ،ص:114.
8. الكبيسي ، كامل ثامر و العمري ، حسان(2007). أخلاقيات الإحصاء في البحوث التربوية والنفسية ، المؤتمر الإحصائي العربي الأول، 12 و13 نوفمبر ، عمان ، الأردن، ص ص:4-5.
9. زياد ، بركات(2011). مرجع سابق ،ص:116.
10. ميثاق (دليل) أخلاقيات البحث العلمي في الجامعات المصرية (بدون تاريخ).ص ص:10-11.في الموقع : www.investintech.com
11. زياد ، بركات(2011). مرجع سابق ،ص:116.
12. Donald, A, et al(2004). introduction to research in education ,New york : Allyn and Bacon.p:16.
13. زياد ، بركات(2011). مرجع سابق ،ص:116.
14. Pauline,v.y.(1973).Seintific Social surveys research,new Delhi.p:274.
15. . الكبيسي ، كامل ثامر والعمري ، حسان(2007). مرجع سابق، ص:9.
16. زياد ، بركات(2011). مرجع سابق ،ص:116.
17. الكبيسي ، كامل والعمري ، حسان(2007). مرجع سابق ، ص:10.
18. American Statistical Association(1999). Ipid,p:1.
19. زياد ، بركات(2011). مرجع سابق ،ص:119.
20. الكبيسي ، كامل ثامر والعمري ، حسان(2007). مرجع سابق ، ص:10.
21. زياد ، بركات(2011). مرجع سابق ،ص:119.
22. زياد ، بركات(2011). المرجع نفسه،ص:120.
23. الكبيسي ، كامل ثامر والعمري ، حسان(2007). مرجع سابق ، ص:11.
24. زياد ، بركات(2011). مرجع سابق ،ص:121.
25. Donald, A, et al(2004).Ipid,p:35.
26. الكبيسي ، كامل ثامر والعمري ، حسان(2007). مرجع سابق ، ص:2.
27. محمد صلاح الدين، أحمد رجاء وآخرون(2010). خطوات البحث العلمي ومناهجه ، المشروع العربي لصحة الأسرة ، قطاع الشؤون الاجتماعية ، جامعة الدول العربية.ص:21.
28. الكبيسي، كامل ثامر وأحلام شهيد علي.(2006). بناء اختبار تمكن طلبة الماجستير الاختصاصات التربوية والنفسية من تحديد الوسائل الإحصائية المناسبة لبحوثهم ، مجلة حولية أبحاث الذكاء ، العراق الجامعة المستنصرية .ص:2.
29. المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية (2007). المبادئ الأساسية للإحصاءات الرسمية، في الموقع : www.aitrs.org.
30. وحدة ضمان الجودة (2012). دليل أخلاقيات المهنة والبحث العلمي ، المعهد العالي للصحة العامة ، جامعة الإسكندرية ، ص ص:1-31.
31. زياد ، بركات(2011). مرجع سابق ،ص:121.
32. زياد ، بركات(2011). المرجع نفسه،ص:121.

تاريخ الاستلام: 2016/03/03- تاريخ التحكيم:2016/05/06 -تاريخ النشر2016/06/28

النسق الأسري وعلاقته بسلوك الاعتداء لدى المراهق

(دراسة ميدانية بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين)

أ.مراد يعقوب (جامعة غرداية)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Résumé:

Cette étude a pour objet d'évoquer l'un des phénomènes les plus répondus dans le monde en générale et dans notre pays en particulier, il s'agit du comportement agressive contre les autres. dans cet article l'auteur se propose une lecture systémique au comportement agressive chez les adolescents en se basant sur la qualité des relations au sein de la famille.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الإشارة إلى أحد الظواهر الاجتماعية الشائعة والمتواجدة عالميا، وهي ظاهرة سلوك الاعتداء الموجه ضد الاخرين، حيث تنطلق الدراسة من منظور نسقي اين تعطى اهمية كبرى لأنماط التفاعل داخل الاسرة والتي مردها إلى القوانين الصريحة وغير الصريحة الثابتة نسبيا في الاسرة، لنجد في ضوئها قراءة لسلوك الاعتداء لدى المراهق.

المقدمة:

تعتبر ظاهرة سلوك الاعتداء على الآخرين و ممتلكاتهم من الظواهر المقلقة التي تواجدت وتتواجد في جميع المجتمعات باختلافها واختلاف ثقافاتها وعرقها ودينها، فمشكلة الاعتداء والعنف متواجدة في كل زمان ومكان وأثارها على جميع الأصعدة، وجميع الفئات في المجتمع(1) .

وإذا كانت هذه الظاهرة متواجدة عند كل الفئات العمرية، فإن حدوثها من طرف المراهق يعتبر من ضمن الميزات حسب ما أشارة إليه بعض الدراسات، ذلك لما تتصف به هذه المرحلة العمرية من صعوبات على المستوى النفسي، الأسري، و الاجتماعي .

و تعتبر الأسرة من ضمن الحلقات المهمة للفرد مهما كان سنه، فإنها (الأسرة) مهمة للطفل في تحديد سماته الشخصية، كما تعد الأسرة من ضمن العوامل المهمة والمحددة للصحة أو الاضطراب لدى المراهق(2)، من هذه الوجهة نريد أن بين إمكانية وجود علاقة بين سلوك الاعتداء و أنماط التفاعل السائدة في الأسرة، وكذا النظم والقواعد التي تنظم تلك التفاعلات، والتي ينجم عليه جو عاطفي يعم الأسرة ويجعل منها في الأخير أسرة وظيفية أو مختلة التوظيف، ليكون سلوك المراهق الذي يبدئ سلوك الاعتداء حسب هذا التناول (التناول النسقي) مجرد علامة على اختلال الوظيفة الأسرية، لتصبح الأسرة في الأخير هي المستهدفة بالتشخيص والعلاج وبالدراسة(3).

1- الإشكالية:

ترتبط مشكلات المراهق ومنها سلوك الاعتداء بالأحداث العائلية، فسجل كل من Ruther & al (1961) أن الصعوبات النفسية اثناء المراهقة مرتبطة بمجموعة من المؤشرات لمرض العائلة(2).حيث يكون المراهق في صراع بين قوتين، إحداهما تجذبه إلى الأسرة والأخرى تبعده عنها (الأسرة). فيصعب عليه (المراهق) الخروج من هذا الضغط، الذي يكون بين التفردية (الاستقلالية) و التمكين من جهة، و من جهة أخرى الشعور بالانتماء، (كيف يكون مستقل ولا تكون هنالك قطيعة)، والأصح أن نقول أن المراهق في محاولاته للبحث عن الاستقلالية يلقى جملة من الصعوبات التي تعيق هذه الاستقلالية والتفردية من طرف

الآباء، وهذه المحاولات من الآباء بحصر وتحديد استقلالية أبنائهم المراهقين تدفع المراهق للتقرب من رفاقه أكثر وبالتالي ابتعاده عن الأسرة، والذي بدوره يزيد من محاولة المراقبة من طرف الأولياء والتي يمكن أن تدخل في حلقة مفرغة وهكذا.

كما أن مرحلة المراهقة تتغير فيها طبيعة العلاقة، من علاقة (أب –طفل)، لتتحول من علاقة لا تناظرية إلى أن تصبح أكثر تناظرا من جهة القوى البين شخصية والقيادية ، وذلك حسب راي كل من Eccles et al (1993)؛ كل هذه التغيرات لها تأثيرها على أعضاء الأسرة، خاصة الوالدين الذين من جهتهم إما أن يكبحوا هذا النمو والتفردية والاستقلالية أو يشجعوه، وذلك من خلال المواقف اليومية، ومنه نقول أن المراهقة تحدث تغير في النسق الأسري، وتهز كل الأعضاء في عادتهم، ومن هنا يتسم النسق بمرحلة من عدم الاستقرار مع محاولات بحث جديدة عن التوازن(4).

ومنه فإن المشكلات التي يظهرها المراهق هي مشكلات في وضعيات صعبة : انخفاض في التحصيل الدراسي أو الإخفاق المدرسي(التسرب) المفاجئ، الهروب من البيت، الخلفة الغذائية، الإدمان، الانحراف، العنف والاعتداء على الآخرين وعلى الممتلكات؛ يمكن ان تفهم على أنها ردود فعل (feedback) لجلب انتباه الأسرة (الوالدين خاصة)إلى التهدئة وإعادة النظام.

وبالرغم من تأثر المراهق وارتباطه بالمشاكل والأحداث التي تقع خارج الأسرة، إلا أن الدراسات بينت (نذكر منها على سبيل الحصر دراسة كل من Eccles et al (1993)) أن المراهق يبقى حساس جدا لما يحدث داخل الأسرة بدرجة أكبر، وهناك باحثون يؤكدون على أن الخلافات الأسرية، خاصة الخلافات الزوجية تمثل العامل الأكثر أثرا في ظهور الاكتئاب والاضطراب لدى المراهق.(2)

كما نشير أن هذه الاضطرابات في أنماط التفاعل داخل النسق الأسري قد تؤدي إلى اختلال في الأدوار وانفجار الحدود بين الأجيال والخلافات والتضاديات ووجود الأسرار داخل الأسرة (اختلال الوظيفة الاسرية) مما قد يسهم في وجود أعراض، أي وجود اضطراب السلوك لدى بعض أفراد الاسرة أو على الأقل عند أحدهم والذي غالب ما يقبل دور كبش الفداء، والذي يسمى اصطلاحا بالمريض المعين او المحدد (le patient designee).

1-1- أسئلة الدراسة :

مما تقدم نستطيع أن نطرح الأسلة التالية :

- هل توجد علاقة ارتباطية عكسية بين الوظيفة الاسرية وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين؟

وتتفرع منه الأسئلة الجزئية التالية:

- هل توجد علاقة ارتباطية عكسية بين الحدود والقواعد داخل النسق، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين؟
- هل توجد علاقة ارتباطية عكسية بين الصراع وطرق حله داخل النسق، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين؟

– هل توجد علاقة ارتباطية عكسية بين العلاقات داخل النسق، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين؟

– هل توجد علاقة ارتباطية عكسية بين المعاملة داخل النسق، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين ؟

– هل توجد علاقة ارتباطية عكسية بين المناخ الوجداني داخل النسق، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين ؟

2– فرضيات الدراسة:

توجد علاقة ارتباطية عكسية بين الوظيفة الاسرية وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

وتتفرع منها فرضيات جزئية :

2– 1–توجد علاقة ارتباطية عكسية بين الحدود والقواعد داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

2– 2–توجد علاقة ارتباطية عكسية بين الصراع وطرق حله داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

2 – 3 – توجد علاقة ارتباطية عكسية بين العلاقة داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

2 – 4 – توجد علاقة ارتباطية عكسية بين المعاملة داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

2 –5 – توجد علاقة ارتباطية عكسية بين المناخ الوجداني داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

3–أهمية الدراسة :

3–1 تعتبر هذه الدراسة محاولة لفمهم سلوك الاعتداء لدى شريحة مهمة في المجتمع (المراهق)، من وجهة نظر نسقية حيث لا يتم فهم السلوك في جزئياته أو من ناحية معينة دون غيرها، بل ربط سلوك المراهق بالتفاعلات التي تحدث داخل الأسرة باعتبارها اللبنة الأولية والمهمة في بناء سلوك المراهق.

3 –2 –التركيز على دور الاسرة واهميتها في ظهور بعض الاعراض السيكوباتولوجية، مبرزين في ذلك دور وأهمية التفاعل والعلاقات بين افراد الاسرة، وكذا الجوي العاطفي السائد فيها (الاسرة)، واهمية كل ذلك وارتباطه بالأعرض السيكوباتولوجية ، والاضطرابات السلوكية واضطرابات الشخصية لدى الطفل والمراهق بشكل خاص.

3 –3– كما نبين اهمية وضرورة علاج الاسرة، في التخفيف من الاعراض لدى أفرادها، مبرزين الاهمية القصوى والمكانة التي يجب ان يكون عليها العلاج الاسري في بلادنا نضرا للأهمية التي يعطيها المجتمع للأسرة، وكذلك املين ان يعطى لهذا التخصص مكانته و دوره في التخفيف من المعاناة النفسية من طرف المختصين.

4 – التعريف بمصطلحات الدراسة النظرية والإجرائية والاطار المفاهيمي:

سنتطرق للتعريف بالمرجعية النظرية لهذه الدراسة والمتمثلة في **النموذج النسقي"l'approche systémique** وذلك من خلال التطرق إلى أهم النظريات المتمايزة فيما بينها والمركبة لهذا النموذج، ونخص بالذكر هنا كل من:

• النظرية السبرانية ؛ النظرية العامة للأنساق؛ نظرية الاتصالات ؛ وهي نظريات" **تسير كجذع مشترك للنموذج النسقي**

.1 النظرية السبرانية:

هي علم مركب من مجموع النظريات متعلقة بالاتصالات وتعديل الكائن الحي والآلات.ويعتبر N.Wiener أب السبرانية الذي أدرك في (1940) من خلال عمله في ضبط آلات القيادة الأوتوماتيكية والمدافع الهوائية، وذلك خلال الحرب العالمية الثانية، التماثل ما بين الأجهزة الميكانيكية و الجهاز العصبي للإنسان فيما يخص مثلا تنقل المعلومات في حلقة مفرغة، وهو ما يعرف **بالتغذية المرتجعة** التي من خلالها تعمل الآلة على تقييم نتائج أفعالها(Feedback ou retroaction) وتصحيح أداءها المستقبلي باستخدامها لقدرتها الماضية.

في هذه الحالة اصبحت النتيجة الموجهة من السبب إلى الأثر غير صالحة، لأن كل أثر له تأثير ارتجاعي على سببه و بطريقة أخرى يصبح هو الآخر **سبب** هذا ما فتح المجال لبروز مصطلح **السببية الدائرية**(Causalité Circulaire) أو بدقة أكثر السياق الدائري للتفاعلات؛ الذي على إثره فقدت مفاهيم السبب والأثر، هذا يعني أن أفراد العائلة يعتبرون كعناصر لحلقة من التفاعلات، الذين ليس لديهم أي سلطة أحادية الاتجاه على مجموع النسق، ولكن سلوك فرد من العائلة يؤثر حتما على سلوك الآخرين، غير أنه، من الخطأ الإبستمولوجي اعتبار سلوك فرد ما، هو سبب سلوك الأفراد الآخرين و هذا لأنه كل فرد يؤثر على الآخرين ولكنه أيضا يتأثر بهم.

.2 نظرية الإتصالات

لا يمكننا تناول دراسة الاتصالات دون ذكر طاقم **معهد البحوث العقلية MRI** الذي قام بوضع هذا التحليل في مركز البحوث بالطب العقلي **Palo Alto** .هو طاقم متعدد التخصصات جمع تحت رئاسة (**G. Bateson**) وإن مصطلح الاتصال يتعلق خصوصا بالانساق المفتوحة التي تشكل الانساق الإنسانية، لأن التفاعلات التي تظم عناصر هذه الأنساق هي الاتصالات؛ ركز طاقم معهد البحوث العقلية على دراسة انماط الاتصالات للأسر، ليحددوا مجموعة من انماط الاتصال المرضية، نذكر منها على سبيل المثال: **الرابطة المزدوجة** وهو اتصال مرضي يتواجد لدى الاسر الفصامية.

3 *النظرية العامة للأنساق:

اهتم مجموعة من الباحثين على رأسهم فون بريتالانفي (V.Bertalanffy)، ببناء نظرية عامة للانساق بهدف تشجيع إعداد نظريات تطبق على عدة قطاعات للمعارف، لتسهيل التبادلات ما بين التخصصات، ومنذ ذلك الحين أصبح لمفهوم النسق دورا كبيرا.

4 –1– مفهوم النسق: النسق نظام معقد لعناصر متفاعلة مع بعضها(3)

ركز pertalanffy على أجزاء النظام وعلاقتها ببعضها، فالنسق هو كل منظم يتم فهمه من خلال دراسة علاقة أجزائه ببعضها وفي علاقتها بالعملية الكلية.

4– 2– التعريف الإجرائي للنسق:

كل منظم يتكون من أجزاء مرتبطة ببعضها البعض، وهو نظام مرتب لأداء مهمة، ولا يتم فهمه إلا من خلال علاقته الكلية.

4 – 3 –مفهوم النسق الأسري :

تعريف يسوف عدوان (2005) :

يعرفه على أنه " مجموعة معينة من الأشخاص، توجد بينهم علاقات قائمة ومستمرة، تتجلى هذه العلاقات في شكل اتصال."

من خلا هذا التعريف، فالنسق الأسري هو أولا نسق إنساني (مجموعة من الأشخاص)، وأهم ما يميز هذه المجموعة الإنسانية، التفاعل من خلال الاتصال الناتج من العلاقة الدائمة والمستمرة.

4-4 -المفهوم الإجرائي للنسق الأسري :

هو التفاعل الحاصل الناتج من العلاقة بين أفراد الأسرة.

4 -5 - مفهوم الأسرة :

لغويا الأسرة الدرع الحصينة، أهل الرجل وعشيرته والجماعة يربطها أمر مشترك، جمعها "أسر" وأسرة الرجل عشيرته ورهطه، لأنه يتقوى بهم (5)

أما اصطلاحا الأسرة تجمع طبيعي لأشخاص جمعتهم روابط الدم فألفوا وحدة مادية ومعنوية، كما أنها (الاسرة) جماعة من الأشخاص يلتقون حول هدف واحد، وهو إيجاد مجموعة من القواعد الفعالة؛ وهي (الاسرة) الوحدة الأساسية للمجتمع التي تؤدي لاتحاد الذكر بالأنثى لإنجاب النسل والسهر على تربية الأطفال وإعدادهم لتحمل مسؤولياتهم الاجتماعية.

يرجع مصطلح العائلة إلى اللاتينية familia والذي يأتي هو الأخر من كلمة famulus التي تعني الخادم والأجير، وقد أختلف الباحثون في مجال العلوم الإجتماعية والنفسية في مصطلح الأسرة؛ حيث يتضمن كل منهما الزوج والزوجة والأطفال. (3)

4 – 6 -المفهوم الإجرائي للأسرة :

هي ما تحويه من أفراد يقيمون في نفس المسكن ويشاركون في حياة في حياة اقتصادية واجتماعية، وقد تكون الأسرة نووية أو ممتدة، من أهم ما يميزها الضبط الذاتي والحدود والقواعد التي تنظم التفاعلات بين أفرادها، وتظهر في نسق معقد يؤثر ويتأثر بسلوك كل فرد فيها، كما أنها (الأسرة) جزء من نسق أكثر اتساعا هو المجتمع.

4 – 7 -مفهوم الاعتداء:

لغة الاعتداء: عدا، عدوا: ظلم وجار

عدا عليه أي سرق ماله وظلمه، الاعتداء والتعدي والعدوان تعني الظلم

عدا عليه عدوا وعدوان وعدوى وتعدى واعتدى كلها ظلمه، والتعدي مجاوزة الشيء إلى غيره.

أما من الناحية الاصطلاحية فلقد عرف العدوان من طرف الكثير من العلماء والباحثين كل حسب وجهة نظره، ومن أهم هذه التعريفات ما يلي:

يعرفه" أدلر" "Adler " على أنه التعبير عن إرادة القوة. في حين يراه "فرويد" سلوكا واعيا ناتجا عن غريزة الموت. أما فيليب هاريمان فيعرفه بأنه سلوك تعويضي عن الإحباط المستتر والذي يقصد به إيذاء شخص أخر وجرحه بما يتناسب مع كثافة الإحباط.

ويرى انطوني ستور أن الإنسان هو أكثر الأجناس تدميرا لبني جنسه، وأكثرها حبا واستمتاعا بممارسة القوة مع بني جنسه، أما هلجارد فعرفه على انه نشاط هدام ويقوم به الفرد لإلحاق الأذى بالآخرين سواء بطريقة الاستهزاء والهجاء أو بإحداث الأذى والألم الجسدي؛ ويعرفه "شابلن" بأنه هجوم أو فعل مضاد موجه نحو شخص أو شيء ما ينطوي على رغبة في التفوق على الآخرين. (4)

4 -8 -المفهوم الإجرائي لسلوك الاعتداء:

كل فعل مادي كان أو لفظيا أو رمزيا ترتب عليه إلحاق أذى بدني أو مادي أو نفسي بالذات أو بالآخرين أفرادا كانوا أو جماعات أو ممتلكات، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

-5 -منهج الدراسة:

يساعد المنهج الوصفي في وصف الظاهرة المدروسة وصفا كميا موضعيا ، كما يصف العلاقة بين المتغيرات(7) بمعنى تحديد الدرجة التي ترتبط بها متغيرات الدراسة (النسق الاسري، وسلوك الاعتداء). وكذا تعميم النتائج على مجتمع البحث.

6-ادوات جمع البيانات :

6-1- مقياس الوظيفة الاسرية :

وصف المقياس : المقياس من اعداد الباحث يتكون من من 5 ابعاد: بعد القواعد والحدود، بعد الصراع وطرق حله، بعد العلاقة، بعد المناخ الوجداني، بعد المعاملة. وهي تقيس الوظيفة الاسرية ولقد اعتمد الباحث على التراث النظري للنموذج النسقي في بناء المقياس.

مفتاح التصحيح:

تضمن المقياس 41 فقرة سلبية. ونظرا لأن الباحث استخدم أسلوب الاتجاه المتدرج (طريقة لبكرات) إذ خصصت (5) بدائل للإجابة على كل فقرة وهي:

1-معرض بشدة، 2- معارض، 3- غير متأكد، 4- موافق، 5- موافق بشدة.

وعليه قام الباحث بتحديد خمسة أوزان (5) (من 1 إلى 5) لكل فقرة من فقرات المقياس، وكان مفتاح التصحيح الخاص بمقياس اختلال الوظيفة الأسرية على النحو التالي:

البدائل / الفقرة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
ايجابية	5	4	3	2	1
سلبية	1	2	3	4	5

حيث بلغت الدرجة الكلية للمقياس في أقصياها (205)، بينما تبلغ ادنى درجة (41)، أما الدرجة 102 فتمثل درجة المتوسط الفرضي.

دلالة الدرجات:

41-82 أسرة مختلة التوظيف بدرجة شديدة.

82-123أسرة وظيفية نسبيا

123-205 أسرة وظيفية بدرجة عالية.

اما في ما يخص صدق المقياس اعتمد الباحث على التحليل العاملي، وكانت النتائج مدعمة لصدق المقياس، بالإضافة إلى صدق المحكمين .

2.6_ مقياس السلوك العدواني :

1.2.6_ وصف المقياس:

أعد أرنولد باص (A.Buss) ومارك بيري (M.perry) عام (1992) مقياس السلوك العدواني، الذي يتكون في صورته الأصلية من 29 عبارة خصصت لقياس أربعة أبعاد والمتمثلة في كل من: العدوان البدني، العدوان اللفظي، الغضب، والعداوة. وقام "معتز يد عبد الله " و"صالح عبد الله أبو عباده " سنة 1995 بترجمته إلى اللغة العربية ثم عرضوه على مجموعة من المحكمين بهدف مراجعة الترجمة والتأكد من أن الصياغة العربية للبنود تنقل المعنى في إطار الثقافة السعودية، ويتكون المقياس من(29) عبارة تقريرية خصصت لقياس أربعة أبعاد.

افترضا معدا المقياس أنها تمثل مجال السلوك العدواني ، وهي العدوان البدني، العدوان اللفظي، الغضب ، والعداوة .وأضيف لبعد العدوان اللفظي بندا واحدا فأصبح العدد الكلي لبنود المقياس في صورته العربية (30) بندا تتوزع على 05 بدائل هي :

تنطبق تماما- تنطبق غالبا- تنطبق بدرجة متوسطة – تنطبق نادرا- لا تنطبق تماما

_ تصحيح مقياس السلوك العدواني:

تتم الإجابة على بنود المقياس باختيار إجابة واحدة من خمسة بدائل للإجابة كالتالي:

(5) نقاط إذا كانت الإجابة تنطبق تماما

(4) نقاط إذا كانت الإجابة تنطبق غالبا

(3) نقاط إذا كانت الإجابة تنطبق بدرجة متوسطة

(2) نقاط إذا كانت الإجابة تنطبق نادرا

(1) نقاط إذا كانت الإجابة لا تنطبق

وتعكس هذه الدرجات في حالة البنود السالبة أي من (1) إلى (5).

وفيما يخص صدق المقياس اعتمدا معدا المقياس على مؤشر صدق التكوين هما الاتساق الداخلي والصدق العاملي .وكانت النتائج مدعمة لصدق المقياس، بالإضافة إلى صدق المحكمين .

-7 -إجراءات الدراسة الاساسية:

7 – 1 مجتمع وعينة الدراسة:

مجتمع الدراسة هم التلاميذ المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بتقرت تحديدا بدائرة المقارين والذين يبلغ عددهم 782 تلميذا، 360 ذكور، و422 اناث، تم اختيار عينة من 241 تلميذا (140 من الاناث ، و100 من الذكور) بطريقة عشوائية بسيطة.

8- الأساليب الاحصائية المستعملة:

8- 1 -الإحصاء الإستدلالي:

_ لقياس الارتباط بين متغيرات الدراسة تم الاعتماد على معامل الارتباط بيرسون (r) Pearson من خلال حساب العلاقة بين متغير الوظيفة الاسرية بأبعاده المختلفة والسلوك العدواني للمراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

_تم الاعتماد على الرزنامة الإحصائية للعلوم الاجتماعية spss.

9-عرض وتحليل نتائج الدراسة:

9-1- عرض نتائج الفرضية العامة: حيث تنص على وجود علاقة ارتباطية عكسية بين الوظيفة الاسرية وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

وللتحقق منها تم حساب معامل الارتباط بيرسون والنتائج المتحصل عليها ممثلة في الجدول التالي:

جدول رقم* 1* يبين دلالة الارتباط بين الوظيفة الاسرية والسلوك العدواني

المتغيرات	ن	معامل الارتباط ر	مستوى الدلالة
الوظيفة الاسرية	241	-0.43	دالة 0,01
السلوك العدواني			

يتبين من خلال الجدول رقم *1* أن قيمة *ر* دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0,01 وعليه، نقبل فرضية البحث ويمكننا القول أنه توجد علاقة ارتباطية عكسية بين الوظيفة الاسرية والسلوك العدواني لدى مراهقي عينة الدراسة، ومنه قبول الفرضية العامة. فكلما نقصت الوظيفة الاسرية (بمعنى كلما اختلت الوظيفة الاسرية) زاد السلوك العدواني؛ وبالرغم أن العلاقة بين متغيري الدراسة (الوظيفة الاسرية وسلوك الاعتداء) هي علاقة قريبة من المتوسط، بمعنى ان هناك عوامل اخرى ترتبط بسلوك الاعتداء وتسهم في ضهوره لدى مراهقي عينة الدراسة، وبالرغم من ضعف العلاقة إلا انه باعتقادنا ان هناك عوامل تدخلت لإعطاء هذه النتائج، والتي يمكن ان تساير الرأي النسقي الذي يعتقد ان الاسرة هي نسق يتواجد ضمن نسق أكبر منه هو المجتمع ، ويتفاعل معه بطريقة أو بأخرى، كما أن الدراسات بينت أن المراهق يتأثر في سلوكه بجماعة الرفاق، حيث يعطي لها (جماعة الرفاق)أهمية كبيرة في بلورة أفكاره وانتمائه، لكن يبقى اثر الاسرة اكبر وأعمق(7)، وهنا نركز على أهمية التفاعلات داخل النسق الاسري بالنسبة للمراهق الذي يمر من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد، ويحاول (المراهق)جاهدا أن يستقل عن الاسرة، مما يجعله في حيرة بأن يوازن بين انتمائه ووفائه لأسرته والاستقلال عنها؛ في هذه المرحلة الحرجة حيث يمر المراهق بإعادة تقييمه للصور و المثلنة الوالدية، اين يجب على الوالدين في هذه الظروف، ان يكونا مشجعين للاستقلال ابنهما المراهق، ويتفاديان التضييق عليه، لأنه ببساطة سوف يبتعد أكثر؛ هذه التغيرات التي يمكن ان تفد النسق توازنه، وتجبره إلى البحث عن توازن جديد، والذي يمكن أن يكون مؤلم وشاق لكل النسق الاسري، وقد يتحمل احد الانساق الفرعية المسؤولية (احد الافراد)، والذي يقبل أن يكون كبش فداء ، ويتحمل العبء لوحده ، والذي يمكن ان يكون المراهق الذي كثيرا ما يكون في مرمى الاسقاطات الوالدية.

قد يسبب هذا الوضع الجديد في الاسرة بعض الاضطرابات على مستوى الحدود والقواعد التي تكون في إطار إعادة التقييم من طرف المراهق، والتي ممكن أن تؤثر بدورها على طبيعة العلاقة داخل الاسرة، مما قد يؤدي إلى ظهور تحالفات أو تضادات، انصهار أو تباعد بين مختلف الانساق الفرعية، والذي من الممكن بدوره أي يسبب العديد من الصراعات التي قد يتأجل حلها، أولا تحل نهائيا ولا تناقش، ويتم تحويل تلك الانفعالات الناتجة من تلك الصراعات عن مجراها الطبيعي لتظهر في اوقات ومناسبات اخرى حيث تفسد الجو العاطفي الوجداني داخل النسق والذي قد يكون سبب في سوء معاملة افراد الاسرة لبعضهم البعض؛ وهذا ما تم التحقق منه نسبيا بقبول الفرضية العامة، لنرى فما يأتي أي الأبعاد في الوظيفة الاسرية يرتبط أكثر بسلوك الاعتداء؛ اما بخصوص ضعف العلاقة بين الوظيفة الاسرية وسلوك الاعتداء فإننا نعتقد ان هناك عوامل ترتبط باستجابة المفحوصين لاستمارة الوظيفة الاسرية خاصة، لذلك فإننا بحاجة إلى دراسات أخرى لنبين فيها العوامل الأخرى التي أعطت هذه النتائج التي لا توازي بدرجة كبيرة الجانب النظري الذي يؤكد على جدية العلاقة بين كل من الوظيفة الأسرية وسلوك الاعتداء.

9-1-1- عرض نتائج الفرضية الجزئية الاولى:

تنص الفرضية الفرعية الأولى على وجود علاقة ارتباطية عكسية بين الحدود والقواعد داخل النسق، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين، وللتحقق من الفرضية تم حساب معامل الارتباط بيرسون والنتائج المتحصل عليها ممثلة في الجدول التالي:

جدول رقم* 1* يبين دلالة الارتباط بين الحدود والقواعد داخل النسق والسلوك العدواني

المتغيرات	ن	معامل الارتباط ر	مستوى الدلالة
الحدود والقواعد	241	-0.33	دالة 0,01
السلوك العدواني			

يتبين من خلال الجدول رقم *1* أن قيمة *ر* دالة إحصائيا عند مستوى الدلة 0.01 وعليه نقبل فرضية البحث والتي تنص أنه توجد علاقة ارتباطية عكسية بين الحدود داخل النسق، والسلوك العدواني لدى مراهقي عينة الدراسة، ومنه قبول الفرضية الفرعية الاولى.

9 1-2 – عرض نتائج الفرضية الجزئية الثانية:

تنص الفرضية الجزئية الثانية على وجود علاقة ارتباطية عكسية بين الصراع وطرق حله داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين، وللتحقق من الفرضية تم حساب معامل الارتباط بيرسون والنتائج المتحصل عليها ممثلة في الجدول التالي:

جدول رقم* 2* يبين الارتباط بين الصراع وطرق حله والسلوك العدواني

المتغيرات	ن	معامل الارتباط *ر*	مستوى الدلالة
الصراع وطرق حله	241	0.47-	دالة 0,01
السلوك العدواني			

يتبين من خلال الجدول رقم *1* أن قيمة *ر* دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0,01 وعليه نقبل فرضية البحث والتي تنص على أنه توجد علاقة ارتباطية عكسية بين الصراع وطرق حله، والسلوك العدواني لدى مراهقي عينة الدراسة، ومنه قبول الفرضية الفرعية الثانية.

9 -1 - 3 -عرض نتائج الفرضية الجزئية الثالثة:

تنص الفرضية الجزئية الثالثة على وجود علاقة ارتباطية عكسية بين العلاقة داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين، وللتحقق من الفرضية تم حساب معامل الارتباط بيرسون والنتائج المتحصل عليها ممثلة في الجدول التالي:

جدول رقم* 3* يبين الارتباط بين العلاقة داخل النسق الاسري والسلوك العدواني

المتغيرات	ن	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
العلاقة	241	0.31-	دالة 0,01
السلوك العدواني			

يتبين من خلال الجدول رقم *3* أن قيمة *ر* دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0,01 وعليه نقبل فرضية البحث، والتي تنص على أنه توجد علاقة ارتباطية عكسية بين العلاقة داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى مراهقي عينة الدراسة، ومنه قبول الفرضية الفرعية الثالثة.

9-4 -1 عرض نتائج الفرضية الجزئية الرابعة:

تنص الفرضية الجزئية الرابعة على وجود علاقة ارتباطية عكسية بين المعاملة داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين، وللتحقق من الفرضية تم حساب معامل الارتباط بيرسون والنتائج المتحصل عليها ممثلة في الجدول التالي.

جدول رقم* 4* يبين الارتباط بين المعاملة والسلوك العدواني

المتغيرات	ن	معامل الارتباط ر	مستوى الدلالة
المعاملة	241	0,25-	دالة 0,01
السلوك العدواني			

يتبين من خلال الجدول رقم *4* أن قيمة *ر* دالة إحصائيا عند المستوى 0,01 وعليه نقبل فرضية البحث، والي تنص على وجد علاقة ارتباطية عكسية بين المعاملة داخل النسق، والسلوك العدواني لدى مراهقي عينة الدراسة، ومنه قبول الفرضية الفرعية الرابعة.

10 -1 - عرض نتائج الفرضية الجزئية الخامسة:

تنص الفرضية الجزئية الخامسة على وجود علاقة بين المناخ الوجداني داخل النسق، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين، وللتحقق من الفرضية تم حساب معامل الارتباط بيرسون، والنتائج المتحصل عليها ممثلة في الجدول التالي:

جدول رقم* 5* يبين الارتباط بين المناخ الوجداني داخل النسق والسلوك العدواني

المتغيرات	ن	معامل الارتباط ر	مستوى الدلالة
المناخ الوجداني		0,14-	0,05
السلوك العدواني			

يتبين من خلال الجدول رقم *5* أن قيمة *ر* دالة إحصائيا عند المستوى 0,05 وعليه نقبل فرضية البحث وبذلك يمكننا القول أنه توجد علاقة ارتباطية عكسية ضعيفة بين المناخ الوجداني داخل النسق الاسري والسلوك العدواني لدى مراهقي عينة الدراسة، ومنه قبول الفرضية الفرعية الخامسة.

11- مناقشة نتائج الدراسة وتفسيرها:

1-11 مناقشة الفرضية الجزئية الاولى:

تنص الفرضية الجزئية الاولى على وجود علاقة ارتباطية عكسية بين الحدود والقواعد داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين عينة الدراسة.

كشفت نتائج التحليل الاحصائي في الجدول رقم *1* عن صحة الفرضية الاولى حيث تبين أن قيمة *ر* دالة احصائيا. وهذه يثبت وجود ارتباط بين الحدود والقواعد داخل النسق والسلوك العدواني وهذا ينطبق تماما على ما تم تناوله في النظرية النسقية مدى اهمية القواعد الاسرية ووضوحها لدى الجميع، وكذا اهمية الاستراتيجيات (الميكانزيمات) الاسرية في مواجهة الضغوط المفروضة على الاسرة، (ومدى انفتاح وانغلاق النسق الاسري على المجتمع، وكذا المرونة او الصلابة في مواجهة المستجدات)، هذه الاستراتيجيات التي تكون في معظمها (مجموعة أنماط سلوك وكيفية التصرف في الاوقات الحرجة) منتقلة من جيل الى جيل ومتوارثة على شكل عادات اصبحت مع مرور الوقت قوانين غير صريحة تتحكم في العلاقات والتبادلات داخل النسق الاسري، بحيث اذا كان هناك اضطراب في هذه الحدود والقواعد، تكون بالضرورة أعراض لدى بعض الانساق الفرعية في الاسرة، والتي يمكن ان يكون المراهق المتمدرس الذي يؤدي من خلال سلوكياته التي تهدف الى الاستقلالية عن الابوين والتمايز ضمن الاسرة، والذي عادة ما تكون صعبة ويصاحبها

(الاستقلالية، والتمايز) مقاومة الوالدين لهذا التمايز والاستقلال، في حين يؤدي ذلك كله الى دفع النسق الى إعادة التنظيم والبحث عن توازن جديد، والذي بدوره يؤدي الى قبول دور كبش الفداء، والذي يكون عادة عن طريق ميكانزيم دفاعي مرضي كالالتواء، او التثليث حيث ينتج عن ذلك جر فرد اخر الى الصراع الموجود بين شخصين عادة يخفيان صراعهما او يحاولان ان يتجنبا حل الصراع، وهذا الجلب لشخص اخر الى صراع الاخرين يسمى بالمثلث غير السوي(التثليث)، او الالتفاف حو المشكل بحل مشكل اخ، أو افتعال مشكل اخر يكون مصدره المشكل الذي ترك من غير حل او الملتف حوله (الالتواء)، كما ان هناك مكانيزمات مرضية عديدة يلجأ اليها النسق في حالة عدم الاتزان كالإسقاط، اسقاط المشاعر الموجود مثلا في النسق الزواجي الى النسق الأخوي، فبعض الوالدين الذين مروا بمراهقة مزعجة، او مضطربة، يخشون أن يعيد ابنائهم نفس التجارب المؤلمة، فتؤدي بهم تلك الافكار والمشاعر الى اسقاط مخاوفهم على ابنائهم المراهقين، مما يوثر على المراهق و يبعده عن الوالدين والبيت، ويقربه أكثر من الرفاق، مما يثير تخوف الوالدين اكثر ويقاوما هذا البعد من طرف المراهق والقرب اكثر من الرفاق، وهنا اشكالية ان يبقى الكل في حلقة مفرغة، بين البعد والقرب، والتي من الممكن أن تؤدي بالمراهق الى اللجوء إلى السلوك العدواني، وهذا ما تم اتباثه نسبيا في الفرضية الجزئية الاولى.

2-11 مناقشة الفرضية الجزئية الثانية:

تنص الفرضية الجزئية الثانية عن وجود علاقة ارتباطية عكسية بين الصراع وطرق حله وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

كشفت نتائج التحليل الاحصائي في الجدول رقم *2* عن صحة الفرضية الثانية حيث تبين أن قيمة *ر* دالة احصائيا. وهذا يثبت وجود علاقة ارتباطية عكسية بين الصراع وطرق حله داخل النسق، والسلوك العدواني لدى مراهقي عينة الدراسة، يتضح لنا من خلال نتيجة هذه الفرضية انه كلما كان هنالك صراع و لم يتم حله داخل النسق الاسري، كلما زاد السلوك العدواني لدى المراهق ، وهذا ما يتوافق مع النظرية النسقية حيث يؤكد منوشين سلفدور ان التحالفات والتضاديات وكذا الانصهار في العلاقات داخل النسق الاسري يؤثر على بناء النسق والذي بدوره يؤثر على الوظائف والحدود داخل الاسرة، والذي يجبر النسق على البحث على التوازن او الاضطراب وفي كلا الطريقين تتأثر العلاقات داخل النسق، ويؤدي كل ذلك الى وجود اعراض لدى بعض الافراد، والذي من الممكن ان يكون المراهق .

فمثلا اذا كان الصراع في النسق الزواجي، ويتفادى الوالدين التكلم بصراحة حول المشكلة وحلها، حيث يتضرر كليهما أو أحدهما، فانه يمكن ان يؤثر على سلوك الاباء مع ابناهم، فالأم التي تعاني من عنف الزوج، قد تعنف ابناها وتعاملهم بقسوة مما يؤثر عليهم سلبا، او تقترب منهم اكثر وتحيطهم بالعناية الزائدة الي تمنع استقلالهم وفي كلا الحالتين هناك ضرر.

وكذا المراهق الذي يتصرف معه الوالدين بالأوامر، ولا يناقشانه حتى تتضح له الامور، ويقاومان استقلاله وتمايزه ولا يغيران من طريقتهم في التعامل معه، بالرغم من بلوغه سن المراهقة الذي يحتم عليهم التعامل معه كراشد وليس كطفل، اذا مرة هذه الامور دون شرح للمراهق ودون نقاش فإنها من الممكن ان تجر المراهق الى سلوكيات عدائية.

3-11 مناقشة الفرضية الجزئية الثالثة:

تنص الفرضية الجزئية الثالثة عن وجود علاقة ارتباطية عكسية بين العلاقة داخل النسق، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

كشفت نتائج التحليل الاحصائي في الجدول رقم *3* عن صحة الفرضية الثالثة حيث تبين أن قيمة *ر* دالة احصائيا. وهذه يثبت وجود ارتباط عكسي بين العلاقة داخل النسق الاسري، والسلوك العدواني لدى مراهقي عينة الدراسة، وهذا ما يتوافق مع راي (منوشين) الذي يرى أن العلاقات داخل النسق الاسري يحكمها بناء محكم للنسق والذي اذا تغير هذا البناء بسبب أي تغيير في سلوك (علاقات)،الانساق الفرعية يودي باضطراب النسق كاملا ، مما يحرك التغذية الراجعة السلبية أو الإيجابية من اجل الحفاظ على مستوى التوازن الحيوي للنسق، أو دفع النسق نحو توازن جديد؛ خلال هذا البحث عن التوازن الجديد وفقدان التوازن القديم نتيجة المدخلات الجديدة للنسق والناتجة عن اضطراب في العلاقات داخل النسق الاسري، ممكن ان تسبب في ضهور أعراض لدى احد الانساق الفرعية وهذا ما تم التحقق منه من خلال التأكد من صحة الفرضية الثالثة.

4-11 مناقشة الفرضية الجزئية الرابعة:

تنص الفرضية الجزئية الرابعة عن وجود علاقة ارتباطية عكسية بين المعاملة داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

كشفت نتائج التحليل الاحصائي في الجدول رقم *4* عن صحة الفرضية الرابعة حيث تبين أن قيمة *ر* دالة احصائيا. وهذا يثبت وجود علاقة ارتباطية عكسية بين المعاملة داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى مراهقي عينة الدراسة، فكلما زاد سوء معاملة المراهق داخل نسقه من طرف النسق الوالدي(خاصة الوالدين، بمقاومة التفردية والاستقلالية للمراهق)، زاد سلوك الاعتداء والعكس صحيح، وهذا ما ركز عليه كل المعالجين النسقيين خاصة بوين في نظرية الانساق ان عدم تمايز الذات لدى الوالدين وفجاجتهم، (المقصود بعدم التمايز هو عدم التميز بين نداء العقل ونداء العاطفة مما ينتج عنه سلوك غير ناضج وفج) تؤدي الى التناقض وعدم الوضوح في الامور التي يجب ان تكون ثابتة ومحترمة، كقوانين تحافظ على الحدود وتحترم كذلك قيم المجتمع ، والمتمثلة في النواهي والزواجر الوالدية وكذا القيم وما يمدح ومقبول من طرف الوالدين؛ اذا لم يكن كل ذلك واضحا من الممكن ان يترجم داخل النسق بانفجار الحدود وبالتالي إلى امكانية الاساءة والاعتداء على احد الانساق الفرعية (احد الافراد في النسق الاسري)، وهذا ما تم التحقق منه بقبول الفرضية ودلالتها، بالرغم أن العلاقة بين المعاملة داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى عينة الدراسة كان ضعيف.

5-11- مناقشة الفرضية الجزئية الخامسة:

تنص الفرضية الجزئية الخامسة عن وجود علاقة ارتباطية عكسية بين المناخ الوجداني داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين

كشفت نتائج التحليل الاحصائي في الجدول رقم *5* عن صحة الفرضية الخامسة حيث تبين أن قيمة *ر* دالة احصائيا. وهذا يثبت وجود علاقة ارتباطية عكسية بين اضطراب المناخ الوجداني والسلوك العدواني لدى مراهقي عينة الدراسة، وان العلاقة ضعيفة تكاد تكون مهملة، بمعنى أن الجو العاطفي الذي يسود الاسرة والذي يغلب عليه التوتر والقلق والكأبة بسبب المدخلات الجديدة للنسق، والتي تجبره على البحث عن توازن جديد، ليس لها علاقة قوية في ظهور سلوك الاعتداء وهذا ما تم التحقق منه بقبول الفرضية الخامسة.

12 - الاستنتاج العام:

بعد عرض كل فرضية ومناقشتها توصلت الدراسة الحالية إلى نتائج تمت مناقشتها في الاطار النظري نظرا لعدم عثور الباحث على دراسة سابقة للتناول النسقي لسلوك الاعتداء لدى المراهقين، والان نلخص أهم النتائج في النقاط التالية:

توجد علاقة ارتباطية عكسية متوسطة بين الوظيفة الاسرية وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

1 توجد علاقة ارتباطية عكسية متوسطة بين اضطراب الحدود والقواعد وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

2 توجد علاقة ارتباطية عكسية متوسطة بين الصراع وطرق حله وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

3 توجد علاقة ارتباطية عكسية متوسطة بين العلاقة داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

4 توجد علاقة ارتباطية عكسية ضعيفة بين المعاملة داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين.

5 توجد علاقة ارتباطية عكسية ضعيفة بين المناخ الوجداني داخل النسق الاسري، وسلوك الاعتداء لدى المراهقين المتمدرسين بثانوية خالد بن الوليد بالمقارين

قائمة المراجع

1 -علاء الدين، كفافي؛ الإرشاد الأسري: دار المعرفة الجامعية.ط1،2000،ص:90

2- علاء الدين، كفافي؛ الإرشاد والعلاج النفسي الأسري: المنظور النسقي الاتصالي، دار الفكر القاهرة،ط2 ،1999،ص:451

3 – أبو السعد ، مصطفى ؛ الحاجات النفسية للطفل: مركز الراشد.ط1،2001،ص: 76

4- الخولي، سناء؛ الأسرة والحياة العائلية: دار المعرفة الجامعية.ط1، 1999،ص 98

5- موريس، انجرس؛ منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية: دراسات عملية، دار القصبة للنشر، ط1،1996، ص 126

1- Merinfeld Édith ,Goldbeter, Adolescence de la crise individuelle à la crise de générations: *Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseaux* 1/ 2008 (n° 40), p. 26
URL : www.cairn.info/revue-cahiers-critiques-de-therapie-familiale-2008-1-page-13.htm.
DOI : 10.3917/ctf.040.0013

2- Marcelie, Daniel; Braconnier, Alain ؛ Adolescence et Psychopathologie: 6Edition ,Masson,2007,P:421

تاريخ الاستلام: 2015/11/06- تاريخ التحكيم: 2016 /03/16 -تاريخ النشر2016/06/28

إطار مقترح لتطوير نظام اختيار وتدريب القيادات الإدارية التربوية بمؤسسات التربية والتعليم في قطاع غزة في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية

د. ميرفت محمد راضي

كلية فلسطين التقنية دير البلح- فلسطين

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Abstract

This study aimed to identify the reality of system selection and training of educational leaders education institutions and education in the Gaza Strip in light of the entrance to the strategic management, where the researcher used the descriptive analytical method, and was the highlight of the results that the system of selection and training of educational leaders in the educational institutions lacked the use of modern methods, poor interesting educational leaders development, and limited to conduct the work and the current problems, and low efficiency training programs provided by the Ministry of Education; negatively affecting the transfer of training to practice, and that philosophy training system in the Ministry of Education is not clear, and there is a lack in the selection actual training needs educational Leadership.

A future study suggested a framework for the development of the system of selecting and training educational administrative leaders in the educational institutions in the light of the entrance to the strategic management, and the requirements of the successful implementation of the proposed framework, with the expected identify constraints to the implementation of the proposed framework and ways to overcome them.

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة الوقوف على واقع نظام اختيار وتدريب القيادات التربوية بمؤسسات التربية والتعليم في قطاع غزة في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية، حيث استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وكان من أبرز نتائجها أن نظام اختيار وتدريب القيادات التربوية في مؤسسات التربية والتعليم يفتقر إلى استخدام الطرق الحديثة ، وضعف اهتمام القيادات التربوية بالتطوير، والاقتصار على تسيير العمل والمشكلات الحالية، وانخفاض كفاءة البرامج التدريبية المقدمة من وزارة التربية والتعليم ؛ مما أثر سلبا على نقل التدريب إلى الواقع العملي، وأن فلسفة نظام التدريب في وزارة التربية والتعليم غير واضحة، وهناك قصور في التحديد الفعلي للاحتياجات التدريبية للقيادات التربوية.

واقترحت الدراسة إطاراً مستقبلياً لتطوير نظام اختيار وتدريب القيادات الإدارية التربوية في المؤسسات التعليمية في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية، ومتطلبات تنفيذ الإطار المقترح بنجاح، مع تحديد المعوقات المتوقعة أمام تنفيذ الإطار المقترح وسبل التغلب عليها .

مقدمة:

بات مدخل الإدارة الإستراتيجية من المداخل التي أبرزتها الأدبيات الحديثة؛ حيث يساعد في تطوير اختيار وتدريب القيادات بكافة المنظمات، حيث يمكنها من مواجهة التغيرات والضغوط والمؤثرات والتحديات البيئية المختلفة، وتساعدها على تلبية الاحتياجات المجتمعية المفروضة عليها؛ والتحول نحو تحقيق أهدافها.

وتتمثل أهمية الإدارة الإستراتيجية في أنها تسهم في توجيه وتكامل الأنشطة الإدارية والتنفيذية، وبذلك فإنها تحقق النظرة الشمولية للعمل، حيث إن العلاقة بين الإنتاجية والفوائد يتم توضيحها من خلال عمليات الإدارة الإستراتيجية، ومن خلال توجيه الأفراد داخل المنظمة نحو الاتجاه الصحيح للوصول إلى النتائج المرغوبة، كما تساهم في تحقيق تكامل الأهداف، ومنع ظهور التعارض بين أهداف الوحدات الفرعية للمنظمة والتركيز عليها بدلاً من الأهداف العامة للمنظمة ككل، وتسعي إلى حشد كل الطاقات نحو إنجاز الأهداف، كما ترجع أهميتها أيضا إلى أنها تعمل على زيادة قدرة المنظمة على الاتصال بالمجموعات المختلفة داخل بيئة

المنظمة، وهي توضح صورة المنظمة واتجاهاتها المستقبلية أمام مجموعات المصالح والمخاطر المختلفة والتي تعمل مع المنظمة (الحسيني، 2000).

وتواجه مؤسسات التعليم الفلسطينية اليوم مطالب عدّة فرضتها عليها التطورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة، وأصبح لزاماً على هذه المؤسسات–على الرغم من قلة الإمكانات والموارد المتاحة لها–أن تواجه الإقبال المتزايد على التعليم والارتقاء بمستوى كفاءته وفعاليته وجودته ليتماشى مع متطلبات العصر، ويفي باحتياجات سوق العمل ويفعّل خطط التنمية.

الأمر الذي يتطلب تحقيق التميز في أداء تلك المؤسسات في ظل التحديات البيئية التنافسية الجديدة التي لا تقتصر على امتلاك الموارد المادية أو المالية أو التكنولوجية بل على قدرة استقطاب الموارد والكفاءات البشرية واستثمارها، ذلك أن مفهوم القدرة التنافسية يسير إلى إمكانية المؤسسة في الحفاظ على مكانتها ، وزيادة حصتها السوقية (المهدي، 2004).

مشكلة البحث:

إن الصلاحيات الممنوحة للقيادات الإدارية التربوية على المستوى الإشرافي أغلبها تنفيذية ولا مجال فيها للتخطيط الإستراتيجي والإدارة الإستراتيجية مما لا يتناسب مع رؤية التعليم في فلسطين. وعلى الرغم من الصلاحيات الممنوحة لمديري مؤسسات التربية والتعليم إلا أن هناك بعض الدراسات والتقارير التي تشير إلى وجود بعض جوانب القصور في نظام اختيار القيادات التربوية وتدريبها – خاصة فيما يتعلق بالإدارة الإستراتيجية حيث يتضح:

1. أن نظام اختيار وتدريب القيادات التربوية في مؤسسات التربية والتعليم يفتقر إلى استخدام الطرق الحديثة حيث يتم من خلال المؤهل العلمي واللياقة الصحية والخبرة، ولا يعتمد على استخدام الطرق الحديثة في الاختيار والتعيين.
2. ضعف اهتمام القيادات التربوية بالتطوير، والاقتصار على تسيير العمل والمشكلات الحالية.
3. انخفاض كفاءة البرامج التدريبية المقدمة من وزارة التربية والتعليم ؛ مما يؤثر سلبا على نقل التدريب إلى الواقع العملي.
4. فلسفة نظام التدريب في وزارة التربية والتعليم غير واضحة، وهناك قصور في التحديد الفعلي للاحتياجات التدريبية للقيادات التربوية من قبل وزارة التربية والتعليم.

بالإشارة إلى ما سبق يمكننا القول إن مستقبل مؤسسات التعليم الفلسطينية يتقرر في مدى إدراك قياداتها وإداراتها لأهمية الاستثمار في أهم مواردها المتمثلة في الموارد البشرية ومدى ارتباطه الوثيق بجودة مخرجاتها ونوعية أدائها وقدرتها على تلبية خدمة المجتمع التي تعد من أهم وظائف المؤسسات التربوية ومهامها لإنجاح جهود التنمية وفق الجودة.

ومما سبق يمكن صياغة مشكلة البحث في السؤال الرئيسي التالي : كيف يمكن تطوير نظام اختيار وتدريب القيادات الإدارية التربوية بمؤسسات التربية والتعليم في قطاع غزة في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية ؟

ويتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية :

1. ما القوى الداخلية والخارجية المؤثرة على نظام اختيار وتدريب القيادات التربوية في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية؟
2. ما الإطار المقترح لتطوير نظام اختيار وتدريب القيادات الإدارية التربوية بوزارة التربية والتعليم بالاستفادة من تطبيق الإدارة الإستراتيجية ؟

3. ما الافتراضات التي يقوم عليها هذا المقترح وتداعياته المحتملة؟
4. ما متطلبات تنفيذ الإطار المقترح ؟
5. ما المعوقات المتوقعة أمام تنفيذ هذا الإطار وسبل التغلب عليها ؟

أهداف البحث:يهدف البحث إلى ما يلي :

1. الوقوف على نظام اختيار وتدريب القيادات التربوية في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية ومكوناتها وتطبيقاتها.
2. اقتراح إطاراً مستقبلياً لتطوير نظام اختيار وتدريب القيادات الإدارية التربوية في المؤسسات التعليمية في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية.
3. التعرف إلى متطلبات تنفيذ الإطار المقترح ؟
4. تحديد المعوقات المتوقعة أمام تنفيذ الإطار المقترح وسبل التغلب عليها ؟

أهمية البحث:تنبع أهمية البحث من النقاط التالية:

- ✓ أن يسهم هذا البحث في إلقاء الضوء على الإدارة الإستراتيجية وغرسها في الثقافة التنظيمية للمؤسسات التربوية والتعليمية في قطاع غزة .
- ✓ أن البحث يمكن أن يفيد في تطوير نظام اختيار وتدريب القيادات التربوية بالمؤسسات التعليمية في قطاع غزة .
- ✓ انه يعالج المعوقات التي تحد من استخدام الإدارة الإستراتيجية في الإدارة التربوية بالمؤسسات التعليمية في قطاع غزة.

الدراسات السابقة:

- ✓ دراسة (صادق، 1990) بعنوان "تطوير نظام تدريب القيادات التربوية في وزارة التربية والتعليم بدولة قطر":هدفت الدراسة إلى تقويم النظام الحالي لتدريب القيادات التربوية، وطرحت بدائل لتطوير هذا النظام واختارت البديل الأفضل لإحلال نظام التدريب الجديد للقيادات التربوية في وزارة التربية والتعليم بدولة قطر.

واستخدمت الدراسة مدخل تحليل النظم، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

1- أن فلسفة النظام الحالي للتدريب غير واضحة.

2- أن نظام التدريب الحالي يفتقر إلى نظام تقويم ومتابعة جيدين، مع الاعتماد على نسبة الحضور بالدرجة الأولى كوسيلة من وسائل التقويم والمناقشة.

3- أن أهداف التدريب غير واضحة في أذهان المتدربين والمسئولين.

4- أن الدورات التدريبية التي تعقد لتدريب القيادات التربوية بوزارة التربية والتعليم في قطر لا تتناسب مع التفاوت في الخبرات للمتدربين واحتياجاتهم التدريبية.

- ✓ دراسة (*Swigert and Kollke, 1993*) بعنوان *Training Evaluation and Measurement Methods.*:هدفت الدراسة إلى تحديد منهجية تقييم برامج التدريب والأسلوب الأمثل لقياس الأثر النهائي للتدريب والتغذية لعكسية بناء على نتائج عملية التقييم.

استخدمت الدراسة المنهج المقارن، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

1- أن يتم إجراء عملية تحليل الاحتياجات التدريبية التي تم الحصول عليها لإيجاد مرجعية لقياس أثر التدريب.

2- تحديد الأهداف التدريبية للمؤسسة على نتائج تقدير الاحتياجات التدريبية وتحليلها.

3- إخضاع النظام للاختبار للوقوف على مدى جودة ما يوفره من بيانات.

4- إقناع الإدارة وتعظيم اهتمامها بنتائج التقييم بما يؤدي إلى إمكانية تحقيق أقصى دعم ممكن وإحداث التغيير الإيجابي للاتجاهات .

- ✓ دراسة (الدعيج، 1994) بعنوان "دراسة تقويمية للوظائف الإدارية لإدارة المناطق التعليمية في الكويت": هدفت الدراسة إلى تقييم تجربة المناطق التعليمية منذ إنشائها في الكويت حتى عام 1994م لمعرفة مدي نجاحها أو إخفاقها في تحقيق الأهداف المنشودة منها.

واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي وتوصلت إلى مجموعة من النتائج وهي ما يلي:

1- وجود كثير من الجوانب الإيجابية تتعلق بأداء الإدارات بالمناطق التعليمية لوظائفها القيادية في تسيير أعمالها اليومية.

2- أن مستويات الرضا تتفاوت في الموافقة من قبل أفراد العينة الذين شاركوا في الدراسة للأداء القيادي العملي للإدارات التعليمية.

3- أن قدرة الإدارات على تقييم أعمال العاملين بصورة واضحة يضمن نجاح التقييم في العمل الإداري.

- ✓ دراسة (البهواش ، 1994) بعنوان "اختيار وتدريب قيادات مدرسة التعليم الأساسي في مصر بين الواقع والمأمول في عالم متغير": هدفت الدراسة إلى الوقوف على معايير أسس اختيار القيادات التعليمية في مدرسة التعليم الأساسي وطرق تدريبهم، ومدى مناسبتها للمهام الملقاة على عاتقهم حاضرا ومستقبلا.

واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي لرصد واقع اختيار وتدريب قيادات مدرسة التعليم الأساسي وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

1- أن الأقدمية تلعب دورا كبيرا في الترشيح لوظيفة مدير المدرسة سواء في الدرجة الحالية أو التعيين أو الأكبر سنا.

2- أن الأسس المستخدمة في اختيار القيادات في مجال الإدارة المدرسية تعتمد على الأساليب التقليدية.

3- أن 97% من النظار والمدراء رأوا أن المجاملة تلعب دورا كبيرا في عملية اختيارهم.

- ✓ دراسة (*Sppitzer, 1995*) بعنوان "*Twenty ways to Motivate Trainers*" .:هدفت الدراسة إلى الوصول للعوامل التي تساهم في تحفيز المتدربين، وتحقيق النجاح للبرامج التدريبية.

واستخدمت الدراسة المنهج المقارن وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

1- فشل التدريب أو نجاحه لا يعود إلى نوعية التدريب أو طريقة التقديم فحسب بل يعود إلى وجود الدافع أو عدمه عند المتدربين.

2- عوامل التحفيز مثل الاختبار والمشاركة والتشجيع تمثل قوى جبارة لبث الدافعية لدى المتدربين .

✓ دراسة (*Neill,1995*) بعنوان *"Whose Job is it Any Way? The Team Leader as A Catalyst For Management Development* . :هدفت الدراسة إلى التوصل إلى دليل للممارسات الجيدة المرتبطة بالتطوير الإداري الفعال في مجال التعليم .

واستخدمت الدراسة المنهج المقارن لرصد ممارسات التطوير الإداري في منظمات متنوعة تابعة للقطاعين العام والخاص في ميرلاند الغربية وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها ما يلي:

أ- أن نظم العمل داخل المنظمة تحتاج إلى دعم جوانب العلاقة المرتبطة بالتطوير الإداري بين القائد المدير والمرءوسين.

ب- وجود حاجة إلى تبني نظام متكامل للتطوير الإداري لتلبية حاجات كل من الفرد والفريق والمنظمة.

ج- يمثل تقويم الأداء جزء مكملاً لفلسفة المنظمة، حيث تعد أداة للتعرف على حاجة المدير للتنمية الإدارية.

أن هناك اتجاهاً نحو الإدارة الذاتية في التعليم والمدارس.

✓ دراسة (عبد الخالق، 1996) بعنوان " واقع الممارسات والمهارات الإدارية للقيادات التربوية في الإدارة التعليمية".:هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع الإدارة التعليمية من خلال الأوضاع العلمية والمهنية والفنية للقيادات التربوية، وفعالية العملية التعليمية، وعلاج القصور فيها، والتعرف على أساليب اختيار وتدريب تلك القيادات التربوية.

واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

أ- أن القيادات التربوية لا تحسن استخدام المهارات الفنية في ممارسة عملية التنظيم.

ب- استخدام أسلوب الترقي بالأقدمية، وإهمال الترقي بالاختيار والكفاءة.

ج- أن البرامج التدريبية المقدمة لهذه الفئة من القيادات التربوية تعاني من بعض القصور.

✓ دراسة(*Hughey and Mussing, 1997*) بعنوان *"Designing Effective Employee Training Program"* :هدفت الدراسة إلى تحديد العناصر المؤثرة على فعالية التدريب ودور مد راء التدريب في إنجاح العملية التدريبية وتحقيق أهداف التدريب.

وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

1- أن التطبيقات العملية التي يتضمنها البرنامج التدريبي تمثل واحداً من العناصر التدريبية ذات التأثير الإيجابي على مدي فعالية التدريب.

2- أن المتابعة النشطة للبرنامج من قبل مدراء التدريب تمثل عنصراً فعالاً لنجاح البرامج التدريبية.

3- أن تحديد الاحتياجات التدريبية، والتصميم الجيد للبرنامج التدريبي والدقة اختيار موضوعاته، يعد من العناصر الإيجابية المؤثرة في فعالية التدريب.

4- أن ربط الأهداف العامة للمنظمة بأهداف الخطط له تأثير إيجابي على فاعلية العملية التدريبية.

5- ضرورة تحديد الاحتياجات التدريبية الحالية، والتي تطلبها توجهات التطوير المستقبلية وذلك للحد من سلبية العملية التدريبية لدى العاملين.

- ✓ دراسة (عبد النبي، 1998) بعنوان "تطوير نظام تدريب القادة التربويين لجمهورية مصر العربية في ضوء بعض الخبرات المعاصرة".:هدفت الدراسة إلى التعرف على أسس نظام تدريب القادة التربويين، والوقوف على بعض الخبرات في مجال التدريب وواقع التدريب في مصر، والوصول إلى تصور مقترح لتطوير النظام، والوقوف على إمكانية تنفيذه في المجتمع المصري.

واستخدمت الدراسة مدخل تحليل النظم، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج وهي ما يلي:

أ- أن هناك قصوراً في النظام التدريبي للقادة التربويين في جمهورية مصر العربية.

ب- إتباع الأساليب التقليدية في تنفيذ البرامج.

ج- أن هناك نقصاً في المدربين من ذوي الخبرة والكفاءة العالية، والتي تناسب تخصصاتهم محتوي برامج التدريب.

د- أن هناك غياباً لمفهوم التربية المستمرة لدي المتدربين؛ مما يجعل التدريب أمرا مفروضا عليهم للحصول على الترقية.

- ✓ (عبد النبي، 1998) بعنوان "تطوير اختيار وتدريب القيادات التعليمية العليا بالتعليم قبل الجامعي في جمهورية مصر العربية في ضوء اتجاهات الإدارة التربوية الحديثة".:هدفت الدراسة إلى التعرف على الاتجاهات الحديثة في مجال اختيار وتدريب القيادات التعليمية العليا بالتعليم قبل الجامعي، ووضع تصور مقترح كنموذج يمكن الأخذ به لتطوير سياسة اختيار وتدريب القيادات التعليمية بالتعليم قبل الجامعي في جمهورية مصر العربية، وذلك في ضوء مفاهيم الإدارة التربوية الحديثة.

واستخدمت الدراسة مدخل تحليل النظم، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج وهي ما يلي:

1- أن هناك بعض القصور في مجموعة الكفاءات المهنية الشخصية لدى القائد التعليمي.

2- أن هناك اعتماداً على تقارير الكفاية في تقويم أداء المرشحين للوظائف القيادية، وهذا لا يكفي لعملية الاختيار.

3- أن أساليب التدريب تعتمد بطريقة كبيرة على أسلوب المحاضرة النظرية، وهذا أسلوب لا يساعد على تحقيق الغرض من التدريب.

4- أن أهداف البرامج لا تتماشى مع النتائج التي تتوقع من برنامج تأهيلي لقائد المستقبل.

- ✓ دراسة (الخاجة، 1999) بعنوان "أثر البرامج التدريبية لمعهد التنمية الإدارية في رفع الكفاءة الإدارية في المؤسسات الحكومية":هدفت الدراسة إلى تحديد درجة استفادة المتدربين بالمؤسسات الحكومية من برامج التدريب التي ينظمها معهد التنمية الإدارية وإبراز العلاقة بين أهمية العمل التدريبي وفاعلية برامج التنمية.

واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج وهي كما يلي:

1- يتم تقويم البرامج التدريبية بشكل غير مستمر وغير منظم من قبل رؤساء مسئولي التدريب بالمنظمات المستفيدة.

2- ضعف مساهمة معهد التنمية الإدارية، وكذلك ضعف وحدات التنمية الإدارية في وضع الخطط التدريبية لهذه المنظمات.

3- إستراتيجية التدريب غير واضحة المعالم لدي الجهات المستفيدة من برامج المعهد .

دراسة (أبو ناعم، 2000) بعنوان "المشاكل التي تحد من تطبيق الإدارة الإستراتيجية في المنظمات العامة بدولة الإمارات العربية المتحدة" .

هدفت الدراسة إلى تشخيص الممارسة الفعلية للإدارة الإستراتيجية ومكوناتها في المنظمات العامة وتحديد العوامل التي تحد من تطبيق الإدارة الإستراتيجية في المنظمات العامة في دولة الإمارات.

واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج منها:

أ- أن بعض القيادات غير قادرة على ممارسة عملية الإدارة الإستراتيجية بكل مكوناتها (الرؤية –الرسالة –الأهداف – الإستراتيجية) بالكفاءة والفاعلية المطلوبة.

ب- اهتمام الإدارة العليا بالمشكلات الحالية الداخلية، والتي تضمنت تسيير المنظمة اكثر من اهتمامها بالأمور التطويرية.

ج- أن هناك صعوبة في إدخال مفاهيم الإدارة الإستراتيجية؛ وذلك لأن ثقافة المنظمة السائدة يصعب زرع هذه المفاهيم فيها.

د- أن هناك قوة تأثير للأطراف الخارجية ومحاولتها السيطرة على توجهات المنظمة المستقبلية.

- ✓ دراسة (أبو ناعم، 2000) بعنوان "تقييم الإستراتيجيات المطبقة بالوزارات الاتحادية":هدفت الدراسة إلى تحديد أنواع الإستراتيجيات المطبقة في الوزارات الاتحادية بدولة الإمارات العربية المتحدة متضمنة وزارة التربية والتعليم، وتحديد المشاكل التي تعوق تطبيق الإستراتيجيات الفعالة لتحقيق أهدافه.

واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، منها:

I- أن ممارسة القيادات العليا لمهارات التفكير الإستراتيجي يعتمد على وجود إستراتيجيات واضحة، ورسالة واضحة، وأهداف محددة.

II- انشغال الإدارة بتسيير الأعمال اليومية أكثر من انشغالها بالأمور الإستراتيجية وتطويرها.

III- أن الأنشطة التدريبية المتعلقة بموضوع الإدارة الإستراتيجية تساعد على تطوير القيادات الإدارية وتوجيهها.

IV- أن هناك خوفاً لدى الإدارة العليا من إجراء تغييرات جذرية قد تسبب لها مشكلات داخلية بعد ذلك، ومن ثم فهي تحافظ على الوضع الحالي.

- ✓ دراسة (*Arbor Gate Group,2000*) بعنوان *"Challenge:2000,Strategic Education Implementation of Georgica's Postsecondary Vocational System",*

:هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى تحقيق رؤية التعليم في جو رجيا للتعليم المهني والتعرف على التحليلات الإستراتيجية للرؤية، واختيار البديل الأفضل لتحقيقها.

واستخدمت الدراسة منهج التحليل الإستراتيجي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

I- أن ربع العينة قضوا وقتهم في التخطيط الإستراتيجي .

II- أن هناك نسبة عالية بينت أن المنطقة على المستوي المحلي هي المصدر الأساسي للمعلومات التخطيطية.

III- أنه لدى أفراد العينة حاجة للإستراتيجية الشاملة على مستوى المنطقة.

- ✓ دراسة (شعلان، 2002) بعنوان "نظام اختيار وتدريب المشرفات التربويات في المملكة العربية السعودية":هدفت الدراسة إلى تحليل المنظور الفكري لكل من الإشراف التربوي المعاصر، واختيار وتدريب المشرفات, وتحليل واقع الاختيار والتدريب في المملكة السعودية، وتقديم تصور مقترح لتطوير نظام اختيار وتدريب المشرفات التربويات في الرئاسة العامة لتعليم البنات.

واستخدمت الدراسة مدخل تحليل النظم، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج وهي:

1- أن هناك قصوراً في نظام اختيار المشرفات التربويات الحالي.

2- أن نظام تدريب المشرفات التربويات الحالي يجعلهن بعيدات عن كل ما هو جديد على الساحة التربوية.

3- أثبتت الدراسة الميدانية تدني مستوى ممارسة المشرفات التربويات للاتجاهات الحديثة في الإشراف التربوي.

4- أن أساس اختيار المشرفات التربويات لا زال يعتمد على الأساليب التقليدية.

- ✓ دراسة (راغب، 2002) بعنوان "التنمية الإدارية وتقويم أداء مديري إدارات التعليم قبل الجامعي في جمهورية مصر العربية":هدفت الدراسة إلى وضع تصور مقترح لمنظومتي التنمية الإدارية وتقويم أداء إدارات التعليم العام قبل الجامعي في مصر؛ بغية تحقيق متطلبات الإدارة التعليمية الفعالة.

واستخدمت الدراسة مدخل النظم، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

1- أن هناك اهتماماً بتحسين إنتاجية الإدارات التعليمية .

2- انفصال برامج التدريب الحالية عن الواقع التعليمي، وإغفالها تحديد الاحتياجات التدريبية والتنموية لمديري التعليم العام.

3- جمود الهيكل التنظيمي للإدارات التعليمية بما لا يتناسب مع متطلبات تطوير العمل الإداري.

4- أن هناك تداخلاً بين اختصاصات ومسئوليات بعض الأفراد بالإدارات التعليمية نتيجة لافتقارها الوضوح والدقة.

- ✓ دراسة (العبار، 2002) بعنوان "تقويم فعالية برامج التدريب الإداري بالوزارات الاتحادية":هدفت الدراسة إلى تقويم فعالية برامج التدريب الإداري بالوزارات الاتحادية في دولة الإمارات العربية المتحدة، والوقوف على العوامل المحددة لدرجة الاستفادة من هذه البرامج، وتدعيم دور التدريب الإداري ببيان نواحي القوة والضعف، وتدعيم نواحي القوة، ومعالجة نواحي الضعف في النشاط التدريبي.

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها مايلي:

أ- أن هناك تأثيراً جوهرياً لتقدير الاحتياجات التدريبية على تقويم فعالية البرامج التدريبية من وجهة نظر كل أطراف العينة، أي كل من عينة مسئولي وحدات التنمية الإدارية والرؤساء المباشرين والمتدربين.

ب- أن القصور في نظام تقويم البرامج التدريبية المتبع يؤثر سلبا على تقويم فعالية البرامج التدريبية.

ج- وجود تأثير جوهري للتنسيق بين الجهات المستفيدة من التدريب والجهات المنفذة له على تقويم فعالية البرامج التدريبية.

✓ دراسة (*Thomas And Jamesl ,2003*) بعنوان *"Pathways to The Future :Linking Environmental Scanning to strategic management* .

هدفت الدراسة إلى تفسير الاتجاهات والأحداث والنتائج التي تدل على تهديدات أو فرص للكليات أو الجامعات، وتأثيرها على مركز الدراسة وتطوير الإستراتيجيات الصحيحة، وقد قام فريق العمل بالتخطيط لوضع جدول للإستراتيجيات تمكن مجموعة أفراد في الجامعة من نفس البيئة من إعداد خطة للإستراتيجيات التي تتبعها الكلية لمدة خمس سنوات.

واستخدمت الدراسة منهج التحليل الإستراتيجي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج من أهمها :

أ- أن أفراد العينة تعرفوا على أكثر الاتجاهات جدية والاحتمالات المؤثرة بنسبة عالية/ لحدوث النتائج.

ب- أن أفراد العينة حددوا العلاقات التأثيرية بين النتائج والأحداث والاتجاهات المرغوبة.

ج- اتضح من خلال الدراسة تأثير تنظيمات الكلية على أدائها.

د- تم تحديد الإستراتيجيات القابلة للتنفيذ عالية النتائج لوضعها في الخطة الإستراتيجية للكليات وتضمنت 15 محوراً من قائمة المراجع للتخطيط الإستراتيجي.

تعقيب على الدراسات السابقة :

I- تتشابه الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تناولها اختيار وتدريب القيادات التربوية في الاهتمام بنظام اختيار وتدريب القيادات التربوية إلا أن الدراسة الحالية تختلف عن الدراسات السابقة في تناولها نظام اختيار وتدريب القيادات في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية.

II- أن الدراسة الحالية استخدمت المنهج الوصفي، أما الدراسات السابقة فقد تنوعت من حيث المنهج المستخدم، فبعضها استخدم المنهج الوصفي مثل دراسة السيد عبد العزيز البهواش، ودراسة عبد الخالق فؤاد، ودراسة فاطمة الخاجة، وبعضها استخدم مدخل النظم مثل دراسة إيمان زعلول، ومدخل التحليل الإستراتيجي مثل دراسة *Arboor Group* و*Swigert and Kollke* ومدخل تحليل النظم دراسة حصة صادق، ودراسة مضاوي شعلان.

III- أن الدراسة الحالية تناولت نظام الاختيار والتدريب ، أما الدراسات السابقة فقد اقتصر بعضها على تقويم برامج تدريبية مثل دراسة مريم العبار، ودراسة *Taron , Hughey and Kenneth Mussing* ، بينما اقتصرت الأخرى على تقويم الأجهزة المسئولة عن التدريب مثل دراسة فاطمة الخاجة.

IV- أن الدراسة الحالية تناولت نظام الاختيار والمعايير الحديثة في الاختيار، أما الدراسات السابقة فقد أقتصر معظمها على جانب واحد في عملية الاختيار مثل معايير الاختيار التقليدية دراسة السيد عبد العزيز البهواش، ودراسة عبد الخالق فؤاد ودراسة إيمان عبد النبي.

V - أن معظم الدراسات السابقة اهتمت بقياس أثر التدريب عن طريق دراسة برامج كعينة نفذت في مراكز التدريب أو الجامعات مثل دراسة عبد العليم عبود، ودراسة*Taron, Hughey and Kenneth Mussing* .

واستفادت الباحثة من الدراسات السابقة فيما يلي:

1- وجود أسس لعمليات اختيار القيادات التربوية كما في دراسة إيمان عبد النبي، ودراسة مضاوي شعلان.

2- وجود أسس وأساليب تدريب القيادات التربوية مثل دراسة سعاد بسيوني، ودراسة إيمان زغلول.

3- أن القائد التربوي يشارك في اتخاذ القرارات المتعلقة بالعمل في الإدارة التربوية، وينعكس ذلك على العمل بالوزارة بشكل إيجابي مثل دراسة*John Neil* و دراسة إيمان زغلول.

4- أن النمط المركزي المستخدم في الإدارة التعليمية يؤثر على أداء القيادات التربوية في المناطق التعليمية كما في دراسة عبد العزيز الدعيج.

5- أن الإعداد المهني والتدريب المستمر أثناء الخدمة يمكنهم من تطوير أدائهم والقيام بالمسئوليات والمهام من خلال تطبيق الإدارة الإستراتيجية في العمل كما في دراسة عبد الحميد أبو ناعم ودراسة *California School Leadership Academy*.

6- أن تحديد الأهداف التدريبية ووضوحها يعد أحد أدوات النشاط التدريبي الفعال كما في دراسة مريم العبار، ودراسة عبد العليم عبود .

مصطلحات البحث

1- الاختيار : *Selection*

يعرف الاختيار بأنه أحد مراحل التعيين في الخدمة ويتم عادة عن طريق الامتحان أو المقابلة وغيرها، بهدف الاختيار من بين عدد من المتقدمين لشغل وظيفة معينة كمعيار للجدارة وتكافؤ الفرص، والأسلوب العلمي للاختيار يتم عن طريق تحليل الوظائف والمهن، ثم تحليل الأفراد لتحديد استعداداتهم وقدراتهم وميولهم، ثم المماثلة بين مقتضيات الوظيفة وخصائص الأفراد بحيث يوضع في الوظيفة أكثر المتقدمين صلاحية لها(بدوي، 1994).

2- التدريب *Training*

يعرف التدريب بأنه: إعداد الشخص للاستخدام والترقي في أي فرع من فروع النشاط ومساعدته في الإفادة من قدراته حتى يحقق لنفسه وللمنظمة التي سيعمل بها وللمجتمع أكثر ما يمكن من مزايا (البرعي 1993).

3- الإدارة الإستراتيجية : *Strategic Management*

تعرف الإدارة الإستراتيجية بأنها رسم الاتجاه المستقبلي للمنظمة، وبيان غاياتها على المدى البعيد، واختيار النمط الإستراتيجي المناسب لتحقيق ذلك في ضوء العوامل والمتغيرات البيئية الداخلية والخارجية، ثم تنفيذ الإستراتيجية ومتابعتها وتقييمها(ادريس، 2003).

منهج البحث :

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يجمع بين جميع عناصر المشكلة في بوتقة واحدة تمثل رزمة كاملة متكاملة في معالجة موضوع الدراسة، حيث قامت الباحثة بدراسة الظاهرة وتحليلها من خلال الاطلاع على ما كتب حول موضوع الدراسة وما أجري من دراسات، بالإضافة إلى وضع رؤية متكاملة لموضوع الدراسة، ثم محاولة اقتراح إطار مقترح للتغلب على المشكلة محل الدراسة.

الإطار النظري:

يعتبر قانون الخدمة المدنية المعدل لعام 2005 هو القانون الفلسطيني الذي ينظم إجراءات التعيين في الوظيفة الحكومية ويوضح طبيعة دور ديوان الموظفين العام في هذا المجال حيث ينص القانون وفقا للوائح التنفيذية المنظمة له على مجموعة من الإجراءات يمكن إجمالها بالتالي (الفرا والزعنون، 2008) :

إجراءات التعيين في الوظيفة العامة:

أ – لا يجوز تعيين أي موظف إلا في وظيفة شاغرة على جدول تشكيلات الوظائف.

ب – تعد وحدة شؤون الموظفين في كل دائرة حكومية كشوفاً بالوظائف الشاغرة المرصود لها مخصصات في الموازنة العامة مع تحديد الوظائف المراد شغلها ومبررات شغلها في ضوء احتياجات العمل وتقدمها للديوان في بداية كل سنة مالية وتعطى الأولوية في شغل الوظائف للموظفين الزائدين عن حاجة الدوائر الحكومية.

ت – تعلن الدائرة الحكومية عن الوظائف الشاغرة التي يكون التعيين فيها بإعلان خلال أسبوعين من خلوها في صحيفتين يوميتين واسعتي الانتشار على الأقل ويشعر الديوان بذلك، وفي حالة الحاجة إلى عدد من الوظائف في الدوائر الحكومية؛ يجوز للديوان أن يعلن بإعلان موحد عن الحاجة إلى تلك الوظائف بالتنسيق مع الدوائر الحكومية المعنية ويتم الإعلان في صحيفتين واسعتي الانتشار.

ث – حدد القانون شروط ومتطلبات الإعلان عن الوظائف، بالإضافة إلى المستندات المطلوبة، كما نص على تشكيل لجنة الاختيار بحيث تكون ممثلة من ديوان الموظفين العام والدائرة الحكومية المعنية، تكون مهمتها المفاضلة ما بين المرشحين، كما حدد القانون مهام لجنة الاختيار واختصاصاتها، وحدد دور ديوان الموظفين العام في هذه المجال بحيث يقوم الديوان وبالتنسيق مع الدائرة المعنية بتحديد الوظائف التي تحتاج إلى مسابقات شفهية أو كتابية، وتنظيم إجراءات المسابقات وتنظيم إجراءات التعيين.

وقد أظهرت دراسة (العيلة، 2008) بأن وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطيني تتبع بعض الإجراءات والمعايير قبل وأثناء عملية التوظيف، فتقوم بعمل تخطيط للموارد البشرية وتعتمد في تخطيطها على تقسيم الهيكل التنظيمي للوزارة ومؤسساتها التابعة لها كما أن الوصف الوظيفي للوظائف المعمول بها يتسم بالموضوعية والمرونة في توصيف الوظائف الإدارية والتدريسية، وأن التعيين يتم وفقاً للشواغر المطلوبة في الهيكل التنظيمي للمؤسسات التربوية التابعة للوزارة حيث تتناسب مع تخصصات العاملين ، ويتم تشكيل اللجان المختصة بإعداد الاختبارات والمقابلات الخاصة ، وأن معايير التوظيف تتسم بالمرونة في اختيار وتعيين الموظفين ويتم الاختيار بنزاهة وحيادية ويجتاز المتقدمون مقابلات شخصية حسب المعايير المطلوبة، وقد أوصت الدراسة بضرورة العمل على مضاعفة اهتمامها بعمل تخطيط استراتيجي ودقيق للموارد البشرية، وأن تتبع الموضوعية في تخطيطها وتزيد من تفعيل مشاركات مديرياتها والمؤسسات التابعة لها في عملية التخطيط ، وضرورة العمل على مراجعة وتطوير آليات وإجراءات ومعايير عملية التوظيف من اختبارات ومقابلات ، وخلق جو من الاستقرار الوظيفي وذلك بتثبيت المعايير والإجراءات وعدم الانجرار وراء التجاذبات السياسية .

أما دراسة (الفرا، 2008) التي ناقشت موضوع اختيار وتعيين القيادات بأن الوزارات الفلسطينية لا تقوم بإتباع سياسات اختيار وتعيين فعالة قائمة على أسس ومعايير علمية سليمة تنظم عملية الاختيار والتعيين في الوظائف الإدارية، إضافة إلى تدخل الكثير من العوامل غير الموضوعية في عملية الاختيار والتعيين مثل التنفذ السياسي، والتنفذ العشائري، والاعتبارات الشخصية.

إجراءات التدريب والتطوير في الوظيفة العامة:

تتولى إدارة التدريب والتطوير في ديوان الموظفين العام تحديد الاحتياجات التدريبية لكافة الوزارات والمؤسسات الحكومية وإعداد خطط التدريب وحصر الخبرات المتوفرة وإعداد وتدريب وتطوير الكادر الوظيفي من خلال دورات مهنية وإدارية ومالية وإعداد قادة المستقبل كما وتعنى بإيفاد الموظفين إلى بعثات ودورات ومؤتمرات ومهمات عمل رسمية ومنحهم إجازات دراسية ويمارس التدريب من خلال دائرة البرامج التدريبية حيث تتولى تنفيذ مهامها في رفع مستوى كفاءة موظفي الخدمة المدنية، وتأهيل الموظفين الجدد من خلال برامج تدريبية متخصصة، والسعي لتوفير الدعم المالي لتنفيذ الخطط والبرامج التدريبية، ووضع الخطة التنفيذية السنوية والقيام بتنفيذها بما يخدم إستراتيجية التدريب ولهذا تقوم بالمراحل التالية:

أ – خطوات إعداد البرامج التدريبية:

1) يتم حصر الاحتياجات التدريبية للوزارات والمؤسسات الفلسطينية من خلال نموذج خاص لذلك.
2) تصنيف الاحتياجات التدريبية.
3) تقدير الإمكانيات المتاحة للاحتياجات التدريبية.
4) الموائمة بين الاحتياجات التدريبية والإمكانيات المتاحة.
5) تصميم البرامج التي سيتم تنفيذها.
6) تقدير تكاليف تنفيذ الخطة التدريبية.
7) تصميم جدول زمني لسير الخطة التدريبية.
8) اعتماد الخطة وإعداد الدليل التدريبي.

ب – آلية تنفيذ البرامج التدريبية:

1) يتم الاتصال والتنسيق بالمدربين بشان تجهيز المادة التدريبية لتنفيذ البرامج التدريبية.
2) يتم مخاطبة الوزارات والمؤسسات الحكومية بشان ترشيح من يرونه مناسبا للدورات التدريب ويحدد في الرسالة اسم الدورة ومدتها.
3) فحص طلبات الترشيح الواردة من الوزارات والمؤسسات الحكومية ويتم تجهيز قائمة بالأسماء المقبولين لحضور الدورة.
4) يتم مخاطبة الوزارات والمؤسسات الحكومية بشان المقبولين للدورة التدريبية ويحدد موعد تنفيذ انعقاد الدورة.
5) تجهيز القاعات التدريبية والتنسيق فيما بينها بحيث لا تتعارض مواعيد عقد الدورات.
6) الإشراف على سير التدريب في القاعات التدريبية.
7) تقييم المدرب من خلال المتدربين في نهاية الدورة التدريبية من خلال استبانه خاصة لذلك.
8) تحليل الاستبانه الخاصة بتقييم المدرب ومحاولة الاستفادة من النتائج في البرامج اللاحقة.
9) بعد فترة لا تقل عن ثلاث شهور يتم تقييم المتدرب من خلال مسئوله المباشر، وذلك من خلال استبانه خاصة لذلك لمعرفة مدى استفادة المتدرب والمؤسسة من الدورة التي شارك فيها.
10) تحليل الاستبانه الخاصة بتقييم المتدرب ومحاولة الاستفادة من النتائج للارتقاء بعمل الإدارة.

وتؤكد الدراسات التي تطرقت لموضوع تدريب القيادات أن هذا الجانب يعاني قصوراً كبيراً من قبل الجهات المختصة في تطبيق نظام تدريبي فعال وأن العملية التدريبية المطبقة غير كافية وتشتكي ضعفاً ملحوظاً ، حيث يرى الأشقر(2003) ضرورة توفير الفرص

لتطوير قدرات وصقل خبرات العاملين في مجال الإدارة المدرسية وتوفير برامج ودورات وورش عمل إدارية لكافة المديرين في المدارس الثانوية لبناء الخبرات واكتساب مهارات جديدة، واقترح إعداد برامج ونشاطات هادفة لزيادة وتمتين الاتصال وتوثيق العلاقة بين المدرسة والمجتمع المحلي في شتي مجالات ومناح الحياة التي تهم المجتمع والمدرسة ، وإجراء دراسات أخري لتطوير أداء المدرسة والمشرفين التربويين والمعلمين في المدارس.

ويضيف الحسنات (*2003*) بضرورة تشجيع مديري المدارس على حضور الدورات التدريبية لزيادة فعالية الأداء، وأن يراعي في تدريب مديري المدارس تنوع النشاطات والبرامج التدريبية وفق المرحلة التعليمية التي يعملون بها، مع التأكد على أن تتضمن برامج التدريب المؤتمرات والندوات وحلقات وورش العمل والزيارات الميدانية ، وطرح المشكلات والعمل على حلها وتمثيل الأدوار، وزيادة الاهتمام بالدورات التدريبية لمديري المدارس قبل العمل وأثنائه، وإعداد تصور لخطة مقترحة لإعداد مديري التعليم الثانوي في محافظة غزة وتدريبهم.

أما أبو جيل (2005) فقد أوصى بضرورة قيام وزارة التربية والتعليم العالي بعمل دورات تربوية مديري المدارس، يتم التركيز فيها على تعزيز المفاهيم الإدارية الحديثة في التعامل مع جميع عناصر العملية التعليمية، حتى التوصل إلى مخرجات يتم عن طريقها التأكد من نجاح الموقف التعليمي.

ويؤكد عساف (2005) على ضرورة تبصير مديري المدارس بأهمية وضرورة الدورات حول مبادئ الإدارة الإستراتيجية والتخطيط الاستراتيجي، والإطلاع على تجارب الآخرين من الدول في هذا المجال مع زيادة الحوافز المادية والمعنوية للمدير، وأشار الداعور (2007) إلى أهمية عقد دورات تدريبية لمديري المدارس للتدريب على الكفايات الفنية الخاصة بدور مدير المدرسة كقائد تربوي.

انطلاقاً من الوضع الراهن لنظام اختيار وتدريب القيادات الإدارية التربوية في مؤسسات التربية والتعليم في قطاع غزة نظريا وميدانيا، وفي ضوء الأسس والآليات لتطوير هذا النظام في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية، واتساقا مع المنهجية المتبعة في البحث، بهدف التوصل إلى الإطار المقترح لتطوير نظام اختيار وتدريب القيادات التربوية في مؤسسات التربية والتعليم في قطاع غزة ؛ لذا فإننا سنتناول المتغيرات التي يجري رصدها إلى متغيرات داخلية تنتمي إلى النسق محل الدراسة، ومتغيرات خارجية تعبر عن البيئة التي يعمل فيها هذا النسق.

حيث تشتمل القوى الداخلية المؤثرة على القيادات التربوية في المناطق التعليمية، على ما يلي (العيسوي،1998):

- الهيكل التنظيمي .
- الصلاحيات الممنوحة للقيادات التربوية.
- قنوات الاتصال بين القيادات.
- التحديث التكنولوجي .
- كفاءة القيادات التربوية .
- الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة.

أما القوى والعوامل الخارجية فيمكن أن تشتمل على ما يلي:

- التغيرات المجتمعية والتكنولوجية.
- وسائل الإعلام .
- القيادات العليا في الوزارة.
- مؤسسات المجتمع المحلي.

ويوضح الجدول التالي هذه القوى والعوامل المؤثرة على نظام اختيار وتدريب القيادات ومجالات تأثيرها.

جدول يوضح القوى والعوامل المؤثرة على نظام اختيار وتدريب القيادات التربوية في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية

أولا: القوى والعوامل الداخلية	مجالات تأثيرها على اختيار وتدريب القيادات بالمناطق التعليمية في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية
1- الهيكل التنظيمي للمنطقة التعليمية	تؤثر طبيعة الهيكل التنظيمي للمنطقة التعليمية على نظام اختيار وتدريب القيادات التربوية حيث الهياكل التنظيمية الهرمية، والتي تعتمد على مركزية السلطة، وهذا يعرقل اختيار وتدريب القيادات لأن هذا الهيكل يعتمد على عدم تخطي شاغل الوظيفة(للائحة التنفيذية) التي تعتمد على الخبرة والأقدمية، حتى وإن كان لا يملك المهارات والقدرات المؤهلة للوظيفة؛ ولذا فإن هذا يعرقل استخدام الإدارة الإستراتيجية التي تعتمد على اللامركزية في الاختيار والعمل كفريق واحد.
2- الصلاحيات الممنوحة للقيادات التربوية	نجد أن الصلاحيات الممنوحة للقيادات التربوية صلاحيات تنفيذ لأعمال تم التخطيط لها مسبقاً، وغير مسموح بتغيرها، وهذا لا يتفق مع المرونة التي تتطلبها الإدارة الإستراتيجية من خلال الإطار، والتي تعتمد على تحليل البيئة الداخلية والخارجية باستمرار مع إعطاء الصلاحيات للقيادات لإعداد الخطط وتطويرها ومهارات حل المشكلات ومواجهتها بمرونة من خلال وضع البدائل للتغلب عليها.
3- قنوات الاتصال بين القيادات	إن الاتصالات تعتمد على الاتصال الرأسي المركزي من الأسفل إلى الأعلى كما تسري قوانين الترقي والاختيار بهذا النمط، وتحتاج المنطقة لاختيار قيادات تربوية تدعم الاتصال الأفقي والشبكي لتسيير العمل والإنجاز، كما تدعم الاتصال المفتوح داخل المنطقة وبين القيادات والمجتمع المحلي؛ وذلك للتعامل مع الفرص والاستفادة منها والتهديدات وسرعة مواجهتها.
4- التحديث التكنولوجي	يؤثر التحديث التكنولوجي بشكل كبير على تحقيق السرعة والكفاءة في استخدام القيادات للإدارة الإستراتيجية، والتكنولوجيا الحديثة وإعداد البيانات والمعلومات الصحيحة، وتحليلها والاستفادة منها في تطوير العمل في المنطقة التعليمية، وتعتمد الاستفادة من التحديث التكنولوجي على اختيار القيادات التربوية المدربة على الاستخدام الأمثل لوسائل التكنولوجيا الحديثة، واستغلالها في التعامل، وإنجاز المعاملات للأفراد، أما وجود وسائل تكنولوجيا حديثة وعدم تدريب القيادات على كيفية التعامل معها فلا يعطي أثراً في تطوير المنطقة التعليمية والقيادات التربوية العاملة فيها.
5- كفاءة القيادات التربوية	تتأثر المناطق التربوية بنمط القيادة وكفاءتها، ونجد القيادات تتسم بتنفيذ ما يطلب منها وفقا للقوانين واللوائح التي تقيدها في العمل بالمنطقة حيث إن المناطق التربوية تحتاج إلى نمط ديمقراطي، يتسم بالمبادرة مع أهمية تدريب القيادات على الأساليب والمداخل الحديثة في الإدارة الإستراتيجية من أجل إكسابها المهارات اللازمة، وتنمية الجوانب الإبداعية

	والابتكارية لديها، وإعطائها السلطات الكافية، وتقليل حجم المسئوليات الواقعة عليها من أجل تخفيف ضغوط العمل.
6-الإمكانات المادية والبشرية المتاحة في المنطقة التعليمية	يؤثر حجم الإمكانات المادية والبشرية المتاحة على كفاءة إدارة المنطقة، واستخدامها للإدارة الإستراتيجية فقلة توافرها يؤثر على أداء القيادات التربوية، حيث إن هناك حاجة إلى وسائل تكنولوجية للاتصال وجمع البيانات وتحولها إلى معلومات ومعارف، وهذا يحتاج إلى تدريب القيادات على تكنولوجيا المعلومات لاستخدامها في الإدارة الإستراتيجية، واستغلال الفرص من الموارد المادية والبشرية لمواجهة التحديات والتهديدات الخارجية.
ثانيا:القوى والعوامل الخارجية	مجالات تأثيرها على اختيار وتدريب القيادات في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية
1- التغيرات المجتمعية والتكنولوجية	تعتبر التغيرات المجتمعية والتكنولوجية التي تتسم بالسرعة والتحولات الجادة هي من أبرز العوامل المؤثرة والتي تحث على استخدام الإدارة الإستراتيجية حيث تؤثر القيم السائدة على الفرص والتهديدات التي تواجهها المنطقة التعليمية، وتؤثر على الخطط والاستراتيجيات التي تضعها الوزارة للمناطق التعليمية، فيجب اختيار قيادات مدربة على التعامل مع التغيرات المجتمعية والتكنولوجية والاستفادة منها لصالح المنطقة التعليمية.
2- وسائل الإعلام	تعد وسائل الإعلام من أهم العوامل المؤثرة على التعليم بشكل عام، وعلى المنطقة التعليمية بشكل خاص حيث إنها تلعب دورًا في تنمية الوعي المجتمعي المحيط بالمنطقة التعليمية بأهمية استخدام الإدارة الإستراتيجية لخدمة الطلاب والمجتمع في العمل، وتطوير القيادات التربوية، وكذلك يمكن الاستفادة منها في نشر الوعي بأهمية اللامركزية في الإدارة وتطوير القيادات التربوية، والاستفادة منها في مواجهة مشكلات الروتين في العمل، والجمود في الوظائف .
3- القيادات العليا في الوزارة	تعتبر القيادات العليا أهم القوى المؤثرة بشكل مباشر على المنطقة التعليمية، حيث تقوم بتخطيط السياسات والإجراءات على المستوى المركزي، والقوانين واللوائح لاختيار القيادات التربوية فكلما كانت هذه القوانين واللوائح والسياسات واضحة تراعي الأساليب الحديثة في الإدارة والاختيار كان العمل في المنطقة التعليمية أكثر كفاءة ووضوحاً.
4- مؤسسات المجتمع المحلي	إن للمجتمع المحلي ومؤسساته تأثيراً على التعليم والإدارة التعليمية في المناطق التعليمية، وذلك من خلال دعم برامج الشراكة بينهما لمناقشة القضايا والمشكلات التي تواجه التعليم، وحل المشكلات عند حدوثها، والمشاركة في دعم المدارس التابعة للمناطق التعليمية، وتنمية الوعي بأهمية التعامل بين مؤسسات المجتمع المحلي وأولياء الأمور والمؤسسات التعليمية والمدارس.

انطلاقاً من تلك المتغيرات وأثرها على نظام اختيار وتدريب القيادات الإدارية التربوية بالمؤسسات التربوية في قطاع غزة فإن الباحثة تقترح إطاراً تعطي من خلاله فرصة لتطوير النظام السائد للارتقاء بمستوى القيادات وتحسين نوعية مخرجاتها والعمل لدفع مسيرة التنمية في التربية والتعليم مما ينعكس إيجابا على مستوى أبنائنا وبناتنا الطلبة والطالبات .

إطار مقترح لتطوير نظام اختيار وتدريب القيادات الإدارية التربوية بمؤسسات التربية والتعليم في قطاع غزة في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية

الخطوات العامة لبناء مقترح تطوير اختيار وتدريب القيادات التربوية في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية

الخطوة الأولى : وصف الوضع الراهن وتحديد الاتجاهات العامة في اختيار وتدريب القيادات التربوية في وزارة التربية والتعليم

وتشتمل هذه الخطوة استعراض واقع اختيار وتدريب القيادات التربوية في وزارة التربية والتعليم من خلال بيان نقاط القوة والضعف في هذا النظام، وكذلك تحديد الاتجاهات العامة، ويتضح ذلك فيما يلي:

1- التركيز على جوانب القوة في اختيار وتدريب القيادات التربوية في وزارة التربية والتعليم مثل:

أ- رفع المستوى القيادي والمهني والمهاري للقيادات التربوية بإشراكهم في برامج تطوير وتنمية القيادات التنفيذية والإشرافية بالوزارة .

ب- الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتحسين أداء القيادات التربوية في المناطق التعليمية التابعة للوزارة.

ج- الاستفادة من الإمكانيات المتاحة والتي توفرها إدارة تنمية الموارد البشرية في تطوير أداء القيادات من خلال البرامج المطروحة.

د- إنشاء مراكز للتدريب أثناء الخدمة على مستوى المناطق التعليمية تقدم برامج للقيادات .

هـ - إكساب القيادات مهارات جديدة وخبرات تساعد في العمل؛ مما يسهم في تطوير الأداء.

و- إكساب القيادات معلومات جديدة تساعد على تحسين الأداء الوظيفي.

ز- صقل خبرات القيادات والتدريب على العمل الإلكتروني، والاطلاع على الأساليب الحديثة في العمل.

ح- اكتساب المهارات في مجال الإدارة وتطويرها.

ط- إيجاد بعض النظم الجيدة في نظام الاختيار مثل المؤهل الوظيفي والدورات التدريبية.

ي- زيادة التعارف وتعميق العلاقات بين القيادات التربوية في الإدارات المختلفة.

ك- الإلمام بمعرفة اللوائح والقوانين الجديدة في الوزارة.

2- تجنب جوانب الضعف في اختيار وتدريب القيادات التربوية في وزارة التربية والتعليم مثل :

أ- استخدام الأقدمية والخبرة وأسلوب المقابلة كأساس في الاختيار والتعيين.

ب- قصور الأسس والمعايير المستخدمة للترقي للوظائف القيادية.

ج- محدودية البرامج التدريبية التي يخضع لها القائد التربوي.

هـ- ضعف القدرة على تحديد الاحتياجات التدريبية الفعلية للقيادات التربوية وتطويرها.

و- قلة الفترات المحددة للبرامج التدريبية المحددة لتطوير القيادات التربوية.

ز- قصور البرامج التدريبية المتخصصة المقدمة للقيادات التربوية.

ح- قلة مشاركة المتدرب في اختيار موضوعات التدريب.

ط- ضعف المعايير المستخدمة لاختيار القيادات التربوية، وقلة تبني معايير حديثة لاختيار هذه القيادات.

ي- ضعف الربط بين محتوى التدريب وترجمته في الميدان التربوي.

ك- يندر تقييم العائد من التدريب بعد اجتياز البرنامج لمعرفة أثر التدريب على المتدربين.

ل- ضعف الربط بين الدورات التدريبية السابقة والمستجدات الحديثة في الدورات المكملة أو الدورة التنشيطية للدورات السابقة.

م- ندرة تطبيق الاختبار القبلي أو التقييم أثناء الدورة التدريبية لتعديلها وتطويرها.

ن- يندر وجود معايير واضحة لترشيح القيادات لحضور الدورات التدريبية، حيث يكون الاختبار عشوائياً.

س- يندر توفير وسائل مواصلات .

ع- الاعتماد على الجانب النظري في التدريب، وغياب الجانب التطبيقي مثل ورش العمل.

ف-ضعف الاستفادة من الخبرات الميدانية الموجودة في الميدان والمؤهلة لإعداد البرامج وتنفيذها.

ص- ندرة وجود حوافز مادية عند اجتياز الدورات التدريبية.

3- تحديد الاتجاهات العامة في اختيار وتدريب القيادات التربوية

يمكن تحديد بعض الاتجاهات العامة والتي تشير إلى إرهاصات التغيير في اختيار وتدريب القيادات في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية كما يلي:

أ- اعتماد عملية الاختيار والتدريب على أنشطة وعمليات منظمة لتحقيق التحسن المستمر في المهارات والكفايات والمعلومات التي يتلقاها القائد التربوي في ضوء الإدارة الإستراتيجية.

ب- اعتبار أن عملية التدريب تدور حول إحداث تغيرات في اتجاهات وسلوك القائد التربوي، وإكسابه مهارات جديدة.

ج- إحداث التغيير والمشاركة في تنفيذ التدريب على كافة المستويات الإدارية داخل المنظمة التعليمية.

د- الاهتمام باختيار القيادات المتصفة بقدرات مناسبة لطبيعة العمل المطلوب منهم لأدائه، وأن يكونوا على استعداد لقبول التغيير المراد تنفيذه، وأن يتصفوا بالمرونة والتجديد.

هـ- الاعتماد على الأساليب الحديثة في الاختيار مثل فترات الاختيار والمؤهلات الوظيفية والمقابلات الشخصية والاختيار المباشر والتقييم المباشر.

و- استخدام الأساليب الحديثة في التدريب داخل المنظمة مثل تعليمات العمل والتدريب بالمرافقة، وتبادل الأعمال ، وغيرها من الأساليب التي تساعد القائد التربوي على أداء مهام عملية بأسلوب حديث ومطور، وينمي نفسه مهنيًا أثناء الخدمة.

ز- استخدام الأساليب الحديثة في التدريب خارج المنظمة مثل أسلوب المهام الفردية، والعصف الذهني، والندوات، وحالات البحث والحالات العملية، وتمثيل الأدوار، وأسلوب تدريب الحساسية والمباريات، والمسار الحرج وغيرها من الأساليب التي تطور من أداء القيادات التربوية، وتزيد من فعاليتهم لتطبيق الإدارة الإستراتيجية.

ح- تحديد مدى زمني مناسب للبرامج التدريبية مع مراعاة أن تكون مستمرة طوال فترة عمل القائد التربوي لتحقيق النمو المهني المستمر له.

ط- وضع التدريب كنشاط مؤثر ضمن إستراتيجية متكاملة لإعداد وتنمية مهارات وقدرات ومعارف القائد التربوي في مختلف مجالات ومستويات الإدارة المختلفة.

ي- دعم أثر التدريب من خلال الحوافز، وتعديل الرواتب، ونظم تيسير التنمية الذاتية.

الخطوة الثانية : فهم ديناميكية القوى المحركة والمؤثرة على نظام اختيار وتدريب القيادات.

الغرض من هذه الخطوة الكشف عن القوى المحركة في النسق أو المجتمع وتحليل العلاقات والتشابكات، بما يساعد على فهم ديناميكية النسق، ومن ثم استعمال هذا الفهم في تحريك النسق في اتجاه أو آخر بتحريك العناصر ذات التأثير الأكبر على غيرها، أو بالنظر في كيفية الاستفادة من هذه العناصر المؤثرة إذا كانت عناصر خارجية لا يملك متخذ القرار التحكم فيها (الحوت، 2003).

1) الهيكل التنظيمي .
2) الصلاحيات الممنوحة للقيادات التربوية.
3) قنوات الاتصال بين القيادات.
4) التحديث التكنولوجي .
5) كفاءة القيادات التربوية .
6) الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة.

أما القوى والعوامل الخارجية فيمكن أن تشتمل على ما يلي:

1) التغيرات المجتمعية والتكنولوجية.
2) وسائل الإعلام .
3) القيادات العليا في الوزارة.
4) مؤسسات المجتمع المحلي.

ويستند الإطار المقترح إلى التحول الكيفي وإحداث نقلة نوعية في إجراءات وممارسات وجوانب الإدارة الإستراتيجية، ودعم الإيجابيات إلى أقصى حد ممكن مع إطلاق العنان لطاقات الإبداع والابتكار الكامنة، ويتضح ذلك من تناول الافتراضات التي يقوم عليها هذا المقترح وتداعياته المحتملة، ومتطلبات تنفيذه بالإضافة إلى المعوقات المتوقعة أمام تنفيذه ، وسبل التغلب عليها.

أ- الافتراضات الأساسية التي يقوم عليها الإطار المقترح

يعتمد هذا الإطار على عدة افتراضات أساسية تقوم على أساس مفهوم لنظام الاختيار والتدريب للقيادات التربوية.

(1) **اختيار القيادات التربوية :**

أ- يتطلب العمل على تطبيق الاتجاهات الحديثة في اختيار القيادات التربوية والاستفادة من البعد المستقبلي لنظام الاختيار في استشراف المستقبل.

ب- تحديد الاتجاهات المؤثرة مثل العولمة والتطوير المعرفي والتقني الحديث على نظام اختيار القيادات التربوية في ضوء مدخل الإدارة الاستراتيجية.

ج- تبني معايير حديثة لاختيار القيادات التربوية مثل المهارات التقنية والتصويرية والابتكارية وغيرها في ضوء المداخل الإدارية الحديثة منها مدخل الإدارة الإستراتيجية.

د- الاعتماد على الأساليب الحديثة في الاختيار مثل الاختبارات المباشرة والتقييم المباشر وغيرها.

هـ- الاستفادة القصوى من الخبرات الميدانية والابتكارية لدى القيادات التربوية في المؤسسات التعليمية لتطوير العمل بها.

و- الاعتماد على الابتكار والتجديد في وضع الاستراتيجيات لتطوير نظام الاختيار، وتنمية وعي القيادات بأهمية الابتكار، والتجديد في العمل القيادي.

ز- ابتكار تنظيمات غير تقليدية مثل الشبكية لاعتمادها على المرونة في العمل، وسهولة تفويض السلطة والعمل بروح الفريق التي تسود المؤسسات .

ح- التوجه نحو اللامركزية إلى أقصى درجة ممكنة بما يحقق جودة الأداء من خلال تبني صيغ الإدارة الإستراتيجية، وتمكين القيادات من اتخاذ القرارات المناسبة في وقت مناسب عند مواجهة المشكلات.

ط- ابتكار أساليب لتنمية المهارات الإدارية والإبداعية لدى القيادي قبل ترقيته لوظائف قيادية أعلى.

(2) تدريب القيادات التربوية :

أ- تحديد الأهداف النظرية والتطبيقية للبرامج التدريبية للقيادات التربوية، وتطبيقاتها للمداخل الإدارية الحديثة ومنها تطبيقات الإدارة الإستراتيجية.

ب- الاعتماد على الأسس الحديثة في التدريب مثل الاستمرارية والشمولية والعرضية والملائمة.

ج- الاعتماد على تخطيط التدريب تخطيطاً إستراتيجياً بأسلوب ابتكاري، والاستفادة من التطوير المعرفي في إعداد البرامج التدريبية.

د- استخدام التكنولوجيا الحديثة في تطوير أساليب التدريب القيادات التربوية وإكساب المعارف والمهارات التي تمكنهم من تطوير العمل انجازه بدقة وموضوعية.

هـ- الاستفادة القصوى لدعم أثر التدريب من خلال تنمية الموارد البشرية وإيجاد قيادات قادرة على التطوير والتجديد.

و- زيادة الاهتمام بالتدريب، وتحديد استراتيجيات متكاملة لإعداد وتنمية القيادات وتزويدهم بالكفايات في مختلف مجالات الإدارة الحديثة بشكل عام والإدارة الاستراتيجية بشكل خاص.

ز- تحديد مسئوليات القيادات التربوية وتطوير أدوارهم لمسايرة التطورات الحديثة ودعم الجوانب الإبداعية والابتكارية لديهم

ح- تبني إعادة الهيكلة في الجوانب التنظيمية للمنطقة التعليمية للوصول إلى أنماط وأساليب أفضل لإدارة المنطقة بأساليب إدارية حديثة مثل الإدارة الإستراتيجية.

ط- الاستفادة القصوى من تطوير أساليب التدريب وتفعيلها لتوصيل المهارات للقائد التربوي.

ي- من المؤكد الاستفادة من نتائج تقييم التدريب لتطوير النظام التدريبي للقيادات التربوية وتحديثه وتطوير الأداء.

ب- التداعيات المحتملة للإطار المقترح :

إن تحقق نقلة نوعية وتغيرات جوهرية من خلال إعادة هيكلة السياسات والإجراءات لنظام اختيار وتدريب القيادات التربوية سوف يؤدي إلى حدوث بعض التداعيات المحتملة على النحو التالي:

1- سوف يؤدي تطبيق الإطار المقترح إلى تصاعد دور التكنولوجيا المعلوماتية في مساعدة القائد التربوي لمواجهة التحديدات المحيطة به بكفاءة وفاعلية.

2- من المحتمل أن يؤدي تنفيذ هذا الإطار إلى ازدهار الشراكة المجتمعية بين المؤسسات التعليمية والمجتمع المحلي ودعم الإدارة القائمة على روح الفريق الواحد.

3- من المتوقع تفعيل دور المجتمع المحلي لمساعدة المؤسسات التعليمية على التوافق بينهما وبين البيئة المحيطة بها.

4- سوف يفرض حدوث هذا الإطار ابتكار آليات ووسائل متطورة في نظام الاختيار والتدريب للقائد التربوي.

5- سوف يقوم تنفيذ هذا الإطار إلى تبني مفاهيم ومداخل إدارية حديثة تستطيع مسايرة التغيرات المتلاحقة، والتعامل مع جوانب الاضطراب الناتجة عن التغير السريع.

6- من المتوقع ازدياد الحاجة لتطوير الثقافة التنظيمية لتخفيف مقاومة التغير والتجديد والابتكار.

ج- مبررات تنفيذ الإطار المقترح :

هناك عدة مبررات تفرض اللجوء لتنفيذ هذا ، وتشمل ما يلي :

7- الحاجة لوجود درجة كبيرة من اللامركزية تتلاءم مع طبيعة الإدارة الاستراتيجية حيث تحتاج إلى قدر كبير من تفويض السلطات من أجل تمكين القيادات التربوية في المناطق التعليمية من التجديد والابتكار في طرق الوسائل للتغلب على المشكلات التي تواجهه.

8- الاتجاه إلى تبني المداخل الإدارية الحديثة القائمة على أساليب فريق العمل والاتجاه نحو التنظيمات القائمة على العمل بروح الفريق الواحد.

9- سوف يتطلب تطبيق هذا الإطار الاستغلال الأمثل لجميع الجوانب والتجديدات التكنولوجية خاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات من أجل مواجهه التغيرات المتسارعة.

10- الشعور بأهمية الوعي الكافي لدى القيادات التربوية بأهمية استخدام الإدارة الاستراتيجية في العمل.

11- تنامي الاهتمام بالتدريب المستمر، والتنمية المستدامة للقيادات التربوية من أجل استيعاب المفاهيم والمداخل الإدارية الحديثة، وذلك مع التركيز على الجوانب المهارية والإبداعية في التدريب.

12- ازدياد الحاجة لدعم المناخ التنظيمي، ودعم الإبداع وحرية التعبير، وتنامي المناخ الإيجابي الذي يساعد على تخفيف ضغوط العمل.

13- وجود حاجة ملحة إلى تطوير السياسات التي تضعها الإدارة العليا وتحديث التشريعات الإدارية لمسايرة التغيرات الحديثة.

وفي ضوء الفجوة التي يمكن إدراكها بين ما ينبغي أن يكون في اختيار وتدريب القيادات التربوية ، وبين ماهو كائن في الوضع الراهن ، فان الباحثة ترى من الضرورة الوقوف على دواعي اختيار هذا الإطار، ووصف افتراضاته التي تقوم عليها، ومتطلبات تنفيذه، والمعوقات المتوقعة أمام تنفيذه وسبل التغلب عليها.

أ- دواعي اختيار هذا الإطار:

هناك عدة دواعي يرتكز عليها اختيار الإطار المقترح لتطوير اختيار وتدريب القيادات التربوية في المؤسسات التعليمية، حيث يشمل تلك الدواعي مايلي:

14- واقعية الإطار وإمكانية تنفيذه من خلال التركيز على جوانب الإبداع والابتكار وقدرته على ابتكار اختيارات وبدائل جديدة والكشف عن المسارات المستقبلية لتحقيق هذه البدائل.

15- وجود فجوة بين الوضع الراهن في اختيار وتدريب القيادات التربوية وبين الصورة المستقبلية المرغوبة التي يجب أن تكون عليها هذا الوضع، حيث أنه على الرغم من وجود محاولات لتطوير اختيار وتدريب القيادات التربوية إلا أنها لم تستطيع الوفاء بتحقيق التطوير المنشود في هذا المجال.

16- وجود قصور في اختيار القيادات التربوية في المؤسسات التعليمية من خلال المعايير والأسس المحددة لاختيار وتدريب القيادات التربوية في الوزارة.

17- وجود قصور في تدريب القيادات التربوية في المؤسسات التعليمية من حيث تحديد الاحتياجات التربوية للقيادات التربوية والبرامج التدريبية المخصصة للقيادات التربوية وأساليب تقييم القيادات التربوية.

18- اهتمام القيادات العليا بالوزارة بتطوير القيادات التربوية في المؤسسات التعليمية لمواجهة التغيرات المفاجئة وتحديد المخاطر واستغلال الفرص التي يفرضها المستقبل بتغيراته.

19- الاهتمام بالاتجاهات المستقبلية وتبني المدخل الإدارية الحديثة وبخاصة الإدارة الإستراتيجية بدلا من النظم التقليدية الجامدة.

ج- **متطلبات تنفيذ هذا الإطار:**

هناك عدة متطلبات ضرورية لتنفيذ هذا الإطار ومنها:

20- تبني مداخل إدارية حديثة في الإدارة وبخاصة مدخل الإدارة الإستراتيجية من اجل تحقيق الكفاءة والفعالية في العمل الإداري.

21- تشجيع القيادات التربوية وتحفيزها على الاطلاع والتعلم الذاتي المستمر وربطها بالترقية.

22- تشجيع الابتكار والتجديد القائم على خلق البدائل المستقبلية واستغلال الفرص المتاحة التي يفرضها المستقبل وهذا يتطلب اكتساب المهارات الإدارية من خلال الخبرات المتبادلة والبرامج التدريبية.

23- إعادة صياغة الأسس والمعايير الخاصة باختيار القيادات والأخذ في الاعتبار التطورات الحديثة في نظم الاختيار العالمية للقيادات التربوية.

24- التنمية المهنية المستدامة للقيادات التربوية من اجل دعم المهارات القيادية لديهم.

25- إعادة هيكلة نظم اختيار وترقية القيادات التربوية في المؤسسات التعليمية والوزارة بما يتناسب مع المعايير العالمية في الاختيار.

26- تحديث القواعد واللوائح الإدارية المرتبطة باختيار وتدريب القيادات التربوية حتى يمكنها مسايرة التطورات المحيطة بالمؤسسات التعليمية .

27- ابتكار مصادر جديدة للتمويل وتوفير الموارد اللازمة لتطوير تدريب القيادات التربوية ويحتاج ذلك إلى تشجيع مؤسسات المجتمع المحلي لدعم عملية التدريب في الوزارة.

28- تنمية الوعي لدي القيادات التربوية بأهمية التدريب للقائد التربوي.

د- المعوقات المتوقعة أمام تنفيذ هذا الإطار وسبل التغلب عليها :

يوجد عدد من المعوقات المحتملة أمام تنفيذ هذا الإطار، حيث تشمل هذه المعوقات ما يلي :

29- مقاومة التجديد والتطوير بتبرير الاستقرار ، وخوفًا من التغيير.

30- جمود اللوائح والقوانين والتشريعات وعدم مسايرتها للتطويرات المتسارعة.

31- وجود نظم التدريب وعدم تطويرها لمسايرة التطورات التكنولوجية الحديثة التي يمكن الاستفادة منها في التعامل السريع مع المشكلات التي تواجهه.

32- عدم ابتكار وسائل وآليات جديدة لتمويل التدريب من أجل توفير الإمكانيات المادية اللازمة لتطوير تدريب القيادات التربوية.

33- الاستمرار في الاعتماد على نمط التنظيم الهرمي القائم على المركزية المفرطة.

34- استمرار الصراع بين الأطراف المؤثرة والمتأثرة بحدوث التجديد والتطوير؛ مما يعرقل تنفيذ أية تجديدات ابتكارية.

35- عدم تفعيل قنوات الاتصال داخل وخارج المنطقة التعليمية ، والاعتماد على نمط الاتصال الإلزامي التصاعدي والهابط.

ويمكن التغلب على المعوقات المتوقعة أمام تنفيذ هذا الإطار من خلال بعض المقترحات التنفيذية التالية :

36- تطوير القوانين واللوائح الخاصة بالقيادات التربوية والصلاحيات الممنوحة لها من أجل تحديد الأدوار وتوزيع الاختصاصات.

37- تبني الآليات الإدارية الحديثة القائمة على أسلوب الفريق من أجل دعم العمل الجماعي.

38- نشر الوعي ودعم الثقافة التنظيمية الإيجابية التي تشجع على التجديد والابتكار من أجل تطوير نظام اختيار القيادات التربوية.

39- تبني الأساليب الحديثة في التدريب وتطوير البرامج التدريبية للقيادات التربوية.

40- التنمية المهنية المستمرة لتنمية مهارات الإبداع والابتكار لدى القيادات التربوية حتى يمكنها تبني مداخل إدارية حديثة مثل الإدارة الإستراتيجية.

المراجع:

1) أبو جيل، مطيع موسى(2005)، الأنماط القيادية التربوية السائدة في مدارس مرحلة التعليم الأساسي العليا الحكومية في محافظة غزة وانعكاساتها على أداء المعلمين، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة.

2) أبو ناعم ، عبد الحميد (2000) ،"المشاكل التي تحد من تطبيق الإدارة الإستراتيجية في المنظمات العامة بدولة الإمارات العربية المتحدة "، معهد التنمية الإدارية ، ص ص47-51 .

3) الأشقر، ياسر حسن (*2003*)، دور إدارة المدرسة الثانوية في تنمية المجتمع المحلي، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.

4) بدوي، احمد زكي (1994)، معجم مصطلحات العلوم الإدارية، ط3، القاهرة، دار الكتب المصري، ص359.

5) البرعي، محمد بن عبد الله والتويجري، محمد بن إبراهيم(1993) ، معجم المصطلحات الإدارية، الرياض: مكتبة العبيكان، ص336.

6) البهواش، السيد عبد العزيز(1994) ، "اختيار وتدريب قيادات مدرسة التعليم الأساسي في مصر بين الواقع والمأمول في عالم متغير" ، بحث مقدم إلى مؤتمر إدارة التعليم في الوطن العربي في عالم متغير، المنعقد في الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية في 22-24 يناير 1994، القاهرة، ص135.

7) جمعة ، بدرية أحمد (2002) ،"إدارة الوظيفة العامة في المنظمات الحكومية مع التطبيق على وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات"، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم العلوم الإدارية ، المعهد القومي للإدارة العليا ، أكاديمية السادات ،القاهرة.

8) الحسنات، صبحيه سليمان (*2003*)، دور الإدارة المدرسية في تحسين مخرجات التعليم الثانوي العام بمحافظات غزة. رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة الأقصى، غزة.

9) الحسيني ، فلاح حسن (2000) ، الإدارة الإستراتيجية مفاهيمها :مداخلها عملياتها المعاصرة ، ط1 ، عمان : دار وائل للنشر، ص25.

10) الحوت، محمد صبري (2003)، "فنيات التخطيط الإجرائي للتجديد التربوي"، ورقة مقدمة لورشة العمل الإقليمي في مجال التجديد التربوي المنعقدة بالقاهرة في الفترة من 2-5 ديسمبر، ص17.

11) الدعيج، عبد العزيز دعيج (1994) ،"دراسة تقويمية للوظائف القيادية لإدارة المناطق التعليمية في دولة الكويت،المجلة التربوية، مجلس النشر العلمي ، العدد33، المجلد9، ص ص45-73.

12) زاهر، ضياء الدين (2004)، الدراسات المستقبلية :مفاهيم وأساليب وتطبيقات ،(القاهرة: المركز العربي للتعليم والتنمية)، ص11.

13) صادق ، حصة محمد (1990)، "تطوير نظام تدريب القيادات التربوية في وزارة التربية والتعليم بدولة قطر"، رسالة دكتوراه غير منشورة ،مقدمة إلى قسم التربية المقارنة والإدارة التعليمية ،كلية التربية ، جامعة عين شمس، القاهرة.

14) عبد الحميد أبو ناعم ،"تقييم الإستراتيجيات المطبقة بالوزارات الاتحادية "، معهد التنمية الإدارية، 2000، ص ص37-41.

15) عبد الخالق، فؤاد محمد عبد الخالق (1996)،" واقع الممارسات والمهارات الإدارية للقيادات التربوية في الإدارة التعليمية في مصر"، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى قسم أصول التربية ،كلية البنات، جامعة عين شمس.

16) عبد النبي، سعاد بسيوني (1998) ، "تطوير نظام تدريب القادة التربويين بجمهورية مصر العربية" ، وزارة التربية والتعليم / البنك الدولي ،القاهرة، ص2.

17) عبود، عبد العليم (1998) ،" إستراتيجية مقترحة للتغلب على معوقات نقل أثر التدريب إلى الواقع العملي"، دراسة مقدمة لندوة نقل أثر التدريب إلى الواقع العملي، (دبي : معهد التنمية الإدارية) .

18) العيسوي، إبراهيم (1998) ،" السيناريوهات: بحث في مفهوم السيناريوهات وطرق بنائها في مشروع مصر 2020"، العدد(1)، منتدى العالم الثالث، مكتبة الشرق الأوسط.

19) العيلة، معين (2008)، واقع عملية التوظيف المعمول بها في وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطيني بمحافظات قطاع غزة ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية بغزة.

20) الفرا، ماجد محمد و الزعنون، محمد منصور (2008) ، واقع سياسات الاختيار والتعيين في الوظائف الإدارية في وزارات السلطة الوطنية الفلسطينية في قطاع غزة ، مجلة الجامعة الإسلامية ، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، ص ص*693 - 743* ، يونيه*2008* .

21) فليه، فاروق عبده والزكي، احمد عبد الفتاح (2004) ، معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا،(الإسكندرية:دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر)، ص172.

22) المرسي ، جمال الدين محمد وإدريس، ثابت عبد الرحمن (2003) ،الإدارة الإستراتيجية مفاهيم ونماذج تطبيقية، الإسكندرية:الدار الجامعية، ص ص 391-395.

23) المهدي، بن عيسى محمد(2004) ، بحث بعنوان " العنصر البشري من منطلق اليد العاملة إلى منطلق الرأسمالي الاستراتيجي"، مقدم إلى الملتقى الدولي حول التنمية البشرية وفرص الاندماج في اقتصاد المعرفة والكفاءات البشرية، كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية جامعة ورقلة، ص : 71.

24) Mecca ,Thomas And Morrison Jamesl ,"Pathways to The Future :Linking Environmental Scanning to strategic management ", northCarolino :Piedmont technical coll ,Greenwood,2003.

25) Arbor Gate Group, "Challenge:2000,Strategic Implementation of Georgica's Postsecondary Vocationa Education System",Georgia State Deptof Technical and Adult Education, Atlanta ,2000.

26) Dean Sppitzer , "Twenty ways to Motivate Trainers ", Training and Development Journal , vol.32, No.12, 1995.

27) Swigert and Kollke , Training Evaluation and Measurement Methods" , Personal Psychology , vol.49 ,no.4, 1993.

تاريخ الاستلام: 2016/01/05- تاريخ التحكيم: 2016/04/08 - تاريخ النشر2016/06/28

دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي والمعيقات التي تحول دون انخراطهم فيها من وجهة نظرهم

د. إبراهيم المصري

جامعة الخليل – فلسطين

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Abstract

This study aims to recognize the role of the Palestinian university student in developing the local community through voluntary work and the obstacles that impede their involvement due to their views. The participants of the sample were 115 males and females. To achieve the objects of the study. The researcher conducted a questionnaire which measured the Palestinian youth developing the local community through voluntary work

The study concludes

1. There is a medium degree in the role of the university students in developing the local community through voluntary work. The mathematical means was (3.53) with a standard deviation (0.52).
2. The degree of the obstacles that impede the student's involvement in voluntary work was of a medium degree .the mathematical mean was (3.31) and with a standard deviation (0.41
3. There is not statistical differences at the level (0.05>a) among the student role in developing the local community through voluntary work in a accordance to the students themselves and to the gender variable and the major variable
5. There is not statistical differences at the level (0.05>a) among the obstacles that impede their voluntary involvement due to the gender variables and the major variables .

Recommendation

1. To encourage university students to take part in voluntary activities through designing required-course project for community services
2. To value the voluntary work in the society in order to conserve it's important to the community

ملخص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة التعرف على دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي والمعيقات التي تحول دون انخراطهم فيها من وجهة نظرهم، تكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة جامعة القدس المفتوحة – منطقة دورا التعليمية نموذجا، حيث بلغة عينة الدراسة (115) طالب وطالبة،وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

– أن دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم جاء بدرجة متوسطة، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذه الدرجة (3.53) مع انحراف معياري (0.52).

– أن درجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم جاء بدرجة متوسطة، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذه الدرجة (3.31) مع انحراف معياري (0.41).

– لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05≥ (α) في متوسطات دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تعزى لمتغير (الجنس و التخصص).

– لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى 0.05≥ (α) في متوسطات درجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تعزى لمتغير(الجنس و التخصص).

وقد أوصت الدراسة بما يلي:

– توعية الشباب الجامعي بأهمية المشاركة في العمل التطوعي من خلال البحث عن المؤسسات التي تقدم خدمات العمل التطوعي.

– احترام معنى العمل التطوعي من المجتمع للحفاظ على معنى وأهمية وثقافة العمل التطوعي.

المقدمة :

نتيجة للظروف والمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها المجتمعات الإنسانية خلال مراجل تطورها فإنها أفرزت مشاكل اجتماعية كبيرة مثل الجهل، والأمية، والفقر ،والتخلف الصحي والفكري والثقافي وما شابه ذلك. وعادة ما تكون هذه المشاكل إما ناتجة عن قصور وعجز في موارد المجتمع أو غياب في الرؤى واللاوعي للتصدي لهذه المشاكل، فكانت الحاجة ملحة إلى انبثاق الجهود التطوعية لتلعب دوراً أساسياً للتخفيف من هذه المشاكل وتسهم في حلها. ففي السابق كان هناك بعض الجهود الفردية والمبادرات الشخصية التي تسعى لعلاج بعض ما يتعرض له المجتمع من باب (الغيرة والشيمة والنخوة الأخوية) ومن جانب آخر الالتزام الديني والأخلاقي الذي يدعو لمساعدة المحتاج، ونصرة الضعيف، ومواساة الأخ لأخيه حفاظاً على حميمة المجتمع، وبالتدريج بدأت تتحول هذه المبادرات إلى جهود منظمة عن طريق شلل وصداقات، أو مجموعات تشكل نفسها تحت

إطار لجنة أو هيئة أو مجلس أو ديوانية، ثم تطورت شيئاً فشيئاً وأصبحت تمارس دورها في ظل جمعية ومؤسسة ومنظمة و... إلخ، المهم أنها تصب كافة جهودها وتخدم المجتمع تحت عنوان العمل التطوعي.

وتتحدث الثقافات الإنسانية على اختلاف أنوعها، على اعتبار أن التطوع لخدمة الآخرين هو جزء من منظومة القيم المطلقة، التي تعايشت معها هذه الثقافات في مجال الخير، ولا شك أن هناك العديد من الاعتبارات الثقافية التي تقدم المتطوع على غيره، لارتباط ذلك بمفهوم العطاء، وهو أبرز مفاهيم الخير الإنساني.(خطيب، عبد الله، 1999)

يعتبر العمل التطوعي دافع أساسي من دوافع التنمية بمفهومها الشامل اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً، ودليل ساطع على حيوية المجتمع واستعداد أفراده للتفاني والتضحية" وهو أيضاً "نوع من الاختبار الحر للعمل، وقناعة لمشاركة الأفراد طواعية في العمل من واقع الشعور بالمسؤولية.(رحال، 2006) ومع تزايد الاهتمام بالعمل التطوعي نمت المؤسسات التطوعية، وتضاعفت التوعية بأهمية التطوع وبدوره في تقدم المجتمع، وأصبح العمل التطوعي في عصرنا ركيزة أساسية في تطور المجتمعات وتنميتها. وفي هذا السياق تولى الدول المتقدمة أهمية بالغة للعمل التطوعي. وتساهم بعض الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع في تقليص مشاركة الشباب في العمل التطوعي، كالتقليل من أهميتهم الاجتماعية ومن دورهم في بناء المجتمع، وكذلك ضعف وعي الشباب بمفهوم وفوائد العمل التطوعي،(ياسين، 2002).

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يعتبر العمل التطوعي وسيلة من وسائل النهوض في المجتمعات،وهو بهذا المعنى أداة من أدوات التنمية،وهو شكل من أشكال المشاركة على اختلافها،لذلك جاءت هذه الدراسة لتكشف عن دور الشباب في ممارسة العمل التطوعي, وماهية الأعمال التطوعية التي يرغبون في ممارستها, وكذلك تحديد المعوقات التي تحول دون التحاق الشباب بالأعمال التطوعية. ومن هنا تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات التالية:

ما دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم؟

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تعزى لمتغيرات(الجنس، والتخصص)؟

ما درجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم؟

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تعزى لمتغيرات(الجنس، والتخصص)؟

أهداف الدراسة:تسعى الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف منها:

-التعرف على مدى ممارسة الشباب الفلسطيني للعمل التطوعي.

-التعرف على مدى ممارسة الشباب الفلسطيني للعمل التطوعي.

-معرفة أهم الأعمال التطوعية التي يرغب الشباب الفلسطيني في الانخراط بها.

-تحديد الفوائد التي يتوقعها الشباب الفلسطيني جراء مشاركتهم في الأعمال التطوعية.

-كشف أهم المعوقات والصعوبات التي تحول دون التحاق الشباب الجامعي بالأعمال التطوعية.

أهمية الدراسة:

إن للعمل التطوعي أهمية كبيرة حيث تمتد إلى مجالات متسعة من مجالات التنمية وخدمة أبناء المجتمع ،حيث يلعب العمل التطوعي، دورًا مهمًا،في التنمية المجتمعية،وهو بهذا المعنى يحظى بأهمية خاصة،وذلك لدوره إلى جانب ما يعنيه من قيم وروابط اجتماعية إيجابية.وتكمن أهميته ودوره ليس على صعيد الفرد فحسب وإنما على مستوى المجتمع ككل وما يعنيه من رفع للمستوى

الاقتصادي والاجتماعي،وتحسين الأحوال المعيشية للفئات المحرومة،ومحافظته على القيم الإنسانية،وبالتالي فهو تجسيدًا لمبدأ التكافل الاجتماعي،واستثمارًا حقيقيًا لأوقات الفراغ، وتبرز أهمية الدراسة في الجوانب التالية:

أهمية العمل التطوعي للمجتمع وأهمية إشراك الشباب في تطوير مجتمعاتهم.

تسليط الضوء على واقع العمل التطوعي في فلسطين وعلى الآليات والمقترحات التي من شأنها أن تعزز وتطور العمل التطوعي في فلسطين.

الكشف عن عقبات والعراقيل التي تحول دون المشاركة الفاعلة في الأعمال التطوعية،وما يولده من مؤثرات تضر بفئات المجتمع.

من خلال نتائج هذه الدراسة يمن للمؤسسات المعنية بالتعرف على المعيقات التي تحول دون إشراك الشباب في العمل التطوعي.

مصطلحات الدراسة :

العمل التطوعي: العمل أو الجهد الذي يبذل عن رغبة واختيار بغرض أداء واجب اجتماعي دون توقع جزاء مالي" (فهمي وآخرون،1984).

كما عرف بأنه" الجهد الإرادي الذي يقوم به فرد أو جماعة من الناس طواعية و اختيارا؛ لتقديم خدما تهم للمجتمع أو لفئات منه، دون توقع لجزء مادي مقابل جهودهم، سواء أكانت هذه الجهود مبذولة بالنفس أو بالمال. (حسنين، 1995)

أما إجرائيا فقصد الباحثان به : الجهد الذي يبذله الطالب الجامعي في أي من المجالات الاجتماعية أو الخيرية دون تقاضيه لأي مردود مالي أو عيني أو غير ذلك.

الشباب : يقصد بها الذكور والإناث التي تتراوح أعمارهم بين 18 – 35عاما وفق تعريف مشروع قانون رعاية الشباب الذي وضعته وزارة الشباب والرياضة الفلسطينية.(فراس محمود، 2006).

الشباب الجامعي : هم الطلبة الذين يدرسون في الجامعات الفلسطينية، بعد تخرجهم من المرحلة الثانوية بنجاح.

معوقات العمل التطوعي:

تواجه برامج العمل التطوعي في فلسطين والعالم العربي العديد من الصعوبات والعقبات التي تحد من توسعها وانتشارها، كما تؤدي هذه المعوقات إلى تقليص أعداد المؤسسات التطوعية وعدد الملتحقين بمؤسسات العمل التطوعي.

ويمكن تحديد أهم هذه المعوقات في الأبعاد التالية :

(1) البعد الثقافي الاجتماعي :

يعد البعد الثقافي ألقيمي عاملاً مؤثراً في العمل التطوعي، لما للمنظومة الثقافية والقيمية من تأثير على الدوافع والأسباب التي يحملها الأفراد. ورغم كون الثقافة الإسلامية تحمل في طياتها الكثير من القيم المحفزة على فعل الخير والتشجيع على ممارسة أعمال التطوع، إلا أن ثقافة التطوع في المجتمع العربي المعاصر مازالت تتسم بدرجة متدنية من الفاعلية، وتعاني من إشكاليات أساسية تتمثل في جمود الخطاب الفكري وتقليديته في ميدان التطوع، ولا تزال الفجوة قائمة بين النظرية والتطبيق. (القعيد, 1417هـ).

وتساهم بعض الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع في تقليص مشاركة الشباب في العمل التطوعي، كالتقليل من أهميتهم الاجتماعية ومن دورهم في بناء المجتمع، وكذلك ضعف وعي الشباب بمفهوم وفوائد العمل التطوعي.كما أن هنالك أسباباً تتحمل مسئوليتها المؤسسات الحكومية والأهلية، تتمثل في قلة التعريف بالبرامج والنشاطات التطوعية أو عدم السماح للشباب بالمشاركة في صنع القرار داخل المؤسسة وقلة تشجيع ودعم العمل التطوعي (ياسين,2002م).

(2) البعد التنظيمي القانوني :

تشكل الأبعاد التنظيمية والقانونية إحدى العقبات الرئيسة في مجال تطوير العمل التطوعي، ذلك أن عدم توفر التشريعات والتنظيمات والأنظمة واللوائح التي توفر الإطار القانوني لعمل المنظمات التطوعية، ومجال عملها وطرق إشهارها, يجعل من تأسيس

المنظمات التطوعية أمرا بالغ الصعوبة. ورغم أن الوعي بالعمل التطوعي وأهميته للفرد والمجتمع آخذ في التنامي, إلا أن التنظيمات واللوائح لا تتواكب مع الحاجات الفعلية لتطوير العمل بالصورة المناسبة. وتعاني برامج التطوع من قلة التنسيق والتكامل بين المؤسسات العاملة في مجال التطوع من ناحية, وانخفاض مستوى التعاون بين تلك الجهات والقطاعات الرسمية من ناحية أخرى. إن تفعيل الأطر التنظيمية للعمل التطوعي، وتسهيل إجراءاته، يمثل إحدى الركائز الأساسية لتطوير العمل التطوعي وتشجيع ممارساته, مما يتطلب تسهيل إجراءاته الإدارية، والتخفيف من القيود البيروقراطية الحالية .ويشكل عدم توفر منظمات ومؤسسات تطوعية لدعم برامج التطوع وتقديم التسهيلات اللازمة لها إحدى العقبات المحورية في تطوير برامج التطوع المجتمعي،. وتعاني المنظمات التطوعية من نقص الكفايات الإدارية المتميزة, ومن غياب التخطيط المسبق الذي يساهم في جلب الكفايات وفي تدريب المتطوعين في مجالات العمل التطوعي، وفي تطويع التقنية لتطوير مستوي الاتصال الإداري والمجتمعي ووضع البرامج المستقبلية. كما تعاني المؤسسات العاملة في مجال التطوع من عدم تحديد معايير مقننة لأداء العمل التطوعي, وما يصاحب ذلك من ضعف في تصميم الوظائف التطوعية, وتحديد الواجبات التي يتوقع أن يقوم بها المتطوع, والوقت اللازم لعمل المتطوع, إضافة إلى عدم توفر برامج التدريب للمتطوعين حسب مجال تطوعهم وبما يتوافق مع خبراتهم وميولهم (يعقوب, والسلمي, 2005م).

الدراسات السابقة:

دراسة (بن عفيف ، 2008) العمل التطوعي في المجتمع المدني دراسة لدور المرأة التطوعي في محافظة جدة بالمملكة العربية السعودية، هدفت هذه الدراسة تناول العمل التطوعي النسائي في المجتمع المدني السعودي من خلال تتبع تاريخ العمل التطوعي والتحولات التي مر بها إلى المرحلة الحالية ، وطبيعة تأثير العمل التطوعي في وضع ومكانة المرأة السعودية، وعوائق العمل التطوعي لدى المرأة السعودية والمقترحات التي تساهم في تحسين العمل التطوعي، وبلغت عينة الدراسة 377 متطوعة توزعن على 98 مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني بمحافظة جدة. من أهم نتائج الدراسة أنها تتبعت تاريخ العمل التطوعي في المجتمع السعودي والتحولات التي مر بها إلى المرحلة الحالية مع التركيز على محافظة جدة. وتم عرض الخصائص العامة لمفردات العينة (العمر والحالة الاجتماعية والتعليمية والمهنية والاقتصادية ومكان النشأة) وقد تبين أن المتطوعات رأس مال اجتماعي من خلال قياس شبكتين اجتماعيتين ، كما بينت النتائج أن العمل التطوعي أكسب المتطوعات مهارات وخبرات جديدة ورفع من وضع ومكانة المرأة السعودية .

دراسة (المحاميد، 2001م) حول دوافع السلوك التطوعي النسوي المنظم في الأردن وعلاقته ببعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، هدفت الدراسة معرفة طبيعة السلوك التطوعي النسوي المنظم في الأردن. وتناولت الدراسة مفهوم منظمات المجتمع المدني، وجهود بعض المؤسسات في تشجيع المرأة على التطوع. وطبق الباحث الدراسة على عينة عشوائية من الجمعيات الخيرية النسوية بلغ عددها (28) جمعية تمثل (26%) من مجتمع الدراسة البالغ (1.9) جمعية، وتم اختيار عينة من النساء المتطوعات من عضوات الهيئات الإدارية للجمعيات التي وقع عليها الاختيار العشوائي، والبالغ عددهن (168) عضوه. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها :

1. إن النساء الصغيرات العمر أكثر إقبالاً على التطوع من النساء الكبيرات.
2. إن النساء المتزوجات أكثر إقبالاً من النساء العازبات والمطلقات والأرامل.
3. إن النساء اللواتي يعشن في الأسرة النواة أكثر تطوعاً من النساء اللواتي يعشن في الأسرة الممتدة.
4. إن النساء القاطنات في محافظة العاصمة أكثر تطوعاً من النساء القاطنات في المحافظات الأخرى.
5. إن النساء غير المتقاعدات أكثر تطوعاً من النساء المتقاعدات.

– دراسة (الباز، 2000م) بدراسة ميدانية حول الشباب والعمل التطوعي في المرحلة الجامعية وقد اقتصرت الدراسة على تناول عدد من القضايا المتصلة بالشباب والعمل التطوعي في المملكة العربية السعودية،. وقد استخدم الباحث المسح الاجتماعي لعينة من طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بلغ عددها (163) مبحوثاً. وقد أظهرت الدراسة النتائج التالية:

إن غالبية الشباب المبحوثين ليست لهم مشاركة في العمل التطوعي، رغم رغبتهم في المشاركة التطوعية وخدمة المجتمع.

تبنت الدراسة نظرية التبادل الاجتماعي في تفسير العلاقة بين رغبة الشباب في المشاركة في العمل التطوعي، وعدد من العوامل المرتبطة بتلك الرغبة.

– دراسة (عبد الحكيم موسى، 1998) بعنوان " دراسة استطلاعية لاتجاهات بعض أفراد المجتمع نحو مفهوم العمل التطوعي ومجالاته من وجهة نظرهم" هدفت هذه الدراسة إلى تحديد اتجاهات أفراد المجتمع نحو مفهوم العمل التطوعي المجاني من وجهة نظرهم، وتحديد مجالات العمل التطوعي المجاني المرغوبة من وجهة نظر أفراد المجتمع، وتحديد بعض الصفات الديموغرافية لأفراد عينة الدراسة المرتبطة باتجاهاتهم نحو العمل التطوعي ومجالاته.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

إن اتجاهات أفراد العينة كانت ايجابية نحو مفهوم العمل التطوعي.

يوجد فروق بين فئات عينة الدراسة في الاتجاهات ومجالات العمل التطوعي.

– دراسة (عبد اللطيف بالطو،1998) بعنوان " دور التعاون التطوعي في دعم العلاقة بين المنزل والمدرسة"،هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم العمل التطوعي، ومفهوم العلاقة بين المنزل والمدرسة، وكيفية دعم التعاون التطوعي لمفهوم العلاقة بين المنزل والمدرسة.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

إن التعاون التطوعي أمر حث عليه الإسلام في القران الكريم وسنة المصطفى (صلى الله عليه وسلم).

أهمية الأب متعاونا متطوعا في عملية تربية الأبناء في المدرسة.

إشراك الآباء في أمور التربية داخل المدرسة وخارجها بنقل تركيز المدرسة من التعليم فقط إلى التعامل مع مفهوم التربية بصورة شاملة

إن ثمرات وفوائد العمل التطوعي في دعم العلاقة بين المنزل والمدرسة يجنيها كل من : المتعلم، المعلم، الأب، إدارة المدرسة، والمجتمع.

– دراسة فلانجن وزملاؤه (Flanagan, and others 1999) هدفت إلى التعرف على مستوى مشاركة الطلاب من سبع دول في العمل التطوعي وعلاقة ذلك بالعقد الاجتماعي والمواطنة. وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتضمنت استبانة تم تطبيقها على (5.600) طالب تراوحت أعمارهم بين (9 – 12) سنة، وقد توصلت الدراسة إلى أن نسبة من شاركوا في أعمال تطوعية من هذه الفئة العمرية بلغت في أستراليا (28%) وفي الولايات المتحدة (51%) وفي السويد (19.9%) وفي المجر (60.4%) وفي جمهورية التشيك (46.3%) وفي بلغاريا (42.2%) وفي روسيا (23.4%). كما أوضحت الدراسة تنوع الأعمال التطوعية التي مارسها أولئك الطلاب وتوزعت مشاركتهم على مساعدة الفقراء والمحتاجين، المشاركة في الجمعيات الاجتماعية والسياسية، والمساعدة في الأعمال التنموية للمجتمع، والمحافظة على البيئة.

– دراسة(Rocker, and Coleman, 1999) طبقت في المملكة المتحدة على طلاب الصفوف العليا في المدارس الثانوية في المرحلة العمرية بين (14– 16) هدفت إلى معرفة عدد الطلاب المنخرطين في الأعمال التطوعية، وأنواع الأعمال التطوعية التي يمارسها أولئك الطلاب،والزمن الذي يقضيه الطلاب في مجالات التطوع، وكذلك الدور الذي تمارسه المدرسة في تشجيع وتوجيه الطلاب نحو الالتحاق ببرامج الأعمال التطوعية، وطبق الباحثان استبانة على جميع طلاب تلك المدارس، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها:

إن المجالات التي يرغب الطلاب المشاركة فيها هي

مساعدة الطلاب الصغار على تطوير مهارتهم في القراءة والكتابة

القيام بالحملات الاجتماعية لتطوير المرافق الخاصة بالأطفال

المساعدة في تنظيم البرامج الرياضية على مستوى المجتمع المحلي

القيام بحملات التضامن مع جمعيات الرفق بالحيوان

التطوع في بعض المستشفيات وكذلك المنظمات الخيرية لمساعدة الفقراء والمحتاجين

إن الوقت الذي يخصصه أولئك الطلاب للعمل التطوعي يتراوح بين مرات قليلة خلال العام أو بصورة أسبوعية أو بشكل يومي.

- دراسة مارتا وزملاؤه (Marta, and other 1999)أجريت في إيطاليا حول الخصائص الاجتماعية والشخصية للمتطوعين من الشباب الإيطاليين قامت مارتا ومجموعة من الباحثين بتطبيق دراسة ميدانية أداتها الرئيسية استبانه أرسلت عن طريق البريد الإلكتروني لعينة تكونت من (225) شاباً من المتطوعين، تتراوح أعمارهم بين (19-29) عاماً ينتمون لـ (73) منظمة

تطوعية. وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

يشكل الطلاب ما نسبته (31%) من الأفراد المتطوعين، منهم (88%) غير متزوجين، في غالبتهم العظمى و (83%) ما يزالون يعيشون مع أسرهم .

إن (38 %) من أفراد الدراسة يمضون ما بين ساعتين إلى خمس ساعات في الأسبوع للأعمال التطوعية بشكل دوري .

إن من بين العوامل التي دفعت أفراد العينة للالتحاق بالجمعيات التطوعية هو تشجيع الأصدقاء، والرغبة في تقديم المساعدة الاجتماعية, ولتطوير المجتمع، وأشار قلة منهم إلى وجود بعض الحوافز الدينية, والرغبة في قضاء وقت الفراغ في أعمال إنسانية.

دراسة كيلي (Kelly, 1996) فقد أجرى دراسة موسعة على بعض مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية، لمعرفة مدى التزام هذه المؤسسات بتشجيع طلابها على الانخراط في الأعمال التطوعية، واستخدم الباحث أسلوب المقابلات الشخصية وحلقات النقاش، إضافة إلى تحليل الوثائق. وهدفت الدراسة إلى معرفة مستويات الدعم والالتزام نحو تطوع الطلاب من خلال ثلاثة مستويات: مستوى الإدارة وأعضاء هيئة التدريس والطلاب. وقد توصلت الدراسة إلى التفاوت في درجة الالتزام والدعم بين مؤسسات التعليم العالي التي تم دراستها، وأوضحت أهمية التزام الإدارة العليا في تحفيز أو تقليل الالتزام بالعمل التطوعي، كما أوصت الدراسة بأهمية إشراك الإداريين وأعضاء هيئة التدريس والطلاب في التخطيط لأي مشاريع تتصل بالتطوع الطلابي.

منهج الدراسة:

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لطبيعة هذه الدراسة. حيث تم استقصاء آراء الشباب الجامعي الفلسطيني حول دورهم في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي والمعيقات التي تحول دون انخراطهم فيها من وجهة نظرهم، وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات الديمغرافية.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة جامعة القدس المفتوحة – منطقة دورا التعليمية نموذجا، حيث بلغ عدد هؤلاء (2299) شابا وشابة، منهم (547) طالبا، و(1752) طالبة حسب إحصائيات رسمية صادرة عن جامعة القدس المفتوحة – منطقة دورا التعليمية في العام الدراسي (2011/ 2012).

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة الكلية من (115) شابا وشابة، تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية الطبقية، منهم (27) شابا، و(88) شابة، وتمثل العينة ما نسبته (5%) من مجتمع الدراسة، وبعد إتمام عملية جمع البيانات وصلت حصيلة الجمع (103) إستبانات، ويبين الجدول رقم (1) توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجنس، والتخصص.

جدول رقم (1): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب (الجنس، والتخصص).

المتغير		العدد	النسبة المئوية	المجموع
الجنس	ذكر	26	25.2	103
	أنثى	77	74.8	
التخصص	كليات علمية	34	33.0	103
	كليات أدبية	69	67.0	

أداتا الدراسة:

بعد إطلاع الباحثان على عدد من الدراسات السابقة والأدوات المستخدمة، وعلى الأدب التربوي المتعلق بموضوع الدراسة وأهدافها وفروضها قاما ببناء أداتين من أجل التعّرف إلى دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي والمعيقات التي تحول دون انخراطهم فيها من وجهة نظر الشباب أنفسهم. وقد تكونت أداتا الدراسة في صورتهما النهائية: من قسمين، القسم الأول: تضمن الأسئلة التي تقيس دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي، وعدد فقرات هذا القسم (30) فقرة. وقد بنيت الفقرات بالاتجاه الايجابي، حسب سلم خماسي وأعطيت الأوزان للفقرات كما هو آت:(دائما: خمس درجات، غالبا: أربع درجات، أحيانا: ثلاث درجات، نادرا: درجتين، أبدا: درجة واحدة). وقد طبق هذا السلم الخماسي على جميع الفقرات باستثناء (23، 24، 25) حيث صلحت بطريقة عكسية باعتبارها فقرات سلبية.

القسم الثاني وتضمن الأسئلة التي تقيس (المعيقات التي تحول دون انخراطهم في العمل التطوعي) وعدد فقرات هذا القسم (30) فقرة، وقد بنيت الفقرات بالاتجاه السلبي، حسب سلم خماسي وأعطيت الأوزان للفقرات كما هو آت:(دائما: خمس درجات، غالبا: أربع درجات، أحيانا: ثلاث درجات، نادرا: درجتين، أبدا: درجة واحدة). وقد طبق هذا السلم الخماسي على جميع الفقرات.

صدق الأداة:

تم التأكد من صدق الأداتين في الدراسة الحالية بعرضهما على سبعة محكمين من المختصين في التربية وعلم النفس، وكان هناك اتفاق بينهم على صلاحية الأداتين ومقروئيتهما، حيث تم إجراء بعض التعديلات على فقرات الإستبانتين قبل التحكيم.

ثبات أداتا الدراسة:

قام الباحثان باحتساب ثبات الإستبانات عن طريق قياس معامل التجانس باستخدام طريقة (كرونباخ ألفا) (Cronbach Alpha). والجدول رقم (3) يبين نتائج اختبار معامل الثبات بطريقة كرونباخ ألفا:

جدول رقم (2): نتائج اختبار معامل الثبات كرونباخ ألفا على الدرجة الكلية للأداتين.

الأداة	كرونباخ ألفا
دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي	0.90

المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب في العمل التطوعي	0.85

يتضح من الجدول رقم (2) أن قيمة معامل الثبات بطريقة كرونباخ ألفا بلغت (0.90) على استبانه دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي، وبلغت (0.85) على استبانه المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب في العمل التطوعي، وهي مؤشرات ثبات جيدة جدا إلى ممتازة وبالتالي فان الأداتين تتمتعان بدرجة عالية من الثبات.

متغيرات الدراسة

1. المتغيرات المستقلة:(الجنس، والتخصص).
2. المتغير التابع:

دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي المعيقات التي تحول دون انخراطهم فيها من وجهة نظر الشباب أنفسهم.

1. نتائج السؤال الأول:

ما دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم؟

للإجابة عن سؤال الدراسة الأول استخرجت الأعداد، والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم، وذلك كما هو واضح في الجدول رقم (3).

جدول رقم (3). الأعداد، والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي.

المشكلات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي	103	3.5366	0.5238	متوسطة

يتضح من الجدول رقم (3) أن دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم جاء بدرجة متوسطة، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذه الدرجة (3.53) مع انحراف معياري (0.52).

يلاحظ من خلال نتائج السؤال السابق بأن درجة ممارسة الشباب للعمل التطوعي لتنمية المجتمع جاءت متوسطة،أي أن العمل التطوعي له تأثير في تنمية المجتمع ، ويرى الباحثان بأن العمل التطوعي بين أواسط الشباب بحاجة إلى توعية لما له من دور أساسي في أحداث تغير ايجابي داخل المجتمع. وتتفق نتائج هذا السؤال مع دراسة ((Rocker, and Coleman, 1999 ودراسة (بن عفيف ، 2008) في تأكيدها على أهمية العمل التطوعي ودورها الأساسي في المجتمع.

2. نتائج السؤال الثاني:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تعزى لمتغيرات(الجنس، والتخصص)؟

وانبثق عن هذا السؤال الفرضيات الصفرية (1-2) وفيما يلي نتائج فحصها:

نتائج الفرضية الأولى:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تعزى لمتغير الجنس.

للتحقق من صحة الفرضية الأولى استخدم الباحثان اختبار ت (t-test)، كما هو واضح في الجدول رقم (4).

جدول رقم (4). نتائج اختبار ت (t-test) للفروق في المتوسطات الحسابية الكلية لدور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تبعا لمتغير الجنس.

المتغير	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي	ذكر	26	3.9795	0.3392	5.707	101	0.000**
	أنثى	77	3.3870	0.4905			

** دالة إحصائيا بدرجة عالية عند مستوى ($\alpha \leq 0.050$). * دالة إحصائيا عند مستوى ($\alpha \leq 0.050$).

يتبين من الجدول رقم (4) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تبعا لمتغير الجنس لصالح الذكور، وذلك كما هو واضح من المتوسطات الحسابية في الجدول السابق حيث بلغ المتوسط الحسابي على الدرجة الكلية للذكور (3.97) وكان لدى الإناث (3.38). كما تبين أن قيمة (ت) المحسوبة (5.707)، عند مستوى دلالة (0.000) وبناء عليه تم رفض الفرضية الصفرية الأولى.

يلحظ من خلال نتائج الفرضية بأن هناك فروق في دور الشباب في تنمية المجتمع وذلك لصالح الذكور، ويرى الباحثان بأن المجتمع يعتمد في بنائه الأساسي على الذكور ويعتبر الذكر أكثر قدرة على الحراك الاجتماعي، وبالتالي لديهم القدرة على ممارسة الأعمال التطوعية باستمرار وفي أي مكان، وخاصة في ظل الظروف الصعبة التي يعشها الشعب الفلسطيني.

نتائج الفرضية الثانية:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تعزى لمتغير التخصص.

للتحقق من صحة الفرضية الثانية استخدم الباحثان اختبار ت (t-test)، كما هو واضح في الجدول رقم (5).

جدول رقم (5). نتائج اختبار ت (t-test) للفروق في المتوسطات الحسابية الكلية لدور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تبعا لمتغير التخصص.

المتغير	التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي	كليات علمية	34	3.3647	0.5128	-2.391	101	0.019*
	كليات أدبية	69	3.6213	0.5117			

** دالة إحصائيا بدرجة عالية عند مستوى ($\alpha \leq 0.050$). * دالة إحصائيا عند مستوى ($\alpha \leq 0.050$).

يتبين من الجدول رقم (5) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات دور الشباب الجامعي الفلسطيني في تنمية المجتمع المحلي من خلال العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تبعا لمتغير التخصص لصالح طلبة

الكليات الأدبية، وذلك كما هو واضح من المتوسطات الحسابية في الجدول السابق حيث بلغ المتوسط الحسابي على الدرجة الكلية لطلبة الكليات العلمية (3.36) وكان لدى طلبة الكليات الأدبية (3.62). كما تبين أن قيمة (ت) المحسوبة (2.391-)، عند مستوى دلالة (0.019) وبناء عليه تم رفض الفرضية الصفرية الثانية.

يلاحظ من خلال نتائج الفرضية السابقة بأن هناك فروق في ممارسة العمل التطوعي ولصالح طلبة الكليات الأدبية كما صنفها الباحثان، ويفسر الباحثان هذه النتيجة بأن طلبة الكليات الأدبية هم أكثر تطوعاً، لسببين أولهما بأن طبيعة التخصصات تفرض عليه الانتماء لمجال العمل التطوعي مثل تخصص الخدمة الاجتماعية أو التربية، التي تفرض عليهم الانتماء للمؤسسات التطوعية وثانيا مجال الخبرة، فمن خلال العمل التطوعي يحصل الطلبة على خبرة عملية تزيد من رصيدهم العلمي التطبيقي.

1. نتائج السؤال الثالث:

ما درجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم؟

للإجابة عن سؤال الدراسة الثالث استخرجت الأعداد، والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم، وذلك كما هو واضح في الجدول رقم (6).

جدول رقم (6). الأعداد، والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي.

المشكلات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي	103	3.3110	0.4161	متوسطة

يتضح من الجدول رقم (6) أن درجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم جاء بدرجة متوسطة، فقد بلغ المتوسط الحسابي لهذه الدرجة (3.31) مع انحراف معياري (0.41).

يلاحظ من خلال نتائج الدراسة السابقة بأن هناك معيقات تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي،فقد أفاد بعض الطلاب على أداة الدراسة، بأنه لا يشعر بتقدير المجتمع للعمل التطوعي.ولا يوجد تشجيع على العمل التطوعي، واشعر بإحباط أثناء العمل التطوعي، وهناك ضعف التوعية التربوية بأهمية العمل التطوعي في المجتمع، كل هذه المؤشرات دالة على وجود معيقات تحول دون انخراط الشباب في العمل التطوعي.

2. نتائج السؤال الرابع:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تعزى لمتغيرات(الجنس، والتخصص)؟

وانبثق عن هذا السؤال الفرضيات الصفرية (1-2) وفيما يلي نتائج فحصها:

نتائج الفرضية الثالثة:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات درجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تعزى لمتغير الجنس.

للتحقق من صحة الفرضية الثالثة استخدم الباحثان اختبار ت (t-test)، كما هو واضح في الجدول رقم (7).

جدول رقم (7). نتائج اختبار ت (t-test) للفروق في المتوسطات الحسابية الكلية لدرجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي تبعا لمتغير الجنس.

المتغير	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي	ذكر	26	3.3115	0.3260	0.008	101	0.994
	أنثى	77	3.3108	0.4443			

** دالة إحصائيا بدرجة عالية عند مستوى ($\alpha \leq 0.050$). * دالة إحصائيا عند مستوى ($\alpha \leq 0.050$).

يتبين من الجدول رقم (7) انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات درجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تبعا لمتغير الجنس، وذلك كما هو واضح من المتوسطات الحسابية في الجدول السابق حيث بلغ المتوسط الحسابي على الدرجة الكلية للذكور (3.311) وكان لدى الإناث (03.31). كما تبين أن قيمة (ت) المحسوبة (0.008)، عند مستوى دلالة (0.994) وبناء عليه تم قبول الفرضية الصفرية الثالثة.

يلاحظ من خلال نتائج الدراسة بأن ليس هناك فروق للجنس تحول دون انخراط الشباب في العمل التطوعي، رغم وجود فارق على درجة القيام بالعمل التطوعي لصالح الذكر إلا أن هذه الفرضية لم تثبت وجود فروق للجنس، بالتالي يفسر الباحثان بأن الذكور والإناث اتفقا على أن هناك معيقات تحول دون القيام بالعمل التطوعي في المؤسسات.

نتائج الفرضية الثانية:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات درجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي من وجهة نظر الشباب أنفسهم تعزى لمتغير التخصص.

للتحقق من صحة الفرضية الرابعة استخدم الباحثان اختبار ت (t-test)، كما هو واضح في الجدول رقم (8).

جدول رقم (8). نتائج اختبار ت (t-test) للفروق في المتوسطات الحسابية في درجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي تعزى لمتغير التخصص.

المتغير	التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
المعيقات	كليات علمية	34	3.2922	0.3467	-0.321	101	0.749
	كليات أدبية	69	3.3203	0.4485			

** دالة إحصائيا بدرجة عالية عند مستوى ($\alpha \leq 0.050$). * دالة إحصائيا عند مستوى ($\alpha \leq 0.050$).

يتبين من الجدول رقم (8) انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) في درجة المعيقات التي تحول دون انخراط الشباب الجامعي في العمل التطوعي تعزى لمتغير التخصص، وذلك كما هو واضح من المتوسطات الحسابية في الجدول السابق حيث بلغ المتوسط الحسابي على الدرجة الكلية لطلبة الكليات العلمية (3.29) وكان لدى طلبة الكليات الأدبية (3.32). كما تبين أن قيمة (ت) المحسوبة (0.321-)، عند مستوى دلالة (0.749) وبناء عليه تم قبول الفرضية الصفرية الرابعة.

كما هو الحال في الفرضية السابقة لا توجد فروق تعزى لمتغير التخصص تعزى لوجود الفروق ، ويرى الباحثان بأن جميع التخصصات العلمية والأدبية دالة على أن هناك معيقات تحول دون انخراط الشباب في العمل التطوعي

التوصيات:

- تشجيع الشباب الجامعي على ممارسة العمل التطوعي من خلال تخصيص مشروع لخدمة المجتمع ضمن متطلبات الجامعة
- توعية الشباب الجامعي بأهمية المشاركة في العمل التطوعي من خلال البحث عن المؤسسات التي تقدم خدمات العمل التطوعي.
- التركيز في الأنشطة التطوعية على البرامج والمشروعات التي ترتبط بإشباع الاحتياجات الأساسية للشباب.
- احترام معنى العمل التطوعي من المجتمع للحفاظ على معنى وأهمية وثقافة العمل التطوعي.

المراجع:

أبو عفيفة، طلال (2004) : قضايا الشباب" واقع، مشاكل، احتياجات "ط1 ، رام الله، فلسطين.

أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية (٢٠٠٠)مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي، الرياض :أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

بار، عبد المنان (2001) مدى استفادة الجمعيات والهيئات الخيرية الإنسانية من الأعمال التطوعية في المملكة العربية السعودية، الدمام مركز الدراسات الاجتماعية والإنسانية بجمعية البر بالمنطقة الشرقية

الباز، راشد (١٤٢٣)هـ الشباب والعمل التطوعي، مجلة البحوث الأمنية .كلية الملك فهد الأمنية بالرياض.

بالطو، عبد اللطيف (1998): دور التعاون التطوعي في دعم العلاقة بين المنزل والمدرسة، جامعة ام القرى. مكة المكرمة . (أبحاث وأوراق عمل المؤتمر العلمي الأول للخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية.

بانوراما :المركز الفلسطيني (2002) : لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع :الشباب والقيادة الشابة ، رام الله. فلسطين

البخشونجي ،حمدي عبد الهادي ،(2001) تنظيم المجتمع، الإسكندرية :المكتبة الجامعية

بن عفيف، سعاد عبود (2008) : " دراسة لدور المرأة التطوعي في محافظة جدة بالمملكة العربية السعودية". رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة الملك عبد العزيز. جدة . السعودية.

التلمساني، عبد العزيز(٢٠٠٠) نموذج جمعية مكة للتنمية في تعزيز الأمن ، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي، الرياض :أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، (2005) الشباب في الأراضي الفلسطينية:حقائق وأرقام.رام الله- فلسطين.

حسنين، حسين محمد (1995) : المرشد الفني للجمعيات الخيرية ، جمعية عمال المطابع التعاونية ،

خطيب، عبد الله (1999) التطوع والمتطوعون، مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية، الاتحاد العام للجمعيات الخيرية، عمان.

رحال، عمر (2006) الشباب والعمل التطوعي، مؤسسة الحياة للإغاثة والتنمية، فلسطين.

الزهراني، علي إبراهيم(2005) ، مجالات العمل التطوعي في الميدان التربوي، المدينة المنور ة .مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية _ سلسلة مركز الدراسات والبحوث.

الشبكة العربية للمنظمات الأهلية (٢٠٠٥) التطوع والمتطوعون في العالم العربي.

الشبكي، الجازي (1992م) الجهود الإنسانية التطوعية في مجالات الرعاية الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود .الرياض.

صافي، يوسف (2008) : متطلبات النهوض بحالة حقوق الشباب الفلسطيني – دراسة قطاع غزة كنموذج ، مركز هدف لحقوق الانسان.

عمرو نعمان ، ابو ساكور، تيسير. (2010): "دور جامعة القدس المفتوحة في تنمية قيم المجتمع المدني في محافظة الخليل من وجهة نظر طلبتها. جامعة القدس المفتوحة .

الغامدي، عبد العزيز(2010) : العمل الاجتماعي التطوعي من منظور التربية الإسلامية وتطبيقاته في المدرسة الثانوية" . رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة ام القرى،السعودية.

فهمي، سامية وآخرون (1984م). طريقة الخدمة الاجتماعية في التخطيط الاجتماعي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث

القعيد، إبراهيم (١٤١٧)هـ وسائل استقطاب المتطوعين والاستفادة من جهودهم"، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي عن الخدمات التطوعية بالمملكة العربة السعودية، جامعة أم القرى .مكة المكرمة.

اللحياني، مساعد بن منشط (1418هـ) التطوع "مفهومه وأهميته وآثاره الفردية والاجتماعية وعوامل نجاحه ومعوقاته"، أبحاث وأوراق عمل المؤتمر العلمي الأول للخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية، المنعقد بجامعة أم القرى، مكة المكرمة.

المحاميد، محمد(٢٠٠١)دوافع السلوك التطوعي النسوي المنظم في الأردن وعلاقته ببعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية،رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية بعمان.

محمود ، فراس (2006) : " دور المنظمات الشبابية الأهلية الفلسطينية في بناء الشخصية وأثرها على التنمية السياسية" الضفة الغربية-2004" 1995 . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة النجاح. نابلس. فلسطين.

ياسين، أيمن (٢٠٠٢) الشباب والعمل الاجتماعي التطوعي ، القاهرة، مركز التميز للمنظمات غير الحكومية.

يعقوب، أحمد والسلمي، عبد الله (٢٠٠٥) إدارة العمل التطوعي، الرياض :جامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي.

المراجع الأجنبية:

1. Kelly, s. (1966) Encouraging Volunteerism in Higher Education, New York: Routledge Publication
2. Marta, E. & others (1999). " Youth, Solidarity, and Civic Commitment in Italy" in Roots of Civic Identity.Edited by Yates, A&J Youngish, Cambridge, UK: Cambridge University Press.
3. Roker, A and Coleman, J (1999)."Challenging the Image: young people as volunteers and campaigners", Leicester. UK: National Youth Agency. Youth work Press.

4. Flanagan, and others (1999). "Adolescents and the Social contract: Developmental Roots of Citizenship in Seven Countries, Cambridge,UK Cambridge University Press.

5- Flanagan, and others (1999). "Adolescents and the Social contract: Developmental Roots of Citizenship in Seven Countries, Cambridge,UK Cambridge University Press.

6- Kelly, s. (1966) Encouraging Volunteerism in Higher Education, New York : Routledge Publication.

7- Marta, E. & others (1999). " Youth, Solidarity, and Civic Commitment in Italy" in Roots of Civic Identity.Edited by Yates, A&J Youngish, Cambridge, UK: Cambridge University Press, philanthropy, vol. (18) No, (14)

8- Roker, A and Coleman, J (1999)."Challenging the Image: young people as volunteers and campaigners", Leicester. UK: National Youth Agency. Youth work Press.

تاريخ الاستلام: 2015/11/20- تاريخ التحكيم: 2016/03/16 -تاريخ النشر2016/06/28

فلسفة الأخلاق ومعوقات التربية الأخلاقية في المجتمعات العربية المعاصرة

د.كريمة عبد السلام محمد شروي

جامعة القاسمية بالإمارات العربية المتحدة.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص البحث:

موضوع البحث عن فلسفة الأخلاق ومعوقات التربية الأخلاقية في المجتمعات المعاصرة، بينت فيه أهمية الأخلاق باعتباره ضرورة إنسانية ملحة إن على مستوى الأفراد أو الجماعات. حيث لابد من قواعد للتمييز بين الحق والباطل ، الخير والشر ، الصواب والخطأ ، حيث دور التربية الخلقية فيها عظيما حتى تمكن من التغلب على دواعي الهبوط والانحلال.ثم بينت جوانب الأخلاق في بعض الحضارات وأيضا في حضارة المسلمين. أما أهداف هذه الدراسة فتكمن في بيان المتغيرات الحديثة التي أصبحت عائقا أمام تحقيق التربية الأخلاقية.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الأخلاق، فلسفة الأخلاق الدينية،معوقات التربية الأخلاقية، الأسرة،التعليم،الإعلام، التقليد.

Conclusion

The title of the research is philosophy of morality and barriers of moral Education in contemporary societies .The research explained the importance of morality as an urgent necessity humanity at individual and group levels.

So there should be rules to distinguish between truth and vicious ,good and evil ,true and false , for that the role of moral Education in those societies was so great for it overcome to all The reasons of decay and corruption , also the research Explained the affect of moral sides in civilizations specially muslim' civilizations but the aims of this study are clarifying the Modern changes which became hindrance for achieving moral Education .

key words:The philosophy of ethics, philosophy and religious morality , obstacles to moral education , the family education , media , tradition

مقدمة:

إن الأخلاق ضرورة إنسانية ملحة إن على مستوى الأفراد أو الجماعات، فالإنسان من الله عليه بنعمة العقل والإدراك ، مع تنازع الشهوات ، واستمالة الطموحات فيه ، فيمكن أن تهبط به ، ويمكن للعقل أن يصل به إلى أعلى درجات السمو والارتقاء النفسي والعقلي ، فكان لابد من قواعد للتمييز بين الحق والباطل ، الخير والشر ، الصواب والخطأ ، فكان دور التربية الخلقية فيها عظيما حتى تمكن من التغلب على دواعي الهبوط والانحلال، إلا أن الحضارة المعاصرة لم تحظ بإسهام كبير ولا دور بارز في جانب الأخلاق والقيم، ويشهد على ذلك علماء الغرب ومفكريهم، حيث يؤكدون على أن الحضارة الحديثة ليس فيها توازن بين القوة والأخلاق، فالأخلاق متأخرة جدا عن العلم، فخطأ الإنسان في فهم حقيقة مكانته في الكون، وفي إنكاره عالم القيم، الذي يشمل قيم الخير والحقِّ والجمال هو الانحطاط ، لأن جمال الأخلاق يفوق العلم والفنَّ من حيث أنه أساس الحضارة .

ومع أن جانب الأخلاق والقيم لم يوف حقه إلا في حضارة المسلمين، تلك التي قامت في الأساس عليها، وبُعث رسولها خاصة ليتمم مكارم الأخلاق ويكملها، فكانت فلسفة الأخلاق الإسلامية مجموعة من المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه. إلا أن العالم الإسلامي يعيش أزمة حقيقية في تحقيق التربية الأخلاقية داخل مجتمعاته. من هنا ارتأيت أن يكون بحثي هو:(فلسفة الأخلاق ومعوقات التربية الأخلاقية في المجتمعات المعاصرة).

ونظرا لتضافر العديد من الأسباب، حيث تجدد الصراع بين قيم المجتمعات بناء على هذه التطورات. إذ أن العالم اليوم يعيش في عصر ازدادت فيه روابط وعلائق المجتمعات الإنسانية كلها، وتشابكت مصالحها وتيسرت وسائل الانتقال والاتصال فيما بينها، ارتأيت أن تكون مشكلات البحث : عن ماهية فلسفة الأخلاق في الحضارات القديمة؟ وماذا تختلف فلسفة الأخلاق الدينية عن فلسفة الأخلاق ؟ وما هي أهم المعوقات في تحقيق التربية الأخلاقية في المجتمعات العربية المعاصرة؟.

أما أهداف هذه الدراسة فتكمن في بيان أهمية فلسفة الأخلاق في قيام أي حضارة، وبيان أهم المتغيرات التي حالت دون تحقيق هذه الفلسفة خاصة بالمجتمعات العربية الإسلامية التي تعيش تحولات عديدة.

وقد اقتضت طبيعة البحث استخدام المنهجين التالين:

- المنهج الاستقرائي : وذلك ببيان منظومة الفلسفة الأخلاقية عند بعض الحضارات وفي الحضارة العربية الإسلامية.
- المنهج التحلي: وذلك بتحليل معوقات التربية الأخلاقية على أرض واقع التغيرات .

وخطة البحث كانت في تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو التالي: حيث تضمنت المقدمة العناصر المنهجية في البحوث الأكاديمية، أما أصل البحث فقد قدمت له بتمهيد ضبطت فيه مصطلحات العنوان، والمبحث الأول عنونته ب: فلسفة الأخلاق.أما المبحث الثاني فخصصته للحديث عن : معوقات التربية الأخلاقية في المجتمعات العربية المعاصرة. والخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها.

تمهيد:

الأخلاق أو "علم الأخلاق"، علم موضوعه أحكام قيمية، تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح[1] والخُلُق الخَلِيقة: بضم اللام وسكونها وهو الدِّين والطبْع والسجية، وحقيقته أَنه لِصورة الإِنسان الباطنة وهي نفْسه، وأَوصافها ومعانيها المختصةُ بِها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأَوصافها ومعانيها، ولهما أَوصاف حسَنة وقبيحة، وفي التنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾-القلم:4- والجمع أَخْلاق لا يُكسّر على غير ذلك، وتَخَلَّق بخُلُق كذا استعمله من غير أَن يكون مخلوقاً في فِطْرته، وقوله تخلَّق مثل تَجَمَّل أَي أَظهر جَمالاً وتصنّع وتَحسَّن إِنَّما تأْوِيلُه الإِظْهار وفلان يَتخلَّق بغير خُلقه أَي يَتكلَّفه .[2]

فالأخلاق إذن تجمع بين المحمود والمذموم ، والآثار السلوكية هي التي تحدد أحدهما.فإذا كان الخلق المستقر في النفس حميدا أثمر سلوكا حميدا ، وإذا كان الخلق على خلاف ذلك جاءت نتائجه تبعا له.

والتربية : رب) الناس} يربهم (: جمع) ، يربه، أي يجمعه وينميه، ، وربهما: نماها وزادها وأتمها وأصلحها، ورب الأمر، يربه ربا وربابة : أصلحه ومتنه، ورب القوم: ساسهم، أي كان فوقهم. ورب ولده و الصبي يربه ربا، رباه أي أحسن القيام عليه ووليه حتى أدرك أي فارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن.[3] ربى الأب ابنه: هذبه ونمى قواه الجسمية والعقلية والخلقية كي تبلغ كمالها. فالتربية هي الوسائل التي تكفل التربية الصحيحة للطفل خلقيا ونفسيا وعلميا، والبلوغ به إلى الكمال الخاص به.[4]جاء في تفسير كلمة رب: " الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ".[5]

التربية إذن تدور حول مفهوم الإصلاح والقيام بأمر المتربي وتعهده ورعايته بما ينميه ، وان المفهوم التربوي مرتبط بجميع تلك المعاني. ومن ثم فإن مفهوم التربية عند بعض الكتاب المحدثين لا تخرج عن المعنى اللغوي لها.[6]

أما مصطلح "معوقات"، فمن فعل عوق، عوق بالفتح وهو الأمر الشاغل يقال عاقه يعوقه عوقا، ومنه الاعتياق والتعويق، وذلك إذا أردت أمرا فصرفك عنه صارف وذلك الصارف هو العوق.[7] عاقه عن كذا يعوقا، وإعتاقه، أي حبسه وصرفه عنه. وعوائق الدهر: الشواغل من أحداثه. والتعوق: التثبط. والتعويق: التثبيط. ورجل عوق وعوقة مثال همزة، أي ذو تعويق وتربيث لأصحابه، لأن الأمور تحبسه عن حاجته. [8]وعاقه المرض عن السفر: منعه منه، شغله وأخره عنه ، أعاقه عن إنجاز عمله: منعه منه، شغله عنه، أخره وثبطه.[9]

وعاقه عن الشيء عوقا منعه منه وشغله عنه فهو عائق، جمع عوق للعاقل ولغيره عوائق، وعوائق الدهر شواغله وأحداثه.[10] روفي التّنزيل : ﴿قد يعْلَمُ اللهُ المعَوِّقين منكُم﴾ -الأحزاب:18-، وهم قوْمٌ من المنافِقين كانوا يُثَبِّطون أنصار النّبيّ صلّى الله عليه وسلم عن نُصْرته صلّى الله عليه وسلم.[11]فالتعويق تربيث الناس عن الخير . ورجل عُوَقَةٌ : ذو تعويق للناس عن الخير . قال : والعَوْق : الرجل الذي لا خير عنده.[12]

ولأن التربية تختص بالفرد والجماعة ، ولفظ المجتمع مشتق من جمع فالجمع ضم الأشياء المتفقة، وضده التفريق والإفراد، وحين النظر في دلالة لفظ المجتمع من حيث هو مصطلح، يجد المرء عدة تعريفات منشؤها تباين النظرات تبعا للتخصصات، فنجد تعريفا من منظور سياسي وآخر من منظور اجتماعي، وثالثا نفسي وهكذا. لكن الأقرب هو : عدد كبير من الأفراد المستقرين، تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة، تصحبها أنظمة تضبط السلوك وسلطة ترعاها".[13]

إن الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة كشفت أن تاريخ الحضارة البشرية مليء بالشرائع الأخلاقية وأنها تتقارب تقاربا شديدا، وحتى لو وجدت اختلافات بينها فإنه ليس هناك ما يمنع من ظهور مفاهيم أخلاقية، وهذا يعني أن الأساس الأخلاقي في البشرية فطري، وأن للقيم وجودها الذاتي حيث تفرض نفسها على الوجدان البشري بطريقة أولية حدسية، أما عجز بعض الأشخاص عن إدراك القيم أو التمييز بينها إنما هو "العمى الخلقي" الذي قد يرجع إلى انعدام النضج أو نقص التربية لديهم.[14]

المبحث الأول : فلسفة الأخلاق:

مع أن الفلسفة الأخلاقية التي حددتها الأديان حادت البشرية عنها، إلا انه ظهرت مع ذلك فلسفات أخلاقية في الحضارات القديمة، حيث صاغت كل حضارة منظومة أخلاقية ترجع إلى طبيعتها وعاداتها. فاختارت فلسفة الأخلاق الهندية التشديد على الانضباط الذاتي والسيطرة على النفس كشرط مسبق للسعادة والحياة الخير، فالسيطرة على رغبات الذات هي الطريق الأساسي للقضاء على المعاناة. إلا أن هذا الفكر يفترض مقدما وجود عدالة أخلاقية كلية ، فكل شيء خير أو شرير، أو محايد يُكتَسب ويستحقه مَنْ يصل إليه، ومَنْ شأن هذا أن يُلقي بالمسؤولية عن الوضع الإنساني على كاهل الوجود البشري ذاته، فنحن مسؤولون عما نحن فيه ، وعما نؤول إليه، وقد قررنا بأنفسنا ماضينا وسوف نقرر مستقبلنا ، بحسب ما يذهب إليه الفكر الهندي . ونجد في الكتابات المقدسة مثل الفيدا – الكتب المقدسة الهندوسية الأقدم والتي تضم أربعة أسفار – أن مفهوم "الريتا" – النظام الطبيعي والأخلاقي للكون — بأن الإله فارونا هو الذي يقوم على حراسة هذا النظام –فهو قانون أخلاقي يؤكد على أهمية الواجبات الإنسانية كاستجابة للعدالة، وغدا مفهوم" الكارما" يشير إلى العلاقة بين ما فعله ، وإلى التأثير السيئ لأفعال الإنسان التي تنهض كمبدأ لتقرير المصير .[15]

وهناك كذلك إجماع واسع الإنتشار في الفكر الفلسفي الهندي بصدد "اللاتعلق "، فالمعاناة تنشأ من تعلق المرء بما لا يملك، ثم تصبح هذه الموضوعات التي يتعلق بها سببا للمعاناة، وهكذا فان «اللاتعلق » يتم إقراره كوسيلة جوهرية لتحقيق الحياة الخيرة. ويُعتبَر اللاتعلق هذا موقفًا عقليًّا يحققه الفرد في النصيب المقسوم له من الحياة. وعلى هذا الأساس يحيا وجودًا يوميًّا "عاديًّا" مع الناس، دون أن يتبرم بنتائج أفعاله أو يتورط فيها؛ وبهذا يبلغ نوعًا من التسامي الروحي والعقلي على المفاهيم الأرضية دون أن تستعبده.[16]كما أوجب على كل هندوسي متدين معرفة كل واجباته كعابد وكرجل العائلة وكمواطن، وكانت الطريقة التي يتعلم بها هي حفظ النظام الثلاثي–القوانين الدينية والمدنية والأخلاقية– عن ظهر قلب في الصغر، فظهر نظام القوانين الثلاثي في كل دويلة على مستوى الهند، وأدخلت في منهاج التعليم بالمدارس.[17]

كما ظهرت في فلسفة الأخلاق الهندية قضية التوبة أو الاعتراف بالذنب، فلننظر مثلا إلى بعض الترانيم التي يوجها شخص مذنب إلى فارونا المقدس[18] :" ليتني أعرف ذنوبي فقد سالت الآخرين، سألت الحكماء يا فارونا وقال لي الحكماء بالتأكيد فارونا غاضب منك، ..دعني أتقرب منك نجنا من أخطائنا التي ارتكبتاها بأنفسنا ..فنحن لم نذنب بإرادتنا..إنه الخطأ أو الخمر أو القمار أو الغضب من ضللنا، فحتى الكبار يضللون الصغار أحيانا وحتى النوم أحيانا يؤدي بنا إلى الخطأ".[19] وهكذا عملت الكثير من فلسفات الهند على إيجاد نظام أخلاقي مع أن تعاليمها ليست وحياً ، وإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني. من هنا نلاحظ مدى العلاقة والإرتباط بين مفهوم الأخلاق بفلسفة الدين.

أما أخص ما امتازت به الفلسفة الصينية هي قدرتها على تحويل النظريات الخلقية إلى أخلاق عملية ، ففلسفتها تقوم على السلوك القويم للإنسان، وهي عملية في هذا المعنى أكثر من كونها نظرية ، فحكم الحكماء ووصاياهم ونظرياتهم الفلسفية هي أعمال

الشعب في سلوكه ومنهاجه، لأنها تنحو نحو الأخلاق، وهي تبتدئ بنظريات للأخلاق الفاضلة وأسس لقواعد الخير والشر، فكان الجانب العملي له العناية الأولى لديهم.[20]هذا ولم تتجاف الفلسفة عن الدين، مع أن الدين كان قائما على الإشراك والفلسفة قائمة على الأخلاق القويمة، ومع ذلك تلاقيا وسار التدين مع الفلسفة، فنظريات الأخلاق الصينية قامت على دعامتين قويتين:إحداهما قائمة على الفلسفة والعقل والمنطق، وثانيتهما قامت على دينهم، ولقد كان المزج المحكم بين فلسفة خلقية قديمة ودين ليس له أصل قويم ومنطق مستقيم في الكونفوشيوسية، وصاحبها كونفوشيوس.[21] حث تقوم الحضارة والثقافة الصينيتان على أساس فلسفي تشكله في المقام الأول مبادئ الكونفوشية والتاوية والكونفوشية الجديدة . وقد قامت هذه الفلسفات الثلاث بتشكيل حياة الشعب ومؤسساته ، وكانت مصدر إلهام لها عبر ما يزيد على خمسة وعشرين قرنا من الزمان .وكانت الفلسفة الصينية التي أكدت على أهمية المحافظة على الحياة الإنسانية العظيمة ورعايتها مرتبطة أوثق الارتباط بالسياسة والأخلاق واضطلعت بمعظم وظائف الدين .

وعظمة المرء في الفكر الصيني وجهان: فهو في المقام الأول يتضمن"عظمة داخلية "هي شموخ الروح منعكسا في سلام الفرد ورضائه بكماله . وهو يتضمن ثانيا"عظمة خارجية " تظهر في القدرة على العيش بصورة جيدة على الصعيد العملي مع الشعور بالعزة في السياق الاجتماعي الذي يوجد فيه المرء في حياته اليومية المألوفة . وهذا المثل الأعلى يسمى ب " الحكمة في الداخل والنبل في الخارج". فالمرء ما لم يعرف ويحي وفقا لقوانين الكون الداخلية التي يسميها "الثوابت" فإنه ينتهي بكارثة، فمن يعرف الثابت يتحرر ومن يتحرر يخل من الهوى والتحيز، ومن يخل من الهوى والتحيز يتسع إدراكه، ومن يتسع إدراكه يصبح رحب الأفق، ومن يصبح رحب الأفق يكن مع الحقيقة، ومن يكن مع الحقيقة يستمر إلى الأبد ولا يعرف الفشل على امتداد عمره . أما الجهل بالثابت والتصرف على نحو يفتقر للبصيرة فهو مضي إلى الكارثة.[22]

إن نقطة انطلاق أي بحث أخلاقي فلسفي هي التجربة الأخلاقية، ويقصد بها كل تجربة يعانيها الإنسان حين يستخدم إرادته، سواء أكان ذلك من أجل تحقيق مقصد ذاتي، أم من أجل تغيير العالم المحيط به والتأثير على غيره من الناس، لذلك ارتبطت الحياة الأخلاقية منذ البداية بطابع هادف يراد من ورائه تحقيق غاية محددة. ومن هنا كانت نزعة الكونفوشيوسية الإنسانية في تصورها لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع الصالح، وقد اشتمل هذا التصور على ثلاث محاور هي في الحقيقة الدعائم الأساسية لفكرة اليوتوبي وهي : الأخلاق والتربية والسياسة.[23]

وقد اتسم نسق الأخلاق في جانبين اثنين:

أ–الجانب النظري: ويتضمن ماهية الفرد الذي هو الأساس والنواة للأسرة والمجتمع، ويشرع خلال هذا الجانب بان يعيد الفرد إلى جوهره الحق، وإلى فطرته الإنسانية الحقة، وهذا الرجوع إلى الطبيعة الأصلية يؤهله لتهذيب ذاته. فالأخلاق عندها لا توجد في الطبيعة الإنسانية الداخلية الفطرية وإنما الذي يوجد هو الاستعداد للتخلق، الاستعداد للتمييز بين قطبين: الخير والشر، وهذا الاستعداد هو الذي يفيد منه التخيل والوعي والإرادة بالتربية والابتكار وبتضافرها معا يخلق "الرجل النبيل"، إذا ركز الإنسان قلبه على الخير تحرر من كل الشرور. فأكد على الفاعلية الإنسانية ليقوض مفهوم الوراثة وسلطة السماء، وقد دفعه مثل هذا التصور للطبيعة البشرية ما كانت تعاني منه الصين آنذاك من فوضى واضطراب في كافة جوانب الحياة وانتفاء كل مقاييس الخير والشر، من ثم أكد كونفوشيوس على ما يسمى بالإرادة الإنسانية وأن الإنسان له دور وفاعلية في تشكيل ذاته بما لديه من إمكانية للتطور ثم تطوير الآخرين، أي إذا أخطا الفرد فعليه أن يبحث عن الخطأ داخل ذاته وليس خارجها. وهو ما يسمى ب"القانون الأخلاقي" وهو البداية التي تتيح أمام الجنس البشري إمكانية التطور للوصول إلى الكمال. ولأن الإنسان مع ذلك قد يعجز عن الوصول إلى هذا القانون، من ثم يرى قانونه الأخلاقي بوجوب الاستعانة بمبدأ آخر وهو "الحد الوسط" ، وهو الطريق الذي يجب على الفرد أن يلتزم به ليبتعد عن الإفراط والتفريط في الحياة، ويتمثل هذا الوسط في تحقيق التوازن بين الجانب العقلي والجانب الوجداني، ويتم الحصول على هذا التوازن بواسطة التهذيب والتربية، وبهذا يصبح الإنسان السوي هو الذي يناضل من أجل تحقيق التوازن بين

الجانبين فلا يضفى احدهما على الآخر: "عندما تتفوق الممتلكات الفطرية على انجاز التهذيب فسوف تكون النتيجة شخصا صعب المراس. وعندما يتفوق التهذيب على الممتلكات الفطرية فسوف تكون النتيجة عالما متحذلقا، وإنما الذي يصنع الرجل النبيل هو الاعتدال، فالوسط لا يعني فقط مجرد وسط بين جانبين وإنما يتضمن البعد عن أي شكل من أشكال الانحراف الخلقي.[24]

ويشكل مفهوم حب الأبناء للآباء حجر الزاوية في الأخلاق الصينية، فالبيئة المباشرة المحيطة بالصغار في المجتمع المتحضر هي بناء اجتماعي تشكله العائلة، فهي المشكل لشخصية الطفل الأخلاقية والروحية ، وهنا يتم إقرار بدايات الوضاعة أو العظمة، فمن خلال حب واحترام عظيم في داخل العائلة يمكن غرس العظمة في الأفراد. [25]

كذلك اصطبغت الأخلاق في الديانات المصرية القديمة بالصبغة الإنسانية الخالصة ، استطاعت أن تحويها بكلمة واحدة جامعة، حوت في ثناياها سائر معاني السمو والرفعة في الحياة البشرية. وكانت هذه الكلمة هي " الماعت" –الآلهة التي تجسد العدل– التي تعد من أقدم التعابير المعنوية المتعددة المعاني، التي وصلت إلينا من كلام الإنسان القديم، فدلت بذلك على الحق والعدل والصدق، فالماعت لا تعني نقيض الباطل فقط بل تعني نقيض الخطايا الخلقية بوجه عام، ثم أصبحت تعبر عن النظام الخلقي للأمة، فحتى الآلهة كانت تخضع لهذا القانون، فكانت بمثابة القانون الكوني الشامل الذي ينطبق على سائر الموجودات بشرا كانوا أم آلهة. جاء في إحدى النصوص على لسان الآلهة:" لقد خلقت كل إنسان مثل غيره من الناس، ولم آذن لهم بأن يفعلوا الشر، غير أن قلوبهم انتهكت حرمة ما قلت".

فكانت "الماعت" بالنسبة للمصريين القدامى هي ناموس الحياة ومنهاجها السليم، الذي وضع من قبل الإله الأكبر "رع" ليكون فيه خير البشر والكون،وقد دلت النصوص والشواهد الأثرية على أن "الماعت" هي إتباع السلوك السليم، والنهج القويم، والخلق الكريم، لكل من أراد أن يسير في طريق الحق والفضيلة أو أن يستقيم. [26]

وقد اقتصرت الدلالة الخلقية منذ نشأتها الأولى على المعنى الشخصي للأخلاق، بوصفها أمرا شخصيا خاصا بالأفراد، فكانت تدل على الخلق القويم في الأسرة، أو البيئة التي تحيط بالإنسان مباشرة، حيث كان المبدأ الخلقي محصورا في نطاق العلاقة الراقية المهذبة التي تربط الفرد بأسرته وأقاربه الأدنين، ثم ظل هذا النطاق يتسع ليشمل الجيرة والأقارب ثم الأباعد إلى أن استطاع أن يشمل المجتمع كله، بعد أن أتيح للحكومة المركزية أن تضم شتات القرى والمقاطعات في كيان اجتماعي سياسي واحد. [27]

وكذلك اهتمت الفلسفة اليونانية بالأخلاق اهتماما كبيرا، لأنها أهم ما يتصل بالإنسان ويهمه، وقد قام فلاسفة الأخلاق اليونانية بنقد الفلسفة السفسطائية، حيث حدث نقض ورفض للأخلاقيات والعادات والسلطة والتقاليد كلها، وما كان يعده آباء اليونان تقيا وورعا موضع الاحترام والتقدير أصبح اليونانيون المحدثون ينظرون اليه على انه موضوعات صالحة للسخرية والضحك، وكل قيد من جانب العادة أو القانون أو الأخلاقيات أحيط باستياء باعتباره قيدا غير مرغوب فيه على دوافع الانسان الطبيعية، وما يتبقى بعد تنحية هذه الأمور هو الشهوة والهوى وارادة الفرد الذاتية.[28]

فالصواب أو الخير بالنسبة إلى كل إنسان هو أن يفعل ما يلذ له أو ما يحلو له ويروقه أي إن الفضيلة هي لذة الفرد، [29] "فالإنسان مقياس كل شي" أي انه هو الذي يقرر صحة الشيء من بطلانه بما يتراءى له من انه صواب أو خطأ. [30]

وهكذا تصدى كثير من الفلاسفة لمثل هذه المغالطات السفسطائية التي تستهدف زعزعة المبادئ الأخلاقية والاجتماعية،، خاصة سقراط وأفلاطون، حيث إهتما بالإنسان وسلوكه بعد أن كان هذا البحث يشغل مكانا ثانويا في البحوث الفلسفية السابقة، فانحصرت الفلسفة عند سقراط في محيط الأخلاق، لذلك قيل أن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، وحول النظر من الفلك والعناصر إلى النفس، فأقام الحقائق الثابتة على العقل في ميدان المعرفة بعد فصله بين موضوع العقل وموضوع الحس، وأصبح يرى أن الإنسان له عقل وجسم، فان قوة عقله هي التي تسيطر على دوافع الحس ونزواته، مثبتا أنه إذا كان كانت قوانين الأخلاق تتعارض مع الجانب الحيواني في طبيعتنا، فإنها تتمشى مع طبيعتنا الإنسانية العاقلة، والقوانين العادلة تصدر عن العقل،

وبعدها صورة مطابقة للقوانين الغير المكتوبة التي رسمها الآلهة في قلوب البشر، فالذي يحترم هذه القوانين فانه يحترم العقل والنظام الإلهي أيضا وحتى إذا احتال البعض لمخالفتها تفاديا للعقاب الذي قد يتعرض له في الدنيا إلا انه سيؤخذ بالقصاص لا محالة في الحياة المقبلة. وأطلق سقراط عبارته المشهورة: الفضيلة علم والرذيلة جهل، لأنه يرى أن الإنسان يريد الخير دائما ويهرب من الشر بالضرورة، [31] فمن " تبين ماهيته وعرف خيره بما هو إنسان أراده حتما، أما الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره". ولما كانت الفضيلة التي تعرف ما تستهدفه فإن معرفة طبيعة الهدف الأقصى يصبح المسألة الكبرى في فلسفة الأخلاق. [32]

هذا وقد تميزت المعرفة التي تبنتها روما واتخذتها شعارا لها- بغض النظر عن الفنون الثانية مثل الهندسة المعمارية وغيرها- هي الفلسفة الرواقية ،[33] فقد أسرت هذه الفلسفة ألباب الرومان، فصبغوها بالصبغة الرومانية وبثوا فيها الروح الإنسانية، وتمثلت فها جميع مراتب المجتمع الروماني وطبقاته، حيث لو يولوا اهتماما كبيرا بالمسائل المتعلقة بما وراء الطبيعة أو المتصلة بالسياسة التي استثارت أذهان اليونانيين، بل كان اهتمامهم منصبا على سلوك الفرد وروحه. [34]حيث اتسعت أبحاث الرواقيين في الأخلاق للبحث في الغرائز والانفعالات والواجب والخير . فذهب الرواقيون إلى أن الطبيعة قد هدت الحيوان بالغريزة إلى ما يحفظ حياته والى إتباع السلوك المناسب له، أما الإنسان فقد أضافت له الطبعة العقل، لذلك فقد دارت الأخلاق الرواقية حول هذه القضية الرئيسية في الأخلاق وهي الحياة وفقا للطبيعة التي تحقق الفضيلة ويتم الخضوع للقانون العام الذي يسري على كل شيء في الوجود. ومعنى الطبيعة عندهم ليس بمعنى تحقيق اللذة لأنهم عدوا اللذة صفة عارضة مضافة إلى الطبيعة، وإنما تعني الحياة وفقا للعقل والقانون الذي يسري على الكون الطبيعي والحياة الإنسانية على السواء، ويقضي بترابط الموجودات ببعضها ارتباطا ضروريا بحيث يكون لأتفه الأشياء قيمة بالنسبة للكل. فترتب على هذه الفكرة القول بوحدة الجنس البشري وأخوة الناس وضرورة التعاطف بينهم .

إلا أن هذه الفلسفة اتسمت بالسلبية المطلقة ، لأن الإنسان ممثل يؤدي دوره الذي حدده له القدر، فقد يكون فيه عظيما أو فقيرا أو مريضا أو سليما بائسا أو سعيدا، فعليه أن يؤدي الدور ويقبله أيا كانت الأحوال فعلينا أن نحسن أداء الدور، أي التسليم بالقدر والى السلبية المطلقة التي ضاقت معها حرية اختيار الإنسان وإيمانه بقدرته على اختيار مصيره أو تغييره، ووقعت في خطأ البحث عن الخير والسعادة في طبيعة الفرد منعزلا عن ظروفه وبيئته. [35]

الأخلاق إذن تفكير حي متطور لأنه دائب الاتصال بنشاطي النظر والعمل، القول والفعل، وكلا النظر والعمل يجري في زمان هو حياة الفرد بوصفه عقلا مبدعا، وحياة الناس بوصفهم أعضاء في مجتمع ذي حياة وتطور، أي تاريخ. هذا وقد كانت هناك صلة وثيقة بين النظريات الأخلاقية عند اليونان وبين فلاسفة أوروبا المحدثين، فديكارت مثلا ترسم خطى الرواقية وأقر أن أسمى الخيرات هي ممارسة الفضيلة، لأن الفضيلة تتوقف على إرادتنا، ولهذا فإنه كان يرى أن التغلب على هوى النفس أمر أسبق من التغلب على الحظ، وأنه ينبغي على المرء بذل جهده في تغيير رغباته بدلا من تغيير نظام العالم، وأن يروض نفسه على أن يعتقد أن آراء الإنسان وأفكاره هي كل ما يملك في هذه الدنيا.

كذلك مذهب سبينوزا مذهب رواقي في ثوب ديكارتي، والأخلاق عند كانت أخلاق الرواقيين في لغة جديدة، ومذهب المنفعة [36] مذهب الأبيقوريين [37] في ثوب جديد . وهو قائم على ما ذهب إليه الفيلسوف اليوناني أرستبس إلى أن اللذة هي صوت الطبيعة، وأن الغريزة هي المحرك الأول لأفعال الإنسان ، وجعل معيار اللذة والألم هي معيار القياس لخيرية الأفعال وشريتها. وجاء بعده أبيقور وأكد كذلك على مبدأ اللذة والمنفعة. [38]حيث يذهب إلى أنه إذا كانت هناك القليل من الأدلة بأن الإيمان الديني يؤمن بعض الحماية من الضغط النفسي والأمراض الناتجة عنه، إلا أن حدوث فوائد كهذه لا يعني أن هناك قيمة حقيقية وراء الزعم الديني، فالحياة رغبة في البقاء والوجود بكل الطرق الممكنة ،واللذة هي المبدأ الأول والأساسي الذي يسمح باستمرار الحياة وبالمثابرة على الوجود، لذلك قال أبيقور:"بأن المبدأ الأول والأخير لكل سلوك ولكل خير هو اللذة، فلن نستطيع تصور الخير لو استثنينا ملذات الذوق وملذات الجماع وملذات البصر وكل الحواس الأخرى التي يمتاز بها الإنسان، فما دامت مصادر اللذة تسمح

بتخليص الفكر من القلق الذي تحدثه فيه الظواهر السماوية والموت والعذاب فلا داعي للتوبيخ لأن اللذة ستغمرهم من كل جانب دون أن يختلط بها الألم والحسرة اللذين يمثلان الشر الحقيقي". [39]

فهل يمكن اعتبار "اللاأخلاقية" القديمة والمعاصرة هي التي أوجدت أخلاقا نظرية جديدة زعزعت فلسفة الأخلاق بصفة عامة، وفلسفة الأخلاق الدينية بصفة خاصة، أم أن معوقات التربية في المجتمعات المعاصرة مرتبطة بأمور غيرها.

المبحث الثاني: معوقات التربية الأخلاقية في المجتمعات العربية المعاصرة:

أعتقد أن فلسفة الأخلاق مهما وصلت إليه من كمال، من الخطأ تمييزها عن فلسفة الأخلاق الدينية، هذا باعترافات أشد خصوم فكرة ارتباط الأخلاق بالدين، منهم دور كايم الذي سلم بالارتباط الوثيق بينهما،حيث يقول:"إن الأخلاق والدين قد ارتبطا ارتباطا وثيقا منذ أمد بعيد، وظلا طوال قرون عديدة متشابكين، فلم تصبح العلاقات التي تربطهما علاقات خارجية أو ظاهرة، ولم يعد من السهل فصلهما بعملية يسيرة كما نتصور". [40]

وبالتالي فإن انحرافها مصاحب للانحراف الديني، منذ أن خلق الله آدم إلى يومنا هذا، فنحن إذا رجعنا إلى قصة الخلق الأولى نجد تقرير مفهوم فلسفة الخير والشر التي هي منظومة الأخلاق كلها: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾-البقرة:30-. سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، فقال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾- البقرة:30- ، أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم. [41] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾-البقرة:34- من ثم كان قرار الشر والعداء لبني الإنسان من قبل إبليس، الذي أصبح مصدر الوسوسة بالشر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾-الحجر:40-.

وأنا أطالع بكتاب "إبليس" لعباس محمود العقاد أعجبتني مقولته: "يوم عرف الإنسان الشيطان كانت فاتحة خير"، [42] فالشر ليس إلا تزيين الخير بما يناقضه، لذلك قال إبليس:﴿لأزينن لهم في الأرض﴾ الحجر:40-. أي لأحسنن لهم معاصيك، ولأحببنها إليهم في الأرض ﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ أي لأضلنهم عن سبيل الرشاد ، وأحبب إليهم المعاصي وأرغّبهم فيها، وأؤزّهم إليها، وأزعجهم إزعاجًا.[43] فليس معنى قول إبليس:﴿بما أَغْوَيْتَنِي﴾ بأنه بسبب غواية الله وإضلاله له كما جاء في"تفسير القرآن العظيم "لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير،[44] لأن هذا فيه نسبة الظلم لله تعالى، إذ كيف يغوي مأمورا؟ فهذا تكليف بما لا يطاق، وهذا مخالف للعدالة الإلهية. من هنا أرى أن المقصود:﴿بما أَغْوَيْتَنِي﴾ أي بما أعطيتني ووهبتني من صفات أقدر بها على تزيين الغواية، حيث أن إبليس والجن بصفة عامة لهم صفات تكوينية مخالفة تماما للصفة التكوينية للإنسان، فالإنسان من هذه الناحية ضعيف التكوين أمامه، قال تعالى:﴿ إِنَّه يراكُم هوَ وقَبيلُه من حيث لا تَرَونهم ﴾-الأعراف: 27- ولهم قدر كثيرة أخرى كما نص على ذلك القرآن. إلا أن أهم خاصية لإبليس في تحقيق غوايته "الوسوسة" ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾-الأعراف:17- لكن لا يعني هذا أن الله جعل له قدرة على الإنسان بحيث يرغمه على الغواية، فالإنسان حر مختار وهو بكامل إرادته يختار، وقد أعجبني تفسير الفخر الرازي لهاته الآية ، حيث أوهم إبليس أن له سلطانا على عباد اللّه الذين يكونون من المخلصين، فبين تعالى في هذه الآية أنه ليس له سلطان على أحد من عبيد اللّه سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا مخلصين، بل من اتبع منهم إبليس باختياره صار متبعا له ، ولكن حصول تلك المتابعة أيضا ليس لأجل أن إبليس يقهره على تلك المتابعة أو يجبره عليها والحاصل في هذا القول: أن إبليس أوهم أن له على بعض عباد اللّه سلطانا ، فبين تعالى كذبه فيه ، وذكر أنه ليس له على أحد منهم سلطان ولا قدرة أصلا ، ونظير هذه الآية قوله تعالى حكاية عن إبليس أنه قال: ﴿وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾-إبراهيم : 22-وقال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾-النحل : 99 – 100- [45].

لذلك من كان مخلصا فلا سبيل لإبليس إليه، فان قدر هؤلاء المخلصين على تجنب الشر دل على أن القدر متشابهة عند كل البشر. ودل على أن الظلم والكثير من الابتلاءات والآفات هي عينها الكمال والرقي، وهي ذاتها أسباب التميُّز للإنسان عن سائر الخلق، فإذا ما جرّدنا الإنسان عن منشئ الظلم والكثير من الآفات فهذا يقتضي تجريده عن إنسانيّته، لأنَّ إنسانيّة الإنسان إنما هي بقدرته على الاختيار، وسلبُ الاختيار عنه يجعل من وجود عقله وجوداً عبثيًّاً لأنه لن يُتاح له الاستفادة منه، وهكذا حينما نُجرِّد الإنسان عن مشاعره فإننا نجرِّده عن أسباب تقدُّمِه وتكامله.ومن هنا نفهم كلام عباس محمود العقاد: "يوم عرف الإنسان الشيطان كانت فاتحة خير". وهذا عين كمال الله وكمال عدله وكمال إحسانه.

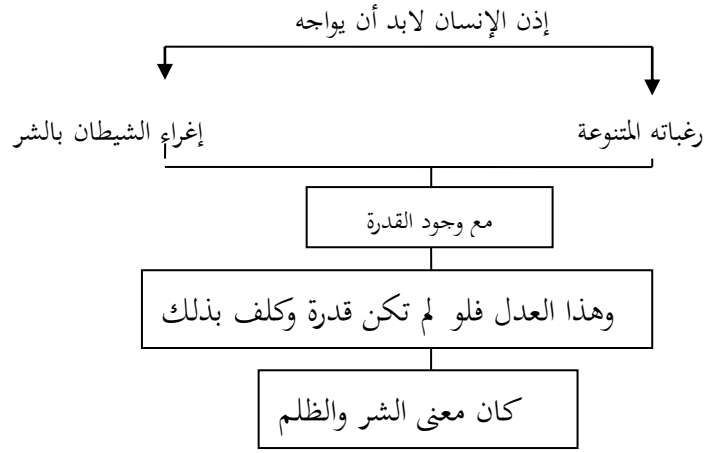

إذن فأساس فلسفة التربية الأخلاقية حددت من أول الخلق، تكمن في إتباع شريعة الرسل التي هي شريعة الله وتجنب الغواية وإتباع الهوى. لأنه لا يوجد فكر ديني دون أن يكون فكرا أخلاقيا، انطلاقا من أن الفكر الديني هو الذي يحدد الإطار العام لأفكار معتنقيه، ويجيب عن التساؤلات الإنسانية الكبرى مثل خلق الإنسان والتدبر في نعم اللّه وآلائه، أما الفكر الخلقي فإنه يحدد أنماط السلوك التي يمارسها الإنسان في هذه الحياة.

نستنتج من كل ما مر الآتي:

1-الأخلاق -من حيث كونها جزء أساسي في المنظومة الدينية- خاضعة لتصور الدين في الغالب، طبعا مع اختلاف شديد في هذا الموضوع، بين يراه عقلي محض، وبين من يراه شرعي محض، إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية فصلها تفصيلا جميلا، حيث قسمها بما ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع إلى ثلاثة أقسام، بين ما يعلم حسنه وقبحه حتى لو لم يرد الشرع بذلك، لأن الفعل في حد ذاته يشتمل على مصلحة أو مفسدة، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم. والنوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا، وإذا نهى عن شيء صار قبيحا، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع. والثالث أن يأمر الشارع بشيء يمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه، ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾الصافات: 103، حصل المقصود، ففداه بالذبح. [46]

إلا انه الأساس هنا هو خضوع الأخلاق لحكم الدين، لأن الأول لم يعد احد يجهل الحكم على ماهية الأفعال، لأنها كلها أصبحت واضعة مع الشرائع، وبالتالي فإنها وان خضعت لحكم العقل إلا أن خضوعها للجانب الديني أقوى وأشمل وأصوب. أما الثالث: فلأنه كان امتحانا خاصا لتحقيق كمال التربوية النبوية .

وبالتالي فاني أعتقد أنه من أكبر المعوقات للتربية الأخلاقية الآن هي خروج المنهج الأخلاقي من هذه البوثقة ، التي هي صمامة الأمان للمجتمعات، حيث خضعت للمتحرك في المجتمعات:. الحاجة والمزاج، وقد لعب الإعلام دورا مهما في هذه القضية، حيث استطاعت زعزعة منظومة القيم الأخلاقية، و اختراقها عبر الإستلاب الثقافي ، و محاولة التموقع والارتكاز بشكل جيد عن

طريق التسلل لعقول المتلقين، و بشكل يتيح إمكانية إعادة هيكلة المفاهيم الأخلاقية، و بالتالي إحلال مفاهيم جديدة حتى وان لم تكن غربية لكنها مسخ ، تسهم بدورها في تنميط السلوكات و توجيهها نحو وجهة –محددة سلفا– ، ومن هنا اختلف حس الاستشعار بهذه القيم في جميع منظومتنا الحياتية واختلط الحلال بالحرام على وجه مشروع، إذ استطاعت أن تجعل الكثير من الأخلاق السيئة عن طريق الفكاهة أو الرومانسية الغير خاضعة للمقاييس الأخلاقية، كجعل الخمور والمخدرات مغامرة فكاهية أحيانا كثيرة جدا ، أو الدخول في مغامرات خطيرة جدا عل غرار ما تقدمه أفلام العنف ، واللصوصية سوقت كنوع من البطولات، والغدر كياسة، والخيانة فطانه، والاحتيال ذكاء، والعنف هو أقصر الطرق لتحقيق المآرب، ومفاهيم أخرى كثيرة، . يكفي مثلا أن ننظر إلى إباحتها للعلاقات المحرمة بشكل كبير جدا ، وتشجيع انتشار الرذيلة، على اعتبار أن هذه الانحرافات شيئاً شهياً مغرياً، يحفز الإنسان لتجربته، حتى أنها أصبحت جزء من الثقافة التي لا تقدر التربية الأخلاقية السيطرة عليها، فغاب مع هذا التيار الإحساس بالذنب أو الإحساس بالخطيئة، لأنها تقدم بطريقة تساعد على إلغاء حاجز الخوف من الله. لذلك أصبح ما يقدمه المربون بخصوص التربية الأخلاقية بمثابة مقررات مفروضة فقط لاجتياز المتربي امتحانها والحصول على درجات فيها.لأن المغامرة التي أصبح يؤمن بها هذا الجيل تعني مفاهيم غيرها.وهذا ما يفسر لنا ولا يستطيع أن ينكره احد في مجتمعاتنا المعاصرة هي وجود هوة سحيقة بين المربي وبين المربى، إن داخل الأسرة، أو داخل المؤسسات التعليمية التربوية.

فالأسرة ودورها في تحقيق مفهوم التربية الأخلاقية أمر أكدته جميع الحضارات والديانات القديمة، وخاصة الصينية، جاء في احد النصوص الأساسية في الكونفوشية: "كان القدماء الذين يرغبون في إبراز شخصيتهم النقية للعالم يعمدون أولا إلى نشر النظام في دولهم، والذين رغبوا في نشر النظام في دولهم كانوا ينظمون عائلاتهم أولا، والذين رغبوا في تنظيم عائلاتهم كانوا يرعون حياتهم الخاصة أولا " .[47] كما تم التأكيد على الفضائل العائلية وبصفة خاصة على مفهوم المحبة المتبادلة، لأن الأسرة هو المشكلة والمصيغة لشخصية الطفل الأخلاقية والروحية، فالعائلة هي من تمكن غرس العظمة في الأفراد.

وهذا هو دور الأسرة في مجتمعاتنا الإسلامية، تنطلق من منطلق ديني يسعى إلى التربية الأخلاقية وتأديب الأبناء بأدب الدنيا والدين، فالأسرة في حقيقتها محضن لمعاني الإنسانية والقيم والمبادئ، وفيها يتعلم الإنسان كيف يعمل في مجموعة بشرية صغيرة وكيف ينشئ علاقات اجتماعيه ليتبادل من خلالها الحب والحنان، ويتعلم حب الخير والمسؤولية والتحمل والتضحية والإحسان والإيثار ثم ينقلها معه إذا خرج إلى الأسرة الكبيرة ، المجتمع الأكبر، إلى العالم، إلى كل الناس. والسكن والمودّة والرحمة لا تأتي إلا من المسكن حيث الزوجة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الأعراف:189..فالزوجان نفس واحدة في طبيعتها وتكوينها وإن اختلفت الوظيفة بين الذكر والأنثى، فهذا الاختلاف إنما هو لحكمة التكامل بينهما ليسكن الزوج لزوجته ويستريح إليها، وهذه هي نظرة الإسلام لحقيقة الإنسان، وهي نظرة صادقة كاملة جاء بها هذا الدين يوم أن كانت الديانات –بعد التحريف– تعد المرأة أصل بلاء الإنسان، ثم من هذين الزوجين تكون الثمرة – الأبناء– ليستمتعوا بهذا الاستقرار والأنس والأمان فينشأ الجيل الجديد (الإنتاج البشري) المتميز في الجودة والنوعية والذي يكون خيراً عظيماً لأمته.[48] إلا أن هذا المفهوم العميق لهذه العلاقة الأساسية في تكوين الأسرة خضعت للكثير من التغيرات، فكانت اكبر معوق للتربية الأخلاقية في مجتمعاتنا المعاصرة، فالأسرة والمجتمع الإسلامي أصبحا خاضعين —بفعل العولمة– لنظرية الصراع الاجتماعي، فهي وإن كانت لا تنكر أهمية دور المؤسسة العائلية في انجاز الوظائف المناطة بها اجتماعياً، إلا أنها تؤكد هذه النظرية على أن المؤسسة العائلية هي أول مؤسسة إضطهادية يختبرها الفرد في حياته الاجتماعية. حيث تمثل سيطرة الرجل على المرأة في النظام العائلي ، أخطر الأمثلة التي تقدمها نظرية الصراع وتدينها من الأساس. والى ذلك يشير (انجلز) في كتابه « أصل العائلة ، الملكية الخاصة ، والجولة » قائلاً :" إن الزواج يمثل نموذجاً راقياً للعداوات التي ظهرت في التاريخ. حيث إن نمو وإزدهار مجموعة معينة يتم على حساب مأساة وإضطهاد مجموعة أخرى ... وان العلاقة بين الزوج والزوجة هي مثال نموذجي لما يحصل لاحقاً من

اضطهاد بين الطبقة الرأسمالية والطبقة العمالية ". فلاشك أن نظرية الصراع الاجتماعي تنطلق في تحليلها لوضع المرأة في المؤسسة العائلية من معاينة المجتمع الأوروبي الغربي في عصر الثورة الصناعية ونشوء النظرية الرأسمالية ، ففي النصف من القرن نفسه وصلت حالة العنف بين الزوج والزوجة في المجتمع الأمريكي إلى درجة ، بحيث وضعت المؤسسة العائلية على قمة المؤسسات الاجتماعية الأمريكية التي تمارس العنف والإجرام، فجرائم القتل بين الأزواج تمثل عشر إجمالي الجرائم الجنائية السنوية. وفي كل عام يحاول أكثر من سبعة ملايين زوج أو زوجة إنزال الأذى بالآخر ، قتلا كان أو ضرباً مبرحاً أو جرحاً بليغا. ويحاول أكثر من مليوني طفل سنوياً الاعتداء على أمثالهم بسلاح ناري أو نحوه بنية وتصميم مسبق للقتل. وفي كلّ عام يهرب أكثر من مليوني مراهق من بيوتهم بسبب الاعتداءات الخلقية عليهم من قبل آبائهم.[49]

هذا وقد أصبحت الأسر العربية تعاني من التفكك والصراع الذي وصلته الأسر الغربية ضمن نظرية الصراع الاجتماعي، حيث دخلت المجتمعات العربية الإسلامية تعقيدات الحياة الغربية .

ومع غياب البيانات الإحصائية الخاصة بحالات العنف الأسري في الوطن العربي، وعدم وجود تقارير إحصائية دقيقة، حول حجم الظاهرة، إلى جانب عدم دقة تلك البيانات في حالة وجودها، نظرا لتأثير الثقافة السائدة في المجتمع، والتي تتسبب في الحد من إفشاء تلك الحوادث إعلاميا ومحاولة إخفائها. إلا أن الكثيرين من علماء الاجتماع والتربية وغيرهم أكدوا أن العنف أصبح ظاهرة في تنامي متزايد عندنا، العنف والعنف المضاد، وساهم في هذا الموضوع مجموعة من العوامل الأخرى نذكرها لاحقا.

أما فيما يتعلق بجانب المربي الثاني الذي هو المعلم، داخل المؤسسات التعليمية، فلا أحد يختلف في أن المهمة الأساسية للمربي هي تثقيف العقول، ومحاولة أغناء الطلاب بالمعلومات المختلفة، ومساعدتهم على تفهم المواد والمناهج المقررة، لكن هذا ليس كل الواجب، فتوجيه الطلاب وإرشادهم، وترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة في نفوسهم، من المهام الأساسية لأي مربي. فمهمة المدرسة مكملة لمهمة الأسرة، وإذا كانت الخطوط العميقة، تتشكل في السنوات السبع الأولى من عمره، فان الصحيح أيضا أن تلك البذور والأنماط السلوكية ، تظل بحاجة إلى تزكية ورعاية من قبل المعلم المربي حتى تستكمل شخصيته كل أبعادها النهائية، وإلا فإن الانتكاس سيضل أمرا واردا. فالتعليم ليس فقط لإعداد موظفين أو باحثين، وإنما لإعداد المتعلمين ليحيوا "حياة طيبة"، وهي تتحق من خاصية التوازن والتكامل لجمل عناصر الشخصية : العقلية والمعرفية والنفسية والروحية .عن طريق تعريفهم بالفوارق بين الأخلاق الحميدة، والأخلاق الذميمة، إلى جانب تثبيت الاتجاهات الخيرة، وكل ما يؤدي إلى صقل الشخصية.[50]

إلا أنه أصاب شرخ كبير أيضا هذه المهمة العظيمة التي أنيطت للمعلم المربي، فكنا نسمع قديما في أبيات الشعر الآتي، كما في شعر أمير الشعراء احمد شوقي:

قُمْ للمعـــــــلّمِ وَفِّهِ التبجيلا كادَ المعلّمُ أن يكونَ رســـولا
أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذي يبني وينشئُ أنفســـــاً وعقولا
فهوَ الـــــذي يبني الطباعَ قويمةً وهوَ الذي يبني النفوسَ عُـدولا
ويقيم منطقَ كـــــلّ أعوج منطقٍ ويريه رأياً في الأمورِ أصيـــــلا

فهذا إثبات للمكانة المعنوية والقيمية للمعلم كما كنا نعهد، بينما تحولت هذه القيمة الأدبية التربوية مع عصر المادة:عصر العولمة إلى قيم مادية محضة، والى سخرية واستهزاء لمكانة المعلم، فلننظر لهذا البيت:

وبجل الطالب ووفه التبجيلا لولا الطالب لكان المعلم يبيع البليلا

أو هذا البيت بصيغة أخرى:

قم للمعلم ووفه التلطيشا كاد المعلم أن يبيع بليلا

في إحدى التعليقات وجدت:" أحسن ما يكون المعلم يبيع مناديل على الطرقات".

فإذا وصلت ثقافة المتلقي الطالب لهذا النوع من التفكير المادي السطحي فهذا معناه أننا فعلا نعيش أزمة حقيقية في التعليم، وبالتالي أزمة حقيقية في تحقيق أي نوع من التربية الأخلاقية ساهمت فيها عوامل عدة:

أ- **اختلاط المفاهيم**: بين العنف والتأديب، فالعنف مرفوض قطعا تحت أي ذريعة كانت، لذلك كان مفهوم التأديب ، وضعت له أساليب وحدود في وسائل التربية الإسلامية، فالإفراط في الحزم والشدة ظلم مبين، والإفراط في اللين ضعف مبين ، فالتربية المعتدلة أصل سلامة الأعمال وأساس بلوغ الآمال. والوسطية من أهم سمات ومطالب الشريعة الإسلامية، في جميع أمور الحياة.

إلا انه الآن اتجهت التعليمات خاصة في المدارس التعليمية إلى إلغاء أي نوع من العقاب- المشروع طبعا- كوسيلة من وسائل التأديب والإصلاح، وأصبحت سلطة المتعلم أعلى من سلطة المعلم، وبالتالي أصبح ينظر إليه انه مجرد أجير يؤدي ثمن أجرته، ولم يعد هناك أي نوع من الاحترام الذي هو أول شرط من شروط وأدب المتعلم، أكد عليه العلماء المسلمون قديما وحديثا، ك "رسالة آداب المتعلمين» لابن سحنون، التي تعتبر أولى المصنفات التي أفردت بالتصنيف في أصول التربية الإسلامية، عبر التاريخ، وعليها اتكأ من جاء بعده، كابن الجزار في كتابه «سياسة الصبيان»، والقابسي في «الرسالة المفصلة»، وابن مسكويه، والغزالي وغيرهم من كبار المربين، ذلك أن مدار اعتمادهم عليها يدور حول الأسس المنهجية للتدريس وقواعد طرائق التعليم الأولى، وهي ولاشك مرحلة حساسة ودقيقة، تؤسس لأهم فترات أصول التربية، وترسخ لقوانين تأديب الصبيان وتعليمهم، فدونك قول ابن الجزار القيرواني:"إن أكثر الناس إنما أتوا في سوء مذاهبهم من عادات الصبا،إذ لم يتقدمهم تأديب وإصلاح أخلاقهم وحسن سياستهم".[51]

ولنكون منصفين لا نستطيع أن نقتصر على هذا، بل إن دور المعلم في حد ذاته خضع لتغييرات مهمة، حدثت كنتيجة لاحقة لما سبق وذكرناه، أو كردة فعل لإحباط نفسي يعيشه المربي المعلم ، وتأثر أيضا بفعل متغيرات "الاستهلاك " فأصبح بدوره مستهلكا للدور المناط له.مما أدى إلى حدوث فجوة كبيرة بين المعلم والمتعلم.

ب-**نوعية البرامج المقدمة للأطفال**: حيث تعد مشكلة أخرى فأغلبيتها برامج ترفيهية تعتمد على إضحاك الطفل، ولا تهتم بتعليمه، كذلك أغلب هذه البرامج تحتوي على أفلام الكارتون والتي أثبتت الدراسات أنها خطيرة جداً حيث أن فيلماً واحداً من أفلام الكارتون يحتوي على ستة أضعاف العنف المقدم في أي برنامج آخر، وبذلك فالطفل عندما يصل لسن الثانية عشرة من عمره يكون قد تعرف إلى حوالي عشرة آلاف ساعة عنف من خلال البرامج المقدمة له في التلفزيون، وهو ما يؤثر سلباً على شخصيته فيصبح أكثر عنفاً واتجاهاً للجريمة بسبب ما يشاهده في هذا الجهاز الخطير. ومن تم يجب أن تهتم هذه البرامج بتنمية ذكاء الطفل ولا تعتمد على أسلوب التلقين ومعاملة الطفل على أنه غبي، وعلى القائمين على هذه البرامج أن يعلموا أن الطفل العربي من أذكى أطفال العالم، وعلينا أن نتعامل معه من خلال هذا المنظور فنمنحه الفرصة لكي يفكر ويعبر عن رأيه دون أي تدخل منا. كذلك يجب ألا تعمد برامج التلفزيون على غرس الأنانية في الطفل كما يحدث الآن، فأغلب البرامج المقدمة للأطفال تعتمد على الصراع والمنافسة وإذا كان هذا الأسلوب مناسباً للمجتمعات الغربية فهو أسلوب غير مناسب لمجتمعاتنا العربية التي يعد التعاون وحب الآخرين أهم قيمها التي يجب أن نغرسها في أبنائنا.[52]

مع انه إذا نظرنا إلى مسابقات الذكاء العالمية الخاصة بالأطفال نجد أن المتصدرين لها ينتمون لدولنا. كما هم أطفال مصر، حيث حصلوا على تسع مراكز متقدمة من بين 1600 متسابق من جميع أنحاء العالم من أكثر من 16 دولة في منافسات المسابقة العالمية للذكاء العقلي بسنغافورة.

قرأت مقالة للأستاذ صلاح مرسي بعنوان:"لماذا يتناقص ذكاء الطفل العربي"، حيث بين فيها أن الدراسات تؤكد أن الطفل العربي من أذكى أطفال العالم، حيث تصل نسبة ذكائه إلى 90 درجة قبل سن الخامسة، وتبدأ هذه النسبة في التناقص بعد ذلك نتيجة لعدة أسباب منها المناهج الدراسية وبرامج التلفزيون المخصصة للأطفال والتي لا تراعي قواعد التربية السليمة ولا تعتمد على تنمية

ذكاء الأطفال، وإنما تركز على جعله مجرد متلق سلبي للرسالة التي تبثها المذيعة وبذلك يتوقف نمو الطفل بل انه يتضاءل أمام أسلوب التلقين الذي تعتمد عليه المدرسة ووسائل الإعلام.

2- إن التربية الأخلاقية هي مفهوم شامل عام ، لا يختص بنتاج سلوكي فقط، بل لابد من الوصول بها إلى مراتب الكمال: العقلي، النفسي أو الروحي، وأيضا كيفية التعامل مع الجسد. لأنها منظمة متكاملة غير منفصلة أجزاؤها تشكل في مجموعها مفهوم الإنسان. وتعتبر هذه القاعدة من أهم ما يميز المنهج التربوي الإسلامي عن المناهج والمذاهب والفلسفات الأخرى .

وأكبر معوق هنا في تحقيق هذه الشمولية هي توجه تربيتنا الأخلاقية في مجتمعاتنا إلى منهجية "الأمر والتقليد" دون تحقيق ثقافة المقاصد والاجتهاد. بمعنى تفقد معظم الأسر لطرق التثقيف لتحقيق التربية الأخلاقية الشمولية، وخاصة في مراحل التغيرات الجسمية والنفسية التي يمر بها الأبناء، فلا نقدم شروحات لهم حتى يفهموا حاجاتهم الجديدة، تتناسب مع القدرة الذهنية والإدراك, لكي نحميهم من الضلالات والإغواءات التي تصل إليهم أو هم يصلون إليها عبر وسائط الاتصال الحديثة. لأنه لا ينفع أن يكون الدور فقط في تحقيق ما يشبع الجانب المادي: من المأكل والمشرب واللبس وغيره، ولا ينفع أن نقتصر فقط على تثقيف العقل وتزويده بمعلومات ، ولا يكفي فقط تزويد الروح بتعاليم الدين من غير روح فيها، لأن إشباع كل طرف على حساب الآخر يؤدي إلى التطرف بأشكاله المختلفة: تطرف ديني إذا غلبت التربية الدينية الجامدة والقاسية أحيانا، التطرف اللاديني إذا غلب الجانب المادي في التربية ، والأنانية الفردية إذا غلبت فقط التربية العقلية على غيرها. من ثم كانت حتمية الشمولية في تحقيق التربية الأخلاقية.

3-الأخلاق من حيث ارتباطها بالدين أقوى وأعم وأشمل من الالتزام الأخلاقي أو المسؤولية القانونية، فالأخلاق تلزم الإنسان من داخل نفسه، وبقناعة تامة. بينما القانون إلزام خارجي، لا يأبه بمدى قناعة الفرد بالأوامر، لأن المسؤولية القانونية تكون سطحية فقط لتجنب العقوبات في حال المخالفة، أما الأخلاق الدينية فسلطانها أوسع، لأنها لا تعترف بنتاج الالتزام الظاهري إلا إذا صاحبه التزام باطني، وإلا فلا معنى لأي سلوك مهما ظهر لنا حسنه، لأنه بالنهاية لا يخضع لسلطة الإنسان كحاكم أساسي في معادلة: الإنسان الخير، أو الإنسان الشرير، وإنما تخضع لشريعة الله .

ولعل أهم المعوقات في إكمال هذه التربية الأخلاقية التي لا تقتصر على الظاهر السلوكي فقط هو أن مجتمعاتنا بفعل عمليات التغريب أصبحت تتوجه لما يسمى بفن الاتيكيت [53] مع أنه يهتم بالظاهر في غالبه دون الباطن، وحتى لو باطنا يبقى بعيدا عن التربية الأخلاقية الخاصة بنا، كمجتمعات لها خصوصيات مختلفة عن غيرها من المجتمعات، وكدين مختلف أيضا عن غيره من الأديان.

وقد أعجبني في هذا الصدد أيضا مقالة لرشيد ناجي الحسن، بعنوان: الإسلام والايتيكيت"، حيث أكد على مفهوم الذوق الإسلامي كخلق إسلامي ونبوي أصيل قبل أن تنادي به أوروبا أو فرنسا، وأن الإنسان عندما يتصرف على طبيعته من دون تكلف يكون تصرفه نابعا من مبادئه وأخلاقه التي لا مواربة فيها ولا خداع، وأيضا قد يكون في الإتيكيت شيء من الكذب والنفاق وإظهار المرء بمظهر مزيف وبعيد عن مظهره الحقيقي، فهو بهذا يكاد يكون يتعامل مع الناس من خلف قناع. وأنه إذا كانت الجامعات الأوروبية تنشئ كليات خاصة لفنون الإتيكيت، فنحن نأخذها بالمجان ودون دخول مثل تلك الجامعات، وذلك بتطبيق تعاليم الإسلام التي جاء بها الرسول الكريم محمد " صلى الله عليه وسلم "، إلا أنه اختلطت وتناقضت القيم في مجتمعاتنا ، وبالتالي يؤكد على ضرورة استعادة مصطلحاتنا وقيمنا الوضيئة، لتحدد لنا قواعد العلاقات الرسمية وغير الرسمية، لأنه لدينا إرشادات تهذيب جوهرية أهم بكثير من معرفة كيف نطوي منديل المائدة، وأين نضع السكين بجوار الصحن. فنحن «المسلمين» نعترف ونعرف بتلك الكلمة، لكنْ بزاوية هم بعيدون كل البعد عما يبتغونه, فليست غريبة على عقيدتنا, فنحن من جعل للآداب الإتكيتية وجودا قبل أن يتأتكتوا هم، وإذا كان الإتيكيت عند الآخرين عادة فنحن معشر المسلمين الأخلاق والذوق عندنا عبادة . [54]وصدق الامام علي رضوان الله عليه عندما قال:

لَيسَ الجَمالُ بِأَثوابٍ تُزَيِّنُنا إِنَّ الجَمالَ جَمالُ العَقلِ وَالأَدَبِ

- خاتــمة:

أعتقد ختاما أن المعوق الوحيد الذي يمنعنا فعليا لتحقيق أي تربية أخلاقية وأي نهضة حضارية ليس فقط ما ذكرناه، لأن كل ما ذكرناه في النهاية إنما هو أعراض المرض وليس المرض الحقيقي، المرض الحقيقي يكمن في أن اكبر معوق بالأصل هو الإنسان نفسه، فلا يكفي الأخلاق المجردة، ما لم تكن هناك إنسانية حقيقية، فالصفات الإنسانية النبيلة في داخلنا أصبحت تضيع في زخم معترك الحياة الذي أصبح صعبا بسبب التغيرات في كثير من المفاهيم والأفكار وبسبب طغيان المادية الغربية الهمجية. ومثل ما كان كونفوشيوس متفائلا بخصوص الإنسان لما قال:"إن ممارسات الإنسان قد فسدت، لكن الإنسان نفسه لم يفسد بعد" . [55]

فلنتفاءل، لعل الإنسان يعود إلى منابع الخير ويستأصل منابع الشر، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ -النحل: 97- ، أي: مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ فِي الدُّنْيَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ثُمَّ أَخْبَرَ بِأَنَّ دَارَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ، أَيْ: مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالْجَزَاءُ فِيهَا أَتَمُّ مِنَ الْجَزَاءِ فِي الدُّنْيَا. [56] هذه هي معادلة تحقيق التربية الأخلاقية التي أكدتها جميع الأديان، فيها فلاح الدنيا والآخرة.

الهــوامــش:

1-المعجم الوسيط ،إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق : مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط 4: 2004م، باب الخاء،ج 1،ص:252.

2-لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، بيروت:دار صادر ، ط 3: 1414 هـ، باب:خلق،ج:10،ص:85. وأساس البلاغة، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق:محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1: 1419هـ-1998م، ج :1، باب الخاء، ص:264. والمحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط:2000م، باب: خ ل ق ،ج 4، ص:.536

3-تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي، تحقيق: علي هلالي، الكويت:مطبعة حكومة الكويت، ط 1407،2هـ 1987م، مادة ربب ج:2، ص:462-464. ولسان العرب، مادة ربب، ج:1، ص:.399

4- معجم اللغة العربية المعاصرة،أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، ،السعودية:عالم الكتب، ط1: 1429 هـ - 2008 م، ج:2، ص:.852

5-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، بيروت:دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ طبع ، ج:5، ص:.21

6-الفكر التربوي عند ابن القيم، حسن بن علي الحجاجي، جدة: دار حافظ للنشر والتوزيع ، ط 1: 1408هـ- 1988م، ص:.157

7-معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، بيروت: دار صادر ، ط: 1397 – 1993م ،ج:4، باب العيون والواو، ص:169.

8-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط 4: 1407 هـ - 1987 م، ج:4، مادة عوق، ص: .1534

9-معجم اللغة العربية المعاصرة،أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، القاهرة: عالم الكتب،ط 1: 1429 هـ - 2008 م، ج:2، ص:.1577

10-المعجم الوسيط ، باب العين، ج:2، ص:.637

11-تاج العروس من جواهر القاموس، مادة عوق:ج:26، ص:224.

-12 تهذيب اللغة ،أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق : محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي :2001م، ج:3، ص:.18

13-الإسلام وبناء المجتمع، حسن بع الغني أبو غدة وآخرون،الرياض: مكتبة الرشد، ط 1434:5هـ- 2013م، ص:11-12.

14- الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الاسلام،مصطفى حلمي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 : 1424هـ- 2004م، ص:.16

15- الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة : كامل يوسف، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، عدد:199، يوليو:1995م، ص:.28

16- الفكر الشرقي القديم ص:.29

17-حضارة الهند، روميش تشاندر دات، وزارة الثقافة والإعلام، المجلة العربية:1432هـ ، العدد:17، ترجمة مجموعة اقرأ: الرياض:1432هـ، ص:.66

18- وهو السماء التي غطي كل شيء، وكانت الترانيم التي توجه إليه هي أقدس الترانيم الفيدية . للاستزادة:حضارة الهند، روميش تشاندر دات، ص:26-.35

19- حضارة الهند، روميش تشاندر دات، ص:.27

20-مقارنات الأديان: الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، مصر: معهد الدراسات الإسلامية، ط : 1965م، ص:80

21-كوفوشيوس: الاسم المشهور به في الصين "كونغ فوتس" معنى فوتس الحكيم أو الأستاذ، وكونغ هو الاسم فمعنى التركيب الأستاذ الحكيم، يعتبر كونفوشيوس المؤسس الحقيقي لهذه العقيدة الصينية.ولد سنة 551 ق. م في مدينة تسو Tsou وهي إحدى مدن مقاطعة لو .Lu ينتسب إلى أسرة عريقة، فجدّه كان والياً على تلك الولاية، ووالده كان ضابطاً حربيًّا ممتازاً، وكان هو ثمرة لزواج غير شرعي، توفي والده وله من العمر ثلاث سنوات، تلقى علومه الفلسفية على يدي أستاذه الفيلسوف لوتسLaots صاحب النِحلة

الطاوية،.للاستزادة راجع كتاب مقارنات الأديان: الديانات القديمة، محمد أبو زهرة ص:82-11. وكتاب: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4: 1420 هـ،ج 2، ص:748.

22-الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص: 311-312.

23-فلسفة الأخلاق والسياسة، المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، هالة أبو الفتوح أحمد،القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر، طبعة:2000م، ص:.14

24- فلسفة الأخلاق والسياسة، المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، هالة أبو الفتوح أحمد،ص:62-.68

25-الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص:.313

26- ماعت فلسفة العدالة في مصر القديمة، أنا مانسيني، ترجمة: محمد رفعت عواد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1: 2009م، ص:7. وفيه دراسة شاملة لموضوع " الماعت" لمن أراد الاستزادة.

27-أصل الفلسفة، حسن طالب، الإسكندرية: عين للدراسات والبحوث، ط 1:2003، ص:149-.152

28- تاريخ الفلسفة اليونانية، ولتر ستيس، ترجمة:: مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط:1984م، ص:.98

29-تاريخ الفلسفة اليونانية، ولتر ستيس، ص:105-.106

30-لمعرفة كل ما يتعلق بالفلسفة السفسطائية الرجوع لكتاب: أفلاطون:السفسطائين والتربية، مترجمة عن النص اليوناني: عزت قرني، القاهرة:دار قباء للطباعة والنشر، ط:2000م.

31-الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، مصطفى حلمي،بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1: 1424هـ-2004م، ص: 39

32- الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، ص: 40. و تاريخ الفلسفة اليونانية، ولتر ستيس، ص:188،للاستزادة في فلسفة الأخلاق عند أفلاطون الرجوع لكتاب: جمهورية أفلاطون، أميرة حلمي مطر،مصر:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:1994م.

33-الفلسفة الرواقية: لفظ يطلق على المدرسة الفلسفية الكبيرة التي أنشأها "زينون"، وهو من أصول فينيقية أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، ويطلق على انصار هذه المدرسة الرواقيين أو أصحاب الرواق أو أهل المظال نسبة إلى الرواق المنقوش الذي كانت أعمدته مزدانة بنقوش كثيرة ، وفي هذا الرواق كانت تلقى محاضرات الفلسفة. للاستزادة راجع: فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، مصطفى النشار، مصر: دار الثقافة العربية، ط :2006م ، ص:.331

34- الإمبراطورية الرومانية، تشارلز ورث، ترجمة : رمزي عبد جرجس،مصر: القاهرة:هيئة الكتاب ، ط:1999م، ص:101-.103

35- فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، مصطفى النشار، ص:341-343. للاستزادة في الفلسفة الرواقية : رسالة في النظام الفلسفي للرواقيين، ف . أجرو، ترجمة: يوسف هواويني، لبنان: الفرات للنشر والتوزيع، ط 1: 2009م .

36- للاستزادة :رحلات داخل الفلسفة الغربية، جورج زيناتي، بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر، ط 1: 1993م، ص:33-.60

37- الأبيقورية: نسبة إلى الفيلسوف الإلحادي اليوناني أبيقور، ولد سنة 341 قبل المسيح، كان سلوك الناس له عدوانيا نظرا للأفكار المادية والمتعية التي كان يلقنها والتي لم يتعود معاصروه على مثلها، توفي سنة 270 قبل الميلاد. للاستزادة راجع أبيقور الرسائل والحكم، دراسة وترجمة جلال الدين سعيد،الدار العربية للكتاب، بدون تاريخ طبع، رقم الإيداع:،3-074-10-9973-isbn ، 18-26.

38- الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام مصطفى حلمي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1: 1424هـ- 2004م، ص:.59

39-أبيقور الرسائل والحكم، ص:.110

40-الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الاسلام، ص: 102.

41-تفسير القرآن العظيم،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(700 -774 هـ) تحقيق:سامي بن محمد سلامة، الرياض:دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2: 1420هـ - 1999 م، ج:1، ص:216-.217

42-إبـــليس: بحث في تاريخ الخير والشر وتمييز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ إلى اليوم، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة الفجالة، القاهرة:1985م ، ص:.11

43-للاستزادة: جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: مكتب التحقيق بدار هجر، دار هجر، ط 1، بدون تاريخ طبع، ج:14، ص:69.وتفسير القرآن العظيم، م: 4، ص:535. وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1: 1420هـ -2000 م،ج:1، ص:.431

44-تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، م:4، ص:.536

45- مفاتيح الغيب :التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط 3:1420 هـ ، ج:19، ص:144-.145

46- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، تحقيق:عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط: 1416هـ/1995م، ج:8، ص:.436

47- الفكر الشرقي القديم، ص: .312

48- الأسرة المسلمة في زمن العولمة، فاطمة عمر نصيف، المملكة العربية السعودية: جدة، ط 1: 1427هـ- 2006م، ص:48.

49- النظام العائلي ودور الأسرة في البناء الاجتماعي،زهير الأعرجي،مصر:دار الفكر، ط1: 1415هـ -1994م، ص:28-31

5051- حول التربية والتعليم، عبد الكريم بكار، دمشق: دار القلم، ط 3 : 1432هـ- 2011م ، ص:175-176.

51- راجع كتاب: سياسة الصبيان وتدبيرهم، لابن الجزار القيرواني، ، تحقيق د. محمد الهيلة، نشر الدار التونسية، 1968م ص: 135، وتذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،الشيخ العالم بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني(ت:733هـ)، اعتنى به: محمد بن مهدي العجمي،لبنان، بيروت: دار البشائر الاسلامية، ط 1:1429هـ-2008م.والأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية، أحمد بن يوسف بن محمد الأهدل، المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 3: 1431 هـ - 2010

52- مجلة: المنال، مجلة شهرية إلكترونية تصدر عن مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية، أنشأت في عام 1979 كفرع لمنظمة الأسرة العربية في منطقة الخليج والجزيرة العربية .وقد صدر بشأن ذلك المرسوم الأميري رقم1981/6 بتاريخ 1981/3/11 عن حكومة الشارقة. العدد : أغسطس:2012م.

53-الإتيكيت (etiquette) كلمة إنجليزية من أصل فرنسي، وترجمتها إلى العربية تعني: آداب السلوك، أو قواعد المجاملات، أو قواعد المراسم والتشريفات، أو أصول اللباقة والذوق، خاصة في محافل المال والأعمال والسياسة والفنون والرياضة. وقد دخلت هذه الكلمة الاستعمال في عام 1750 للميلاد، وجاءت من كلمة (تكت)، حيث كانوا يطبعون التعليمات على بطاقة صغيرة (تكت (TICKET تحوي كيفية التصرف في مناسبة ما. وهذه الآداب تهتم بما يجب على الإنسان فعله عندما يكون مع الآخرين، وبعضها قواعد عامة تنطبق على كل الشعوب، وبعضها يخص شعبا بعينه.

54-مجلة: الوعي الإسلامي، مقالة " الإسلام والايتيكيت" رشيد ناجي الحسن،الكويت: وزارة الأوقاف، العدد 595 ربيع الأول 1436هـ - يناير 2015 م.

55-تاريخ الفلسفة اليونانية، ولتر ستيس،ص:100-101

56- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، ج:4،ص:568.

تاريخ الاستلام: 2016/03/03- تاريخ التحكيم: 2016/06/01 -تاريخ النشر2016/06/28

'' معالجة قضايا المرأة في الصحافة الجزائرية : دراسة تحليلية لصحيفتي الخبر والشروق ''

جامعة محمد بوضياف المسيلة

أ.بيراردي نعيمة

جامعة محمد بوضياف – المسيلة (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Abstract:

This study is to evaluate the informational material provided to women in the form of a variety of newspaper topics, and how it approached from the actual reality of Algerian women. On the basis of the effective role that could be the press plays in society, the results of this study can offer some suggestions for those in charge of the media, in order to be directed more effectively toward reality and interest in addressing vital issues and problems experienced by the women away from the surface and stereotypes that I used the press to provide Women's issues by this study aims to identify the most important women issues raised in the press, and how to address those issues.

الملخص :

تأتي هذه الدراسة لتقييم المادة الإعلامية التي تقدم للمرأة في صورة موضوعات صحفية متنوعة، ومدى اقترابها من الواقع الفعلي الذي تعيشه المرأة الجزائرية. وانطلاقا من الدور الفعال الذي يمكن أن تلعبه الصحافة في المجتمع ، فإن نتائج هذه الدراسة يمكن أن تقدم بعض المقترحات للقائمين على وسائل الاعلام ، وذلك بهدف توجيهها بشكل أكثر فاعلية نحو الواقع والاهتمام بمعالجة القضايا والمشكلات الحيوية التي تعيشها المرأة بعيدا عن السطحية والنمطية التي تعودت الصحافة تقديم قضايا المرأة بها وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أهم قضايا المرأة المطروحة في الصحافة ، وكيفية معالجتها لتلك القضايا.

الكلمات المفتاحية : المعالجة الاعلامية – قضايا المرأة – الواقع الاجتماعي – الصحافة المكتوبة – صورة المرأة

مقدمة:

مما لاشك فيه ان الاعلام له دور مهم في تشكيل الوعي الثقافي والقيمي في المجتمع ويعود ذلك للإمكانيات المتاحة امام وسائل الاعلام لتوصيل الرسالة الاعلامية للرأي العام من مختلف الفئات الاجتماعية فوسائل الاتصال أصبحت اليوم من أهم منتجات تكنولوجيات الاتصال والأداة الأقوى في ربط أفراد المجتمع ببيئتهم الاجتماعية والثقافية.وعلى اعتبار المرأة عنصر فعال في المجتمع فان الرعاية السليمة لها تقتضي تخصيص فضاءات ومساحات لها في وسائل الاعلام لإبراز قضاياها ومعالجة مشكلاتها ، لأن قيام المرأة بأدوارها يقتضي الاهتمام بمشكلاتها ومن هنا تكمل العلاقة بين المرأة والإعلام ،إلا أن الرغبة الملحة في تأهيل الأدوار الاجتماعية للمرأة لم يواكبها تطور في الخطاب الإعلامي الذي ظل في جزء كبير منه مقصرا في متابعة هذه المتغيرات، حيث مازالت بعض وسائل الإعلام تمرر خطابات تكرس النظرة الدونية للمرأة وتمعن في فصل عالمها عن عالم الرجل وتحصرها في أدوار اجتماعية نمطية لا تراعي المكانة التي بدأت تشغلها النساء في المجتمع كفاعلات في التنمية، و ما تزال الصورة المقدمة عن المرأة في غالب وسائل الإعلام صورة نمطية يتم حصرها في نماذج: المرأة التقليدية و المرأة الجسد و المرأة السطحية و المرأة الضحية. ومن هذا المنطلق يأتي تساؤلنا الرئيسي : كيف تعالج الصحف الجزائرية قضايا المرأة ؟دراسة تحليل مضمون صحيفتي الخبر والشروق.

ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي عدة تساؤلات فرعية هي:

-ما أنماط ونوعية القضايا الخاصة بالمرأة ، كما تقدمها الصحافة الجزائرية؟

-إلى أي مدى ترتبط قضايا المرأة التي تقدمها الصحافة بالمشكلات والقضايا الواقعية التي تعيشها المرأة الجزائرية؟

هل تعبر الصحافة عن قضايا المرأة في الفئات والشرائح الطبقية المختلفة أم أنها تولي اهتمامها لشريحة أو فئة معينة ؟

-ما الفئات التي تركز عليها الصحافة ؟

المرأة ووسائل الاعلام :

يتأثر مضمون الخطاب الاعلامي للمؤسسة الاعلامية بالمجتمع ايضا والمستوى الحضاري والثقافي والتعليمي والأفكار السائدة ومستوى الوعي ونوعية المزاج والخبر الاتصالية والعادات والتقاليد والمواقف والاتجاهات السائدة في المجتمع في مرحلة تاريخية معينة ولكن هذا الوقت أو ذاك وبصدد هذه القضية او تلك لا يمكن ان يكون العامل الحاسم في تحديد مضمون الخطاب الاعلامي الصادر عن المؤسسة .(1)

فالرسالة الاعلامية التي تعالج موضوع اجتماعي معقد هي رسالة مركبة تفترض معالجته بقدر من الجدية والشمولية والعمق ...كما يتطلب ان يكون الطابع التثقيفي (تقديم مضمون ثقافي عن الظاهرة المعالجة يتجاوز المعلومات) والتحليلي (عدم الاكتفاء بذكر الوقائع بل ضرورة تفسيرها وتحليلها) والحواري .(2)

وتلعب وسائل الاعلام دورا هاما في تشكيل الوعي الاجتماعي في المجتمع الجزائري وبالخصوص المرأة الجزائرية حيث تؤثر في الطريقة التي تدرك بها القضايا والأحداث بالإضافة الى انها تقوم برسم صورة ذهنية لدى المرأة سواء كانت عاملة أو ماكثة في البيت وغير ذلك فتساعدها على حل مشاكلها والمشاركة في هذه القضايا والأحداث .(3)

ومن هنا تأتي اهمية اهتمام وسائل الاعلام بالمرأة من حيث رفع المستوى والتوعية وزيادة الادراك بالمسؤولية الاجتماعية الملقاة على عاتقها ، هذا فضلا عن اكتسابها مهارات جديدة مهمة للشؤون المنزلية والرعاية الصحية والصناعات المنزلية ، وهذا بالإضافة الى دور وسائل الاعلام في محو الامية الثقافية والوظيفية ...الخ .

احتل موضوع المرأة الجزائرية مكانة كبيرة في الصحافة اليومية في الجزائر نتيجة لتحسن أوضاع المرأة في العمل والإنتاج والتنمية وزيادة وعيها بقضاياها ومشاكلها و مطالبتها بحقوقها ،ولان المرأة نصف المجتمع كما أنها بحاجة ماسة الى مساهمة المرأة،فانه من الضروري التعرف على الكيفية التي تقدمها بها الصحافة.

إن تحليل صورة المرأة في الصحافة سيساعد في التغلب على العقبات التي تواجه المجتمع ،عدا عما سيؤدي إليه ذلك من مشاركة للمرأة في تنمية المجتمع.

وعليه فان تأثير ما تنقله وسائل الإعلام بصفة عامة ،والمكتوب بصفة خاصة من أخبار وبيانات وصور ذهنية متنوعة عن المرأة يتفوق في شموله ومداه وسرعة الاستجابة وتعدد آليته على أجهزة التنشئة الأخرى_المدرسة ودور العبادة_حيث أن أجهزة الإعلام تصاحب الإنسان على مدار الساعة ،وفيها مساحة من التشويق والمهارة في عرض الأخبار والقيم تجعلها أكثر جاذبية للمتابع لها . وعليه تعد الصور الذهنية ،المتناقضة والمتصارعة عادة ،التي تخلقها الأخبار وأنشطة الإعلام واحدة من أهم عوامل ترسيخ البنية الفكرية والثقافية ،تلك التي تحدد مكانة المرأة .(4)

ومن هنا تأتي أهمية الدراسات التي تسلط الضوء على صورة المرأة ، كما تعكسها الصحافة ولا سيما العديد من الدراسات التي أوضحت اهتمام الصحافة بالمرأة الحضرية دون الريفية والمرأة في الطبقات العليا وغياب المرأة في الطبقتين الوسطي والدنيا.

والاهتمام بالقضايا الخاصة بالجمال والموضة والأزياء أكثر من غيرها من القضايا الهامة التي تخص المرأة. فقد أوصت أغلب هذه الدراسات بالاهتمام بقضايا الجمهور المستهدف والاستفادة من الدراسات الخاصة بواقع المرأة.

وحيث أن المؤسسات الإعلامية هي طرف مؤثر في قطاعات المجتمع الأخرى ومتأثر بها في ذات الوقت، فإن التركيز مهم على ما يمكن أن تقوم به هذه المؤسسات لتصويب الصورة السلبية كانت أو الايجابية للمرأة بصفتها الوعاء الاتصالي الذي ينبثق منه كل ما يشكل القيم والاتجاهات المتعلقة بالمرأة، لأن هذه المؤسسات تعكس قيم المجتمع واتجاهاته نحو المرآة. وعليه فان الإعلام بصفة عامة والصحافة بصفة خاصة تنبثق عنها جملة من الأهداف والغايات تتعلق بالمحتوى الإعلامي أو المادة الإعلامية التي تعبر بالدرجة الأولى عن الوضع الحقيقة لاتجاهات تقديم المرأة ورصد مختلف الانجازات الحقيقة في المجتمع و تعزيز صورة المرأة كصاحبة شخصية قيادية ومبدعة ومستقلة. (5)

ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على الكيفية التي تقدم بها المرأة الجزائرية بشكل خاص في الصحافة اليومية متمثلة في صحيفتي " الخبر" و"الشروق "، وسيسهم هذا في تعريف التعريف بواقع المرأة كما تظهره الصحافة المكتوبة ، وما هي أهم القضايا التي تطرح وما هي القضايا المهمة التي لم تنل نصيباً كافيًا في التغطية.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أهم قضايا المرأة المطروحة في الصحافة، وكيفية معالجتها لتلك القضايا. واعتمدت هذه الدراسة منهج المسح الإعلامي المتمثل في أداة تحليل المضمون.

وتم اختيار عينة زمنية لصحف الدراسة تمثلت في الاول من شهر أفريل 2015 حتى نهاية شهر ماي ، بأسلوب الحصر الشامل لقضايا المرأة المنشورة في تلك الفترة.

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية الدراسة من خلال تقييم المادة الإعلامية التي تقدم للمرأة في صورة موضوعات صحفية متنوعة، ومدى اقترابها من الواقع الفعلي الذي تعيشه المرأة الجزائرية. وانطلاقا من دور وسائل الاعلام المختلفة في تسليط الضوء على قضايا المرأة واهتماماتها وانشغالاتها ، فإن نتائج هذه الدراسة يمكن أن تقدم بعض النتائج وتوجه القائمين على وسائل الاعلام ومنها المكتوبة الى الاهتمام أكثر بواقع ومشاكل وانجازات المرأة في المجتمع لتفعيل دورها ومساهمتها في بناء المجتمع مهما كانت طبيعة الدور الذي تؤديه في الحياة .

الخلفية النظرية للدراسة :

اعتمدنا على نظرية Agenda settingوالتي تشكل نقطة تحول في الدراسات الاعلامية ، فمن التركيز على دور وسائل الإعلام في تغيير الاتجاهات والآراء ، أي " الوظيفة الاقناعية لوسائل الإعلام، إلى التركيز على دور وسائل الإعلام في ترتيب أولويات القضايا العامة لدى الجمهور، أى "الوظيفة المعرفية لوسائل الإعلام"

منهجية البحث:

اعتمدنا على منهج المسح الاعلامي وأداة تحليل المضمون التي " هي طريقة لجمع البيانات والمعلومات بهدف الوصف الكمي لمحتويات المواد التي تعدها وسائل الاعلام او محتوى الوثائق التاريخية " (6)

يمثل الدور الرئيسي لتحليل المضمون في وصف خصائص مضمون النص بشكل دقيق مع العلم أن تحليل المضمون كميا بالأساس ، حيث نقيس عدد المرات التي يظهر فيها المعيار او المقولة في النص .(7)

اذن تستخدم هذه الاداة من اجل وصف موضوعي منتظم كمي لمحتوى الظاهرة وستكون وحدة التحليل هنا هي "الكلمة " حيث سنقوم بتحليل المواد والمواضيع التي ورد فيها استخدام كلمة المرأة او ما يشابهها (النساء ، فتاة ، بنات) المهم ان يتعلق الموضوع بقضايا المرأة .

مجتمع الدراسة :

تم اختيار صحيفتي " الخبر و" الشروق " اليوميتين لسعة انتشارهما وتم تحليلها لمدة شهريين من الأول من شهر افريل الى غاية 31 من شهر ماي 2015 ، وكان مجموع العينة :

فئات التحليل:

اولا : المرجعية النسائية :

1. المرأة مفردة: بمفردها
2. المرأة مجموعة : اي ضمن مجموعات (اثنتان او أكثر)
3. المرأة عموما : المرأة الجزائرية ، البسكرية ..الخ

ثانيا : مهنة المرأة :

1.مهن عليا : وزيرة ، برلمانية ، طبيبة ، استاذة ، ...

2.مهن إبداعية كاتبة ، فنانة ، اعلامية ، رياضية ، رسامة ...

3.مهن يدوية: فلاحة، عاملة نظافة, خياطة ...

4. غير عاملة: طالبة، ربة بيت ...

ثالثا : الوضع الاجتماعي :

1.متزوجة

2. غير متزوجة

3. مطلقة او ارملة

4. غير محدد

رابعا : نوع المضمون :

سياسي ، اقتصادي ، اجتماعي ، ديني ، تربوي ، صحي ، رياضي ، ثقافي ، فني ، عسكري ..

خامسا : النوع الصحفي :

خبر ، مقال ، تحقيق ، تقارير ، قصص اخبارية ، بريد القراء...صور ورسومات

سادسا : القيم :

1. ايجابية : وصف المرأة بعبارات شجاعة ، قوية ، ناجحة ، حنونة ....

2. سلبية : وصفها ضعيفة ، خائفة ، منحرفة، .....

3. حيادية : لاتوحي لا بقيم ايجابية ولا سلبية .

التحليل الكمي والكيفي :

1. فئة المرجعية النسائية :

الجدول 1: يمثل توزيع الصحيفة حسب فئة المرجعية النسائية :

المرجعية النسائية	الخبر		الشروق	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
المرأة مفردة	44	58.66	301	77.77
المرأة مجموعة	27	36	79	20.41
المرأة عموما	04	5.33	07	1.80
المجموع	75	100	387	100

نلاحظ أن أعلى نسبة تأتي فيها ورود المرأة مفردة (فتاة ، شابة ، المرأة ، سيدة ، آنسة ..)وهذا مرتبط بالمواضيع التي تناولتها الصحيفتين والتي ركزت بشكل كبير على مواضيع تمس شخصيات محدد في قضايا خاصة ، ثم تأتي بنسب أقل المرأة في إطار مجموعة في بعض المواضيع التي تخص فئات محددة (معلمات ، طالبات ، النساء المؤمنات ، عصابة نسوية ...) وبنسب قليلة جدا الموضوعات التي تناولت المرأة عموما (الجزائريات) .

2. فئة مهنة المرأة :

الجدول رقم 2: يوضح توزيع المواضيع حسب فئة مهنة المرأة :

مهنة المرأة	الخبر		الشروق	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
مهن عليا	15	23.80	51	12.9
مهن إبداعية	09	14.28	26	6.58
مهن يدوية	07	11.11	25	6.32
غير عاملة	08	12.69	108	27.34
غير محدد	24	38.09	185	46.83
المجموع	63	100	395	100

نلاحظ من خلال الجدول 2 أن أعلى نسبة في صحيفة الشروق كانت المهنة غير محددة 46.83 ونشير هنا إلى أن مواضيع عديدة لم تحدد فيها الوضعية المهنية للمرأة التي ورد حولها الموضوع ونخص بالذكر القضايا الاجتماعية والجرائم التي تولي أهمية للوضع الاجتماعي أكثر منه للوضع المهني ويتم الإشارة إلى المرأة بالصفة الاجتماعية كزوجة أو ابنة أو والدة ،،الخ وهو ما يتناسب بشكل كبير مع ما هو سائد في المجتمع وما تكرسه الصحافة ثم تأتي بعدها نسبة غير عاملة وتندرج في اطار هذه الفئة الطالبة الجامعية والمرأة الماكثة بالبيت وهو مايتجلى أيضا في صحيفة الخبر والتي نجد فيها أعلى نسبة غير محدد ب 38.09 وتليها مهن عليا والتي جاءت فيها البرلمانية والوزيرة والطبيبة والقاضية ونجد أقل نسبة للمهن اليدوية كالفلاحة والخياطة والحلاقة والتي لم تتناول الصحيفتين المواضيع الخاصة بهذه الفئة الا في بعض المواضيع الاجتماعي والجريمة ، وتجدر الإشارة هنا إلى التركيز على المرأة بالمدن بشكل أكبر من الريف أو القرى .

3. فئة الوضعية الاجتماعية للمرأة :

الجدول 3: يوضح توزيع العينة حسب الوضع الاجتماعي :

الوضع الاجتماعي	الخبر		الشروق	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
متزوجة	17	29.82	119	32.60
غير متزوجة	11	19.29	106	29.04
مطلقة أو أرملة	03	5.26	17	4.65
غير محدد	26	45.61	114	31.23
المجموع	57	100	365	100

من خلال النسبة المئوية للوضع الاجتماعي للمرأة في الجدول رقم 3 كانت نسبة المتزوجات 32.6 الاعلى في صحيفة الشروق ، تليها غير محدد ثم غير المتزوجة ، أما بالنسبة لصحيفة الخبر فنجد أن الاعلى هي غير محدد ب 45.61 تليها المتزوجة ، والملاحظ بالنسبة لغير محدد أن في أهم الموضوعات التي تناولتها كلا الصحيفتين لا يتم تحديد الوضع الاجتماعي إذا كان لا

يشكل تأثيرا على الموضوع كما نشير إلى أننا لاحظنا استخدام مفردات كالنساء أو المرأة أو الفتاة دون تحديد لطبيعة وضعيتها الاجتماعية ، أما فيما يخص ورود الوضعية الاجتماعية فكانت خاصة في القضايا المتعلقة بالمحاكم أو اذا كانت اجتماعية (أم لأطفال ، زوجة تخون زوجها ، ...)

4. فئة الموضوع :

الجدول 4: يوضح توزيع العينة حسب فئة المواضيع :

الموضوع	الخبر		الشروق	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
سياسي	19	9.89	28	6.81
اجتماعي	32	16.66	129	28.95
جريمة	58	30.2	191	46.47
صحة	30	15.62	23	5.59
ديني	25	13.02	03	0.72
ثقافة	19	9.89	27	6.56
تربوي	06	3.15	02	0.48
رياضة	03	1.56	01	0.24
اخرى	00	00	07	1.70
المجموع	192	100	411	100

يوضح الجدول 4 أن أعلى نسبة في كل من صحيفتي الخبر والشروق تحتلها مواضيع الجريمة حيث لاحظنا ان غالبية المواضيع التي تتناول المرأة متعلقة بالجريمة بكل أنواعها وسواء كانت المرأة ضحية أو فاعلة يتم التركيز عليها وهي الصورة الغالبة في كلا الصحيفتين ، تليها المواضيع الاجتماعية والمتعلقة بعرض المشاكل الاجتماعية للمرأة ولاحظنا أنه حتى في حالة المواضيع التي تخص الجنسين يتم توظيف المرأة فيه على اعتبارها أكثر تأثيرا على المتلقي في رمزيتها للضعف والمعاناة (الاضرابات ، الترحيل ، الفقر ...) يليها بالنسبة للخبر المواضيع الصحية ، والتي لاحظنا اهتمام كبير بتوعية المرأة في صفحة الطبيب ، بالإضافة الى الحملات التي مست توعية المرأة بضرورة الفحص المبكر لسرطان الثدي وهذا ايضا خصصت له الشروق اهتمامها وان كان من جانبه السلبي المتمثل في عزوف النساء ، والمواضيع الدينية وهذا ما لاحظناه في اسئلة السيدات حول الدين وصورة الدعاء لفتاة والتي تكررت عدة مرات في الخبر ، أما بالنسبة لصحيفة الشروق المواضيع الثقافية وهي كل مايخص الجانب الثقافي والتي تعد المرأة فاعلا فيه ، ونلاحظ ضعف الاهتمام بالمواضيع الرياضية على الرغم من ان كلا الصحيفتين تخصص صفحات ثابتة للرياضة إلا انها تخص فئة الرجال فقط .

5. فئة النوع الصحفي :

الجدول 5: يوضح توزيع العينة حسب فئة النوع الصحفي :

النوع الصحفي	الخبر		الشروق	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية

خبر	33	22.60	225	50.11
تقرير	21	14.38	47	10.46
تعليق	09	6.16	17	3.78
تحقيق	02	1.36	01	0.22
قصص اخبارية	32	21.91	41	9.13
بريد القراء	14	9.58	66	14.69
صور ورسومات	30	20.54	42	9.35
اخرى	05	3.42	10	2.22
المجموع	146	100	449	100

نلاحظ من خلال الجدول 5 أن أعلى نسبة احتلها الخبر في كل من الشروق التي يمثل فيها النصف وهذا ما نلاحظه من الكم الكبير من المواضيع تأتي على شكل أخبار صغيرة دون تفاصيل خاصة بالنسبة للموضوعات الجريمة والاجتماعية دون تفاصيل ، أما بالنسبة لصحيفة الخبر نجد ايضا الخبر في المركز الاول من حيث معالجة قضايا المرأة يليه القصص الاخبارية والتي نجدها تغطي مواضيع الجريمة بشكل كبير) اختطاف ، اغتصاب ، قتل ، سرقة سواء كانت المرأة ضحية أو جانية ، أما بالنسبة لصحيفة الشروق نجد بريد القراء يحتل المرتبة الثانية وهذا من خلال الصفحة الثابتة التي تخصصها الشروق لمشاكل ورسائل القراء والتي تساهم فيها المرأة بشكل كبير خاصة وأنها تشكل منبر للتعبير عن مشاكلها الاجتماعية والنفسية ، وتأتي باقي الانواع الصحفية فيما بع كالتقرير والتعليق ويكاد ينعدم التحقيق والمقال والدراسة التي من شأنها ان تثري المواضيع والقضايا التي تخص المرأة من حيث التناول ، فتناول المرأة وقضاياها ومشاكلها لايكفي عن طريق الخبر وهذا ما يؤكد عدم تخصيص صفحة للمرأة في الصحف اليومية وهذا ما ينقص من قيمة المعالجة الفعالة للمواضيع والقضايا التي تخص المرأة .

. فئة القيم :

جدول 6 يوضح توزيع عينة الصحف حسب القيم :

القيم	الخبر		الشروق	
	التكرار	النسبة المئوية %	التكرار	النسبة المئوية
ايجابية	70	33.65	68	16.54
سلبية	110	52.88	302	73.47
حيادية	28	13.46	41	9.97
المجموع	208	100	411	100

نلاحظ من خلال الجدول 6 ان أعلى نسبة احتلتها القيم السلبية ففي صحيفة الخبر شكلت القيم السلبية 52.88 أما الشروق فقد احتلت 73.47 وهذه القيم تعكس الصورة السلبية التي تتناولها الصحف حيث لاحظنا أن فيما يخص الاخبار التي تخص الجريمة يتم تسليط الضوء بشكل ملفت للمرأة في العناوين وحتى في الاحصائيات التي تقدم وهذا ما يعطي قيمة سلبية وحتى في القضايا التي تكون فيها المرأة ضحية وقد لاحظنا في بعض المواضيع التي تناولت العنف الاسري ، الانحرافات ، الاختطاف ،

السرقة وأيضا السياسية منها ، يتم التركيز على المرأة بشكل سلبي ، ثم تأتي القيمة الايجابية بنسب أقل وهو ما لاحظناه في المواضيع الاجتماعية والصحية ، والثقافية والتي تساهم فيها المرأة بشكل فعال وايجابي وأخيرا الحيادية وهذا ما تجلى في بعض المواضيع التي عالجتها الصحيفتين ولم تتحدد القيمة اذا كانت سلبية أو ايجابية وهي ايضا وردت في بعض الموضوعات التي تناولت الجريمة والقضايا الاجتماعية .

النتائج :

من خلال فئات التحليل حاولنا تسليط الضوء على المعالجة الاعلامية لقضايا المرأة الجزائرية في صحيفتي الخبر والشروق اليوميتين والتي توصلنا الى النتائج الاتية :

1- قضايا المرأة الاجتماعية التي تم طرحها خلال فترة البحث لم تحظى بالنسبة الكافية من الاهتمام في كلا الصحيفتين

2- العنف والاختطاف والانحراف من أكثر القضايا الخاصة بالمرأة التي ركزت عليها كلا الصحيفتين وخاصة صحيفة الشروق.

3- التركيز على الجريمة من اكثر المواضيع تناولا المرأة ضحية كانت فيها او المتهمة .

4 - التركيز على النواحي السلبية التي تظهر فيها المرأة

5 - اهمال الجوانب الثقافية والسياسية والرياضية والتي يمكن ان يكون للمرأة فيها ادوار اساسية وايجابية

6. التركيز على الوضع الاجتماعي للمرأة على حساب الوضع المهني وهذا ما توصلنا اليه من خلال استخدام وضعية المرأة (ابنة ، زوجة ، والدة ، أم ، مطلقة ..) على حساب الوضع المهني الذي بإمكانه ابراز مكانة المرأة الاجتماعية كعضو له أهميته في المجتمع وليس كتابع فقط .

7 . مساحة الموضوع ومكانه:

يظهر اهتمام الجريدة بأية قضية من خلال عدد التحليلات والأخبار والمقالات التي تنشرها عنها، ولاحظنا أن الخبر كان النوع الصحفي السائد في كلا من صحيفتي الخبر والشروق والأنواع الأخرى التي تعتمد عليها ،ولاحظنا ان التحليل كان ضعيفا مقارنة بالخبر وهذا على اعتبار ان اهتمام الصحيفة مرتبط بالحدث او القضية المطروحة (القضايا التي تعالجها المحاكم ، او حدوث جرائم ..) ، كما لاحظنا ان اغلب الموضوعات التي تناولت المرأة تأتي في شكل أخبار صغيرة ولا تحتل مساحات كبيرة ، كما انها لا تأتي في الصفحات الاولى إلا اذا كانت حدث بارز(اختطاف ، عصابة نسوية ..) ، واغلبها جاءت في الصفحات الوسطى وفي وسط الصفحات وبالتالي لا تحصل على المتابعة والقراءة بشكل مهم

8 . المصطلحات المستخدمة للتعبير عن الموضوع:

لاحظنا المصطلحات والعبارات الاكثر استخداما هي (صديقها ، عشيقة ، عصابة نسائية ، الملثمات ، الامهات العازبات ..) وهي تعطي صورة سلبية عن المرأة واتجاه سلبي نحوها من خلال استخدام صفات غير مقبولة اجتماعيا..

9 . الصحيفتين تركز على وصف الواقع المعاش للمرأة الجزائرية بايجابياته وسلبياته وحياديته وذلك من خلال تنامي مشاكل المرأة وزيادتها . والتحدث عنها في مختلف المجالات. والمادة الإعلامية تكون نتيجة حدث حصل في أمر الواقع وليس مخططا ،كما أن الصحيفتين تركز على الجوانب السلبية للمرأة أكثر من التركيز على الجوانب الايجابية بالرغم من بروز ايجابيات كثيرة في واقعها المعاش وذلك لما شهدته من تغيرات وتطورات في مختلف المجالات سواء في الجانب التعليمي أو الاقتصادي أو السياسي أو الصحي.

10. وتشير النتائج الى أن الفئات النسائية التي يتم التركيز عليها هي فئات متنوعة من مختلف المستويات كما أن نسبة كبيرة من المضمون الخاص بالمرأة استهدف المرأة بصفة عامة دون تحديد فئة معينة ، حيث اهتمت الصحيفتين بالمرأة ذات المستوى العالي والمهارات العالية : من وزيرة ، برلمانية ، أستاذة، طبيبة، محامية، قاضية...وأيضا كانت هناك المرأة المبدعة أدبيا وفنيا : كفنانة ، كاتبة ، رياضية...وتحدثت عن فئة المرأة ذات المهارات اليدوية: عاملة نظافة، فلاحة..وأيضا غير العاملة: الطالبة، والماكثة في

البيت .وهذا ما يشير إلى اهتمام الصحيفتين بمختلف الأدوار للمرأة باعتبارها فردا مبدع وعامل وقيادي تساهم في بناء مجتمعها،وتشارك في صنع القرار إلى جانب أدوارها التقليدية .

11.كما جاءت نتائج التناول الاعلامي لقضايا المرأة هو إبراز الجوانب السيئة التي تعكس صورة سلبية عن المرأة ، فظهرت صورة المرأة الضحية التي تعاني في أسرتها أو في محيط العمل ،وقد لوحظ أن تلك المضامين غلب عليها الطابع الشخصي من خلال التركيز على ارتباط الجرائم بالمستوى التعليمي والثقافي للمرأة وظهر هذا من خلال بعض العناوين " طبيبة في شبكة اجرامية ' طالبة جامعية في عصابة تهريب المخدرات ..... ، وأيضا ظهرت صورة المرأة الخائنة و المجرمة من خلال بعض الحوادث التي تعكس تلك الصورة .

الخاتمة:

في الختام يبقى تناول قضايا المرأة في الصحف غير كاف لإبراز دورها وتوعيتها وتفعيلها في المجتمع ، ويرجع هذا إلى انعدام المساحة الثابتة والمتخصصة لقضايا المرأة .

كما تتركز المضامين الإعلامية الموجهة للمرأة حول الدور التقليدي للمرأة ، أو المشاكل الاجتماعية والتي ارتبطت في مجملها بمواضيع العنف والاعتداءات والطلاق ..

وتركز الصحف على فئات محددة من النساء وتهميش وتجنب فئات أخرى كالمرأة الريفية والمرأة المعيلة للأسرة ،...الخ ،والتي تلعب دورا مهما في استقرار الأسرة وبالتالي المجتمع..

ونجد هناك بعض الاستثناءات تمثلت في حملات التوعية بالأمراض كمرض سرطان الثدي ، أو الجهود التي ارتبطت بتوجهات بعض المؤسسات استطاعت طرح القضايا التي تمس المرأة مثل إبراز المشكلات التي تعاني منها المرأة في مجالات العمل والصحة والزواج والقوانين .

وعلى الرغم من اهمية ودور المرأة اليوم في المجتمع إلا أن الصحافة المكتوبة لم تهتم بتخصيص مساحات ثابتة لمعالجة قضايا المرأة الجزائرية ، ولم تعمل على تغيير نمطية الصورة من خلال التعمق في تناول الكثير من القضايا التي تمس احتياجات النساء وتؤثر على حياتهن اليومية وطبيعة الأدوار التي يمكن القيام بها ، كالمشكلات التي يتعرض لها في مجال العمل أو مجال القوانين ، ومما لا شك فيه أن الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في تفعيل صورة المرأة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدور الذي تمارسه في المجتمع، سواء كان هذا الدور سلبياً يساعد على تكريس العادات والمفاهيم التقليدية، أو إيجابياً من حيث مساهمته على توعية الافراد بقضايا المرأة.

وعلى العموم ، يتركز واقع المرأة في الإعلام فيما يتعلق بصورها الدلالية و أدوارها المختلفة ، ونوعية الموضوعات المقدمة لها ، و القيم التي تكرسها هذه الوسائل بالنسبة للمرأة ، على مضمون كمي يدور في اغلبه حول الاهتمامات التقليدية للمرأة ، بعيدا عن الاهتمام بإدماجها في عملية التنمية الشاملة أو قضية مشاركتها في العمل السياسي أو الاقتصادي كفاعل حقيقي في المجتمع وهي عموما تتسم معالجتها بالسطحية دون البحث عن الأسباب والحلول لهذه القضايا .

وعلى صعيد واقع المرأة في الإعلام ، فالصورة تبقى غير واضحة المعالم من جوانبها المختلفة نتيجة لضعف الدراسات و الأبحاث التي تتناول حال المرأة الأردنية في الإعلام الأردني بوجه خاص. إلا أن بعض الدراسات العربية التي أجريت على وسائل الإعلام في بلاد الشام وهي الأردن و فلسطين و سوريا باستثناء لبنان ، خلصت انه رغم أن هذه الوسائل قد بدأت بتقديم المرأة العربية في مواقعها كزوجة وربة بيت وأم وامرأة عاملة تشارك في عمليات التنمية والحياة السياسية ، إلا أن معظمها لا تزال تركز على الصورة النمطية للمرأة و أدوارها التقليدية على حساب الأدوار الأخرى لها كشريكة في الإنتاج وفي بناء الأسرة و في اتخاذ القرار و كمساهمة في مختلف جوانب الحياة و العمل و الإبداع الفكري و الفني و الثقافي ، و كإنسانة تتساوى مع الرجل في الحقوق و الواجبات. (8)

وما يمكن اقتراحه في هذا الاطار :

1/صياغة سياسة إعلامية ووضع أجندة واضحة بهدف تحسين صورة المرأة الجزائرية باستمرار وذلك بالتعاون بين الصحف اليومية الجزائرية والجهات المعنية بشؤون المرأة والمهتمة بها.

2/استخدام مختلف الأنواع الصحفية في تغطية مواضيع المرأة ،خاصة التحليلية كالتحقيق والربورتاج والتعليق،وإجراء دراسات ميدانية للتعرف على واقع المرأة الجزائرية ، مشاكلها ، اهتماماتها والمساهمة في توعيتها وتوعية أفراد المجتمع .

الهوامش :

1. أديب خضور , صورة المرأة في الاعلام العربي , ط1 ، دار الايام للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1999، ص.17
2. نفس المرجع السابق ، ص.20
3. طه عبد العاطي نجم ، الاتصال الجماهيري ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ص153
4. رويدا المعايطة : النوع الاجتماعي وأبعاد تمكين المرأة في الوطن العربي ،منظمة المرأة العربية،ط1،مصر،2010، ص 92 .93
5. حنان يوسف: دور الإعلام في تعزيز مكانة المرآة في المجتمع،المنظمة العربية للتعاون الدولي ،2007 دمشق ص .25
6. رشيد زرواتي ،مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية ، دار الهدى للطباعة ، عين مليلة ، الجزائر ، 2007، ص.165
7. لارامي وب.فالي ، البحث في الاتصال :عناصر منهجية ، مخبر علم الاجتماع والاتصال ، 2004، ص234.
8. عماد الضميري:واقع المرأة في الصحافة الأردنية اليومية دراسة تحليلية لصورة المرأة في الصحف اليومية(الاسواق والعرب اليوم والدستور والرأي)،مركز القدس للدراسات،الاردن،2002/09/15.

تاريخ الاستلام: 2015/11/08- تاريخ التحكيم: 2015/12/22 -تاريخ النشر2016/06/28

إستراتيجية وسائل الإعلام والاتصال في دعم الثورة التحريرية الجزائرية
... رؤية تحليلية لتأثيراتها في العمل الثوري من 1954 إلى 1962

د. اسعيداني سلامي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة(الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Abstract:

Algerian revolution did not fall through the stages through its strategy in the media and communication side, to show the world its goals and continue on the other hand with its people and provide him with the news, in addition to the lifting of spirits and urged him to be patient and Jihad until the hour of victory. In contrast, France launched a fierce attack in the media and widespread to hit the revolution and jamming them and degrade their credibility through various media and other propaganda means.

As for the media (Newspapers Broadcasting and audio-visual) during the revolution set strategic objectives are:

-The need to find a balance between the requirements of national public opinion and the international viewing of the Algerian issue through various means and methods in order to convince the international public opinion, the credibility of the case.

-The need to maintain the basic principles of the revolution.

-Immediate and direct response to Western media, especially news agencies aligned for the destination French.

-The need for great care to data and communications to foreign news agencies accuracy.

-Inform the world the sacrifices of the people and their right to liberation intention to internationalize the issue.

ملخص:

لم تسقط الثورة الجزائرية عبر مراحلها ومن خلال إستراتيجيتها في الجانب الإعلامي و الاتصالي، لتبين للعالم أهدافها ولتتواصل من جهة أخرى مع شعبها وإمداده بالأخبار، إضافة إلى الرفع من معنوياته وحثه على الصبر والجهاد حتى ساعة النصر. بالمقابل، شنت فرنسا هجوما إعلاميا شرسا وواسع النطاق لضرب الثورة والتشويش عليها والحط من مصداقيتها وذلك من خلال مختلف أجهزة الإعلام والوسائل الدعائية الأخرى.

كما كان للإعلام (المكتوب، الإذاعي و كذا السمعي بصري) أثناء الثورة مجموعة الأهداف الإستراتيجية هي:

– ضرورة إيجاد التوازن بين متطلبات الرأي العام الوطني والدولي بعرضه للقضية الجزائرية بمختلف الوسائل والأساليب قصد إقناع الرأي العام الدولي بمصداقية القضية.

– ضرورة الحفاظ على المبادئ الأساسية للثورة.

– الرد الفوري والمباشر على أجهزة الإعلام الغربية ولاسيما وكالات الأنباء المنحازة للوجهة الفرنسية.

– ضرورة الحرص الشديد على دقة البيانات والبلاغات المقدمة إلى وكالات الأنباء الأجنبية.

– إبلاغ العالم بتضحيات الشعب وحقه في التحرير قصد تدويل القضية.

الكلمات المفتاحية: وسائل الإعلام، وسائل الاتصال، الثورة التحريرية.

مقدمة:

أدركت الثورة الجزائرية منذ اندلاعها بأن الإعلام يعد أحد الوسائل الرئيسية في مواجهة الاستعمار إلى جانب قوة السلاح. وبناء لهذه الأهمية جاء توظيف مختلف وسائل الإعلام والدعاية في هذه المسيرة النضالية، سواء منها التقليدية كالصحف والبرامج الناطقة باسم الحركة الوطنية والبيانات، أو الجديدة مثل الإذاعة والسينما ، والمسرح . وغيرها من الوسائل الأخرى.

ونظرا لدور الإعلام بمختلف وسائله نبين في هذه الدراسة وسائل الإعلام التي استخدمتها الثورة في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وذلك لبلوغ جملة من الأهداف الإستراتيجية التي حددتها الثورة و خاصة في ميثاقها الأول (الصومام) و التي كانت ترمي في نهايتها إلى الاستقلال بأي وسيلة و من أهدافها ما يلي:

1 . الدعاية للثورة في أوساط الشعب الجزائري ، وإلى الحكومة الفرنسية والرأي العام الفرنسي ، وإلى الرأي العام العالمي من أجل استمالتها لقضيتها العادلة.

2 . الرد على الإعلام الفرنسي وتصريحات القادة السياسيين والعسكريين الفرنسيين التي كانت تقلل من شأن الثورة ، وزرع الشكوك في نفوس الجزائريين تجاهها.

ونسوق في هذا التقديم جملة من وسائل الإعلام المستعملة منها البيانات والمواثيق والنشرات كبيان أول نوفمبر، ومواثيق الثورة الأخرى كميثاق الصومام، التي ركزت على هذا الجانب في الحرب. والصحافة وهي الوسيلة التي استعملها الجزائريون في فترة المقاومة

السياسية على الخصوص على نطاق واسع رغم محاربة الجهاز الاستعماري لها في كل الفترات. والإذاعة وهي الوسيلة التي تعتمد على الصوت ومخاطبة الناس بطريقة مباشرة، مما يكون لها كبير الأثر في نفوس جموع المخاطبين المعنيين من الجزائريين. وذلك عبر المحطات التي كانت في البلاد العربية، إلى جانب الإذاعة السرية بالجزائر. وعندما تشكلت الحكومة المؤقتة سنة 1958، تشكلت لديها وزارة الأخبار التي كانت تتولى نشر أخبار مختلف نشاطات الثورة. وفي سنة 1961 تشكلت وكالة الأنباء الجزائرية، على نمط وكالات الأنباء في الدول المستقلة. إلى ذلك ساهم المسرح والسينما في تمثيل بعض المعارك، وممارسات الجنود الفرنسيين ضد السكان وتدمير ممتلكاتهم .

– الإعلام و الثورة: العلاقة التكاملية

هناك تعريفات عديدة للإعلام تختلف في الأسلوب ولكنها تلتقي كلها في المضمون نسوق واحد منها فقط : الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعه من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يصير هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم.

ومن أهم الأهداف التي سعت الثورة إلى بلوغها خلال تلك الفترة :

1 . اتصال الثورة بالشعب وإبلاغ المواطنين حقيقة ما يجري من صراع مسلح مع العدو.

2 . تعبئة الجماهير الشعبية لتلتف حول الثورة بغية التحرر والاستقلال.

3 . تحصين المواطنين الجزائريين من الإعلام الاستعماري وحربه النفسية والإيديولوجية.

4 . مواجهة إعلام العدو والرد عليه ودحض دعاياته.

ولبلوغ هذه الأهداف استعملت الثورة مختلف وسائل الإعلام والاتصال نذكرها فيما يلي.

1 . البيانات والمواثيق :

أ- بيان أول نوفمبر 1954:

يعد بيان أول نوفمبر أول عمل إعلامي يوزع على نطاق واسع يعلن عن ميلاد الثورة الجزائرية، ويستطيع اختراق إعلام الاستعمار بنجاح تام ويتوجه إلى الجماهير الجزائرية ليخاطبها بلغة الثورة والتحرر، وقد وجدت صداها الكبير لدى الجماهير لتعبئتها .

ومما يلاحظ عن البيان أنه بدأ بمسألة ذات بعد إعلامي صريح وهو يخاطب الشعب الجزائري وإلى المناضلين ، ويتجلى ذلك في العبارة:(إليكم نتوجه بندائنا هذا، أنتم الذين ستحكمون لنا أو علينا، إلى الشعب الجزائري بصفة عامة وإلى المناضلين بصفة خاصة، وغرضنا من نشره، هو أن يوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى الكفاح، وذلك بأن نشرح لكم برنامجنا ونبين لكم صحة آرائنا ومغزى كفاحنا المبني على أساس التحرر الوطني في نطاق الشمال الإفريقي، كما نرغب في أن نزيل عنكم البلبلة التي يعمل على تنميتها الاستعمار وعملاؤه من الإداريين والسياسيين المتعفنين). فقد كتب البيان وفق منهج تتجلى فيه المبادئ الإعلامية التي اتبعتها جبهة التحرير في الفترة ما بين 1954 وأوت 1956 وهي:

1 . تحديد الجمهور المخاطب

2 . التحصين ضد محاولة التزييف

3 . الالتزام بمبادئ الثورة والعمل على توضيحها

3 . كشف الحقيقة أمام الجماهير والصدق في الأخبار. (1)

ويتميز البيان بمبدأ النقد الذاتي عندما تعرض إلى حالة الخمول والعمل البطيء لانعدام التأييد الواجب من الرأي العام. ومن أجل تفادي هذا التراجع في النضال أكد البيان على ضرورة كسب الرأي العام وتوحيده حول حركة التحرير الوطني وهذا من خلال دعوة جميع الجزائريين إلى الكفاح المسلح. كما أشار البيان إلى تصفية الاستعمار باستعمال كل الطرق المتاحة بواسطة تعبة

الجماهير، وتدويل القضية الجزائرية بمساندة حلفائها التاريخيين وهم العرب وكل القوى المحبة للعدل. وأضاف البيان: ((استمرار الكفاح بكل الوسائل إلى أن تتحقق أهدافنا وذلك طبقا للمبادئ الثورية ومراعاة للظروف الداخلية والخارجية)) . ويفهم من هذا النص ان الوسائل الإعلامية ستكون في المقدمة وستلعب دورا هاما وأساسيا في تحقيق وإنجاز هذه المهمة.

– ميثاق الصومام 1956:

لقد جاء مؤتمر الصومام بالعديد من الحلول التي كانت تواجهها الثورة الجزائرية في مجال الإعلام والدعاية ، فقد تطرق في منهجه السياسي وفي قراراته إلى هذا المجال . فقد فصل في الجانب الذي عانت منه الدعاية الجزائرية والمتمثل في انعدام التنسيق بين الأجهزة الإعلامية الناطقة باسم الثورة ، إذ تقرر إلغاء كل طبعات جريدة (المقاومة الجزائرية)• وتعويضها بجريدة (المجاهد) .

لقد حدد مؤتمر الصومام الجبهات الإعلامية وأولويتها بالنسبة للثورة والوسائل الدعائية الملائمة لكل جبهة على النحو التالي:

أ . الشعب الجزائري في المدن والقرى.

ب . جيش التحرير الوطني .

الجبهة الخارجية، وتمثل:

أ . الرأي العام العربي وخاصة المغرب العربي .

ب . الرأي العام الآسيوي والإفريقي.

ج . الرأي العام الغربي مع التركيز على الرأي العام الفرنسي.

وأشار المؤتمر غلى ضرورة الابتعاد عن الدعاية الكاذبة والاعتماد على الحقائق ((وأن تكون الدعاية ناضجة وجدية وموزونة وما كرة على ألا تفتقر إلى الصلابة والصراحة والاتقاد الثوري)).

وقد ورد في القسم الثالث من المنهج السياسي للميثاق عنوان: '' وسائل العمل والدعاية'' ومما جاء فيه:

* الرد بسرعة وبوضوح على جميع الأكاذيب واستنكار أعمال الاستفزاز وتعريف أوامر جبهة التحرير الوطنية بنشر مكاتب كثيرة ومتنوعة تبلغ جميع الدوائر حتى المحصورة منها .

* إكثار مراكز الدعاية وتزويدها بآلات المتابعة والطباعة والورق (لنسخ الوثائق الوطنية وطبع المنشورات المحلية)

* طبع رسائل في الثورة ونشرة داخلية للتعليمات والإرشادات الموجهة للإطارات.(2)

وهكذا اهتمت هذه المواد بوسائل الإعلام والدعاية فيما يتعلق بما هو مكتوب كما ركزت على ضرورة إسماع الناس كلهم لصوت الثورة ، حتى يوضع حد لأكاذيب المستعمر ، وتبليغ أوامر جبهة التحرير الوطني بالإكثار من نشر مكاتب الدعاية ، وطبع رسائل ونشرة داخلية خاصة بالإطارات . وتزويد هذه المراكز بالإمكانيات التقنية اللازمة .

2 . الصحافة:

وكانت تنقسم إلى ثلاثة مجموعات : صحف الولايات، صحيفة المجاهد، صحف التنظيمات الشعبية .

أ– صحف الولايات

كانت ولاية الاوراس أول من أصدرت نشرة صحفية في سنة 1955 اسمها (الوطن)، تصدر باللغة الفرنسية، تتضمن أخبار الولاية وردود بعض دعايات الصحف الغربية، وبعض الأخبار العالمية، ثم أصدرت الولاية الثالثة نشرة اسمها (الجيل). الولاية الرابعة

• المقاومة الجزائرية جريدة كانت تصدر من طرف مناضلين جزائريين قبل أن يكون لجبهة التحرير الوطني لسان حالها والمتمثل في جريدة المجاهد. وصدرت المقاومة في أماكن مختلفة خارج الوطن. فالطبعة الأولى صدرت في المغرب، والثانية في باريس، والثالثة في تونس وتعرف بالطبعة "ج"؛ وكلها صدرت سنة 1956. كانت تدخل إلى الجزائر خفية عن طريق المناضلين ولم يكن التنسيق قائما بين الطبعات الثلاث نظرا لظروف الثورة والسرية في العمل. وظلت المقاومة اللسان المعبر عن جيش وجبهة التحرير الوطني قبل أن تقرر جبهة التحرير الوطني وقفها في مؤتمر الصومام وتوحيدها في جريدة المجاهد التي أصبحت اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني

أصدرت نشرة اسمها (حرب العصابات). وكان يتم تبادل الأنباء بين الولايات عن طريق اللاسلكي. كان عددها حوالي خمسة عشر نشرة صحفية نصف شهرية.

– المجاهد: ظهرتْ صحيفة " المجاهد " اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني لأول مرة كنشرة للثورة الجزائرية في جوان من سنة 1956 بالجزائر، باللغة الفرنسية ثم تُرجمت بعد ذلك إلى اللغة العربية. وقد جاء في افتتاحية العدد الأول ما يلي: ستكون " المجاهد " بالإضافة إلى جريدة " المقاومة الجزائرية "اللسان الناطق المأذون له أن يتكلم باسم جبهة التحرير الوطني كما سيكون المرآة التي تنعكس فيها نشاطات جيش التحرير الوطني وستتبوأ "المجاهد مكانتها لتكون سمعَ الرأي العام وبصره وصوته ولتزوّد الشعب بالأخبار الحقيقية فتكون صلة الوصل بينه وبين مجاهدي جيش التحرير الوطني" .

ومنذ ذلك الحين، بعد صدورها، قامت صحيفة" المجاهد " بدور فعال وأساسي في إبلاغ الرأي العام الدولي بحقيقة الثورة الجزائرية ، وكذا أداة لتعبئة الرأي العام الداخلي وتوجيهه في التقاط المعلومات الحقيقية التي هو في حاجة ماسة إليها قصد تتبع مسار الثورة وجنود جيش التحري الوطني في عملياتهم المتواصلة ضد القوات الاستعمارية ، وسرد مراحل المقاومة الباسلة التي يبديها الشعب الجزائري.

وكان لهذه الصحيفة خاصة وإعلام الثورة عامة مجموعة من الأهداف كان يجب الوصول إليها، وهي الحرب الأخرى للمقاومة.

أما الآن فسنذكر بعض المعطيات عن الجريدة: صدر أول عدد من جريدة ''المجاهد'' في الجزائر العاصمة في جوان 1956 في شكل نشرية مقاسها 27 x 31 سم. وتواصل صدورها حتى العدد رقم: 6 في جانفي 1957، أي بمعدل عدد واحد كل شهر. وخلال معركة الجزائر كشفت مطبعة المجاهد، وكان وقتها العدد السبع تحت الطبع، فأتلفت قوات الاحتلال المطبعة والوثائق ولم يرى العدد السابع النور.

وكانت صحيفة أخرى ناطقة باسم الثورة اسمها (المقاومة الجزائرية) كانت تصدر في ثلاث طبعات مختلفة في كل من فرنسا وتونس والمغرب، وكانت الطبعات الثلاثة تتسرب سرا إلى داخل الجزائر عن طريق المناضلين، ولم يكن هناك تنسيق في العمل بين الطبعات الثلاثة، نظرا لظروف النضال. ولما انعقد مؤتمر الصومام في أوت 1956 تقرر إلغاء كل الطبعات وتوحيدها في جريدة واحدة هي المجاهد ن واعتبارها اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني. على هذا الأساس استأنفت المجاهد صدورها. على شكل جريدة مطبوعة

انتقل إصدارها إلى مدينة تطوان بالمغرب الأقصى، حيث صدر فيها ثلاثة أعداد (8 إلى 10 في سبتمبر 1957). وكانت الطبعة التطوانية باللغتين العربية والفرنسية. كان يشرف على رئاسة التحرير رضا مالك، ويشرف على الإخراج وسكرتارية التحرير محي الدين موساوي. صدر العدد الحادي عشر في فاتح نوفمبر 1957 ، انفصلت الطبعتان العربية والفرنسية. لكل منهما شخصيتها، فلم تكن إحداهما ترجمة للأخرى .

– صحف أخرى خلال الثورة:

إلى جانب المجاهد صدرت صحف أخرى خلال فترات مختلفة أثناء الثورة، منها جريدة ''العامل الجزائري'' لسان حال الاتحاد العام للعمال الجزائريين، وجريدة '' الشباب الجزائري '' لسان شباب جبهة التحرير الوطني. والنشرات المختلفة التي كانت تصدرها الولايات داخل الجزائر، وكذلك النشرات التي أصدرها اتحاد الطلبة الجزائريين.

وكانت وزارة الأخبار تصدر نشرة سياسية نصف شهرية باللغتين العربية والفرنسية في 12 صفحة ، يمكن اعتبارها صورة مصغرة من المجاهد . كما صدرت في شهور مارس وماي وجوان 1960 نشرة شهرية تشمل أهم التعليقات والأشعار والأخبار التي كانت تذاع في ((صوت الجزائر)) في إذاعة تونس .

وكانت بعض النشرات والمطبوعات السياسية التي أصدرتها وزارة الأخبار في بعض المناسبات السياسية لتوضيح بعض جوانب الحرب التحريرية أو الرد على الدعايات الفرنسية مثل :

- الثورة الجزائرية . تحرير الجزائر.
- إفريقيا تتحرر.
- إفريقيا في طريقها إلى التوحد.

طبعت هذه النشرات الثلاث في جانفي 1960 بمناسبة المؤتمر الثاني للشعوب الإفريقية . وهناك نشرات أخرى :

- "النابالم في الجزائر " في أوت 1960.
- " معسكرات التعذيب " في أكتوبر 1960.
- " عبر ولاية الجزائر" في مارس 1960.
- " الجميع جزائريون " في مارس 1961 .
- "صحراء الجزائر " في أوت .1961

3. الإذاعة السرية :

ونشير إلى أن المرحلة الأولى لهذه الإذاعة بدأت بجهاز إرسال من نوع PC630، بينما فيه من يقول أنها من نوع PC 611، متنقل عبر شاحنة من نوع GMC أخرجت من القاعدة الأمريكية بالقنيطرة بالمغرب عام 1956...، كان من تحصل على هذه الشاحنة رشيد زغار (3) وكانت تبث برامجها متنقلة في منطقة الريف الذي كان خاضعا للاستعمار الأسباني لمدة ساعتين في اليوم على الموجات القصار. ساعة بالعربية ونصف ساعة بالأمازيغية ونصف ساعة بالفرنسية. وكان الإعلان عن برامج الإذاعة بهذه العبارات:

- " هنا إذاعة الجزائر الحرة المكافحة "
- " صوت جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني يخاطبكم"
- "من قبل الجزائر"

وكان يشرف على تسيير هذه المحطة عدد من المناضلين نذكر منهم مدني حواس، عبد السلام بلعيد، عبد المجيد مزيان وغيرهم. وعملت السلطات الاستعمارية على التشويش على برامجها عن طريق بث أغاني عربية من مركز إذاعي بالجزائر على نفس موجات الإذاعة السرية، كما عمدت في العديد من المرات إلى تحديد مكان تواجد السيارة لتدميرها. وتمكنت في إحدى المرات من تحديد موقعها فأرسلت طائرة أطلقت أنوارا كاشفة تمهيدا لقنبلتها، غير أن يقظة الحراسة وسرعة التصرف أفشلت المحاولة .

وكانت هذه الإذاعة تبث برامجها في منطقة الريف المغربي الخاضع سابقا للحكم الإسباني ساعتين يوميا على الموجات القصيرة حسب التقسيم التالي:

- ساعة كاملة باللغة العربية تذيع أخبارا عسكرية، سياسية، تعليقا بالفصحى، تعليقا بالدارجة.
- نصف ساعة بالأمازيغية.
- نصف ساعة بالفرنسية.

وتوقفت الإذاعة عن البث لأشهر عديدة بين عامي 1957، 1958 لعدم قدرة الجهاز المتنقل على مواجهة الاحتياجات وكانت نبرات صوت عيسى مسعودي الزيتوني●، عضواتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، كلمة السر التي يلتقي حولها الجزائريون

●ولد محمد عيسى مسعودي في 12 ماي 1931م، في وهران من عائلة فلاحية فقيرة. تعلم اللغة العربية في المدارس القرآنية قبل أن يلتحق بالزيتونة حيث تحصل منها على شهادة الأهلية والتحصيل،تعلم في مدرسة الفلاح على يد الشيخ الزموشي ثم أرسل سنة 1946 إلى معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، أين درس بها ثلاث سنوات ليتابع دراسته بعدها

الفدائيون والمجاهدون والمسبلونوتنقش في أفق المرحلة مستقبل انتصارهم وتقربهم من نبض الثورة في كل مكان.. كان لعيسى المسعودي الدورالكبير في منح الثورة لسانا عربيا مبينا ليؤكد على هوية الثورة وانتمائها إلى الحضارة العربية الإسلامية. وكان نبضا لثورة في صوت الفدائي الكبير عيسى مسعودي كافيا،تماما أن ينقل وهج الثورة إلى قطاعات الشعب ويلقي في قلوب أعداء الثورة الوهن والهزيمة... (4)

" هنا صوت الجزائر الحرة المكافحة. هنا صوت جبهة التحرير، وجيش التحرير يناديكم من قلب الجزائر.. إنها اللحظات التاريخية الحالمة التي جمعت قيادات في الثورة لاتخاذ القرار أن يبث على الأثير صوت الثورة الجزائرية فكان بوصوف وبومدين ومعهما رجال عظام يصنعون النقلة النوعية في الإعلام الثوري."

– مرحلة الاستقرار:

اقتنت الجبهة أجهزة جديدة تم تنصيبها بالقرب من مدينة الناضور بالاتفاق مع المسئولين المغاربة ، ونصبت آلات البث على بعد 15 كلم . وعاد البث مرة أخرى مما كان عليه، ابتداء من 12 جويلية 1959. وكان البث يتم على ثلاث فترات تدوم كل واحدة ساعتين :

فترة صباحية ابتداء من الخامسة صباحا .

فترة عند الزوال ابتداء من الساعة الواحدة .

فترة مسائية ابتداء من الساعة الثامنة، وهي الفترة الرئيسية .

وكانت مصادر الأخبار في مرحلة التنقل مستقاة في أغلبها من مختلف الإذاعات ، أما بالنسبة للإذاعة الثابتة فكانت تعتمد على منشورات الثورة وفي مقدمتها جريدة المجاهد، وكانت الإذاعة تعطي أهمية لأدب الثورة ، وبث توجيهات القيادة الثورية والقيام بتحليلها وبث الأناشيد الوطنية والحماسية .ومن أهم برامج الإذاعة السر

الجزائر في أسبوع، من أدب الثورة، أخي المواطن ثق في نفسك، قارتنا السمراء. (5)

استطاعت جبهة التحرير الوطني في أواخر عام 1956 أن تتحصل على جهازين كبيرين من القواعد الأمريكية ، التي كانت تستعمل في ربط وحدات الجيش على المسافات البعيدة، وقد تم استعمالهما في البث الإذاعي بعد إدخال عليهما بعض التعديلات . وهكذا بدأت إذاعة الجزائر تبث برامجها يسيرها جزائريون من جنود ومناضلين من جبهة التحرير الوطني ، وفي خطابها للشعب الجزائري كانت تستعمل العبارات التالية : (هنا الجزائر الحرة المكافحة ، صوت جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني يخاطبكم من قلب الجزائر) (6).

وفي عام 1957 شرعت قيادة الثورة في تكوين عدد من المتربصين في مجال الإشارة، من صفوف الطلبة المضربين عن الدراسة الذين التحقوا بالثورة منذ ماي 1956 . وقد تم تدعيم هؤلاء المتكونين بخمسين جهازا من ألمانيا الفدرالية من نوع) (AngRC9. وقد ساعد هذا على توسيع شبكات الاتصال في جميع أرجاء ولايات الوطن .

– صوت العرب من القاهرة:

اعتمدت الثورة الجزائرية في بداية الأمر على إذاعات بعض الدول العربية التي وقفت إلى الثورة ومن هذه الإذاعات ، إذاعة صوت العرب من القاهرة التي لعبت دورا حاسما في بث أخبار الثورة الجزائرية ابتداء من سنة 1955 ، وذلك من خلال ثلاثة برامج :

1 . برنامج (جزائري يخاطب الفرنسيين) باللغة الفرنسية، من تقديم عدة بن قطاط، وكان هذا البرنامج يذاع من إذاعة القاهرة الدولية موجه إلى فرنسا لمدة ربع ساعة مساء كل يوم.

في جامع الزيتونة، انخرط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية وكان عضوا نشيطا شغل منصب رئيس جمعية الطلبة الجزائريين بتونس عام 1956، في 12 جويلية 1959 انتقل إلى إذاعة الناظور، كان المرحوم عيسي مسعودي أول من تقلد منصب المدير العام للإذاعة والتلفزيون بعد الاستقلال كما شغل منصب سفير للجزائر في بعض دول الخليج، توفي 1994م

2 . برنامج (صوت جبهة التحرير الوطني يخاطبكم من القاهرة) كان يبث من إذاعة صوت العرب باللغة العربية تعليق سياسي يومي ، وبعد تكوين الحكومة المؤقتة أصبح يحمل عنوان: (صوت الجمهورية الجزائرية) يذاع بالفرنسية.

– صوت الجزائر من تونس: بدأ البث في تونس عام 1956 برنامج يحمل عنوان (هنا صوت الجزائر المجاهدة الشقيقة)، كان يذاع ثلاث مرات في الأسبوع لمدة ساعة. كان يبث أخبار عسكرية وتعليق سياسي.

– صوت الجزائر من دمشق كا السيد محمد مهري يقدم من إذاعة دمشق برنامج (صوت الجزائر الثائرة)، وهو يحتوي على أخبار عسكرية وتعليق سياسي وتحليل إخباري. توقف هذا البرنامج عن البث سنة 1961 بعد انفصال سوريا عن مصر، إذ أعرب المسئولون الجدد في سوريا على ضرورة مراقبة نص المادة الإعلامية ن فرفضت البعثة الجزائرية وأمرت بوقف الحصة.

– صوت الجزائر من بغداد: ابتداء من سنة 1958 تمكن حامد روابحية الذي كان رئيسا للبعثة الجزائرية ببغداد من تقديم برنامج إذاعي خاص بالثورة الجزائرية بعدما أذن له عبد الكريم قاسم بذلك.

– صوت الجزائر من ليبيا: كان في ليبيا محطتين إذاعيتين هما :

محطة طرابلس: كانت تبث حصة ثلاث مرات في الأسبوع ، تتضمن أنباء عسكرة وتعليقا سياسيا تحت إشراف بشير قاضي ، ثم تلاه محمد الصالح الصديق.

محطة بنغازي: كانت تبث هي الأخرى حصة ثلاث مرات في الأسبوع . كان ينشط الحصة عبد الرحمن الشريف والليبي عبد القادر عوقة ، ثم عين لمين بشيشي على رأس المكتب الجزائري ابتداء من شهر ماي 1956

4 . وزارة الأخبار لدى الحكومة المؤقتة منذ 1958

بعد تشكيل الحكومة المؤقتة في سبتمبر 1958 ، أصبحت فيها وزارة سميت بـ " وزارة الأخبار"، تتولى مهمة الدعاية والإعلام وكان على رأسها السيد محمد يزيد. كانت هذه الوزارة مسئولة عن كل ما يتعلق بالعمل الإعلامي للثورة من إصدار النشرات السياسية وعقد المؤتمرات الصحفية للرد على الدعايات الفرنسية المغرضة. كما كانت تشرف على وسائل الإعلام الأخرى مثل مكاتب الإعلام الخارجي، وجريدة المجاهد والإذاعة ولجان الدعاية الداخلية. وقامت الوزارة بإنشاء قسم للسينما في سنة 1959، وأسست الوكالة الجزائرية للأنباء سنة 1961، وأنشأت مكتبا للوثائق والمعلومات يقوم بجمع ما يكتب عن القضية الجزائرية في الصحافة العالمية، وإبلا غ وزير الأخبار أثناء تنقلاته بملخص عما كتبته الصحافة العالمية عن القضية.

5 . مكاتب الإعلام في الخارج:

كان الإعلام الخارجي للثورة الجزائرية يعتمد في البداية على النشرات والتصريحات التي تصدر عن جبهة التحرير الوطني في مكاتبها بالخارج تحت اسم (بعثة جبهة التحرير الوطني) التي كانت تقوم بالدعاية والنشاط الدبلوماسي في نفس الوقت .

وكان أول مكتب إعلامي فتح في القاهرة سنة 1955، ثم فتحت مكاتب أخرى في بعض البلدان العربية، في دمشق وبيروت وجدة وعملن وطرابلس، أما تونس والمغرب فقد فتح بهما مكاتب بعد استقلالهما سنة 1956.

وفي مارس 1956 فتحت الجبهة مكتبها الإعلامي في نيويورك . وفي أفريل وماي 1956 فتحت مكاتب جديدة في جاكرتا ونيودلهي وكراتشي . وفي عام 1957 فتحت مكاتب في الدول الاشتراكية ، براغ ، موسكو ، بكين ، بلغراد ، وفي أمريكا اللاتينية فتحت الجبهة مكاتبها في البرازيل والأرجنتين . وتمكنت الجبهة من تحدي الدعايات الفرنسية أمام الرأي العام الأوربي وفتحت مكاتب إعلامية في لندن واستكهولم وروما وبون وجنيف خلال سنة 1958.

وفي إفريقيا بدأت الجبهة نشاطها فيها بعد مؤتمر أكرا عام 1958 ، فبعد حصلت بعض الدول الإفريقية استقلالها بادرت إلى فتح مكاتب إعلامية في كل من أكرا ، وبماكو. وفي شرق إفريقيا حيث ظلت معظم دوله خاضعة للاستعمار اكتفت الجبهة بإرسال بعثات دعائية إلى كينيا وأوغندا وتنجانيقا.

أما الدول التي لم تعترف بالحكومة المؤقتة فكانت بها مكاتب إعلام تحت اسم (بعثة جبهة التحرير). وفي الدول التي لم توافق على فتح مكاتب إعلام رسمية للثورة الجزائرية، فقد كانت الثورة تقوم بنشاطها الإعلامي فيها من خلال سفارات الدول العربية

وكانت مكاتب الإعلام تقوم بتوزيع المجاهد والنشرات والتصريحات الرسمية، وتشرف على إعداد التعليقات التي تذاع في الإذاعة، وتتلقى الأخبار العسكرية وتقوم بتوزيعها على الصحف المحلية، وتقوم بإعداد نشرة يومية عن تطورات القضية الجزائرية وتوزيعها على الصحف والسفارات.

6. المراسلات و الرسائل(المراسلات الداخلية و الخارجية):

أي بين قادة الثورة أنفسهم أو تلك التي كانت بين قادة الثورة و بين قادة الدول العربية المجاورة منها و غيرها، و هي ذات أهمية بالغة في توصيل المعنى الثوري.

وتعد المرسلات أهم وسيلة لربط الاتصال بين قادة الثورة وتبدأ المراسلة في بعض الأحيان. بسرد حكم ومآثر في بداية الرسالة وهي من أهم الوسائل التي كان يعتمد عليها المجاهدون في اتصالاتهم ونقل الأخبار فيما بينهم على وجه السرعة، وكان يتم بواسطتها إعطاء الأوامر العسكرية كأوامر شن الهجمات والكمائن والمعارك وهي أيضا أداة إيصال المعلومات سواء داخل كل ولاية أو بين الولايات والقيادة العليا وبواسطتها يتم تنسيق العمليات ضد قوات العدو وضبط مجرياتها وكانت المراسلات تبلغ مباشرة وباليد لضمان الوصول والسرية والتنفيذ وقد تتلف المراسلة بعد الاطلاع عليها من المرسل إليه وذلك حتى لا تقع في أيدي العدو وقد يبلغ موضوع المراسلة شفهيا في بعض الأحيان.كما قد يبلغ جزء منها مكتوبا والجزء الثاني يبلغ شفهيا كأن يكون موضوع المراسلة الرئيسي مكتوبا وكيفية التنفيذ شفهيا خاصة عندما يكون الموضوع يتعلق بتنفيذ عمليات حربية واسعة على مستوي الوطن، وكان الجواب عن المراسلة يتم إلى نفس حامل المراسلة في أكثر الأحيان. لكن هناك نوعا من المراسلات تظليلية، وتعد خصيصا لتضليل قوات العدو الفرنسي لاستنزاف قواته ومواجهة أعماله العدائية.وفي كل الأحوال، إن المراسلات أثناء ثورة التحرير الجزائرية تتصف بالسرية وتدخل ضمن إستراتيجية الهجوم الذي تسير عليه الثورة قصد إلحاق بالعدو خسائر في الأرواح أو المعدات بأي وسيلة كانت، ولقد تطورت المراسلات وتنوعت وتعددت مواضيعها وأساليبها وأشكالها أثناء الكفاح المسلح إلى أن أصبحت تتم بوسائل حديثة كالشفرة والبرق وطرق متطورة أخرى وكانت المراسلات بين الولايات والمناطق يتم تبليغها بواسطة دورية تسمى تارة بدورية الاتصال وتارة أخرى بالبوسطة (مكتب البريد)، وكانت تتكون من شخص إلى ثلاثة أشخاص حسب الحالة، وينبغي أن تتوفر فيهم خصال عديدة كالثقة والشجاعة والإقدام، ويعرفون الجهة معرفة جيدة خاصة معرفة أراضيها وتضاريسها ويكونوا أصحاً ولهم مقدرة على التنقل بسرعة وسهولة والتخفي عن العدو وأعوانه ولأخذ صورة أكثر وضوحا على المراسلات أثناء الثورة التحريرية الجزائرية أضع بين أيدي القارئ الكريم عدة مراسلات تمت بين قيادات الثورة الجزائرية تعالج مواضيع مختلفة تكشف أسلوب مراسلات وعمل ثورة شعب ومسيرة أبطال.[7]وهذه الصورة نموذج عن المراسلات التي كانت بين قادة الثورة إبان ثورة التحرير[8]

وأما المراسلات بين قادة الثورة و قادة العرب في تلك الفترة كانت كثيرة جدان نوجز منها مخطوط كان قد أرسله القائم بالإعلام في صفوف جبهة التحرير الوطني آنذاك، من خلال إرسال تشكر و ثناء لقائد الجمهورية العربية المتحدة الرئيس المصري جمال عبد الناصر عن دعمه المطلق للثورة التحرير و قادتها، و هذه النسخة استلمتها شخصيا من عند المجاهد بورزق عبد المجيد (أحد قادة ثورة التحرير في منطقة الحضنة)، و هاهي ذي النسخة من مراسلة القادة إلى إذاعة صوت العرب بمصر:

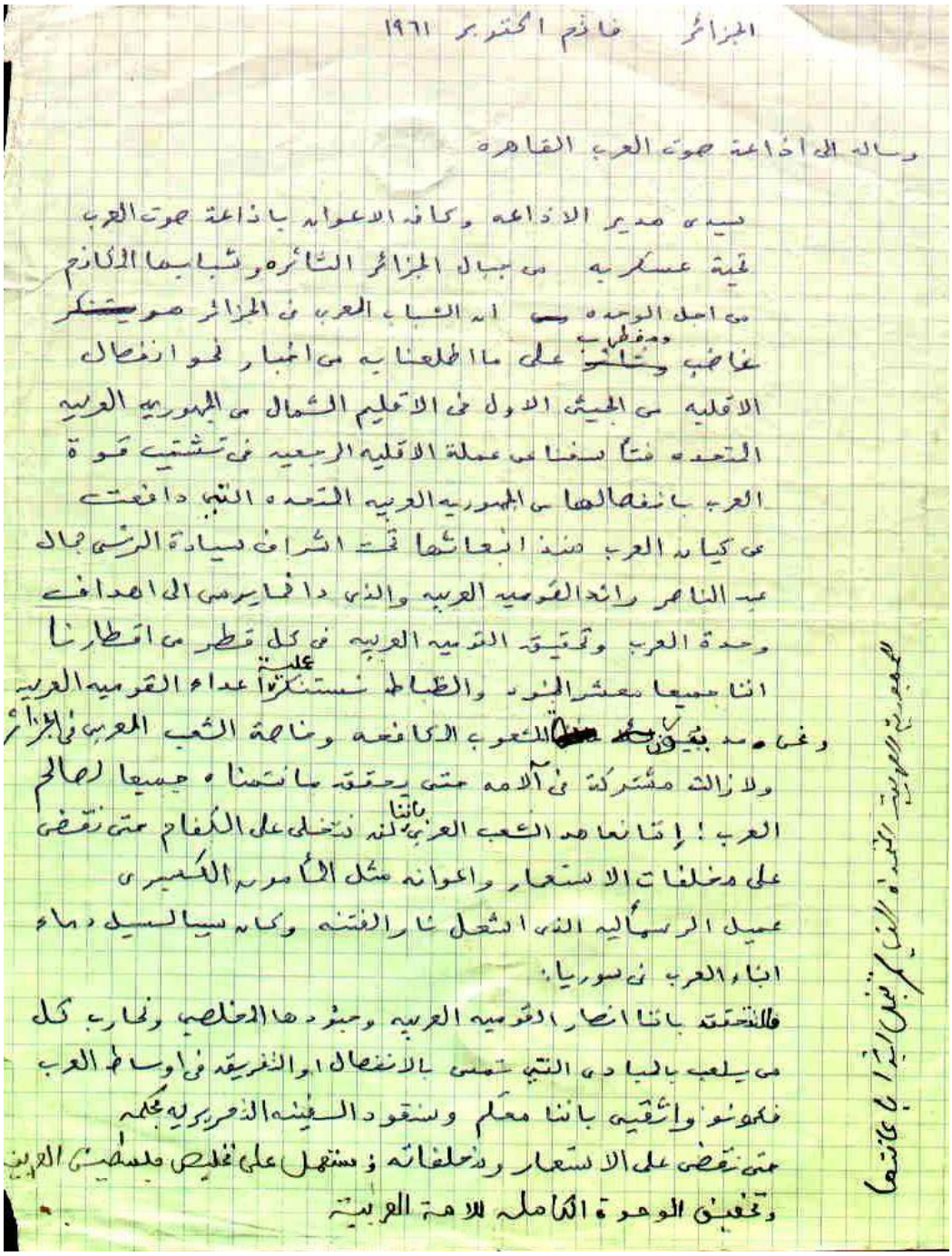

الجزائر في ٤ أكتوبر ١٩٦١

رسالة الى اذاعة صوت العرب القاهرة

سيدي مدير الاذاعة وكافة الاخوان باذاعة صوت العرب

تحية عسكرية من جبال الجزائر الثائرة وشبابها الباسل من اجل الوحدة بين ابناء العرب في الجزائر صوت شكر وتقدير غاضب ومتحفز على ما اطلعنا به من اخبار تحول انفصال الاقليمية من الجيش الاول في الاقليم الشمال من الجمهورية العربية المتحدة فتأ لبنا من عملة الاقليمية الرجعية في تشتيت قوة العرب بانفصالها عن الجمهورية العربية المتحدة التي دافعت عن كيان العرب منذ انبعاثها تحت لواء سيادة الرئيس جمال عبد الناصر رائد القومية العربية والذي دائما يرمي الى اهداف وحدة العرب وتحقيق القومية العربية في كل قطر من اقطارنا اننا جميعا معشر الثوار والطالما نستنكر اعداء القومية العربية وخاصة بين الشعوب الكافحة وناحة الشعب العربي في الجزائر ولا زالت مشتركة في آلامه حتى يحقق ما تمناه جميعا لعالم العرب ! إننا نعاهد الشعب العربي بأننا لن ندخل على الكفاح حتى نقضي على مخلفات الاستعمار واعوانه مثل المأمور الكبير عميل الرسمالية الذي اشعل نار الفتنة وكان سببا لسيل دماء ابناء العرب في سوريا.

فالتحقت بانتصار القومية العربية وجنودها المخلصين وحارب كل من يلعب بالبادئ التي تمس بالانفصال او التفريق في اوساط العرب فكونوا واثقين بأننا معكم وسنقود السفينة الثورية بحكمة حتى نقضي على الاستعمار ومخلفاته ونستهل على تخليص فلسطين العربية وتحقيق الوحدة الكاملة للامة العربية

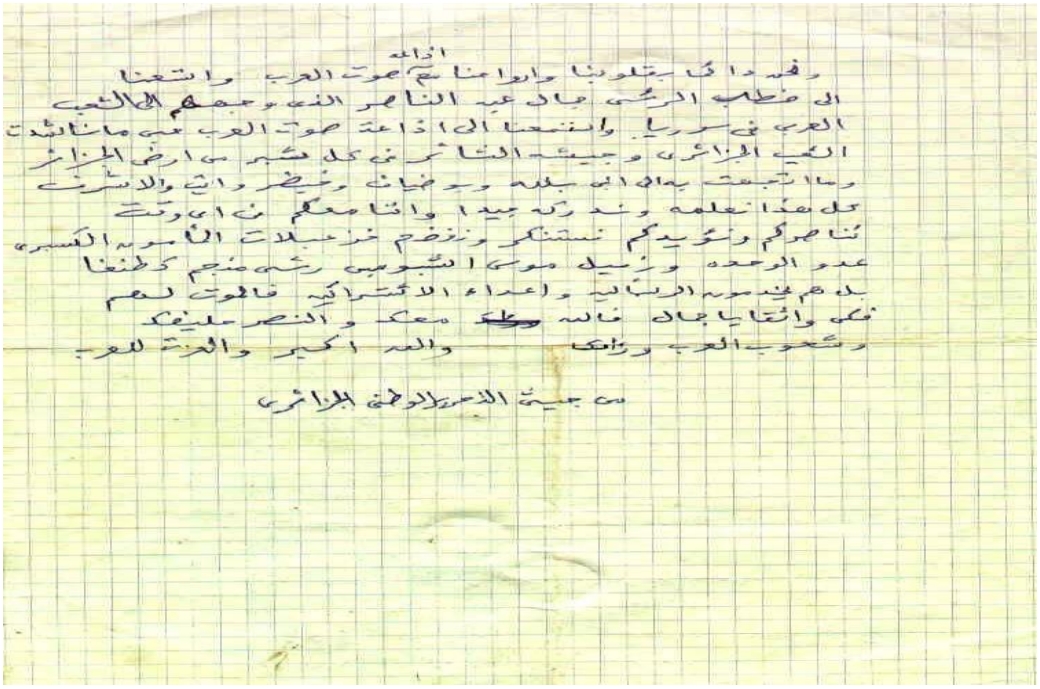

7 . السينما: (و كانت شعارها آنذاك من البندقية إلى وسائل الإعلام)

كانت الحاجة إلى تدويل الكفاح من أجل التحرير الوطني، بالفعل من بين الأهداف الثلاثة للسياسة الخارجية لبيان أول نوفمبر 1954، غير ان قضايا الإعلام الجماهيري بدأت تطرق بحدة على قادة الثورة سواء كانوا سياسيين أو عسكريين و ذلك منذ انعقاد مؤتمر الصومام في أوت 1956 في منطقة القبائل.

و يقول رضا مالك إن " فكرة لا تتداول من شأنها أن تموت" و قال في وقت لاحق أن الحدث الذي لا يتم تداوله في وسائل الإعلام " حدث غير موجود". و ابتداء من مؤتمر الصومام و في ذروة الكفاح، نجح قادة ثورة التحرير الوطني المقيمين في الخراج في إقناع قادة الكفاح في الداخل بأهمية الاتصال، و سرعان ما كشفت وسائل الإعلام السمعية و البصرية عن مدى فعاليتها و خاصة في فترة تميزت بظهور التلفزيون كوسيلة إعلام مهيمنة في الغرب. (9)

شكلت سنة 1956م نقطة تحول في استخدام الصورة من طرف جبهة التحرير الوطني، و هكذا قدم السينمائيون الذين جاؤوا من الجزائر كما هو حال جمال شندرلي، أو من أي مكان آخر خدماتهم لجبهة و جيش التحرير الوطني، لقد قيل الكثير بعد 1962م عن دو ركل واحد من هؤلاء المناضلين و المناضلات بالكاميرا في المعركة.

و في الواقع لقد التحق بعضهم بصفوف جيش التحرير الوطني و خدم البعض الآخر مفضلا الاحتفاظ بحريته في التفكير، غير أن جميعهم قدموا صور لمصلحة الإعلام التي تحولت في وقت لاحق إلى مصلحة السينما، مع ميلاد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إنها الصور التي نجدها في مختلف عمليات التركيب المنجزة في خلية السينما أو ضمن مواضيع مدبلجة في تحقيقات تم توزيعها من طرف قنوات تلفزيونة دولية.(10)

أنشأت وزارة الأخبار في الحكومة المؤقتة في سنة 1959 قسم للسينما، الذي كان يعد الأفلام التسجيلية عن المعارك، وأعمال حرق الجنود الفرنسيين للقرى والمدن، ويصور نضال أفراد المجتمع الجزائري بمختلف شرائحه ضد الاستعمار. وفي سنة 1960 تم عرض فلم (جزائرنا) في مهرجان ليبزيغ بألمانيا الشرقية وحصل على جائزة. كما أعد هذا القسم ستة أفلام تسجيلية وتم توزيعها على محطات تلفزيونية بسم بعض الشركات العالمية.(11)

فحينا قدم الأوربيون وأرادوا جعل الجزائر مستعمرة استيطانية راحوا يبنون السينما أينما وجد الأوربيون، وكانت السينما آنذاك كوسيلة لترويج السياسة الاستعمارية التي كانت تعتقد أنها أبدية حيث تحولت الجزائر إلى شبكة فريدة من نوعها في إفريقيا من حيث عدد قاعات السينما، إذ أن كل مكان وجدت فيه كنيسة وجدت قاعة عرض أو قاعتين للعرض السينمائي حيث من الواضح جدا أن هذه القاعات كانت موجهة للأوربيين، أما المناطق ذات الكثافة السكانية من الجزائريين حتى ولو عالية بصفة خاصة (الشرق والهضاب العليا) كانت إما معدومة أو قليلة جدا، أما من حيث تمركزها فكانت في اغلبها موجودة في الشريط الساحلي ذو الكثافة السكانية الأوربية، (12) أما فيما يخص الجزائريين كان الإقبال على قاعات السينما يتمثل في فئة قليلة تعودت عن ذلك وعليه فان أجيال السينمائيين تكونوا بفضلها واستمدوا قدراتهم منها، أما فيا يتعلق بالمضامين التي انتهجتها السينما بصفتها كمحتل فكانت كالأتي: (13)

– طابع العدوانية: حيث بعد الاحتفال الفرنسي بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر أدرجت مواضيع ذات صبغة أيديولوجية استعمارية في السياق الاجتماعي الجزائري ومنها فيلم "البلد" الذي أخرجه "RONOIR"سنة 1939 والذي صرح بأنه كان تحت الطلب حيث صور فيه الجرارات وهي تحرث الأرض الجزائرية في إشارة لتمجيد المعمرين ويهدف الفيلم آنذاك لتكريس البقاء الأبدي، وفيلم "PIPI LOMOCO " حيث جعل فيه شص أسطوري يسيطر على القصبة رمزا لسيطرة الاستعمار سنة 1937.

– تحويل إدارة السينما: بعد 1945 تحول نظر فرنسا عن المعتقد السابق فحولت الإذاعة التي كانت تابعة للبريد والمواصلات وكذا السينما إلى إذاعة وتلفزة فرنسية ومصلحة للسينما.

– مرحلة الدعاية واحتواء الجمهور: قامت فرنسا بإنشاء مصلحة السينما، والتي منها الحافلات المتنقلة لعرض أفلام دعائية، أما احتواء الجمهور فذلك عن طريق تشجيع بعض الفرنسيين إذ يكتفون بتسجيل المضمون ونشر الثقافة الفلكلورية، وفي نهاية 1957م، كان يغلب على الأفلام الظاهرة 'الفكاهة' وبهدف جلب الجمهور للخطاب السياسي أي الدعاية الاستعمارية.

8 . المسرح:

في الوقت الذي كان الاستعمار يشدد فيه قبضته على الشعب الجزائري، كان المسرح يهيئ لثورة عارمة بدأت تظهر في الأفق، واستمر نشاطه حتى سنة 1954 حين اندلعت الثورة، وفي هذه الفترة لقي المسرح ضغطا وتضييقا كبيرين، ولهذا اضطر المسرح أن يلجأ إلى الخارج للقيام برسالته النضالية.

وقد مر المسرح في المهجر بفترتين من حيث نوعية النضال السياسي. كانت الفترة الأولى من 1955 إلى 1958 في فرنسا، والثانية من 1958 إلى 1962 بتونس.

أما الفترة التي كانت في فرنسا لم تعرف كثير من التأثير في مسار الثورة بسبب الضغوط الاستعمارية التي كانت لا تسمح بالنشاط المسرحي المرتبط بالعمل السياسي.

أما في تونس فقد عمل المسرح على تعميق الكفاح النضالي ضد الاستعمار. فكان بمثابة المنبر الذي كان يعلو منه صوت الجزائر وتحول إلى بندقية بيد كل فنان مسرحي بعد أن تأسست الفرقة الفنية الوطنية في شهر أفريل 1958 بتونس وكانت جبهة التحرير الوطني في شهر نوفمبر 1957 قد وجهت نداءات إلى جميع الفنانين الجزائريين لتكوين فرقة فنية ترد على المزاعم الفرنسية والبرهنة أن الجزائر لا يربطها أي رابط. ومن الإنتاج المسرحي المرحلة الخالدة من تاريخ المسرح الجزائري مسرحية (النور) وهي عبارة عن لوحات من كفاح الشعب، (أولاد القصبة) لعبد الحليم رايس، و (الخالدون) و (دم الأحرار)، وكان مصطفى كاتب هو الكتب المسرحيتين الأخيرتين، وأخرج المسرحيات الأربع.[14]

9 . الرياضة:

إن للرياضة دور كبير في توعية الشعب الجزائري أثناء كفاحه المسلح ضد المستعمر الفرنسي الذي لم يفرق بين كل شرائح أمتنا في محاولاته اليائسة لإخماد رغبتها في نيل الحرية مهما كلفها الثمن.

و من الدروس الكبيرة التي لقنها الرياضيون الجزائريون للمستعمر الفرنسي في تلك الفترة توقفهم عن النشاط تلبية لنداء جبهة التحرير الوطني ، مؤكدين أنهم منصهرون في تطلعات شعبهم الأبي حيث كانت أغلبية النوادي الجزائرية منبع للوطنية مثلما أكدتها القوة التي كان يظهرها رياضيوها كلما واجهوا نظراءهم في نوادي المستعمر.

و قد تسابق الرياضيون للالتحاق بصفوف الثوار فتدعمت جبهة وجيش التحرير الوطني بكفاءات شبانية تتمتع بروح انضباطية عالية وغيرة وطنية وأثبتت ولاءها وإخلاصها للوطن بعد تبنيها لمبادئ الثورة التي وجدتهم من أخيار المناضلين الواعين المشبعين بالروح الوطنية حيث ضحوا بإخلاص وتفان في الجبال و المدن.

ولم تكن النوادي الجزائرية بمنأى عن مراقبة شرطة المستعمر التي شددت المراقبة على نشاطاتها وضيقت الخناق على بعض رياضييها سيما الذين اختاروا الكفاح السري لصالح الثورة حيث وقع الكثير منهم في قبضة المستعمر على غرار ما حدث لملاكم اتحاد البليدة حمود دايدي الذي اضطر إلى اختراق حاجز أمني خوفا من انكشاف أمره لا سيما أن سيارته كانت معبأة بالسلاح فتعرض لإصابات خطيرة وتوفي على الفراش وهو في المستشفى الذي نقله إليه المستعمر. (15)

تكون فريق جبهة التحرير الوطني في عام 1957 من هواة كرة القدم وأعضاء في فرق متفاوتة المستوى تابعة لبعض الأندية الجزائرية، وكان الهدف من تكوين هذا الفريق:

- التعريف بالقضية الجزائرية في الأوساط الشبابية العربية والجماهير الواسعة عموما.
- جمع التبرعات لفائدة الثورة .

وقد زار الفريق العديد من الدول العربية، مثل ليبيا والعراق، السعودية. وكان مرفوقا ببعض قادة الثورة في مقدمتهم العقيد أوعمران، وكان بعض اللاعبين الذين كانوا ينشطون في الأندية الفرنسية قد تركوا أنديتهم ولبوا نداء الثورة في تكوين فريق تحت لواء جبهة التحرير مثل رشيد مخلوفي، وبوبكر، وبن تيفور، وزيتوني وغيرهم. صدى إعلاميا كبيرا في الأوساط الفرنسية، الشبانية منها على الخصوص .

بدأ الفريق نشاطه تحت إدارة الراحل بومزراق في نطاق المغرب العربي . كما قام بجولات في بلدان أوربا الشرقية والصين ، وقد كسب هذا الفريق محبة هواة هذه اللعبة في تلك الدول.

خاتمة :

يتبين لنا من خلال ما سبق ذكره أن الثورة الجزائرية تمكنت من تشييد إعلام ثوري جزائري خالص، استطاع رغم قلة إمكانياته، أن يصمد في وجه الإعلام الدعائي المضاد للثورة التحريرية الكبرى، والأكثر عدّة وعتاد، حيث تكمن من إيصال قضية الشعب الجزائري المكافح المتطلع لنيل حريته واستقلاله إلى المحافل الدولية، وكذلك المنظمات العالمية، ومن هنا نستخلص من خلال ورقتنا العلمية لإستراتيجية وسائل الإعلام والاتصال في دعم الثورة التحريرية الجزائرية الاستنتاجات الآتية:

- أن الإعلام الجزائري يعتبر أحد الأهداف الإستراتيجية في بيان أول نوفمبر وتكريسها لجهود مؤتمر الصومام في دفع المسيرة الإعلامية لخدمة الثورة والشعب في الداخل والخارج، وذلك عن طريق تكثيف النشاط الإعلامي، خاصة على المستوى الخارجي بكل أنواعه المكتوب، الإذاعي، السمعي بصري.
- أن الإعلام الجزائري بشتى أنواعه أثناء الثورة كان إعلاما ثوريا بالدرجة الأولى، يمتاز بالموقف البطولي المسئول،حيث يعود له الفضل في توضيح الرؤية على ما يجري على أرض الجزائر من تخريب، ودمار ،ومجازر التي اقترفت في حق الشعب الجزائري

- أن جهاز الإعلام والدعاية كان يعتمد على القضايا الحية في الميدان التي تزود الدعاية الجزائرية بالحقائق الملموسة يوميا، بعيدا عن التصنع والاحتراف والفبركة.

قائمة المراجع:

(1) أحمد حمدي(د.س): الثورة الجزائرية والإعلام، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط.2، ص.41.

(2) ميثاق مؤتمر الصومام، الوثيقة السياسية الأولى للثورة الجزائرية، في مجلة أول نوفمبر، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد : 51،1981، ص ص. 30 ، 45.

(3) هناك من قال أنه اختلسها من داخل القاعدة الأمريكية، وهناك من أكد بأنه اشتراها من أحد الضباط كانت له معه صلة.

(4) www.echoroukonline.com/ara/articles. le 14/09/2015.à 21.00

(5) الأمين بشيشي: دور الإعلام في معركة التحرير، وزارة الثقافة الجزائر، العدد 104، 1994، ص ص.54-59.

(6) علي زغدود: المراسلات بين قادة الثورة الجزائرية، لمعلومات أكثر انظر:

wakal-aflouwakal.blogspot.com/2009/08/blog-post تاريخ الولوج: 2015/09/14، على الساعة: 15.30

(7) http://www.google.dz/imgres?imgurl=http://djelfa.info/ar/files .à 14/09/2015 le 21.00

(8) التسلح والمواصلات أثناء الثورة التحريرية 56-62، منشورات وزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2001، ص ص.21-22.

(9)احمد بجاوي: السينما و حرب التحرير الجزائر: معارك الصور، ترجمة: مسعود جناح، منشورات الشهاب، باتنة، 2014، ص54

(10) نفس المرجع: ص61

(11) جان اليكسان: السينما في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 51، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982، ص216.

(12) أحمد بجاوي: الفيلم الجزائري بين التاريخ والخيال، مجلة المسار المغربي، العدد الثالث، 1988، ص60

(13) عواطف عبد الرحمن: الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص.62.

(14) بوعلام رمضاني: المسرح الجزائري بين الماضي والحاضر، المكتبة الشعبية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بدون تاريخ، ص ص.21-22.

(15) الصادق بن دردورة: رياضيو الثورة: الوطن قبل كل شيئ.. نموذج للتحدي والتضحية، جريدة الموعد 30 أكتوبر 2013، لمعلومات أوفر أنظر رابط الصحيفة: http://www.elmaouid.com/index.php/dossiers/27656-2013

تاريخ الاستلام: 2016/04/06- تاريخ التحكيم: 2016/04/15 -تاريخ النشر2016/06/28

خليّـة الاتصال فـي مواجهة رهـانات أزمـة فيضانـات غرداية (2008)

أ.فطيمـة بوهـامي

جامعة الـجزائـر 3- (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Abstract:

Contact depends several methods and techniques in the transfer of information in the daily life of the individual and the group, which allow face and running the risk of accidents and emergency. What makes the specialists in the science of management attach great importance to communication and make up visions and wide about how to exploit and management, Because of that Some researchers thought in the sixties of the twentieth century the importance of the role of radio in the damaged alert the public of possible disasters, along with the research evolved to impose an important aspect of crisis management in all walks of life and its institutions. So if the connection is a prominent role in everyday human life, it is today more important in crisis situations and disasters, particularly those caused by natural hazards or technological, in terms of human experience more than ever before, economic and industrial developments, social and political triggered along with climatic and environmental changes in the collision of the world from time to time disasters the crises are several, among them - for instance, the global financial crisis (2008), the food crisis and the disaster of Hurricane Katrina in the United States, the tsunami and South Asia, October earthquake (2005), Pakistan, floods (10.11.2001) Bab el wad in Algiers

key words: Crisis Communication - The Crisis Cell Communication - Communication Scenario.

ملخص:

يَعتمد الاتصال طرائق وأساليب عدّة في نقل المعلومات في الحياة اليومية للفرد والجماعة والتي تسمح بمواجهة وتسيير المخاطر والحوادث الطارئة، ما جعل بالمختصّين في علم الإدارة يُولون اهتمامًا كبيرًا بالاتصال ويُشكّلون رؤى واسعة حول كيفية استغلاله وإدارته، حيث ظنّ بعض الباحثين في ستينيات القرن العشرين بأهمية دور الإذاعة في تنبيه الجمهور بأضرار الكوارث المحتَمَلِ وُقُوعِها، ومعها تطورت البحوث لتفرض حيزًا مهمًا لإدارة الأزمات في كافة مناحي الحياة ومؤسساتها، فإذا كان للاتصال دورًا بارزًا في الحياة اليومية للإنسان فإنّه اليوم أكثر أهمّية في حالات الأزمات والكوارث وبخاصة تلك الناجمة عن المخاطر الطبيعية أو التكنولوجية، حيث تشهد البشرية أكثر مما سبق تطورات اقتصادية وصناعية واجتماعية وسياسية تسبّبت إلى جانب التغيرات المناخية والبيئية في اصطدام العالم من حين لآخر بكوارث وأزمات عدّة، نذكر منها على سبيل المثال الأزمة المالية العالمية (2008)، والأزمة الغذائية وكوارث إعصار كاترينا بالولايات المتّحدة الأمريكية، إعصار تسونامي بآسيا الجنوبية، زلزال أكتوبر (2005) بباكستان، فيضانات (10/11/ 2001) بباب ..

الكلمات المفتاحية: اتصال الأزمات – خلية الأزمة – السيناريو الاتصالي.

المقدمـة

يَعتمد الاتصال طرائق وأساليب عدّة في نقل المعلومات في الحياة اليومية للفرد والجماعة والتي تسمح بمواجهة وتسيير المخاطر والحوادث الطارئة، ما جعل بالمختصّين في علم الإدارة يُولون اهتمامًا كبيرًا بالاتصال ويُشكّلون رؤى واسعة حول كيفية استغلاله وإدارته، حيث ظنّ بعض الباحثين في ستينيات القرن العشرين بأهمية دور الإذاعة في تنبيه الجمهور بأضرار الكوارث المحتَمَلِ وُقُوعِها، ومعها تطورت البحوث لتفرض حيزًا مهمًا لإدارة الأزمات في كافة مناحي الحياة ومؤسساتها.

فإذا كان للاتصال دورًا بارزًا في الحياة اليومية للإنسان فإنّه اليوم أكثر أهمّية في حالات الأزمات والكوارث وبخاصة تلك الناجمة عن المخاطر الطبيعية أو التكنولوجية، حيث تشهد البشرية أكثر مما سبق تطورات اقتصادية وصناعية واجتماعية وسياسية تسبّبت إلى جانب التغيرات المناخية والبيئية في اصطدام العالم من حين لآخر بكوارث وأزمات عدّة، نذكر منها – على سبيل المثال– الأزمة المالية العالمية (2008)، والأزمة الغذائية وكوارث إعصار كاترينا بالولايات المتّحدة الأمريكية، إعصار تسونامي بآسيا الجنوبية، زلزال أكتوبر (2005) بباكستان، فيضانات (10/11/ 2001) بباب الوادي بالجزائر العاصمة والتي تسببت في مقتل (712) مواطنًا وجرح (311) آخرون، إلى جانب (115) مواطنًا مفقودًا و(1454) عائلة بدون مأوى، زلزال الأربعاء (2005/05/21) ببومرداس، و الذي سجّل (6.8) درجات فوق سلّم رشتير.

تختلف الأزمات بحسب السياق العام الذي توجد فيه فتتفرع عنها مجموعة من الفروع التي تكمّلها ليتشكل مفهوم إدارة الأزمة من خلال الاتصال، وهذا باتباع سلسلة من الإجراءات والخطّط والإستراتيجيات التي تتبع التسلسل المفروض، حيث يجب – في مثل هذه الحالات – مراعاة كل مراحلها بل يستوجب الأمر تعيين فريق اتصال مدرّب، مع التركيز على اختيار الأجدر للقيام بدور الناطق الرسمي ومراعاة تحديد الجمهور والرسالة التي ستوجه إليه والأهداف المرجوة منها، كلّ هذه العناصر تشكل ما يسمى بخلية اتصالات الأزمة التي توضع لتنظيم وتسيير عملية الاتصال أثناء وقوعها.

ما مدى فعالية خلية الاتصال في مواجهة رهانات أزمة فيضانات 2008 بغرداية ؟؟

I.1: اتصال الأزمات

أنهكت الأزمات الإنسان في مواقع عدّة وبخسائر مروّعة، "بات الاهتمام بدراستها ومعالجتها في المنظّمات المتطوّرة من أساسيات إدارة الأزمات " (1) التي تعدّ ميدان وساطة شبه محصورعلى الدولة يؤدي في آخر المطاف إلى اختيار عقلاني للقرار السياسي أو الإداري، فهـي بالنسبة للمختصين " اللحظة المناسبة للعبـور عبـر علاج تقنـي للكارثة ومراقبة تحوّلها على شكل حدث اجتماعي أو أزمة" (2) كما أنّها بمثابة "حالة انقطاع غير مرتقب وصعب الاجتناب يجمع بين الخطر والطارئ في تلاحق وتتابع نتائجه غير معروفة دون إجراءات النجدّة أو سيناريوهات معدّة مسبقا على طاولة العمل، أين تمتزج الخسائر البشرية بالمادية ويتشابك القلق البشري المنظماتي والإعلامي" (3) مما أدى إلى الاهتمام بهذا الميدان الذي يتطلب مجهودات اتصالية جبّارة.

فأساس وركيزة مواجهة أيّ أزمة " يكمن في كيفية الاتصال والتفاعل والتفاهم مع أطراف الأزمة المتأثرين بها بشكل مباشر أو غير مباشر سواء أفراد المنظّمة العاملين بها، أو جماهيرها الداخلية والخارجية ووسائل الإعلام وكافة مؤسسات المجتمع "، (4) ففي هذه الحالة يعتبر الاتصال عنصرا أساسيا لمثل هذه الحالات الخاصة وذلك لأسباب ثلاث هي كالآتي:

" لأنّ الوقاية المادية من الأزمات والكوارث، تبدأ بإعلام الجمهور،

لأنّ الاتصال ضروري للتحضير للردّ على الكوارث والأزمات،

لأنّه يستخدم، ويوظّف في نقل معارف العلماء والخبراء المبسّطة للجمهور الباحث عن حقيقة الوضع،

لأنّه يوفر المعلومات اللازمة لاتخاذ القرار".(5)

يتّضح من خلال ما تقدّم الفرق بين الاتصـال والإعلام، ففـي الأوّل (الاتصال) يتمّ تحويل المعلومة لفائدة المرسل، حيث يستعد من خلالها لمجابهة الحالات الطارئة بالتخطيط المسبّق لها، في حين يكون الأمر في الإعلام لصالح المتلقي الذي يتفادى التعامل مع الإشاعات التي تزيد من قلقه وبالتالي من تسبّبه في تأزّم الأوضاع، فيسعى بكلّ ما لديه من إمكانيات ماديّة ومعنويّة إلى مدّ يدّ العون والمساعدة في التصدّي للتغييرات الحاصلة (6) والحدّ من تطوّراتها، ورغم هذا الاختلاف، يبقى الغرض الأساسي من هذه الأنشطة الاتصاليّة التدخلات السريعة لاجتناب أو الحدّ من تطوّر الأخطار أو المشاكل المهدّدة قبل وقوعها والتقليل من حجمّ خسائرها وأضرارها المحتملة، بالتنبؤ المسبّق لها من خلال ما يصلّ المنظمة من معلومات تتيح الاستعدادات المادّية والبشريّة اللازمة لمجابهة الوضع، حيثّ يتمّ إعداد خططّ اتصالية محدّدة ومحكمة لإدارة الأزمات.

- **فما هو اتصال الأزمات ؟**

- **متى بدأ الاهتمام به، وما هي دوافع ذلك؟**

إنّ الحاجة إلى الاتصال في وضعية أزمة ناتج عن انحراف نظامي للتلقي الذي يملكه إداريّو ومسيّرو الوضعية التي يعيشونها بالنسبة إلى الممثلين الخارجيّين أو الجمهور بصفة عامة، ولتقريب كليهما – قدر المستطاع – إلى فهم وإدراك مطابق للأحداث، يجب العمل على سدّ الفراغ الموجود بين مستوييّ التلقي، والذي غالبا ما يعود بالسلب على المنظّمة.

لا يجب أن يكون اتصال الأزمة في أيّ ظرف من الظروف –كما أكّد Lagadeck – آخر ما تبقى للمنظّمة العاجزة، إذ لا يمكنه استدراك مسؤوليته حتى بمساعدة أحدث تقنيات الاتصال، لهذا استلزم الأمر التأكيد أولا على فكرة هامة من شأنها إلهام اتصال الأزمة: " توجيه الاتصال مباشرة على الأفعال وليس على الوعود والاقتراحات مع وجوب تحمّل الأحداث إلى النهاية".(7)

يرتكز ويعتمد اتصال الأزمات على إستراتيجية المؤسسة حيث يهتمّ بأغلب مظاهر " الاتصال المؤسساتي ويطبّقه من خلال بلوغ صورة عامة للاتصال المنتج، بغرض تحدّي بعض العلامات التجارية والاتصال المالي بما أنّ مجال عمله سيكون متأثرا بالاتصال الداخلي، وفي بعض الأحيان يرتكز على الاتصال البيئي، لهذا نجد أنّ اتصال الأزمات يرتكز على أهداف الاتصال العام " (8)

وهو بذلك " مجموع الأنشطة الاتصالية التي تمارسها المنظمة أثناء المراحل المختلفة للأزمة، بغضّ النظر عن الوسائل والمضامين المستخدمة فيها من خلال أقسام العلاقات العامة ووسائل الإعلام"، (9) إذ تظلّ إدارة الأزمات في المنظمة، في حاجة ماسة إلى " تدفّق مستمر لكميات هائلة من المعلومات المناسبة والملائمة للمتابعة الفورية لمجريات الأزمة وسلوكيات ونتائج أطرافها " (10) فمن الضرورة فتح قنوات الاتصال مع الأطراف الأخرى بغرض مواجهتها.

لا يعتبر هذا النوع الاتصالّي "نظامًا حرًّا لكّنه جزء لا يتجزّأ من الإدارة، إذ أنّه عبارة عن مقاربة في تخصّص الاتصال المؤسّساتي، تتدخل في الأنظمة الأخرى بصفّة معروفة بطرق التنظيم والاتصال " (11) وبدون تحضير تفشل المنظّمة في إدارة أزماتها ومن ثمّ تتعرقل مسيرتها، لهذا "على القطاعات المتعدّدة التحكم في أنواع الاتصالات كالاتصال البيئي والمالي الاجتماعي والصناعي والتجاري....الخ". (12)

يجري هذا النوع من الاتصال، في ظروف غير اعتيادية تتّسم بالمفاجأة وضيق الوقت، يواجه فيها متّخذ القرار صعوبات عديدة نادرًا ما يتجاوزها، كالقلق والنرفزة والارتجال في اتّخاذ القرارات، خصوصا إذا ما غابت الخطط المسبّقة لذلك، وأيضا تجري في جوّ مشحون بالسلبية والعداء من قبل وسائل الإعلام ومن قبل وأحد أو أكثر من الجماهير الإستراتيجية، حيث يتشابك القلق البشري المنظماتي والإعلامي كما سبق ذكره، وبذلك يعدّ اتصال الأزمات نشاطًا اتصاليًا – كما عرّفه حمدي محمد شعبان – " يتعامل مع الغموض والتهديد بنوعيه، الداخلي والخارجي وذلك لجهل أسباب وعوامل نشوب الأزمة.(13)

وترجع بدايات الاهتمام بهذا المجال،" إلى ستينيات القرن العشرين، حيث تنبّه بعض الباحثين إلى أهمّية دور الإذاعة في نقل الأخبار ورسائل التحذير من الكوارث، وفي أهميّة صياغة الرسائل الإعلامية أثناء الأزمات والكوارث " (14) إذ تحوّلت نظريات الإعلام في تلك الفترة من الاهتمام بما تفعله وسائل الإعلام بجمهورها إلى ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام، بمعنى تحوّل الاهتمام بمن يقدّم الرسالة الإعلامية إلى متلقيها وكيفيّة التأثير عليه وإقناعه.

" وفي أواخر الثمانينات وبداية التسعينيات، كثرت بحوث اتصالات الأزمات لزيادة عدد الأزمات القومية والدولية من جهة " (15) كظهور أزمة الخليج 1991/1990 الأولى والثانية، والأزمة الأمريكية الليبية 1989 ومن جهة أخرى" التطور غير المسبوق في وسائل الاتصال وسرعة تبادل المعلومات"، (16) حيث شهد العالم ظهور الإنترنيت التي قصّرت من طول المسافات بين المرسل والمستقبل، وجعلت العالم قرية صغيرة – على حدّ قول مارشال ماكلوهان – حيث الاتصال التفاعلي الذي مكّن من المشاركة الفعالة للمتلقي.

هدف اتصال الأزمات – على العموم – إلى التأهب لمواجهة الأزمات الحادة قبل وقوعها، وذلك بفضل ما يصل إليه من معلومات دقيقة وصادقة تساعد بدرجة عالية على التعرّف على المرحلة التحذيرية حيث تبعث الأزمة بإشارات الإنذار المبكّر، كما يهدف أيضا إلى تهدئة حالات الاضطراب والهلّع التي تنتاب الجميع أثناء وقوعها، من خلال طرح الحقائق والمعلومات الخاصة بأسبابها ودوافعها والإجراءات التي قامت بها المنظّمة أمام: (أولاّ): الجمهور الداخلي، بهدف رفع درجة الاستعداد لديه، ولمحاصرة الحدث، (ثانيا): أمام الجمهور الخارجي، بهدف كسب ثقته وإزالة الغموض الذي ينتابه ساعات الحادث، كما يسعى إلى تجنّب انتشار الإشّاعات بين العاملين في المنظمة، وبين أفراد جمهورها الخارجي والتي من شأنها الظهور في مثل هذه الأثناء، حيث يعمل أعداء المنظّمة على استغلال كل الثغرات الموجودة في الأزمة، لإثارة الشوشرة حولها وبالتالي تشويه سمعة المنظمة والتشكيك في قدراتها في التسيير الجيّد والمحكمّ في ما يحدث لجمهورها، لهذا تعمل المنظّمة على إعداد خططها الاتصاليّة ضمن إستراتيجيات مسطرة على المدى البعيد والقريب والمتوسط، لتفادي أيّ من هذه المظاهر المهدّدة لسمعتها ومكانتها.

يبرز دور اتصال الأزمات أكثر من خلال ما يقدمه أعضاء خليّة اتصالات الأزمة من نشاطات ومجهودات اتصاليّة، تتطلب التعيين والتوزيع الجيّد والمناسب للمهام والأدوار، إلى جانب الاختيار الدقيق للأفراد المناسبين لأداء هذه المهام.

I.2: خليّة الأزمة التركيبة والمهام

تعتبر خلية الاتصال حلقة مهمة في تسيير الأزمات، بل وتقوم عليها إدارة الأزمات والكوارث كونها تتكون من مجموعة من الأشخاص الخبيرين في مجال تسيير الاتصالات أثناءها في إطار من التنسيق والتكامل بين عناصر الخلية، حيث يعدّ تركيب وتنظيم خليّة الاتصال أمرا مهما جدّا إذ من خلاله تبرز المهام وتحدّد الأدوار التي سيؤديها أعضاءها عبر مراحل الأزمة المتتالية، والتي تستدعي اهتماما كبيرا من طرف كلّ عضوّ مشارك في إيجاد الحلّ الأنسب في أقصر وقتّ، وبالإمكانات المتاحة أمامه لأجل تفادي خسائر أخرى من شأنها خلق حالات الهلع والاضطراب.

تعدّ خلية الأزمة بمثابة الحلّ العجيب الذي تسعى من خلاله المنظّمة إلى معالجة أزماتها، وفي نفس الوقت رمز إدارتها، حيث أنّ التعريف نفسه يترك شعورا بوجود ردّ فعل شبه عضوي وعناية واهتمام سريعين بالحالة (الحادثة)، ممّا يؤدّي إلى القول بوجود خلط بين الحلّ والمشكل عند البعض، فبالرغم من أنّها جيّدة ومناسبة لذلك، إلاّ أنّها ليست بالحلّ الأكيد للأزمة، فقد تتحولّ في بعض الأحيان ضدّها خصوصا إذا ما فشل أعضاءها في قراءة وتحليل المعلومات الواردة إليهم وفي رسم الخطط الاتصالية المناسبة للردّ على استفسارات الجماهير الداخلية والخارجية للمنظّمة.

تعني " الخلية – في هذا الإطار– المكان المغلق والصاخب الذي تجتمع فيه باستمرار مجموعة من المتحاورين لدراسة ومناقشة الوضعية الخطيرة التي تعيشها المنظّمة، في جوّ مترابط تكون فيه شبكة العلاقات أكثر تأثيرا من غيرها من الاجتماعات" (17) ما يدلّ على ضرورة ووجوب حصول الخبراء المجتمعين بصفة سريعة ومستمرّة على المعلومات " لمناقشة التحاليل الأولّية للنتائج وفي نفس الوقت لإبراز وابتكار معلومات أخرى تتماشى مع الحدث"، (18) وحتى تظهر الخليّة بشكل فعّال في إدارة الأزمة، يرى Christophe Roux – Dufort بوجوب توفّر شرطان أساسيان فيها :" أن يتمّ إنشاءها قبل الأزمة " (19) بمعنى ألاّ يرتبط وجودها بانفجار الأزمة لأنّه لا مجال للارتجال في خلقها في هذه الأثناء، لأنّ عامل الوقت سيلعب ساعتها لعبته في خلق حالات الفزع والهلع والشكوك والقلق لدى طاقمه مما يُصعّب ويعرقل عملية التخطيط لمواجهتها.

يبدو مما سبق ذكره أنّ الأمر يتطلب بل يحتّم " اختبّار خلية الاتصال في الأوقات الشاقة للتعرّف على قدراتها في تسيير الأزمات المحتملة " (20) لأنّ قرار التعبئة ليس بالأمر الهيّن، إذ من الواجب تنبيه الجمهور وتحسيسه بمدى اهتمام المنظّمة بالوضع القائم، وفي هذه الحالة يجب أن لا تكون التوقّعات المبتكرة خائبة، إذ يُفترض أن يكون اختيار أعضاءها مبنيا على أسّس من شأنها ضمان التسيير والمعالجة الجيّدين للأزمة.

لخّص محمد شومان أسّس اختيار أعضاء خليّة اتصالات الأزمة في الذكاء والقدرة على الإبداع، بمعنى القدرة على الابتكار وإنتاج الأفكار الجديدة لبناء مواد غير مألوفة والقدرة على العمل الجماعي والدقّة والمرونة والجدّية والصبر والشجاعة والجرأة في اتخاذ القرار والقدرة على الإنجاز والإبداع ومدى الاستعداد لتلبية نداء المنظّمة، وحضور اجتماعات الخليّة مهما كانت الظروف وإلى جانب كلّ ذلك، يشترط في خليّة الأزمة " ألاّ يتعدّى عدد أعضاءها خمسة عشرة عضوا"(21) وهذا بغرض تسهيل عملية طرح ومناقشة الأفكار المقترحة بشكل منظّم وتفادي المناوشات الكلامية الحادة التي كثيرا ما تحدث لتعارض واختلاف الأفكار التي تؤدي في آخر المطاف إلى تضيع الوقت في أمور خارجة عن موضوع الاجتماع، كما يستوجب إنشاؤها تخصيص قاعة مجهّزة ومهيكلة بكل مستلزمات الاتصال، كأجهزة الهواتف الثابتة والفاكس والتلكس والإنترنيت والتلفزيون وأجهزة الإعلام المزودة بشبكة الإنترنيت الآلي، هذا وتتميّز خليّة الأزمة الفعّالة بخاصيتين أساسيتين: التركيب والدور

I.3: الأعضاء الفاعلون في خلية الأزمة

تختلف خلايا الأزمة من منظّمة لأخرى، وهذا حسب الاستعداد والتحضير أو العكس، ففي حالة المنظّمة غير المستعدّة تأخذ خليّة الأزمة شكل " مجلس إدارة استثنائي " أمّا في حال المنظّمة المستعدّة والمهيأة يكون العكس، إذ من الضرورة أن تكون خليّة الأزمة مزوّدة بل مفصّلة بشكل مخالف تماما، حيث أنّها ترتكز على الركائز الثلاث التالية:

المنسّق: وهو الشخص الذي تُسند إليه مهمّة تسيير وتوجيه الأزمة بحيث يكون دوره مزدوجا، أي أنّه يعمل على تعبئة الخليّة بالسهر على السير الجيّد لها، من خلال تنظيم وتنسيق المقاييس المأخوذة لتسيير الأزمة، فهو الذي يأخذ بتقارب وتسلسل كلّ المعلومات المطروحة أمامه وينظّم بالمرّة تصاعدها ونشرها على الأطراف المعنيّة، وهو بذلك لا " يتدخل كخبير في الأزمة، بل يمثّل وظيفة مهمّة بالرغم من أنّها غير ذلك، لأنّه يساعد على التنسيق بين أعضاء الخلية، أي أنه يمثّل النقطة الرئيسية لتحويل وجهة الأحداث، لذلك يجب أن تكون سلطته مؤكّدة ".(22)

يجب على المنسّق – في حال المنظّمات الكبرى– استئصال احتماليّة وقوع الأزمة في أقرب وقت للحفاظ على رؤيّة عامة عن الأحداث وأن لا يتورّط في المظاهر التي ليست من اختصاصه، لأنّ "وجوده يضيف الجديد والوضوح، خصوصا لما يكون في الصفوف الأولى بالنسبة للاتصال، هذا ما يقودنا إلى القول بأنّ لا يجب أن يمارس مهمّة "Leadership " في مثل هذه الحالات "(23) فالأزمة هي الحالة التي يكون للمسيّرين فيها فرصة إثبات" Leadership " أو تحطيمه، لأنّ طريقتهم في التسيير هي أهمّ من النتائج التي سيحصلون عليها.

مسؤول الاتصالات: وهو الشخص الذي يعمل على تزوّيد خليّة الأزمة بطاقم احتياطي من محاوريّ المنظّمة، فالاتصالات النازلة تعمل دوما على المشاركة في اتخاذ القرار بواسطة تدخّلات الإرجاء الخارجية:

ما هو مستوى انشغال الجمهور ؟

ماذا يتمنى، وماذا يريد ؟

ما هي انطباعاته اتجاه أيّ قرار؟

تتمثل ثاني مهمّة يقوم بها مسؤول الاتصالات في إعداد الرسائل الاتصالية، فالإجراءات المتّخذة على مستوى خليّة الأزمة ونشاطات الاتصال النازل هذه، تهدف إلى نشر وإذاعة قرارات المنظّمة بأبعاد التلقي والقبول على الأكثر، وتترجم بواسطة التصريحات والمؤتمرات والندوات الصحفية بواسطة هيئة التحرير الممثلة في المكلفين بالاتصال ومعدّي الرسائل والناطق الرسمي للمنظّمة.

الناطق الرسمي:وهو الشخص المخوّل له بالتحدّث نيابة عن المنظّمة أوقات الأزمة إلى وسائل الإعلام والأطراف الأخرى ذات العلاقة بالمنظمة، يساهم في إعداد الرسائل الاتصالية ويحضّرها لكن دون ظهور اسمه عليها، لأنّه يتحدّث باسم الخليّة وباسم المنظّمة ويعتبر أحدّ أهمّ عوامل نجاح المنظّمة في تسيير وإدارة أزمتها، إذ يمكنه التأثير في الكيفيّة التي سيتناول بها الإعلام الأزمة، كما أنّه الشخص المعني بمدى تقبّل الرأيّ العام لموقف المنظّمة أو رفضه، وهذا لتمكّنه من تقنيات التأثير والإقناع لهذا يتعيّن على الناطق الرسمي " أن يتّسم بالتعاطف والدقّة وبهدوء الأعصاب وعدم التوتّر خاصة عند التعرّض لهجوم وانتقادات مندوبيّ وسائل الإعلام، كما يجب على الإدارة العليا منحه الثقة اللازمة لاتخاذ التصريحات الفورية اللازمة عند التعامل مع وسائل الإعلام، ويخضع الناطق الرسميّ إلى اختيار الإدارة العليا وفقا للشروط التالية :

- ✓ الإلمام بتاريخ المنظّمة ونشاطاتها
- ✓ القدرة على الدفاع عن سمعة ومكانة المنظمة وتحسين صورتها
- ✓ امتلاك مهارات الاتصال
- ✓ القدرة على مواجهة كل الضغوطات التي من شأنها التأثير على شخصه وبالتالي على المنظّمة
- ✓ القدرة على مواجهة الجماهير الداخلية والخارجية، خاصة وسائل الإعلام المحلّية والأجنبية" (24)

لتحقيق ذلك يخضع الناطق الرسميّ إلى تدريبات مكثّفة تسهّل وتبسّط طريقة تعامله مع مندوبيّ وسائل الإعلام، الذين سيغرقونه وقت اجتماعهم به بأسئلة محرجة قد تؤثر عليه فتربكه وتخيفه أو تفقده ثقته بنفسه، ممّا يؤدّي إلى تذبذب معلوماته واضطرابها وبالتالي يتحوّل تمثيله الرسميّ للخليّة في الدفاع عن صورة المنظّمة وتزويد الجمهور الخارجي بالمعلومات الصحيحة لتغيير الصورة

الذهنية التي تنشأ لديه منذ بداية الأزمة، إلى مشوّه لها بعد أن يتعثّر في لقاءاته تلك، لذا يجب أن يخضع الناطق الرسمي لمواقف أزمات افتراضية يتعرض من خلالها لأسئلة محرجة وصعبة وأكثر من ذلكّ ذات طبيعة هجومية مستفزّة بغرض الكشف عن طريقته في الإجابة.

" هل تأتي بعد تفكير و تمحيص؟

هل تعكس جمله وعباراته اهتمام المنظّمة بمصالح جماهيرها ؟

ثـمّ، بأيّ شكل تقدّم صورة المنظّمة ؟

وهل توحي بإصرار المنظّمة على السيطرة على الموقف ؟ " (25)

يستحسن خلال هذه التدريبات تسجيل إجابة الناطق الرسميّ على شريط فيديو، لتمكينه ومدربيه من استدراك نقاط الضعف والنقصّ التي قد تظهر من خلال تعابير الوجه السلبية والحركات العصبيّة أو في التلعثّم والتأتاة بسبب الخوف من الإخفاق، لهذا نجد أنّ هذه التدريبات تعمل على توضّيح مدى هدوء الناطق الرسميّ ورزانته، كما تعكس شخصيته الحقيقية ودرجة ثقته بنفسه وقوة الإقناع لديه.

الخبراء والأشخاص الخارجيين:

يؤدي الخبراء دورا جدّ مهمّا في تسيير الأزمة، وهم مختارون حسب نوع الأزمة ونوع المشاكل التي يرجى منهم حلّها، حيث يتمّ استقدامهم إلى المنظّمة عندما يتعلق الأمر بإنشاء خلّية أزمة، فيعملون على إمداد الخلية بتوضيحات مختلفة تجلب انتباهها نحوّ مظاهر نقدية لم تكن لتتضّح لولاهم، لذا تطلب منهم بعض خلايا الاتصال نظرة نقدية عن السير الحسن للعمل أو سوء تسييره والذي يحدث في بعض الأحيان بسبب الأخطاء الناجمة عن حالة الطوارئ، لهذا على المنسّقين دائما وضع قائمة للخبراء الذين بإمكانهم الالتحاق بالمنظّمة في أي وقت.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الحدوث السريع لأزمة ما يأخذ بجدّية بعين الاعتبار الاستقدام المبالغ فيه للخبراء والأخصائيين، هذا ما يعني الاهتمام الكبير والجيّد بالوضع ممّا يعطي نتائج جدّ إيجابية " فالخطر الأكيد الذي يهدّد المنظمة لا يتّضح إلاّ من خلال مصفاة الخبراء والأخصائيين"(26) وهذا ما أدى بنا إلى القول بأنّ الأزمة من اختصاص الخبراء والمختصين في المناقشات الساخنة والسريعة والصعبة والتقنيّة في نفس الوقتّ، ما يدلّ على أنّه من الصعب لغير الملقّنين والمدرّبين بلوغ زمّام التخصيص الجماعي.

يتّضح من خلال كلّ ما تقدّم أنّ تركيبة وتنظيم خليّة الأزمة مهم جدّ، إذ من خلاله تبرز المهام وتحدّد الأدوار التي سيؤّديها أعضاءها عبر مراحل الأزمة المتتالية، والتي تستدعي اهتماما كبيرا من طرف كلّ عضو مشارك في إيجاد الحلّ الأنسب في أقصر وقتّ، وبالإمكانات المتاحة أمامه لأجل تفادي خسائر أخرى من شأنها خلق حالات الهلع والاضطراب.

II: مدى فعالية فريق خلية الأزمة أثناء فيضانات غرداية 2008

II.1: بطاقة مونوغرافية حول ولاية غرداية

تقـع ولاية غرداية وسط شمّال الصحراء الجزائرية، وتتربّع على مساحة كبيرة تقدّر بـ (86106 كلم2) بلغ عدد سكانها – حسب إحصائيات 2008 – (387880 نسمة)، يحدها كل من: ولاية الجلفة وولاية الأغواط شمالا وولاية البيض وولاية أدرار غربا، ولاية ورقلة شرقا وولاية تمنراست جنوبا، كما أنّها تبعد عن عاصمة ولاية الأغواط وولاية ورقلة بـ (200 كلم)، وبـ (840 كلم) عن عاصمة ولاية أدرار وبـ (1400 كلم) عن عاصمة ولاية تمنراست ويعبرها الطريق الوطني رقم (01) الرابط بين العاصمة الجزائرية والجنوب الكبير.

تتفرع إداريا إلى تسع دوائر، تشمل هي الأخرى ثلاثة عشر بلدية هي كالآتي: (غرداية، بنورة، العطف، ضاية بن ضحوة، بريّان القرارة، متليلّي، زلفانة، حاسي لفحل، منصورة، سبسب، المنيعة، حاسي القارة) يبعد مقرّ الولاية عن الجزائر العاصمة بمسافة (600 كلم)، وعن بلدية المنيعة بـ (300 كلم) وعن الأغواط وورقلة بـ (200 كلم)، تتميّز المنطقة بمناخ صحراوي

جاف، المدى الحراري واسع بين النهار والليل، وبين الشتاء والصيف، تتراوح درجة الحرارة شتاء بين (01°) إلى (25°)، وبين(18°) إلى (45°) صيفا، ويعتدل الجوّ في فصلّي الربيع والخريف وتصفو السماء في غالب أيام السنة، يحدث أثناء تساقط الأمطار" جريان أوديّة متفاوتة الأهمية تتجه من الشمال الغربي نحوّ الجنوب الشرقي، من أشهرها وادي ميزاب، وادي نساء، وادي زقرير ووادي متليلّي ولا يتجاوز معدل تساقط الأمطار سنويا بها (70 ملم) وهو غير منتظم من حيث الكميات. فتارة تشهد المنطقة الجفاف لمدّة أربع سنوات تقريبا، وتارة تشهد العكس، حيث تكون كميات التساقط كبيرة. "(27)

جعلت شبكة الأوديّة الموجودة في المنطقة عرضة لأخطار الفيضانات التي ضربتها لأكثر من مرّة في أكثر من موقع، مخلّفة أضرارا ماديّة وبشريّة متفاوتة نذكرها كالآتي:

" .. - فيضانات مسّاح عزو سنة (1780م) ،

فيضانات أكتوبر (1884) التي أدّت إلى لجوء السكان إلى القصور والمساجد بعد انهيّار أزيد من (300) مسكن في كلّ من بنّي يزقن و العطف،

فيضانات 30 سبتمبر 1901 وخلّفت هلاك (13) شخصا، وتضرّر مساكن وانهيّار سدّ أحباس أجديد بواحة غرداية،

فيضانات 02 جوان 1991 وشهدت هلاك (04) أشخاص وتضرّر الكثير من البنايات المحاذية لمجرى وادي ميزاب،

فيضانات 01 أكتوبر 2008 " (28)

II.2: خلفية أزمة فيضانات أكتوبر 2008

تساقطت الأمطار الموسميّة بكميّات جدّ معتبرة " خلال يوميّ الـ 2008/10/28 والـ 2008/10/29 على منطقة الواحة، فاقت في ليلة 2008/10/01، (60 ملم) في الـ 20 دقيقة متجاوزة بذلك المعدّل السنوّي للتساقط المقدّر بنحوّ (70ملم) في اليوم" (29) وتزامنا مع ذلك، تساقطت أمطار غزيرة أخربفي بعض الولايات الشمالية المجاورة لولاية غرداية كالأغواط والبيّض. أدّت إلى " زيادة قوّة جريان الميّاه ممّا ساعد على عودة نشاط وادي لبيضّ الذي تصبّ مياهه بسدّ وادي لبيضّ، والذي نجم عنه فيضان السدّ " (30) والذي التقت ميّاهه بميّاه وادي لعديرة التي جرفت كميّات من السيول الجارفة، " بلغت قوّتها (900) متر مكعّب في الثانية بمجموع يصل إلى نحوّ (30) مليون متر مكعّب، ليصبّ بعدها في وادي مزاب بالجهة الغربية للمدينة أين أفضى إلى ارتفاع في منسوب الميّاه بلّغ (10) أمتار على عرض يقارب(01) كلم و(400م)" (31) انجرّ عنه في حدود الساعة (06:30) حدوث فيضانات مدمّرة في كامل مدن سهل وادي ميزاب وكلّ من بلديات: بنورة – الضايّة بن ضحوّة – العطف – متليلي – بريّان – القرارة – زلفانّة – سبسبّ.

توجد – إلى جانب الأسباب الطبيعية هذه – أسباب بشريّة كان للإدارة وللمواطن يدّ فيها، فقد تمّ من جهة، تضيق المجرى الطبيعي لوادي مزاب والمقدّر بـ (20 مترا) على الضفتين، بسبب "مخالفات البناء والتعمير والبزنسة وتحوّلت السكنات الصيفيّة المؤقتّة على ضفتيه إلى مباني دائمة" (32) بالإضافة إلى ذلك، أدى " تأخر إنجاز مشروع (قنطرة داود) المبنية بطريقة تقليدية والذي رغم كلّ ما خصص له من أموال (أزيد من 01 مليار و600 مليون سنتيم) لإنجازه بطريقة عصرية ومفيدة و(42 مليون سنتيم) على الدراسات التي أقيمت حوله" (33) وذلك بعد أن " رفضت التجمعات السكانية القريبة من الوادي نزع الملكية مقابل مبالغ وصلت إلى سبعة آلاف دج للمتر المربع وبتعويض أرضي، مع تخصيص آبار المياه، وذلك في منطقة "بن غنام ". (34) تسببت الكارثة في أضرار مادية وبشريّة معتبرة قدّرت بـ (40) هالكا وتضرّر ما يقارب الـ (29229) مسكن غمرتها الميّاه وانهيار أزيد من (2370) أخرى بالكامل، إلى جانب ذلك تمّ تسجيل أكثر من (5000) عائلة منكوبة " وتضرّر (70%) من شبكات الكهرباء والمياه الصالحة للشرب " (35) والصرف الصحّي وشبكة الهاتف، وتهدّم العديد من " المعالم التاريخية التقليدية داخل الواحات، كالمساكن التقليدية ذات الطابع العمراني المتميّز، كما انهارت بعض مرافق الريّ التقليدي كالسواقي والسدود والآبار التقليدية في كلّ من غرداية والعطف، والتي تستعمل في تغذية الطبقات الجوفيّة من ميّاه الأمطار". (36)

سجّل دمّار" ما يقارب (500) محلّ تجاري ومقرّات إدارية ومدارس ومكتبات وهياكل قاعدية ورياضية، إضافة إلى تضرّر بعض الجسور والطرق وعزل الأحياء بكاملها، كما تمّ تسجيل أضرار كبيرة في القطاع لفلاحي حيث سجّل تلف ما يقارب (600) هكتار من الأراضي الفلاحية المعروفة، من لعديرة والضّاية بن ضحوة والعطف وزلفانة ومتليلّي، تمثّلت في (19 ألف) نخلة وأزيد من (60 ألف) شجرة وردم ما يقارب (15 ألف) رأس ماشيّة جرفتها السيول ". (37)

أدت الأضرار المادية والبشرية التي لحقت بالولاية بالسلطات العليا إلى إعلان منطقة غرداية منطقة منكوبة، وذلك لما خلّفته الكارثة من مشاكل اجتماعية واقتصادية أزّمت الوضع بالمنطقة، حيث شهدت في اليوم الثاني من الكارثة زيارة ميدانية لوزير الداخليّة " يزيد زهوني " الذي نقل تقريرا عن الوضع إلى رئيس الحكومة (أحمد أويحي) الذي تنقّل هو الآخر إلى عين المكان ليعلن المنطقة منكوبة، وذلك في اليوم السابع من وقوع الكارثة.

II.3: السيناريو الاتصالي المعتمد لدى الهيئات الفاعلة في خلية أزمة فيضانات غرداية 2008

سارعت الهيئات الرسميّة وغير الرسميّة والمواطنين فور وقوع أزمة غرداية إلى التكثيف من عمليات الاتصال بغرض إسعاف وإنقاذ ما أمكن إنقاضه، فقد تطلب الأمر تدخلات واتصالات الجميع (المواطنين السلطات العليا والمجتمع مدني) ولأنّ المنطقة بخصوصياتها قد فرضت نوعين من الاتصال (رسمي / غير رسمي)، فإنّ الأزمة سُيرت وأديرت في هذه الأثناء عبر هيئة أعيان بني ميزاب والهيئة الرسميّة المتمثلة في الإدارة المحليّة وما تبعها من مؤسسات وهياكل تابعة للدولة.

حيث تتطلب عمليّة التقليل من سوء الفهم وتصحيح الصورة الذهنية التي يحملها الأفراد عن المنظمة التي ينتمون إليها أثناء الأزمات والكوارث، من هذه الأخيرة الإعداد الجيد بل الذكيّ لخطّطها الاتصالية، والذي يرتبط كل الارتباط بالتنظيم المحكم لسيل المعلومات المتدفّقة من جهة، وبقدرة فريق الاتصال على تحليل الأحداث وقراءتها قراءة سليمة من جهة أخرى، لينتهي به الأمر– في الآخير – إلى تحديد التقنيات والأساليب الاتصالية اللازمة لتسويق صورة منظّمته تسويقا ناجحا، بل تصحيح ومسح كل فكرة خاطئة من شأنها تصعيد الأمور نحوّ الأسوأ، لذا يختار فريق الاتصال المرشح لمعالجة الوضع من خلال خليّة الأزمة التقنيات التي تمكّنه من الإجابة عن الأسئلة المعتادة، والتي تطرحها – في العادة – أيّ منظّمة من أجل فكّ غموض الأزمة بغرض احتواء غضب وهلع الجمهور.

تساعد الأدوات استفهامية (من، ماذا، أين، متى، لماذا، كيف ؟) على بناء خط التواصل مع جمهور المنظّمة وتفاعّل العملية الاتصالية معه، لأنّ تحديد نوعية الرسائل وإعدادها متوقف على مدى معرفة وفهم مجريات الأحداث من خلال الرسالة الواردة (معلومات، إحصاءات، بيانات ...) واحتمالية تطوّرها وانعراجها بإطلاق العنان للخيال، باستخدام أسلوب الإبداع الفكري الذي يساعد على طرح التصوّرات المختلفة لمسارات الأزمة وردود الأفعال الممكنة، وبالتالي على عمليّة اختيار البدائل والتصرّفات والأنشطة الاتصالية الملائمة لتغير منحى ومسرى الأزمة.

(ب) . السيناريو الاتصالي لدى الهيئة الرسمية

عمل فريق الاتصال في خليّة الأزمة الولائية بالتنسيق مع فريق اتصال آخر في خليّة الأزمة الوطنيّة ضمن استراتيجيات وسياسات محدّدة من طرف الهيئات العليا للبلاد، حيث ركزت الخطّط الاتصالية على انتقال الرسائل من القمّة إلى القاعدة في اتجاه نازل، وفي – أحيان كثيرة – في شكل الاتصال الشخصي المواجهي الذي ظهر من خلال انتقال المسؤولين في الإدارة المحلية والحكومة إلى المنطقة واستماعهم لشكاوي المواطنين، وذلك باستغلال استراتيجية الشفافية التي ظهرت من خلال تصريحات كلا من رئيس الحكومة (أحمد أويحي) وإعلانه لولاية غرداية منطقة منكوبة في الثامن أكتوبر2008 وفي تصريحات وزير الداخلية والجماعات المحليّة (يزيد زرهوني) ومعاينته ومتابعته للوضع منذ البداية وفي تدخلات وتنقلات وزراء مختلف القطاعات.

خصّصت لهذه الإستراتيجية أنشطة ورسائل اتصالية متنوّعة بتنوّع التقنيات أجاب من خلالها فريق الاتصال بكل ذكاء عن استفسارات وأسئلة المواطنين المنكوبين والمتضررين في الوقت المناسب، حيث غطّت وسائل الإعلام المحليّة والوطنية تصريحات

السلطات العليا واهتمامها بالوضع، وردّت خلية الأزمة الولائية والوطنية – من خلال المؤتمرات والندوات الصحفية – وعبر ناطقيها الرسميين على أسئلة الإعلام الوطني والأجنبي.

وظهر الأعضاء الفاعلون في خلية الأزمة في الوسائل الإعلامية (السمعية والمكتوبة والسمعية البصرية)، كلّ حسب تخصّصه وميدان عمله لتوضيح وشرح الغموض الذي كان ينتاب المواطنين من حين لآخر، حيث أكد مدير الحماية المدنية لأكثر من مرّة وعلى المباشر " تواجد عناصره في الميدان وسهرها على تلبية نداءات المنكوبين، كما قدّم نصائح عن كيفية التدخل من أجل الإغاثة، إلى جانب التحذير من الاقتراب من المناطق الخطيرة." (38) كما طمأن ممثلو مديرية الريّ " السكان الهاربين إلى أعالي غرداية، جراء الإشاعات التي تداولت بينهم عن تهدمّ سدّ (وادي لبيض) من عدم صحّة المعلومة ودعوهم ووالي الولاية ومدير الحماية المدنية وهيئة أمناء السيل من أمام السدّ، وعلى موجات الإذاعة المحليّة على فترات متتالية باللّغة العربية واللهجة المزابية إلى الالتحاق بهم للتأكد من الخبر" (39) لأنّ ما يميّز منطقة ميزاب هو استعمال اللهجة المزابية المحليّة من طرف معظم سكان المنطقة إلى جانب اللغة العربية، الأمر الذي استدعى مراعاة الخصوصية الثقافية للمنطقة من أجل تحقيق وصول الرسالة إلى المتلقين بغرض تحقيق التفاعل.

عملت – ومن جهة أخرى – فكرة فتح الخط الأخضر وإيصاله بالمواطن من تقريبه من الإدارة وإزاحة الشكوك التي كانت تراوده، كما وفّرت خطة الاتصال بأئمة المساجد والاستنجاد بخطبهم إلى مدّ يدّ العون والمساعدة حيث " شهدت المنطقة تضامنا شعبيا منقطع النظير وتجنّيد أكثر من (5000) شاب ساعدوا السلطات المحليّة والأمنيّة في عمليات الإغاثة"* ، وبرزت قوّة الخطّط الاتصاليّة أكثر في استنجاد السلطات المحليّة بأئمّة المساجد للتأثير على المصلّين من سكان المنطقة، وإقناعهم بالوقوف إلى جانبها للخروج من الأزمة باللجوء إلى الاتصال الشخصي المباشر، الذي يتميّز عن غيره من الأنواع الاتصالية الأخرى بوجود رجع صدى فوري يسهل من مهام المتصل، " لأنّه وبحكم العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراد المجتمع في غرداية وخصوصياته التي يتميّز بها في طريقة التحكم في زمام الأمور في هذه المدينة المنقسمة بين أعيان الهيئتين العرفيتين المزابية والعربية، ظلت روابط الاتصال بالسلطات شبه موجودة." (40).

وأدى تزوّيد المواطنين من طرف الناطقين الرسميين باسم كلاّ من خلية الأزمة الولائية والوطنية، في أكثر من مناسبة بالمعطيات اللازمة " إلى تهدئة الأوضاع وتجنّب الاضطرابات المحتملة التي كثيرا ما تظهر في مثل هذه الأثناء"(41) الأمر الذي ساعد على فهم صيرورة الأحداث لديهم، وبالتالي دفع بهم من خلال (البيانات المكتوبة والمسموعة) الصادرة من حين لآخر عن وزارة الداخلية، حيث قدّمت وبالتفصيل الأرقام التي سدّت متطلبات واحتياجات المواطنين، بالإضافة إلى تقديم الحصيلة اليومية للموتى والمنكوبين، مع توضيح وشرح حيثيات الجهود المبذولة من طرف مؤسسات وهياكل الدولة من أجل التكفّل بكلّ الاحتياجات

تمّ الحرص على تغطية اجتماعات رئيس الحكومة بالهيئة التنفيذية ومنتخبيّ المجالس، حيث تمّ الإعلان خلال هذه الاجتماعات عن " تخصيص (20) مليار دينار جزائري لإعادة إعمار المناطق المنكوبة، وتوفير (4000) مسكن اجتماعي وريفي لصالح المتضررين" (42) الأمر الذي بثت من خلاله الطمأنينة في نفوس المواطنين الحائرين، إضافة إلى ذلك عملت خطط الاتصال – ضمن إستراتيجيه التغيير – على التخفيف من عبئ المسؤولية من على المسؤولين بالتأثير في المواطنين وإقناعهم بتورط السكان في الأزمة الطبيعة بعدم احترامهم لقوانين البناء، فكان مضمون الحصّص التلفزيونية والإذاعية والمواضيع الصحفيّة منصبا على التقليل من استياء المواطن من مسؤوليه، وهذا ما اتّضح من خلال التصريحات التي أدلى بها ممثلون عن الهيئات الرسميّة والعرفيّة خلال الندوات الصحفيّة والحصّص الإذاعية والتلفزيونية" (43) حيث وجّهت أصابع الاتهام الأولى إلى كل الذين أقاموا بناياتهم على ضفاف الوادي

الخـــاتمة

يعدّ الاتصال في حال الأزمة أساس الحدّ أو التضخيم منها، فغياب أو ضعف أو قصور عمليّة الاتصال إبّان الأزمات والكوارث يؤدي بالفعل إلى زيادة حالات الرعب والاضطراب وإلى تفاقم الخسائر الماديّة والبشريّة ذات العلاقة بالأزمة، فاتصالات الأزمة في علاقة طردية مع عامل الزمن، إذ كلما تباطأت وتأخّرت الاتصالات، كلما ارتفعت وازدادت نسبة الخسائر وكلما كانت الاتصالات سريعة وفي وقتها المناسب كلما كان التحكّم في الوضع ممكنا.

تركز– في هذا الإطار دول الغرب على عكس الدول العربية – على ضرورة إنشاء خلية الأزمة بفريق اتصالات قويّ قبل حدوث الأزمات وترى بضرورة استمراريتها، حيث يسهر الأعضاء على التخطيط المسبق وعلى استشراف المستقبل في كل ما لديه علاقة بما قد يسبب وقوع أزمة ما، وقد رأى الخبراء والمختصون في مجال الاتصال الأزموي، وإدارة الأزمات والكوارث بمدى أهمية التحضير المسبق لتسيير الأزمات والكوارث من خلال طاقم الاتصال الذي يشكل جزء مهما من المؤسسة، بما يملكه من قدرات اتصالية وإبداعية وقوة الخيال.. إلخ

وهذا ما اتّضح من خلال كلّ ما تقدّم، حيث تعدّ تركيبة وتنظيم خليّة الأزمة أمر مهم جدا، إذ من خلاله تبرز المهام وتحدّد الأدوار التي سيؤديها أعضاءها عبر مراحل الأزمة المتتالية، والتي تستدعي اهتماما كبيرا من طرف كلّ عضو مشارك في رسم الحلّول والسيناريوهات الأنسب في أقصر وقتّ وبالإمكانات المتاحة أمامه، لأجل تفادي خسائر أخرى من شأنها خلق حالات الهلع والاضطراب.

في حال الجزائر، تهتم المؤسسات العمومية بإنشاء هذه الخليّة أوقات الأزمة فقط، في حين يتمّ اهمال انشاءها في المرحلة القبلية، أي في مرحلة الإنذار حيث يكون لها كل الوقت لتفادي وقوع الأسوأ وليس هذا بالأمر الصعب على قطاع مثل القطاع العمومي الجزائري الذي يتمتع بالكثير من الامكانات المادية والبشرية، بل هو نوع من الاستهتار بما يجب أن يكون، رغم ما نشهده في الآونة الأخيرة من سعي المسؤولين الى الاهتمام بالاتصال المؤسساتي الذي نطمح من خلاله إلى الاهتمام باتصال الأزمات وإعطاء أهمية كبرى لتركيبة خلية الأزمة ولما يقدمه أعضاءها من أدوار.

قائمة المراجع:

محمد شومان، الإعلام والأزمات، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ص 519.

Colonel Ali Ghalel. (25-26 et 27 février 2006). La Gestion Des Catastrophes Défi Actuel. Pour un débat citoyen sur la défense civile. 3èmes journées d'étude parlementaires sur la défense nationale. Conseil de la Nation. Alger. P189.

Abdellatif Bouzar. (25-26 et 27 février 2006). Gestion De Crises Et Défense Civile. Pour un débat citoyen sur la défense civile. 3emes journées d'étude parlementaires sur la défense nationale. Conseil de la Nation. Alger. P118.

حسن عماد مكاوي. 2005. الإعلام ومعالجة الأزمات. (ط:1). الدار المصرية اللبنانية. مصر.

ص 96.

Said Chaabani. (25-26 et 27 février 2006). Le Role De La Communication et Des Média Dans La Défense Civile. Pour un débat citoyen sur la défense civile. 3emes journées d'étude parlementaires sur la défense nationale. Conseil de la Nation. Alger. P317.

Louisa Dris –Ait Hammadouche. (25-26 et 27 février 2006). Catastrophes Naturel. De La Crise De La Communication A La Communication De La Crise. Pour un débat citoyen sur la défense civile. 3emes journées d'étude parlementaires sur la défense nationale, Conseil de la Nation , Alger. P291

. Christophe Roux – Dufort.(2003). Gérer et Décider en Situation de Crise . 2 em édition. Dunod. Paris. Françe. p.168.

Thierry Libaert. (2005). La Communication De Crise. 2em édition. Dunod. Paris. P 13.
(Thiery Libaert : Directeur scientifique de L`Observatoire International des Crises)

محمد شومان. مرجع سابق. ص 519.

السيّد عليو.ة (2002). إدارة الأزمات والكوارث. ومخاطر العولمة والإرهاب الدولي. ط:2. دار الأمين للنشر والتوزيع. القاهرة. ص 33.

Louisa DRIS –AIT HAMMADOUCHE . (25-26 et 27 février 2006). « Catastrophes Naturel. De La Crise De La Communication A La Communication De La Crise. Pour un débat citoyen sur la défense civile ». 3emes journées d'étude parlementaires sur la défense nationale, Conseil de la Nation. Alger. p 291.

- Ibid , p 291.

حمدي محمد شعبان. (2005). الإعلام الأمني و إدارة الأزمات و الكوارث. الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات. القاهرة .

السيّد عليوة. مرجع سابق. ص 22.

المرجع نفسه. ص 22.

المرجع نفسه. ص 22.

[1] Thierry Libaert: Op,cit p.37

[1] - IPid,p 37

Christophe Roux – Dufort: Op,cit, p.168

IPid . p 168

Thierry Libaert .Op Cit . P 13

Christophe Roux – Dufort, IPid. p.169.

Op Cit. P179

حسن عماد مكاوي. مرجع سابق. ص. ص 124. 125.

المرجع نفسه. ص 124.

. Christophe Roux – Dufort .Op Cit .p.171

مقابلة مع رئيس مشروع وادي ميزاب. الثلاثاء 2009/03/03. عاى الساعة 14:00 بمقر مديرية الريّ بغرداية.

ديوان ترقية و حماية وادي ميزاب. http://www.opvmg.org

مقابلة مع رئيس محطة الأرصاد الجويّة. الإثنين2009/03/02. على الساعة 14:00 بمحطّة الأرصاد الجويّة لولاية غرداية.

[أنظر ،القيادة العامة للدرك الوطني بورقلة. المجموعة الولائية للدرك الوطني بغرداية. فصيلة الأبحاث للدرك الوطني بغرداية، " تحقيق وإحصاء خسائر متضرري فيضانات 2008" محضر رقم: 02. المؤرخ في 01 أكتوبر 2008.]

مدير الحماية المدنية لولاية غرداية. السبت 2009/03/10 على الساعة 11:45. بمقر المديرية.

الشيخ عيسى باباز رئيس بلدية غرداية السابق: ندوة الشروق اليومي مع الأعيان.

hhp://www.echoroukonline.com/ara/national/26996html

ندوة الشروق اليومي مع الأعيان. نفس المرجع.

ندوة الشروق اليومي مع الأعيان. نفس المرجع.

تقرير مؤسسة الغاز والكهرباء. غرداية وسط، حصيلة فيضانات 29 و01 أكتوبر 2008 بغرداية

ديوان ترقية و حماية وادي ميزاب. مصدر سابق.

ديوان ترقية و حماية وادي ميزاب. نفس المصدر.

لقاء مع المدير العام للحماية المدنية. مصدر سابق.

مقابلة مع رئيس ديوان والي ولاية غرداية. السبت 2009/03/14 على الساعة 18:30. بقاعة الانتظار. بمقر الولاي

مقابلة مع نائب رئيس المجلس الشعبي البلدي لبلدية متليلي، 2009/03/10 . الساعة 08:45 . بمقرّ البلدية.

مقابلة مع رئيس ديوان والي ولاية غرداية. مصدر سابق.

*[أنظر نشرة إذاعة غرداية المحليّة. 2008/10/02]

43. قادة/ب،" 4000 سكن اجتماعي وريفي لصالح المتضرّرين". موقع جريدة المساء. 2008/10/07، ص02

[أنظر حكيم عزّي. مرجع سابق. والتلفزة الجزائرية: (حصة معنيون). " فيضانات ولاية غرداية أكتوبر 2008. 2008/10/06"]

تاريخ الاستلام: 2015/10/11- تاريخ التحكيم:2015/12/22 -تاريخ النشر2016/06/28

إشكالية وفاة محمد بن عبد المنعم الحميري صاحب كتاب" الروض المعطار في خبر الاقطار "بين المؤرخين القدامى والمحدثين دراسة في النصوص التاريخية

أ.م.د.صباح خابط عزيز سعيد

جامعة بغداد – (العراق)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

تناولت الكثير من الدراسات الأكاديمية محمد بن عبد المنعم الحميري في جوانب مختلفة من معجمه الجغرافي المعروف بـ " الروض المعطار في خبر الأقطار" .

وجاءت هذه الدراسة لتؤكد وبحسب النصوص والإثباتات الصريحة والصحيحة والحسابات الدقيقة من خلال بعض التواريخ التي عاصرها المؤلف ، ومن شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم ، وتفنيد بعض الآراء التي ذُكرت لدعم وفاته في وقت متأخر يتناقض والتاريخ الحقيقي لوفاة المؤلف والنصوص التي اقترنت بها بعض الحوادث التي وقعت بتواريخ معلومة كان المؤلف ، أو من أكمل الكتاب بعده ، قد نوه إليها بأنها قد وقعت لوقت قريب تشير إلى انه معاصر لها ، وهي مسألة تتطلب الكثير من الدلائل والإيضاحات لإثبات تلك الوفاة التي أختلف فيها المؤرخون من القدامى والمحدثين .

Abstract

There are many acadmic Studies , which dealt with Mohammed Ibn Abd AL-Muniem AL-Hemery,s death , who wrote abook named AL-Roudh AL-Metar fi khaber al-iqtar in different aspects as a geographical dictionary .

This study accentuates the perfect indication , accoding to exact historical events which witnessed by the auther , and form his tutors who studied him and falsify same opinions or views , which mentioned in order to support the idea of outhor,s death , form the late time which contrast with the real history of author,s death , and the historical events which relate to the historical resources that occured in specific events mentioned by the auther , Because it were witnessed by the writre too. .

So this is an important cause that required from indications and explantories so as to prove the death which differed by the classic and modren historians.

المقدمة:

تناولت الكثير من الدراسات الأكاديمية محمد بن عبد المنعم الحميري في جوانب مختلفة من معجمه الجغرافي المعروف بـ "الروض المعطار في خبر الأقطار" سواء كانت هذه الدراسات منهجية تاريخية كدراسة "بارق سعدون عزيز " في جامعة ديالى كلية التربية في عام 2013م الموسومة بـ : " الجوانب التاريخية لمدن المشرق الإسلامي من خلال كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري ت 727هـ/1327م" ، أم تاريخية للأوضاع الاقتصادية كدراسة " أفراح نازك عبد الرحمن نازك حفيظة " في جامعة النجاح الوطنية في نابلس بفلسطين في عام 2013م الموسومة بـ " الحميري محمد بن عبد المنعم ت 900هـ وكتابه الروض المعطار في خبر الاقطار دراسة تاريخية للأوضاع الاقتصادية " ، أو مقدمة كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للدكتور إحسان رشيد عباس الذي قام بتحقيق هذا الكتاب وهو فلسطيني الجنسية في عام 1974م في بيروت وطبع كطبعة أولى في مطابع هيدلبرغ في بيروت عام 1975م وطبعة ثانية سنة 1984م ، فضلاً عن بحث الدكتور صالح العمارنة من الجامعة الاردنية كلية الاداب الموسوم بـ " منْ هو مؤلف الروض المعطار في خبر الاقطار" [1] ، وبحث الاستاذ محمد الفاسي" الجغرافي ابن عبد المنعم الحميري السبتي وتأليفه الروض المعطار " [2] ، وقبل كل ذلك مقدمة المستشرق الفرنسي المهتم بالتاريخ الأندلسي إ. ليفي بروفنسال الذي انتخب ما يخص جزيرة الأندلس من أعلام جغرافية من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار وسماه بـ " صفة جزيرة الأندلس " وطبع عام 1937م. فضلاً عن بعض الدراسات الأخرى التي تناول بها المستشرقون كتاب الروض المعطار ومؤلفه[3] .

ومع هذا الكم من الدراسات لكنها وللأسف لم تحسم التاريخ الحقيقي الذي توفي فيه مؤلفنا المذكور ، والتي ظلت هكذا بين الباحثين كلما تطرقوا إلى ذكر الحميري وكتابه في رسائلهم وأطروحاتهم ، ذات الاهتمام بالدراسات الأندلسية والمغربية خاصة وغيرها عامة ، والتي غالبا ما تكون مدعومة بتواريخ مختلفة منها 710هـ/ 1310م و727هـ/ 1327م وبعد 866هـ/ 1461م و900هـ/1494 م و910هـ/ 1504م كما أن هناك تاريخ ذو بال وجد في كتاب الروض المعطار يمتد إلى أكثر مما أشير إليه

من التواريخ السابقة ألا وهي سنة 920هـ/ م [4] وربما كانت هناك أرقام وتواريخ أخرى لم نطلع عليها لكنها في العموم لم تحل هذه الإشكالية ، حتى أنه ضمن الدراسة الواحدة يكون الباحثين قد ذكروا أكثر من تاريخ لوفاة المؤلف بقصد أو دون قصد . وهنا سوف لن نخوض بما يتعلق بتسمية الكتاب والاختلافات حوله لأن هذه الإشكالية تطرق إليها الأستاذ الحمارنة وأكد نسبة الكتاب إلى أكثر من مؤلف وفق أدلة وبراهين من الكتاب نفسه [5]، وسنقتصر هنا فقط على الإشكالية المتعلقة بوفاة المؤلف عند المؤرخين القدامى والباحثين المحدثين .

وبناءاً على ما تقدم جاءت هذه الدراسة لتؤكد وبحسب النصوص والإثباتات الصريحة والصحيحة والحسابات الدقيقة من خلال بعض التواريخ التي عاصرها المؤلف ، ومن شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم ، وتفنيد بعض الآراء التي ذُكرت لدعم وفاته في وقت متأخر يتناقض والتاريخ الحقيقي لوفاة المؤلف والنصوص التي اقترنت بها بعض الحوادث التي وقعت بتواريخ معلومة كان المؤلف ، أو من أكمل الكتاب بعده ، قد نوه إليها بأنها قد وقعت لوقت قريب تشير إلى انه معاصر لها ، وهي مسألة تتطلب الكثير من الدلائل والإيضاحات لإثبات تلك الوفاة التي أختلف فيها المؤرخون من القدامى والمحدثين .

أسمه وكنيته وعلومه ومعارفه:

أسمه محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري يكنى ابو عبد الله بن عبد المنعم السبتي [6] . ووصف بإنه كان : " رجل صدقٍ, طيبَ اللهجةِ سليمَ الصدرِ , تامَ الرجولة , صالحاً , عابداً , كثير القرب والأوراد في اخر حاله , صادق اللسان , قرأ كثيراً وسنه تنيف على سبع وعشرين ، ففات اهل الدُؤب والسَابقة , وكان من صدور الحفاظ ، لم يستظهر احد في زمانه من اللغة ما استظهره ، فكاد يستظهر كتاب التاج للجوهري وغيره , آية تتلى، ومثلاً يضرب , قائما على كتاب سيبويه ، يسرده بلفظه . اختبره الفاسيون في ذلك غير ما مرة . طبقة في الشطرنج يلعبها محجوبا , مشاركا في الأصول , آخذاً في العلوم العقلية ، مع الملازمة للسنة , يعرب أبداً كلامه ويزينه (ويزنه) " [7].

وذكره صاحب بلغة الأمنية بقوله [8] : " أبو عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي سبتي حافظ للغات العرب متفنن يقول الشعر واتفق له انه توجه إلى حضرة فاس في وفد أهل سبته في أيام السلطان أبي الحسن (731-749هـ/1331-1348م) [9] ، وكان قد تقرر لديه حفظه فذكر ذلك لبعض كتبته فأراد الكاتب ان يغض منه فقال نصركم الله ان الرجل يحفظ لغة حوشية وان شئت أن تعرفها عنده فاخترع اسماً وسله عن معناه فقال له السلطان وما يكون الاسم فقال يا مولاي سله عن التمر كل ففعل فقال مجيبا هو التلفع في الكساء واستشهد له عليه بشواهد للعرب فعرف السلطان مكانته من الحفظ وقام الدليل عنده على ذلك رحمة الله وحدثني عنه الشيخ الحسيب العدل أبو عبد الله الزيات رحمة الله عليه انه كان يقرئ الطلبة في المجلس الواحد دولا في علوم شتى قال وآخر ذلك دولة في الطب قال فكنت أرى بعض الطلبة ممن طال به المجلس خارجا من المسجد ويدخل إليه أصحاب العلل والزمنى شيوخا وكهولا لحضور دولته الطبية وذكره ابن خميس قال وكان له قيام على الأصول والنحو وسوى ذلك قال وكان يحكم قراءة كتاب سيبويه أتم إحكام ويستظهر شواهده كلها ويطرح ما عداه من مصنفات فنه قال وكان يقدم صحاح الجوهري على سواها من كتب اللغة ويستظهر شواهدها أيضا ويقدم جواهر ابن شاش في الفقه على غيرها من كتبه وأنسيت ما قاله في اختياره من كتب الأصول قال ويذكر عنه انه أكل البلاذر في صغره وتلقيت أنا ممن أثق بحديثه من جلة أصحابنا الطلبة انه اخذ البلاذر ونقعه في الماء مع القمح حتى سرى فعله إليه وأطعم ذلك الحب دجاجه ثم انه ذبحها وطبخ لحمها ووقف في صهريج مملوء ماء عريانا وأكل اللحم وشرب المرق على تلك الحالة قال وان جسده ليشتعل من شدة حرارته قال فكان دأبه بعد ذلك السؤال عن مقتضيات الألفاظ والبحث عن معانيها وتأويلها قال فبقي على ذلك مدة ثم اعتدل مزاجه ونبل عقله واشتد حفظه قال ابن خميس ويذكر عنه انه كان يلعب الشطرنج في حال صغره ظاهرا ويغالب فيه الأقوياء من قبله وكان موضع إقرائه بالمسجد الذي بإزاء زقاق الفضل على الممر الأعظم ، وتوفي رحمة الله عليه بسبتة في أحد شهور عام خمسين وسبعمائة ، وقد ذكرناه في

الكواكب". وأهم ما يمكن استنتاجه من هذا النص هو العلمية العالية في اللغة والنحو والأصول والعلوم الأخرى التي تفرد بها والذكاء الحاد والمتوقد في المسائل الرياضية ، وهذا ما جعل السبتي أن يصفه عندما وقف على قبره في سبته قائلاً : " قبر الشيخ اللغوي الحافظ الأنبل المتفنن في المعارف أوحد زمانه في ذلك ، وإمام عصره " [10] .

إشكالية وفاته ومحاولة لإيجاد مخرج :

قال لسان الدين ابن الخطيب انه : " قدم غرناطة مع الوفد مـن أهل بلده عندما صارت إلى إيالة الملوك من بني نصر , لما وصلوا بالبيعة "[11]، وهذا يقودنا إلى القول أن هذا الوفد ذهب إلى غرناطة ليعترف بتبعية سبتة لبني نصر مرافقاً شيخيه حسبما أشار لسان الدين ابن الخطيب وهما محمد بن علي بن هاني اللخمي السبتي (ت733هـ/1332م) [12] وقاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصاري (643-723هـ/1245-1323م)[13]. فضلاً عن شخصيات أخرى رافقت الوفد . ولم يقل ذهب إلى فاس في المغرب كما أردف قوله هذا كما سيأتي.

كان انتماء سبتة إلى حكم بني نصر أواخر سنة 705هـ/1305م [14]، أي في عهد ملك غرناطة أبي عبد الله محمد الثالث الملقب بالمخلوع (701-708هـ/1301-1308م) [15]، وعودتها إلى المرينيين سنة 709هـ/1309م [16] أي في عهد ملك غرناطة أبي الجيوش نصر (708-713هـ/1308-1313م) [17]، وعلى هذا تكون الوفادة قد تمت في أوائل تلك المرحلة بين هاتين السنتين [18]. فإذا كانت وفاة الحميري سنة 727هـ/1326م وهي إشارة لابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة [19] تكاد تكون الأقرب إلى الدقة بحسب تقدير محقق الروض المعطار [20] ، فلابد من القول أنه هل يعقل أن تمتد الوفادة إلى كل تلك السنين وبقاء الوفد هناك ، لاسيما إذا ما عرفنا من خلال ما أدلى به لسان الدين ابن الخطيب عن وفاته بقوله [21] : "كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان عند منصرفهم عن باب السلطان , ملك المغرب , بأحواز تيزي[22], حسبما وقع التنبيه على بعضهم " ، فإن عبارة "كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان "[23] تدعونا إلى القول عن أي وباء يتحدث فهل حدث وباء لم تشر إليه المصادر كان سبباً في إزهاق العديد من الأرواح وهو ما يعبر عنه بالموتان ، كما أن عبارة : " عند منصرفهم عن باب السلطان ، ملك المغرب " فيها نظر وتحقيق يجعلنا أن نعطي تفسيرا مغايرا لما اعتاد طرحه سابقا ، فالوفد هنا رحلته إلى ملك المغرب في فاس ، السلطان ابي الحسن (731-749هـ/1331-1348م) [24] وهي على ما يبدو غير رحلة الوفد السابق إلى ملك غرناطة محمد الثالث الملقب المخلوع (701-708هـ/1301-1308م) لتأكيد تبعية سبته لملوك بني الأحمر في شوال سنة 705هـ/1305م ومن ثم عودتها لحكام بني مرين في صفر سنة 709هـ/1309م كما تقدم ، والأدلة على ذلك كثيرة أسعفتنا بها المصادر المعتبرة .

فلو تتبعنا كيف تلقى الحميري العلوم المختلفة وعلى يد مَنْ من المشايخ ، لعرفنا على الأقل العصر الذي تواجد فيه ، وقد أسعفتنا بعض الأسماء من هؤلاء الشيوخ الذين أخذ منهم وعاصرهم ، اثنان منهم ذكرهما لسان الدين ابن الخطيب كما مر رافقهما الحميري مع الوفد الذي ذهب إلى غرناطة ليؤكد التبعية لملوك بني نصر وهما قاسم بن عبد الله الشاط الأنصاري المتوفي سنة 723هـ/1323م ومحمد بن علي اللخمي السبتي المتوفي سنة 733هـ/1332م ، فضلا عن **أبي إسحاق** الاشبيلي (ت716هـ/1316م م) وهو إبراهيم بن احمد بن عيسى الغافقي الاشبيلي المالكي ، توفي وله خمس وسبعون سنة [25] ، وفي هذا دليل على أن الحميري كان شاباً في بداية العقد الثالث من عمره على أكثر تقدير بحكم وفاة شيوخه في السنوات المشار إليها أعلاه ، ولو كان فعلاً أن الطاعون قد استأصلهم بعد عودتهم لكان حال الجميع في تاريخ واحد مثلهم مثل الحميري ، فوفياتهم كما مر مختلفة التواريخ ، هذا من جهة .

من جهة أخرى فأن ابرز الذين عاشوا في القرن الثامن الهجري[26] لم يتطرقوا إلى حدوث وباء في عام 727هـ/1326م ولم تحدثنا المصادر عنه سوى تأكيدها على مجاعات وقحط شديد يرافقها ارتفاع كبير بالأسعار بالمغرب ويؤثر بالجملة على المجتمعات البشرية حتى الموت أو الهجرة امتدت من 723هـ/1323م و724هـ/1323م و قحط سنة 725هـ/1324م الذي تجدد سنة 726هـ/1325م [27] ولو حدث هذا الوباء الجارف كما يوصف لأشارت إليه المصادر كما أشارت للذي قبله وبعده بمرارة بالغة ، وقد أحصت إحدى الدراسات [28] الأوبئة التي حصلت في القرون السادس والسابع والثامن للهجرة بالاعتماد على المصادر المعاصرة فلم تذكر حدوث أي وباء للطاعون الجارف في تلك السنة رغم إشارتها إلى هذا الوباء في سنوات عديدة قبل وبعد سنة 727هـ/1326م ، مـثلاً السـنوات 526هـ / 1131م و 535هـ / 1140م و 571-572هـ / 1175-1176م و 610هـ / 1213م و631هـ / 1233م و634هـ / 1236م و635هـ / 1237م و 693هـ/ 1293م و 763هـ/1362م ونلاحظ أن المصادر لم توثق وباء 727هـ/1326 ولم تذكره بالأصل رغم أن حدوث مثل هكذا وباء يكون له صداه في العالم الإسلامي برمته وهذا يعني عدم وجود دليل يؤكد انتشاره في تلك السنة ، فضلاً عن أن إشارة ابن حجر العسقلاني لوفاة الحميري في تلك السنة لا يوجد من يؤيدها وليس هناك ما يثبت دعواه فهو لم يصرح تماما عن مصدر المعلومة ، ولم يبين سبب الوفاة كما هو معروف ، والتي لو حدثت بسبب الطاعون الجارف لذكرها كونه يعم اغلب الدول عادة وما يسببه من ذعر وأهوال تجعل الكثير ممن تشمله رعاية الله في النجاة منه يتحدثون عنه عادة بإسهاب ولوعة .

بقي لدينا أن نعرج إلى ما ذكره ابن خلدون في كتابه التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا الذي ذكر الطاعون الجارف لسنة 749هـ/1348م [29]، بمرارة بالغة كونه عم العالم الإسلامي وغيره، أو ما يسمى بالموتان وهو أمر أكده ابن الوردي (ت749هـ/1348م) في تاريخه ولو كان قد حدث امر مماثل لهذه النكبة في وقت سابق لذكرها وأرخ لها [30] وأعني هنا سنة 727هـ/ 1326م . وقد أشار لسان الدين ابن الخطيب إلى حدوث قحط شديد في الأندلس عام 748هـ/1374م [31] مهد لتفشي الطاعون الأسود في السنة التالية انتقل على أثره إلى المغرب مباشرة [32] الأمر الذي فسَره ابن خلدون بأن : " المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول "[33]. والجدير بالذكر أن ابن خلدون كان قد بلغ الثامنة عشرة من عمره عندما حلت النكبة الكبرى بالمغرب إذ اكتسحه الطاعون الجارف ، فحصد مئات الألوف من سكانه ، كما حصد الملايين من سكان العالم في آسيا وأوربا . الأمر الذي أحدث اختلالاً حاسماً في التوازن بين البداوة والحضارة في المغرب ، فهو قد أمات الكثير من أهل المدن بينما هو لم يمس بسوء أهل المناطق الجبلية والصحراوية . وقد أدى هذا إلى تفوق البدو على الحضر في العدد والقوة ، مما مكن القبائل البدوية من الاستيلاء على المدن ذات الأسوار المنيعة التي كانت تخلو ممن يدافع عنها [34].

يؤكد ابن خلدون على أن وفدا مغربياً قد زار فاس عندما ملك السلطان أبي الحسن المريني إفريقية (تونس) سنة 748هـ/1374م بقوله : " وكان قدم علينا في جملة السلطان أبي الحسن ، عند ملك إفريقية سنة ثمان وأربعين ، جماعة من أهل العلم ، كان يلزمهم شهود مجلسه ، ويتجمل بمكانهم فيه " [35]، وقد أشار لهذا الوفد مقروناً بأسماء كثيرة ذهب إلى المغرب للسلطان المريني أبي الحسن في فاس لتقديم البيعة والولاء الدائمين واستعان ببعضهم وعادوا بعد ذلك ليلقوا مصيرهم في طريق العودة في العامين 749هـ/1348م و750هـ/1349م [36] وكان من جملتهم الحميري الذي لاقى حتفه في أحد شهور سنة 750هـ/1349م [37] في أحواز تازة .

سننقل بعض ممن ترجم لهم ابن خلدون ممن كانوا ضمن الوفد الذي أشار إليه لسان الدين ابن الخطيب كما مر ذكره في أواخر سنة 705هـ/1305م، والتي تؤكد أن الحميري كان من ضمنهم [38] على الرغم من انه لم يذكر اسمه صراحة، ربما لصغره

وعدم شهرته في ذلك الوقت ولكونه طالباً للعلم آنذاك، ولم يمت في أثناء رجوع الوفد في هذه الرحلة كما يفهم من سياق الكلام الذي أوضحه لسان الدين ابن الخطيب الذي قال عند منصرفهم عن باب السلطان ، ملك المغرب وليس منصرفهم من سلطان الأندلس كما يفهم من سياق الكلام الذي قبله بأن الحميري من ضمنهم [39] وهنا يذكر ابن خلدون بقوله: "ومنهم شيخ الفتيا بالمغرب ، وإمام مذهب مالك ، أبو عبد الله محمد بن سليمان السَطَي ؛ فكنت انتاب مجلسه ، وأفدت عليه"[40] ويضيف بقوله : " ومنهم كاتب السلطان أبي الحسن ، وصاحب علامته التي توضع أسافل مكتوباته ، إمام المحدثين والنحاة بالمغرب أبو محمد بن عبد المهيمن بن عبد المهيمن الحضرمي ؛ لازمته وأخذت عنه ، سماعا ، وإجازة "[41]. ثم يوضح ذلك بقوله : " وأما عبد المهيمن كاتب السلطان أبي الحسن ، فأصله من سبتة ، وبيتهم بها قديم ، ويعرفون ببني عبد المهيمن ؛ وكان أبوه محمد قاضياً أيام بني العزفي ، ونشأ ابنه عبد المهيمن في كفالته ، وأخذ عن مشيختها ، واختص بالأستاذ أبي إسحاق الغافقي . ولما ملك عليهم الرئيس أبو سعيد ، صاحب الأندلس ، سبتة ونقل بني العزفي ، مع جملة من أعيانها إلى غرناطة ، ونقل معهم القاضي محمد بن عبد المهيمن ، وابنه عبد المهيمن ، فأستكمل قراءة العلم هنالك ، وأخذ عن أبي جعفر بن الزبير ونظرائه ، وتقدم في معرفة كتاب سيبويه ، وبرز في علو الإسناد ، وكثرة المشيخة ، وكتب له أهل الأندلس والمشرق ، وأستكتبه رئيس الأندلس يومئذ ، الوزير أبو عبد الله بن الحكيم الرندي ، المستبد على السلطان المخلوع من بني الأحمر ، فكتب عنه ، ونظمه في طبقة الفضلاء الذين كانوا بمجلسه ، مثل المحدث الرحالة أبي عبد الله بن رشيد الفهري ، وأبي العباس بن احمد بن (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عزفة اللخمي) العزفي ، والعالم الصوفي المتجرد ، أبي عبد الله محمد بن خميس التلمساني ، وكانا لا يجاريان في البلاغة والشعر – إلى غير هؤلاء ممن كان مختصاً به ؛ وقد ذكرهم ابن الخطيب في تاريخ غرناطة . فلما نكب الوزير ابن الحكيم ، وعادت سبتة إلى طاعة بني مرين ، عاد عبد المهيمن إليها واستقر بها ؛ ثم ولى السلطان أبو سعيد ، وغلب عليه ابنه أبو عليَ ، واستبد بحمل الدولة ، تشوف إلى استدعاء الفضلاء ، سنة اثنتي عشرة ، ثم خالف على أبيه سنة أربع عشرة ، وامتنع بالبلد الجديد ، وخرج منها إلى سجلماسة بصلح عقده مع أبيه ، فتمسك السلطان أبو سعيد بعبد المهيمن ، واتخذه كاتباً ، إلى أن دفعه لرياسة الكتَاب ، ورسم علامته في الرسائل والأوامر ، فتقدم لذلك سنة ثمان عشرة ، ولم يزل عليها سائر أيام السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن ، وسار مع أبي الحسن إلى إفريقية ، وتخلف عن واقعة القيروان بتونس ؛ لما كان به من علة النقرس . فلما كانت الهيعة بتونس ، ووصل خبر الواقعة ، وتحيز أشياع السلطان إلى القصبة ، مع حرمه ، تسرَب عبد المهيمن في المدينة ، منتبذاً عنهم وتوارى في بيتنا ، خشية ان يصاب معهم بمكروه . فلما انجلت تلك الغيابة ، وخرج السلطان من القيروان إلى سوسة ، وركب منها البحر إلى تونس ، أعرض عن عبد المهيمن ، لما سخط غيبته عن قومه بالقصبة ، وجعل العلامة لأبي الفضل ابن الرئيس عبد الله ابن أبي مدْين ، وقد كانت مقصورة من قبلُ على هذا البيت ، وأقام عبد المهيمن عُطْلا عن العمل مدة أشهر ، ثم أعتبه السلطان ، ورضى عنه ، وأعاد إليه العلامة كما كان ، وهلك لأيام قلائل بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين (749هـ/1348م) . ومولده سنة خمس وسبعين من المائة (675هـ/1276م) قبلها ، وقد استوعب ابن الخطيب التعريف به في تاريخ غرناطة فليطالعه هناك من أحب الوقوف عليه "[42].

ومن خلال ما تقدم يبدو جلياً أن بنو عبد المهيمن كانوا من ضمن الوفد الذي ذهب إلى غرناطة أواخر سنة 705هـ/1305م ثم عادوا ولم يذكر أن هناك طاعوناً فتك بالوفد ، إذ عادوا بعد ذلك إلى سبته بعد عودتها لحكام بني مرين في صفر سنة 709هـ/1309م.

ويبدو أن خروج بعض المدن عن سلطة حكام بني مرين وعودتها مسألة كثيراً ما تتكرر ليس مدينة سبتة فحسب بل أن هناك مدناً أخرى قد مرت بنفس الأحداث ، منها ما ذكره ابن خلدون أن مدينة تلمسان ملكها السلطان أبو الحسن عنوة سنة 737هـ/ 1336م من بني زيان [43] واستولى على إفريقية سنة 748هـ/1347م [44] لمدة سنتين إلى أن استردها أهلها وفي ذلك

قال ابن خلدون :"حتى انتقض المغرب على السلطان ، وأستقل به ابنه أبو عنان ، ثم ركب السلطان أبو الحسن في أساطيله من تونس آخر سنة خمسين (750هـ/1349م) ،ومر ببجاية ، فأدركه الغرق في سواحلها فغرقت أساطيله ، وغرق أهله ، وأكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرهم ، وألقاه البحر ببعض الجزر هناك ،حتى استنقذه منها بعض أساطيله ، ونجا إلى الجزائر ، بعد أن تلف موجوده ، وهلك الكثير من عياله وأصحابه " [45]، كما أن مدينة جبل الفتح (جبل طارق) عادت إلى ولاية بني مرين سنة 772هـ/1370م [46] .

الخلاصة :

يبدو جلياً أن مؤلفنا الحميري وبعد الدراسات الكثيرة التي قدمت حول معجمه الجغرافي لم تستطع التوصل إلى إثبات وفاته بشكل قاطع رغم توفر الأدلة والنصوص التي استشهدنا بها والتي تدعم وفاته بشكل أكيد فأهل مكة أدرى بشعابها كما قيل ، فصاحبنا سجلت له رحلتين إحداهما للأندلس التي ذهب بها مباركاً ومبايعاً لملوك بني نصر ، والثانية للمغرب وإلى فاس بالتحديد مهنياً ومباركاً للسلطان أبي الحسن لسيطرته على إفريقية وهي التي ختم بها حياته في أحواز تازة شرق مدينة فاس ، بعد عودة الوفد إلى الديار ، بسبب الوباء العام سنة 749هـ/1348م الذي أمتد إلى سنة 750هـ/1349م وما بعدها فاتكاً بالكثير من المجتمعات البشرية شرقاً وغرباً ، ليلقى حتفه في سنة 750هـ/1349م .

الهوامش والإحالات :

1- الحمارنة ، صالح ، " من هو مؤلف الروض المعطار في خبر الأقطار وهي تعليق على الطبعة الكاملة لكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار تأليف ابن عبد المنعم الحميري ، تحقيق إحسان عباس" ، المنشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد السابع ، (بغداد ، 1978م) ، ص ص175-.184

2- في محاضر جلسات المؤتمر العلمي لمجمع اللغة العربية في القاهرة مج39 ج9 محاضر الجلسات .359

3- ريتزيتانو ، أمبرتو ، منتخبات من كتاب الروض المعطار ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة مج 18، ج1 ، (القاهرة ، 1956م)، ص .135

4- أشار الحميري هنا الى حكم سلطان المماليك الجراكسة قانصوه الغوري (906-923هـ /1500-1516م) وجعله بالهجري سنة 720هـ/1320م وهذا تصحيف وخلط ما بين التسعماية والسبعماية وهو يتحدث عن أصلاح طريق الحجاج في مدينة أيلة في طريق مكة من مصر وهي اول حد الحجاز بقوله : " ثم أصلحها السلطان الأشرف قانصوه الغوري آخر ملوك الجراكسة من جملة ما أصلح في طريق الحجاج في أواخر عمره قبل العشرين والسبعماية" . ثم أن هناك نقش على بوابة قلعة العقبة والتي تقع عند مدخل المدينة فيه اسم قانصوه الغوري وبجانبه تاريخ يرجع الى سنة 911هـ/1505م . وقد اهتم بالعقبة لوقوعها على طريق الحج والتجارة . علماً ان آخر سلاطين الجراكسة المماليك هو الأشرف تومباي الثاني الذي حكم في سنة (923هـ/1516-1517م) ينظر : الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت750هـ/1349م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : أحسان عباس ، ط2 (بيروت ، مطابع هيدلبرغ ، 1984م) ، ص 71؛ ابن اياس ،محمد بن احمد الحنفي (ت930هـ/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور من سنة 906-921هـ/1501-1515، تحقيق محمد مصطفى ، ط 3 مصورة من ط2 (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1984م) ، ج4 ، ص ص 133، 152 ؛ ج5 ، ص 95 ؛ هاردنج ، لانكسر ، آثار الاردن ، ترجمة سليمان موسى ، (عمان ، 1971م)، ص 172.

5- من هو مؤلف الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 181 وما بعدها .

6- لسان الدين ابن الخطيب ، ابو عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني (ت776هـ/1374م) ،الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق يوسف علي طويل (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003م)،مج3، ص101 ؛ ابن حجر العسقلاني , أبو الفضل احمد بن علي بن محمد (ت852هـ /1448م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (بيروت ، دار الجيل ، 1993م) مج 4 ، ص32.

7- لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة ، مج 3 ، ص.101

8- مؤلف مجهول (من علماء القرن التاسع الهجري توفي بعد سنة 820هـ/1714م) ، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مجلة تطوان ، ع 9 (تطوان ، 1964م) ، ص ص 175-.176

9- السلطان ابو الحسن المنصور علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (731-749هـ /1331-1348م) ، وصف بأنه أفخم ملوك بني مرين دولة وأضخمهم ملكاً وبعدهم صيتاً وأعظمهم أبهة ، ويعرف عند العامة بالسلطان الأكحل لأن أمه حبشية فكان اسمر اللون ، عزل على يد ابنه أبي عنان فارس (749-759هـ/1348-1358م) وتوفي طريدا في جبل هنتانه سنة 752هـ /1351م . للمزيد ينظر : لسان الدين ابن الخطيب ،

كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، د.ت.) ، ص25؛ ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل (ت810هـ/1407م) ، روضة النسرين في دولة بني مرين (الرباط ، مطبوعات القصر الملكي ، 1962م) ، ص 25؛ ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين عبد الحي (ت1089هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمود الارناؤط (بيروت ، دار ابن كثير، 1986م)، ج8،ص 293؛ السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق ابني المؤلف جعفر ومحمد الناصري (الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1997م) ج3،ص 118.

10- محمد بن القاسم الأنصاري (فرغ من تأليفه سنة 825هـ/1421م)، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط2، (الرباط ، بلا ، 1983م) ، ص.20

11- ابن الخطيب , الإحاطة في أخبار غرناطة , ج 3 , ص102 ؛ الحميري , الروض المعطار، ص3.

12- الاحاطة ، مج 3، ص116.

13- الاحاطة ، مج 4،ص.218

14- النباهي ،ابو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي(ت793هـ/1390م) ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق صلاح الدين الهواري (صيدا- بيروت ، المكتبة العصرية ، 2006م)،ص ص 145 ، 163.

15- هو محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن احمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي ، يكنى ابا عبد الله ؛ ثالث ملوك بني الاحمر (655-713هـ/)، وهو الذي بنى مسجد الحمراء الاعظم بغرناطة . ينظر لسان الدين ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج1 ، ص ص 316-326 ؛ واللمحة البدرية في الدولة النصرية ، ط2 (بيروت ، دار الافاق الجديدة ، 1978م) ، ص ص 47-56؛ ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1405م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1971م) ، ج7، ص306؛ والتعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2006م) مصورة عن الطبعة الاولى القاهرة 1951م ، ص39.

16- ابن ابي زرع ، علي بن عبد الله ابي زرع الفاسي (ت741هـ/1340م) ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس (الرباط ، دار المنصور للوراقة والطباعة ، 1972م)، ص393 ؛ عنان ، محمد عبد الله ، دولة الاسلام في الاندلس ط4 ، 4 عصور في 6 اقسام (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1987م) ، ع4 ، ص 115 ؛ فرحات ، يوسف شكري غرناطة في ظل بني الاحمر ، (بيروت ، دار الجيل ،1993م) ، ص.32

17- هو شقيق الملك المخلوع اذ أُحيط به في يوم عيد الفطر من عام 708هـ واتت الحيلة عليه ، وهو مصاب بعينيه ، مقعد في كنه ، فداخلت طائفة من وجوه الدولة أخاه ، وفتكت بوزيره أبي عبد الله بن الحكيم ، ونصبت للناس الأمير أبا الجيوش نصراً أخاه . للمزيد ينظر لسان الدين ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج1 ، ص ص 322-324؛ ج3، ص ص 254-261.

18- مقدمة الروض المعطار ، ص : ي .

19- ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، مج4 ، ص33. 20-

21- الإحاطة ، مج 3 ، ص 102.

22- تيزي أو تازة : مدينة في المغرب الأقصى ، تبعد عن فاس نحو الشرق 127كم ؛ وهي إحدى المدن الحربية القديمة بالمغرب ؛ أسست قبل الفتح الإسلامي بكثير .ولمكانتها الحربية إتخذها الحسن بن إدريس الثاني مقراً حربياً ، والتسمية تطلق على المدينة وجبالها اذ تعد جبال ومدينة تازا فضلاً عن مدينة ملوية الحد الفاصل بين المغربين الأوسط والأقصى ، ويقع رباط تازا في أحد جبالها ، وبني سنة 586هـ/1172م . أما المدينة فقد بناها عبد المؤمن الموحدي سنة 529هـ/1234م وقام بتحصين سورها . وفي أيام المرينيين إتخذها أبو يعقوب المريني عاصمته ، وقاعدة لغزو تلمسان ، ولا تزال حتى اليوم مركزاً حربياً يحسب له حسابه . وقد نسب إلى تازا علماء كثر. وهي على الطريق المار من المغرب إلى المشرق وتسمى مكناسة تازا ، ومكناسة قبيلة من البربر سكنوا هناك فسمي الموضع بهم . ينظر : ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص 262 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص128؛ ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ص134.

23- الاحاطة ، ج3 ، ص.102

24- بلغة الامنية ، ص .175

25- التعريف بابن خلدون ، ص 38 ؛ ابن العماد الحنبلي , أبي الفلاح عبد الحي (1089هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب , ط2 , (بيروت , دار المسيرة ، 1399هـ/1979م) , ج6 , ص38 .

26- مثلاً ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ؛ النباهي ، المرقبة العليا ؛ المراكشي ، المعجب وغيرهم.

27- ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص ص544،529 ؛ 530-544؛ السلاوي ، الاستقصا ، ج3، ص 179، ج4، ص.165

28- البياض ، عبد الهادي ، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (ق 6-8هـ/12-14م) ، (بيروت ، دار الطليعة ، 2008م) ، ص20وما بعدها .

29- ص ص 15، 19، 27، 31، 41، 45، 46، 47، 48. وعن هذا الطاعون وأثره على المغرب الاوسط ينظر : سمية ، مزدور ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588-927هـ/ 1192-1520م ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري – قسنطينة ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية – قسم التاريخ والاثار (قسنطينة ، 1429-1430هـ/ 2008-2009م) ، ص 139 وما بعدها .

30- زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م) ، تاريخ ابن الوردي (بيروت، دار الكتب العلمية ، 1996م) ، ج2 ، ص338-.342

31- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس " مجموعة من رسائله "نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي (الاسكندرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1958م) ، ص.38

32- النباهي ، المرقبة العليا ، ص ص 159، 165، 174. 33-

33- المقدمة ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1992م) ، ص .320

34- الوردي ، علي ، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته ، ط2 (بيروت ، دار مكتبة دجلة والفرات ، 2010م) ، ص129.

35- التعريف بابن خلدون ، ص19.

36- التعريف بابن خلدون ، ص ص15، 19-.48

37- بلغة الامنية ، ص176 ؛ وينظر ابن تاويت ، محمد ، تاريخ سبتة (الدار البيضاء ، دار الثقافة ، 1982م) ، ص 158 وما بعدها .

38- الاحاطة ، ج3، ص.102

39- الاحاطة ، ج3، ص 102.

40- التعريف بابن خلدون ، ص ص19-.20

41- التعريف بابن خلدون ، ص20.

42- التعريف بابن خلدون ، ص ص 38-41.

43- التعريف بابن خلدون ، ص 30.

44- التعريف بابن خلدون ، ص ص19 ، .31

45- التعريف بابن خلدون ، ص .32

46- التعريف بابن خلدون ، ص147.

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر الاولية :

1- ابن الاحمر، ابو الوليد اسماعيل (ت810ه/1407م) ، روضة النسرين في دولة بني مرين (الرباط ، مطبوعات القصر الملكي ، 1962م).

2- ابن اياس ،محمد بن احمد الحنفي (ت930هـ/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور من سنة 906-921هـ/1501-1515، تحقيق محمد مصطفى ، ط 3 مصورة من ط2 (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1984م).

3- ابن حجر العسقلاني , ابو الفضل احمد بن علي بن محمد (ت852هـ /1448م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (بيروت ، دار الجيل ، 1993م) .

4- الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت750هـ/1349م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط2 (بيروت ، مطابع هيدلبرغ ، 1984م) .

5- ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1405م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، (بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، 1971م).

6- المقدمة (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1992م) .

7- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2006م) مصورة عن الطبعة الاولى القاهرة 1951م .

8- ابن ابي زرع ، علي بن عبد الله ابي زرع الفاسي (ت741هـ/1340م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس (الرباط ، دار المنصور للوراقة والطباعة ، 1972م).

9- السبتي محمد بن القاسم الأنصاري (فرغ من تأليفه سنة 825هـ/1421م)، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط2، (الرباط ، بلا ، 1983م) .

10- ابن العماد الحنبلي , أبي الفلاح عبد الحي (1089هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب , ط2 , دار المسيرة ، (بيروت , 1399هـ/1979م) وطبعة اخرى ،تحقيق محمود الارناؤط (بيروت ، دار ابن كثير، 1986م).

11- لسان الدين ابن الخطيب ، ابو عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني (ت776هـ/1374م) ،الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق يوسف علي طويل (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003م).

12- لسان الدين ابن الخطيب ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، د.ت.) .

13- اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، ط2 (بيروت ، دار الافاق الجديدة ، 1978م).

14- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس " مجموعة من رسائله "نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي (الاسكندرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1958م) .

15- مؤلف مجهول (من علماء القرن التاسع الهجري توفي بعد سنة 820هـ/1714م) ، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مجلة تطوان ، ع 9 (تطوان ، 1964م) .

16- النباهي ،ابو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي(ت793هـ/1390م) ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق صلاح الدين الهواري (صيدا- بيروت ، المكتبة العصرية ، 2006م) .

17- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م) ، تاريخ ابن الوردي (بيروت، دار الكتب العلمية ، 1996م) .

ثانياً: المراجع الثانوية:

18- البياض ، عبد الهادي ، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (ق 6-8هـ/12-14م) ، (بيروت ، دار الطليعة ، 2008م) .

19- ابن تاويت ، محمد ، تاريخ سبتة (الدار البيضاء ، دار الثقافة ، 1982م) .

20- الحمارنة ، صالح ، " منْ هو مؤلف الروض المعطار وهي تعليق على الطبعة الكاملة لكتاب الروض المعطار في خبر الاقطار تأليف ابن عبد المنعم الحميري ، تحقيق إحسان عباس" ، المنشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد السابع ، (بغداد ، 1978م) ، ص ص175-.184

21- ريتزيتانو ، أمبرتو ، منتخبات من كتاب الروض المعطار ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة مج 18، ج1 ، (القاهرة ، 1956م)، ص .135

22- السلاوي، أبو العباس احمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م) ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق ابني المؤلف جعفر ومحمد الناصري (الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1997م) .

23- سمية ، مزدور ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588-927هـ/ 1192-1520م ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري - قسنطينة ،كلية الاداب والعلوم الإنسانية - قسم التاريخ والاثار (قسنطينة ، 1429-1430هـ/ 2008-2009م).

24- عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ط4 ،4 عصور في 6 أقسام (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1987م) .

25- فرحات ، يوسف شكري غرناطة في ظل بني الأحمر ، (بيروت ، دار الجيل ،1993م) ، ص.32

26- هاردنج ، لانكسر ، آثار الأردن ، ترجمة سليمان موسى ، (عمان ،منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر ، 1971م).

تاريخ الاستلام: 2015/09/21- تاريخ التحكيم: -2016/01/17- تاريخ النشر2016/06/28

القيم الإنسانية والمبادئ السلميّة في الثورة التحريرية بين الكتابة التاريخيّة والخطاب الشّعريّ

أ.الطاهر الغول

جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي (الجزائر)

Abstract

The Algerian Liberation Revolution is not only a source of glory and pride of human and material sacrifices, that historians studied and wrote about, but also it is a source for praising its human values and peaceful principles that were preserved by the revolution Poetry; and poets tried to save and transfer them.

That's what we would like to highlight by focusing on the important of these values and principles considering that all international constitutions and human rights organizations agreed on the necessity of providing, guaranteeing and defending them through the human rights organizations. Below are the main ones: - Freedom as the highest human value - Equality and social justice, fighting racism - Spreading the message of love and peace - Preserving and promoting women's rights and protecting children.

ملخّص

إن الثورة التحريريّة الجزائريّة ليست – فقط – مصدرا للإشادة بالبطولات والتضحيات البشرية والمادية التي اجتهد المؤرخون في تدوينها ودراستها؛ بل إنها كذلك موردٌ للتغنّي بقِيَمِها الإنسانية ومبادئها السلميّة التي احتوتها المراجع التاريخية وحفظها شعر الثورة من أجل نقلها وتخليدها، وهذا ما نسعى إلى إبرازه في إطار التركيز على مجموعة من أهمّ تلك القيم والمبادئ باعتِبَارِ أنها أرقى ما اتفقت المواثيق الدوليّة وأجمعت المنظّمات الحقوقية العالميّة على ضرورة توفيره وضمانه والدفاع عنه عبر مختلف هيئات حقوق الإنسان، ويتمثل ذلك فيما يلي: الحرية كأعلى قيمةٍ إنسانيّة – المساواة والعدالة الاجتماعيّة، ومحاربة التمييز العُنصري – نشر رسالة المحبّة والسلام – رعاية وترقية حقوق المرأة وحماية شؤون الطفولة.

تمهيد :

"الشعر مرآة العصر"، أو "الأدب مرآة العصر": عبارة كثيرًا ما ردّدها على مسامعنا أساتذة اللغة العربية وآدابها– ونحن على مقاعد الدراسة– وكُنّا نتساءل حينها: فماذا يكون التاريخ إذن؟ ذلك أن التاريخ يشترك مع الأدب في تسجيل الأحداث وتخليد الوقائع، لكن شتَّانَ بين وظيفة كل منهما تجاه نقل الحقائق! حيثُ أن التاريخ ينقلها مجرّدة من الأحاسيس، خالية من المشاعر والعواطف، من باب الإحاطة العلميّة في غالب الأحيان، أو لأجْل العظة والاعتبار في بعض الأحيان الأخرى؛ بينما الأدب– عموما– والشعر– خصوصًا– ينقُلها نابضة بالحياة فيّاضة بالمشاعر تكشف عن مستوى التفكير والتعبير، فضلا عن تصوير الانفعالات النفسيّة وتفاعلات الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية لدى المجتمعات والأمم في عصر من العصور، لذلك دأب مدرّسو الفلسفة وعلم الاجتماع على ترديد مقولة: أن اللغة هي عبارة عن فكر مسموع وما الفكر إلا عبارة عن لغة صامتة(1.(

ولا شك أن الثورة التحريرية الجزائرية هي محطة من كُبرى محطات التاريخ، تنافَس المؤرخون في تناول أحداثها وشخصياتها ومساراتها من حين انطلاقها إلى نهايتها، كما أنها ألهمت الشعراء أثناءها وبعدها بل وحتى قبلها(2) ليُعبّروا عن مآثرها وبطولاتها، لهذا يمكن القول بأن شعر الثورة التحريريّة هو ذلك الشعر الذي تناول موضوعاتها، سواء بالدعوة إليها والتحريض عليها، أو بتسجيل أحداثها وتدوين وقائعها، أو بتمجيد إنجازاتها والافتخار ببطولاتها .. وليس من المغالاة أو من المبالغة أن نقول: لا نحسب أن هناك شاعرا أو أديبا جزائريا إلا وله كتابة أو تأليف في موضوع الثورة – إن لم يكن في الغالب هو بداية كتاباته – ناهيك عن غير الجزائريين(3.(

فإذا كانت الكتابات التاريخية تركّز على هذه الثورة في أبعادها البطولية وتطور إنجازاتها العسكرية وعبقريتها الحربية ومختلف أشكال التضحية المادية والمعنوية مع افتراض تحرّي الموضوعيّة والتجرّد من الذاتيّة بقدر الإمكان؛ فإن النصوص الشعرية لا تستطيع أن تقف

عند ذلك فحسْب، بل تمتد إلى إبراز العواطف النبيلة والقيم والمبادئ السلمية أيضا، ذلك أن الشعر تأمُّل نفسي تمر فيه التجربة من خلال النفس، حيث يُعبّر الشاعر في تجربته عمّا في نفسِه من صراع داخلي سواء كانت الحالة الشعورية تخصه هو نفسه أو هي عبارة عن موقف إنساني عامّ يتبناه أو يتمناه(4) ، وإذا كان النقّاد ولا زالوا يتساءلون: هل تكمن جمالية الفن والأدب في الفكرة التي يعالجها، أم في الوسيلة التي يستخدمها الفنان أو الأديب لنقل فكرته، أم أنها في الفكرة والوسيلة معًا؟(5) ، فإننا نختار الإجابة الأخيرة، لأن الثورة التحريرية من ناحية الوثيقة التاريخية (كموضوع أو فكرة أو مضمون) عبارة عن مخزون معرفي للأحداث والوقائع، بينما هي من ناحية الخطاب الشعريّ (كوسيلة أو شكل للتعبير عنها) عبارة عن مخزون معرفي لمستوًى من الأفكار والأحاسيس والمشاعر التي كان يعيشها المجتمع الجزائري خلال تلك الأحداث وكيف تفاعل معها بإيجابية أو سلبيَّة وما يتولّد عن ذلك من أفكار وعواطف أخرى يكون لها أثرها في توجيه السلوكات الفردية والجماعية..

ومن هُنا فإن الثورة التحريريّة ليست مصدرا للإشادة بالبطولات والتضحيات البشرية والمادية فقط؛ بل إنها كذلك موردٌ للتغني بقيمِها الإنسانية ومبادئها السلميّة، وهذا ما نسعى إلى إبرازه في إطار التركيز على مجموعة من أهمّ تلك القيم والمبادئ باعتِبَارِ أنها أرقى ما اتفقت المواثيق الدوليّة وأجمعت المنظّمات الحقوقية العالميّة على ضرورة توفيره وضمانه والدفاع عنه عبر مختلف هيئات حقوق الإنسان(6) ، ويتمثل ذلك فيما يلي:

/1الحرية كأعلى قيمة إنسانيّة؛

/2المساواة والعدالة الاجتماعيّة، ومحاربة التمييز العُنصري؛

/3رسالة المحبّة والسلام؛

/4رعاية وترقية حقوق المرأة وحماية شؤون الطفولة.

خاصة وأنّ الاحتلال كان يمثل فرنسا الثورة، التي لم تكن حدثا هاما في التاريخ الفرنسي فقط، وإنما هي أحد أبرز أحداث القارة الأوربيّة والعالم الـمُتمدِّن القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث مثّلت نقطة تحوُّل أساسية في تطوّر النظم السياسية والاجتماعية في أوربا، فوضعت حدًّا للنظام الملكي القائم على الاستبداد المستند على الحق الإلهي في الحكم وفتحت الباب أمام نظُم جديدة- جمهورية أو ملكية دستورية تقوم على أسس حرية الأفراد والشعوب وتستمد سُلطانها من إرادة المواطنين وتعمل تحت رقابتهم وتخضع لمحاسبتهم(7)، لكن: ماذا عن واقع المستعمرات التي احتلّتها فرنسا بحُجّة تزويدها وإفادتها بمبادئ ثورتها؟ !

أوّلاً: الحريّـــــــة:

كل جزائريّ بأصالته يحفظ مقولة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: (متى استعبدتُم النّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟) وتكاد المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تكون ترجمة حرفيّة لهذه المقولة، ورغم أن معنى الحرّية من المفاهيم الفلسفيّة التي لم يتّفق المفكّرون حول تحديد تعريفها، إلا أنه وفي واقع استعماريّ مثل الحالة الجزائرية؛ فإن الحريّة تعني التخلص من قيد المستعمر والاستقلال عنه، فجاء في بيان أول نوفمبر 1954: "فنحن نعتبر قبل كل شيء أن الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية، فإذا كان هدف أي حركة ثورية في الواقع هو خلق جميع الظروف الثورية لعملية تحريرية، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متَّحد حول قضية الاستقلال.."(8) وإذا كانت الوثيقة التاريخية تسجل هذا المعنى فيما ينقله المؤرّخون: "..إن الشعوب العربية في منطقة إفريقيا الشمالية مشتركة في المحن والآلام..وشريكة في المصالح الدينية والدنيوية.. وشريكة فوق ذلك كله في ميدان الجهاد الوطني في سبيل الحريّة والتحرير"(9) ، فإنّ النص الشعري ينقل لنا حالات نفسية حول عاطفة الارتباط بالوطن وهوان التضحية بالروح لأجله حين صاح شاعر الثورة قائلاً :

فداء الجزائر روحي ومالي أَلَا في سبيـــل الحريـــة(10.(

وصـاح أيضاً مردِّدا :

وطني بروحي أفتديك ومهجتي ودمِـي الشريف مبرّةً ووفـــاءَ

عهد عليّ مدى الحياة مقـدّس يُذكي عرُوقِـي نخوةً وإبَـاءَ
حسبي فخارًا في حياتي أنّني أغدو على وطني العزيز فداءَ(11.(

بل إنه يجعل من فكرة التحرير منطلَقا محوريًّا لتأليفه الشعريّ إنشاده الثوري حين يقول:

على نبضات الشعب وقّعتُ ألْحاني ومن نشوة التحرير لحّنتُ أوزاني(12(

وهكذا كانت غاية الثورة هي الحرية وكانت الثورة – نفسها – هي السبيل إلى تلك الغاية، فيختصر الشهيد الربيع بوشامة ذلك مُحرّضا على الحرب لنيل ذلك الهدف النبيل بقوله :

وارفع لواء الحرب في كل الذرى
وتُنِيله ما كان يرجو من مُنـــىً حتى تُحَـرّرَه من الأغـــــلالِ
كُـبرى مكلّلة بالاستقـــــــلالِ(13(

ومن ناحية الكتابة التاريخية ينقل المؤرخ آندري نوشي مطالب نجم شمال إفريقيا (حزب الشعب – حركة الانتصار للحريات الديمقراطية) التي تقَدَّمَ بها مصالي الحاج(14) منذ مؤتمر بروكسل 1927م خلال نشاط الحركة الوطنية، وهو ما تبنّته الثورة وسعت إلى تحقيقه فيما بعد، ومن أهم تلك المطالب الثورية: الاستقلال الكامل للجزائر، وجلاء الجيش الفرنسي(15)، لذا فإنّ شاعر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: محمد العيد آل خليفة يصوّر لنا اشتياقه إلى تلك القيمة النبيلة من واقع أسْرِه ومن موقع إقامته الجبريّة – إبّان الثورة – توّاقاً إلى الحرّية، فلم يجد سوى جمال الطبيعة ملاذًا له من فظاعة الاحتلال، فراح يُناجي طائر "أبي بشير" الذي عادة ما يستبشر الجزائريون برؤيته وسماع زقزقته، فيقول:

جـزمتُ بإطـلاق الأسيـــرِ
وجئتُ أبُثُّـه نجْــوَاي سِـــرًّا غداة سمعت صوت"أبي بشيرِ"
ومن للحرِّ بالصوت الجهيــرِ

بل ومن عجائب شعر الثورة – وفي ظل الأسر ولياليه الحالكات – أن نجد هذا الشاعر يحلُمُ؛ ليس بالاستقلال فقط، بل بما بعده من الحكم الشوريّ الحُرّ حين يرُدُّ عليه الطائر مُبَشّراً بقُربِ تحقيق الأمل :

سَيحمدُ شعبُك العُقْبى قريباً
وَيَحكم حُكمَه الشوريَّ حُـرًّا ويُحرِزُ نصْـرَهُ بِيـَدِ القدــرِ
وخَيْرُ الحُكْمِ:حُكم المستشيرِ

ثم يخطُّ بيَمينه وإيمانه قانونا تاريخيا عامّا صالحا للبشرية كلها، على اختلاف أجناسها وعلى مرّ العصور قائلا:

فَلَيْسَ لأُمّـةٍ بالحـقِّ ثَـارَتْ مصيرٌ غيرَ تقرير المَصِيرِ(16 .(

ويتناول أبو القاسم سعد الله بشخصية الشاعر التأكيد على الإصرار الفكريّ قبل الإصرار الميدانيّ على مبدأ الحرية فيكتب من إلهامات الثورة التحريريّة في "ديوان الزمن الأخضر" حكمة بليغة تخاطب كل إنسان وتحرّك كل ضمير :

وإنّما أنت حُـرٌّ..
متى اكتشفت مصيرك
وأنت في النـاس غِـرُّ
لو بِعتَ فيهم ضميركْ(17.(

ولم تنقطع أشواق الحرية أبدا وبقي الشعر يخلّد السعي إليها باعتبارها حقًّا يجب الإيمان به والبحث عنه واليقين بضرورة وجوده، ليس في كل نفس وكل فرد جزائري فحسب، بل في ذات كل كائن حيٍّ من جماد أو نبات وفي كل بر أو فضاء على أرض الجزائر، وهذا ما سجّله الشاعر محمد بوزيدي:

سوف نلقَّـــاها
سَوْفَ نلقَّـــاها
في صحَـــــارينا
في ابتسام الطفل
في مُحَيَّا الشيـــخ على شُم الجبَـالِ
على تلك الرمـالِ
وفي كـــل التلالِ
غِـرًّا لـمْ يُبَـــالِ
ســـاعٍ للقتـــالِ(18(

وأما أبو القاسم خمّار فإنه يخلّد مآثر الثورة والثوار الجزائريين، حين يجعل من الحرية طبعا إنسانياً خالدا في الآباء مما ينبغي الاحتفاء والاقتداء به لدى الأبناء على مرّ الأزمان، فيقول:

لنا من مآثـــرنا في النضـــالِ
ومن طبعِنا الحُرّ خير الخصالِ ومن حُبّنا للعُـلا والكمـــالِ
فأعظِـــمْ بفـــوزك يا مطلبِـــي(19(

ومن جهة أخرى وثّقَ المؤرّخون لأحداث الثامن ماي 1945م، باعتبارها نقطة تحوّل في مسار الحركة الوطنيّة حين رفعت درجات النقمة، ووحّدت مختلف الاتجاهات نحو طريق الثورة خاصة بالنسبة لحزب الشعب الجزائري، حيث أفرزت تلك الأحداث جيلا جديدا من الإطارات الوطنية ممّن يتبنّون سبيل الكفاح المسلح وضرورة العزم على التحرّك في هذا الطريق(20(

ولقد حرّكت المأساة قرائح الشعراء فجاهروا بنقمتهم وبدعوتهم إلى الكفاح من أجل الحرية، فتحول الشعر من موقف الرفض والدفاع إلى الدعوة للهجوم والحرب، فقال محمد العيد :

لـم ننْسَ (مايو) ولا مأســـاته
وتحوّلت لغة التخاطب بيننا
قمنا إلى رشّاشنا برصاصِنا حتى جَبَهْنا الغاصِبَ المُتجبِّرا
لغـة بها جوّ الســلام تعكّــرا
نسقيه وابلَه الوبيل المخـــطرا(21 (

ويذهب مفدي زكرياء عبر الصورة الشعرية(22) إلى أنْسَنَةِ الزمان وتشخيصه لتوظيفه في حماية حرية البلاد والثأر لشعبها من الأعداء عبر التصوير الاستعاري في قصيدة (قالوا نريد:(

قال الزمان: ألستم؟ قالوا بلى..
فانزلْ كريماً ، في بلادٍ حُـــرّة نحن الضيوف، وأنت ربُّ الدارِ
أخـــذَ الزمانُ لشعبها بالثَّـــارِ(23(

وهكذا فإنّ مبدأ الحرّية أخذ معنى الاستقلال عن المستعمر وجُنّدت كل القوى المادية والأدبيّة في سبيل الظفر بهذه القيمة الإنسانيّة حيث غدا التغنّي بالحرية موضوعا للإبداع الشعري، مما جعل الثورة حقاً وواجباً يتعيّن على الشعب الجزائري خوضه في سبيل تحقيق استقلاله، فلا حريّة إلا بانقشاع غيوم الاستعمار، مما وفّر قدراً كافياً من الإجماع الذي لم يترك مجالا للاختلاف حول مفهوم الحريّة، قال الشاعر عبد الكريم العقُّون:

سيَنقشـــع الغيـمُ المخيّم عن شعبي

ويحظـى بآمـــال عِـــذَابٍ جميـلةٍ
ويخلـــعُ أغـــلالاً ثِقـــالاً يجـــرُّها فيغـدُو ضحُـوكاً مُشرِقَ الأُفـقِ كالغرْبِ
وكمْ من جنًى عذبٍ لدَى الأمَـلِ العذْبِ
ويَجـــلُو ظـــلام الظلـم بالـزَّأْرِ والوَثْبِ(24(

ثانيا: المساواة والعدالة الاجتماعيّة، ومحاربة التمييز العُنصري:

اهتم المؤرخون بنقل الواقع المعيش للجزائريين ومعاناتهم في ظل الاحتلال حيث غياب المساواة وافتقاد العدالة الاجتماعية، وانتشار كل أشكال التمييز العنصري المبنية ، ليس على مجرّد المعاملات الظرفية أو التصرّفات الفردية؛ بل بناءً على التشريعات الفرنسية في الجزائر، حيث كانت السياسة المتبَعة في الجزائر كلها مستوحاة من صميم الخلفيّات الرجعية، وكل القوانين التي يصادق عليها البرلمان الفرنسي، لا تهدف سوى إلى تقوية نفوذ الأقلية الأوربية المغتصبة، وإبعاد الجزائريين من التصرّف في أيّ شأن من شؤون بلادهم(25)، فهم كما وصفهم الشاعر:

مَلَكَ البُغضُ العُنصريُّ حِجَاهُم
فاستبـاحوا في أرضنـا كل شيء وازدهى الكِبْرُ والغُرورُ قُواهُـــم
وأذاقُـوا حـــتّى الرضيـع أذاهـم(26(

ويحكي مصالي الحاج عن متجر خاله الذي اشتغل فيه لما بلغ سن السادسة عشر، أنه كان مقسّما إلى جزأين: جزء أكبر خاص بالمستوطنين، الذين كانوا يجدون كل السلع المتوافرة في أوربا ماعدا الخمر ولحم الخنزير، وكان أحدهم يقدر على شراء كيلوغرام من السكر وربع كيلو من القهوة وعلبتين من الزبدة و.. دفعة واحدة، أما الجزء الأصغر فمخصص للأهالي، أَيْنَ توضع المواد التي أساسها الدقيق، مما يسمح بتحضير الكسكس والاسفنج والشوربة.. حيث يأتي أولادهم ليطلبوا "مقدار فلس من سكر وقهوة خليط، وكان كل هذا يمرّق الأحشاء"(27). في ظل تلك الظروف جاءت حركة الأمير خالد(28) التي يطلق عليها – عادة – اسم المساواة أو الإصلاح، ليكون من أهدافها تحقيق المساواة السياسية والاجتماعية للجزائريين مع المستوطنين، وورث فرحات عباس(29) هذه الفكرة وظل يناضل من أجلها خلال مشوار حياته السياسية دون أن تتحقق المساواة المنشودة .

وقد كان عباس يبرّر ذلك بأن المساواة وتقدّم الجماهير في الميدان الاجتماعي، من شأنه أن يفتح للجماهير الطريق المؤدية إلى استقلال الجزائر، فضلا عن تحاشيه الالتقاء مع الكولون الذين كانوا يطالبون حينذاك بقيام دولة جزائرية (استقلال داخلي) لتكون الجزائر لهم وحدهم دون الجزائريين(30.(

هذا على الرغم من تشدّق فرنسا والغرب بمبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يقول: "لكل إنسان حق التمتّع بجميع الحقوق والحرّيّات.. دوت تمييز من أيّ نوع، ولا سِيَما التمييز بسبب العنصر أو اللون أو اللغة أو الدين.."(31.(

ولقد جاء شعر الثورة من صميم رسالتها محاربًا لذلك الواقع البئيس الذي أهدر قيم العدالة وأرسى قواعد التمييز بين الأهالي والمستوطنين، فانبرى الشعراء لفضح المستعمر وانتقاد سياساته العنصرية والسخرية من مزاعمه، إلى درجة تجريده من آدميّته انطلاقا من ممارساته وتشريعاته لا اعتمادا على أقواله وادّعاءاته المثيرة للعجب والاستغراب:

عجبـــاً للمستعمـر الغـــدَّارِ
ويرى الآدمـــيّ وهْـــو أخُـــوهُ
يدّعي حفظ الأمن في الأوطانِ
قـد عَنَا في دنْيَـــاهُ كُلّ فسـاد كيف يسطـو بالناس كالجـــزّارِ
أحقـــرَ الكائناتِ، حتى الحمارِ
وهـــو شـــرّ الأعداء للإنسـانِ

وتَـــولاّهُ بالشّقَـــا والهـــوَانِ(32(

لهذا يعيبُ محمد العيد على إنسان الغرب – عمُوماً – شراهته وسطوته التي فاقت سطوة الوحوش مما حجَب عن الإنسانية بهاءَها وعكَّرَ صفاءها بسبب قهر المستضعفين والتمكين للمفسدين:

قدْ يُشبِعُ ابنَ الوحش شِلْوُ فريسةٍ إلا ابن آدمَ مَـا لـــهُ من مَشبَـعِ(33(

ومن العجب أن ذاك المستعمر هو الذي زعم الرفق بالحيوان ! لذلك يُسائِله الشاعر:

كيف ادّعيْتَ الرفـــق بالحيـوانِ

تسطو على المستضعفين بقسْوةٍ

وتُبِيدُ أحـــرار البـلادِ وتعتـدِي وظِبَاكَ تعْشـو في بني الإنســانِ

وتُذِيـــقُهم بؤسًا وكُـلَّ هـــوانِ

جهْـرًا على حريّـــة الأوطـــانِ(34(

ومن أروع المراثي الثورية قصة شعرية خيالية، لكنها تنقل واقع التميز العنصري، بطلاها طالب جزائريّ اسمُه "رشيد" وآخر فرنسي اسمهُ "فرانسوا" درسَا جنباً إلى جنبٍ، وأحرزا على نفس الشهادة، ولمّا دخلا ميدان التوظيف والحياة العمليّة، فرّقت بينهما العنصريّة الاستعماريّة، فشق "فرانسوا" طريقه في الترقية الإدارية والاجتماعية، بينما أُوصِدت الأبواب في وجه "رشيد" لأنه جزائري من الأهالي، فمات غمًّا وكمَدًا من هذه الحياة الجائرة، التي لا تُراعي القدرات العلمية والكفاءات المهنية، بقدر ما تراعي الفوارق العنصرية، فجعل محمد العيد يُرثيه:

نعـمْ لكَ في العُـلا عمـلٌ مجيـدُ

عَـــلاَمَ (فرانسوا) يَعْلُوكَ كعْبـــاً ولكنْ مـــا جزاؤكَ يـــا (رشيـدُ(

وأنتَ لِمِثلـه الكُـفؤُ الوحيـــدُ(35(

ثم يعتبره شهيد الحق والعدل راجيا من الله أن يعوّضه في آخرته عندما تُوضَع الموازينُ القسطُ ليوم القيامة، فيقول:

وموتك يا شهيد العـــدل ذكرى

وإن تكُ قد قضيتَ العيشَ بؤسًا مؤثِّرة يلِـــينُ لهَا الحدِيـــــدُ

فعِنْـدَ الله طالِعُـــكَ السّعيـــدُ(36(

وخلاصة القول أن المستعمر ممثلا لإنسان الغرب – بوجه عام – سرعان ما يدوس على مبادئه وقيَمِهِ بنفسه عندما لا تتماشى مع شهواته ومصالحه مما جعله يوقد نيران الحروب التي أكلت الحياة البشرية وأذاقتها ويلات البشاعة والوحشية ألواناً:

شاء هذا الإنسان أن يكُ وحشًا

كُلّمـا أطْفِئتْ حـــروبٌ أُثيرتْ يقتُلُ البعضُ منهُ بعْضـاً ويَخْشَى

غيرُهـا في البـلاد أكثرَ بطْـشًا(37(

أمّا وثيقة بيان أول نوفمبر 1954 فقد اشتملت ضمن أهدافها: "احترام جميع الحرّيّات الأساسيّة دون تمييز عرقيّ أو دينيّ"(38.(

وأما رسالة الثورة التي قامت من أجلها بعد التحرير؛ فهي المساواة التي لا تمييز فيها بين أبيض وأسود، ولا تفريق فيها بين البشر، حيث يعيشون سواءً على الأرض مستمتعين بجمالها وخيراتها دون بغي أو عدوان، مثلما تقرّره الأعراف والمواثيق الدولية:

ونريد البيضَ والسودَ سواءً في الحياةْ..

نقطف الضوء جميعًا من سماهْ،

ونضُمُّ الأرض لثْماً بالشِّفاهْ،

ونادي الفجر: يا فجرَ الحياةْ..
ظلّلَ الأبيض والأسود كوناً ومداهْ.
إننا – يا فجرُ – لحمٌ وعرَقْ..
لم نكنْ يافجرُ – شيئًا غير هذا..
فلماذا نفترقْ؟!
ولماذا نحترقْ ؟!(39 (

ثالثاً: رسالة المحبّـــة والســـــلام:

اعتنت الرسالات الإلهية بهذه القيمة إلى الحد الذي اعتُبِر "السلام" اِسماً من أسماء الله الحسنى بنص القرآن الكريم: [هُوَ اَللهُ الَّذِي لَآإِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكونَ](40) واعتبر جنوح المحاربين إلى السِّلمِ دافعاً نحو التزام جيوش المسلمين بها، قال تعالى: [وَإِنْ جَنَحُوا لِلسّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكّلْ عَلَى اَللهِ إِنَّهُوهُوَ السَّمِيعُ العليم](41). فالسلام هو الأصل في المعاملة البشريّة، وإن جاءت الحرب فهي الاستثناء، ومن المفارقات أن يكون الإنسان بين ويلات الحرب وفي أهوال الثورة، ثم يفكّر في كلمة حبٍّ أو سلام! بلْهَ أن يتفوّهَ بها أو يكتبها في أشعاره، هذا المزج بين النار والنور، وبين الحرب والحبّ وجدناه في شعرنا الثوريّ المخلّد لمآثر الشعب الجزائري وبطولاته:

النار رمز جهادِهْ،
والنورُ لوْنُ وجُودِهْ،
والحبُّ مِلءُ فؤادِهْ،
واللحنُ مِلءُ قصيدِهْ(42.(

ولم يكن الشعراء – وهم يتغنّون بأمجاد الثورة التحريرية – لينشدوا السلام والمحبة والأخوة لأنفسهم على المستوى المحلّي ، بل وسّعوا دائرة مشاعرهم نحو أمتهم العربيّة والإسلامية معبّرين عن روابط العلاقة العضوية بين الجزائر وشقيقاتها، فراح مفدي يصدح:

إنْ صـــاحَ فِي الجزائـر صَائِحٌ
في المغرب العربيّ عِرْقٌ نابضٌ
عِزُّ العرُوبة في حِمَى استقلَالنَا لبّـــتْه مِصْرُ ، وأدركتـــه شـامُ
يُذكيه في حرب الخلاصِ ضِرَامُ
أيَطيرُ(مقْصُوص الجَنَاحِ)حمَامُ؟(43(

واعتبر الجزائر وطنا لجميع العرب ودارا لهم:

يا نازلـــين كِـــرَامًا في ديـارهمُ
ويا عروبـــة من أم لنـــا وأبٍ أرض الجزائـر للأحرارِ أوطـانُ
هنا العروبـة دوحاتٌ وأغصانُ(44(

ثمّ تعدَّى الشعراء حدود وطنهم ومحيطهم العربي إلى الوجود والعالم كله، وتمنّوْا السلام للإنسانيّة جمعاءَ، فكان لسان المقال يلهج بهذا الدعاء نحو الخالق:

وانْشُر الحبّ والإخَا في الوجودِ
وتدَارَكْـــنا بالسّـــــلام فإنَّـا واملأِ الأرض بالهنَا والسُّعُـودِ
أكلتنا الحروبُ منذُ عهُـــودِ(45(

فالحرْبُ – إذَنْ – مبغوضة ولكنّها مفروضة عسى أن تكون سبيلا إلى صناعة السلام عندما تعجز الوسائل الأخرى، لذلك وبالتوازي مع العمل المسلّح، لم يُغفِل الثوّارُ العمل على الجبهة السلميّة وتسخير كل الجهود لتحقيق غاية واحدة وهي إزالة الاحتلال، جاء في بيان أول نوفمبر: "جمع وتنظيم جميع الطاقات السلميّة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري"(46)، مما أجبر الشاعرُ أبو القاسم سعد الله على القول: صَوَاريـخٌ تنفضّ نـارا وثـورا فتُردي حيـاةً وتبنـي حيـاةْ(47(

فهي (تلك الصواريخ) ليست وسائل لتدمير رموز الحياة كما فعل بها المستعمر؛ بل إنها تُزيل حياة بائسةً لا تليق بكرامة الشعب الجزائري الذي يستحق كل تكريم على أرض بلده، ومن ثمّ فهو يعيد بناء أسُس حياته المستقبليّة بعيدا عن وصاية المحتلّ، فقال الشاعر مستعينا بجمال الطبيعة ومستعيرا منها أبدع ما فيها:

جداويـلُ نُـور وأنهـار حبٍّ تزفُّ الصبَـــاح إلى المُقبِـلِ(48(

وعلى الرغم مما لاقاه الجزائريون من ظلم المستوطنين الذين كانوا مستقوين بالآلة العسكرية الاستعمارية التي كانت توفّر لهم الحماية عادِين كانوا ومُعتدين، إلاّ أنّ الثورة حصّنت نفسها من كل صنوف الغلّ وضروب الحقد، وترفّعت عن دوافع الانتقام وبواعث ثأر الضحية من جلاّدها، حيث قرّر بيان أول نوفمبر أنّ:"جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر، لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية، ويعتبرون بذلك كأجانب تُجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسيّة الجزائريّة، وفي هذه الحالة يُعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات... تحدّد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوّتين الاثنتيْن على أساس المساواة والاحترام المُتبادل "(49.(

رابعًا: رعاية وترقية حقوق المرأة وحماية شؤون الطفولة:

جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: للأمومة والطفولة حق في مساعدة ورعاية خاصة(50)، ومن ثمّ فلجميع الأطفال حق التمتّع بذات الحماية الاجتماعيّة.

أما في شعر الثورة التي ألزمت الرجل والمرأة على السواء بتحمّل المسؤوليّة وتقاسم الأعباء والتكاليف، فإن الأمر لم يكن على مستوى الشعارات النظريّة فحسْب، بل كان ميدان الثورة شاهداً على وحدة النداء الموجّه للجنسين معاً :

ساعِدي في الجهاد جُندَ الجهادِ

يا فتَـاة البـــلادِ شعبُك نادَى وأعِدِّي الفِـدا لنصر البـــلادِ

فاستجيبي بعزمةٍ للمُنَـادِي(51(

وقد اعتبر أحدهم المرأة ((إنسانة)) الثورة التي تجسّد قيم التضحية والصبر والبطولة ليرى منها الطغاة ما يسوءُهم فتوجّه إليها قائلاً:

حطّمي الأغلال وامضي للسلاحْ

حطّميها .. واهتفي مِلْءَ الأثيرْ،

يا طغاةُ اشهدوا اليوم الأخيرْ(52.(

لذلك حق لها أن تردّ قائلة:

يَـــوم نادى المنادي ودعَـــا للكفـــاحْ

قمتُ أحمـــي بلادي وتـــركتُ المِـــــزاحْ(53 . (

بل قد يبالغ الشاعر محمد العيد حين يعطي للمرأة فضل السبق حين يتطلب الظرف شيئا من الخشونة والبأس والصبر:

قد سبقْن الرجالَ في البأس صبرًا

فإذا جنسُنـــا اللطيفُ عنيـــفٌ

وتحمّـــلْنَ فتنـــة الاضطهـــادِ

وشريف في ساحة الأمجـــــادِ(54.(

وهي مع هذا الواجب الثوري لم تُغفِلْ حقها في التعلّم وحرية الفكر والاعتزاز بموروثها الحضاري و الافتخار بأصالتها وتقاليدها الشرقية العريقة الرافضة للذوبان والانصهار في حضارة المستعمر:

أنـــا ثوريّـــة ســـلامًـا وحـــرْباً

وعفافي دِرْعِي وصبري دفَاعِـي فكـــرتي عُـــدّتي وعِلمِـيَ زادِي

وصلاحِي حِصْنِي ودِيني عِمَادِي(55(

وقد كان لبعض الشعراء نظرة متقدمة في النوح باللائمة على وضع المرأة والحسرة على ما تعانيه من البؤس والحرمان والضغوط العائلية زيادة على ما فرضه عليها الواقع الاستعماري، حيث يقول محمد الصالح خبشاش(56:(

تركُوك بين عبـــاءة وشقـــــاءِ

مغلُولـــة الأيْـــدي بِأَسْوَأِ بقعـةٍ

دَفنُوك من قبلِ المَمَات وحبّـذا مكؤوبـــة في الليلـة الليـلاءِ

محفُـــوفة بكتـــائب الأرزاءِ

لـو متِّ قبْـل تفاقُم الأدواءِ(57.(

ثم يتوجّه باللوم إلى العلماء والمصلحين متسائلا إن كان هناك مانع ديني يحول بين تعليم المرأة وترقية شأنها وتمكينها من أداء رسالتها في الحياة ؟

فهل الشريعة حرّمت تعليمـــها

إن كـان ذاك فبيِّنُـوا بحقـــائقَ يا نخبة الأشياخ والصلحاء؟!

قطعيّـــةً ليُمَـــاطَ كلُّ رداءِ(58.(

أمّا الطفولة فقد كانت – في دنيا المستعمر – الضحيّة التي ليس بمقدورها أن تدفع عن نفسها شروره، ولهذا فمن واجب كل المنظمات والهيئات التي تعنى بشؤون الطفولة أن تحاسب الاستعمار وتقاضيه على مآسيها، فقد نقل بعض رموز الحركة الوطنيّة جانبا من طفولتهم، مثل فرحات عباس الذي يُورِد عن جدته، التي كانت تحكي لحفيدها ما صنعه "الرومي" بالأرض وبالعباد، مما يزرع في نفسه مشاعر الامتعاض من هذا الغازي البغيض، قال عنها عباس: "هناك في دوّار بعيد وفي كوخ من الخشب والديس تغفو جدّتي بالقرب من كانون مشتعل، في يدها مسبحة، ومائة سنة من الذكريات، والعمل الشاق، والبؤس، بما يثقل كاهلها المتعب"(59.(

فلقد كانت حكايات جدته بمثابة مدرسة مكتبة شفهية، عرف من خلالها عباس كل شيء عن الغزو ومظالمه من الإبادة ومصادرة الأرض والخضوع والبكاء والبؤس، وكل القبائح التي رافقت الرومي الغازي(60)، هذه الثقافة الشفهية تتناقض مع واقعه المعيش حيث عاصر والده العربي المسلم وهو يؤدي وظيفة (قايد) تحت وصاية ذلك الرومي الغازي البغيض!! وهذا كفيل بأن يؤثر بشكل سلبيّ على نفسيّته مما يفقدها توازنها العاطفي.

كما ينقل مصالي الحاج ذكريات طفولته مع المستوطنين بتلمسان من عائلة "برات" التي كانت من أقرب جيرانه، ويتكلم عن تأدُّب أفرادها، وظرافتهم، ومحبتهم وحسن مجاورتهم، وما يقوله أبوه من أنهم بشر مثلنا، فلهم دينهم ولنا ديننا، غير أن مصالي يردِف قائلا: "ومن البديهي أن كل واحد كان ينسى في قرارة نفسه الكيان الاستعماري، ونتائجه على كل المستويات: البشري منها، والسياسي، والاقتصادي. وهذا مشكل حسب تفكيرنا، سيجد حلاً في يوم من الأيام، متى وكيف؟ الله وحده يعلم"(61 .(

وعلى هذا النحو أورد الشعر – على سبيل المثال – ما فعله جيش المستعمرين في ((تبسة)) بتاريخ: 04 مارس 1956م من حرق للمباني والممتلكات وتقتيل وتشريد للأهالي وما لحق بالأمومة والطفولة من الأذى على وجه خاص، يقول صالح خباشة في معرض وصفه للمأساة:

لا ترَى غيــر صُراخ الطفْــلِ

فَهيَ تسْعَى بين طفـل شــاردٍ خلفِ أمٍّ هرْولتْ مِنْ دون حجابِ

وقعيدٍ دون غوثٍ أو جــوابِ(62(

ويقول صالح خرفي مخاطبا المدينة المفجوعة:

أنّات طفــل مِنْ بَنِــيك مُيَتَّمٌ

عبَراتُ شيخ تأكلُ النيرانُ أمْوَا

زفرات قومٍ أُبْعِدوا عن أرضهِم لا أمّ تمســـح دمعَــهُ المِدرَارَا

لاَ قضـــى في جمعها أعمـــارَا

ظُلمًا فهاموا في القفارِ حَيَارَى(63(

وما أشدّها ألَماً تلك الفظائع التي جمعتها قصة شعريّة للربيع بو شامة بعنوان "فجيعة الطفولة" يفتخر فيها ابتداءً بالأصول العريقة لأبناء الجزائر وعواطف الأبوّة وإشرافها وحرْصها على رعاية أحلام الطفولة، فيقول:

صِبْيَةٌ كالزهُور في الروضاتِ

أنبتتْهُم أعْــراقُ شعبٍ كريــمٍ

***

أقبلُــوا مع أبيــهم المُهْتَاجِ

كلُّ شيءٍ يُوحِي إليهم حُبُورا أو كملائكِ الخير في الجنّاتِ

وغذّتهُــم بالنُّــورِ والطّيّــاتِ

***

يتــلاهَوْنَ حَولَـهُ في ابتهاجِ

ويُغـذّي أحلامَهُمْ ويُنـاجِي(64(

وفي غمرة الأحداث، وبينما الوالد منهمك في قضاء مصالح عائلته وأبنائه، وقد أنهكهُ التعب وأعياهُ الجهد، ممّا فرض عليه التوجُّه نحو العودة إلى بيته عسَاهُ يستريح ليجدّد نشاطه المعهود، وفجأةً إذا بالآلة العسكريّة تمارس جرائمها فترمِيه رميةَ غدر ومكر فتُرديه قتيلا في رمشة عين، لتتحوّل فسحة الأمل إلى مأساةٍ واقعيّة، فالمستعمر لا يُرضيه أن يرى البسمة على ثغور أبناء رعاياه من الأهالي، وهكذا تُغْتَالُ أحلامُ الطفولة بدمٍ باردٍ وفي رابعة النهار:

يقول الشاعر:

واشترى ما اشترى وطاف قليلا

بينــما هــو سائـرٌ إذْ رمـــاهُ

***

فبَكـاهُ الأطفـالُ من غير صبْـرِ

ودعــا كل واحــدٍ بِالْتِيَــاعِ(65) وانْثــنى مع بنِيـهِ يبْغـــي مقيـلاَ

مـــدفعٌ رشّـــاشٌ فخــرَّ قتِيـلاَ

***

وأكبُّـــوا عليْه الدمـــعَ يجْـري

يا أبي من رمَــاك رمْيَــةَ غـدْرٍ؟(66(

وهكذا لن ينفع تَرَجِّيهِم إيّاهُ أن يبقى بينهم فلا ينقطع حبل السعادة والودّ وسط العائلة ولكن! أنى للمستعمر أن يُعِير أدنى اهتمام لمعاناة أولئك الصِّبْيةِ أو لأمانيهم؟ فليس لهم إلا التسليم بموت والدهِم وحتميّة توديعه شهيدا ، حيثُ نهاية سعادتهم واستفحال ظلمة الشقاء عليهم:

يا أبي هَــلاّ أطلْتَ البقـــاءَ

وسعِدْنا بالعيشِ جنبًا لجنْبِ

مَـات أبِي الكريــمُ الهُمــامُ

وانتهى كلُّ ما لنـا من سُرور ورجعْـنا معًا لأمي مســاءَ

مثلمَــا كُنّا سابقًــا سُعَداءَ

وَخَبــا نـورهُ وسَادَ الظلامُ

فَـوداعًا أبي عليـكَ السلامُ(67(

ولكن نداءات التحريض ضد المستعمر والثورة عليه لم تزل تدغدغ آذان الشباب وتقرع مسامعهم، وهناك أمل يلوح في الأفُق رغم طول العناء، يدعو أولئك الفِتْيَة وأمثالهم إلى رفض الاستسلام للواقع المؤلم، وأن عليهم النهوضَ بأعباء التضحية ضد الطغاة وتحمُّلَ تكاليف صناعة النصر في مسيرةِ الفداء التي بدأها أجدادهم وآباؤهم وكتب قدر الله أن يواصلوها إلى نهايتها بأنفسهم، فجاء في معرض هذا قول الشاعر:

يـا فتيـة الوطـن الكـرام وجُنـدهُ

جدُّوا فإن الشعب يخـلعُ قيـــدهُ

هيّا اعملوا كي تخلُفوا أجـدادكـم هُبُّـــوا إلى العلْيــاء لا تتأخّـــرُوا

رغـم الطغـاة، وبالحقــوق سيظفرُ

في الكون، إنّ جدودكم ما قصّرُوا(68 (

الخاتمـــــــة:

لم تكن الثورة التحريرية الجزائرية رد فعل عشوائي على الاستعمار، لا تحسن إلا مُقارعته بلغة الحديد والنار التي يفهمها الاحتلال عبر الأزمان وفي كل الأراضي التي غزاها فنشر فيها آلة التدمير وزرع فيها أشواك الشقاء والبؤس، حيث تعشِّشُ مواخير اليأس والإحباط ويشيع التفسخ والتمزّق، بل كانت تلك الثورة تجيد استعمال القوة في مواضعها وتحسن التمرّد في مواعيده؛ ولكن في ذات الوقت قامت على المبادئ والقيم التي تزكيها الإنسانية وتمجّدها وترفع لها لواءات التقديس ورايات الإشادة. ومن ثمّ لم تكن حربُها عسكريّةً على جبهات القتال فحسب؛ بل كانت حربا على صعيد القيم والأخلاق التي تعترف بها الرسالات الإلهية والمواثيق الدولية.

وهذا ما حفل شعر الثورة التحريريّة بتدوينه ونقله في قوالب النظم والقوافي، ليُسجّل لهذه الثورة مورداً عامرا بأُسس احترام حقوق الإنسان من الحرّيّة والكرامة للفرد، والمساواة والعدالة ومحاربة العنصرية في مجتمعٍ ينبغي أن تحظى فيه المرأة والطفولة بما تستحقَّانة من الرعاية والعناية إسهامًا في نشر رسالة السلام والمحبّة بين البشرية جمعاء.

فكان الشعر المَعينَ الذي اختزن مستوى فكر المجتمع وتطلّعاته نحو تحقيق تلك المبادئ وترسيخها، وكانت الحرّيّة هي المدخل الأوّلي الذي منه يلج الفرد والمجتمع إلى عالم فكر السيادة الوطنية، لهذا جاءت الحرّية في شعر الثورة مرادفة لمعنى الاستقلال

الحقيقي، عندما يرفع الاحتلال يده عن البلد نهائيا ويتركه لأهله يقيمون دولتهم الحرّة ذات السيادة ضمن الأطر التي نص عليها بيان أول نوفمبر 1954م.

وهكذا جاء الشعر – إِذَنْ – محاربا للاستعباد والاستغلال، رافعا لواء استبدال كل التشكيل الاستعماري ومنظومته المادية والأدبيّة بدولة الاستقلال، وعلى درب أشواق الحرّيّة، كان شعر الثورة صارما في رفضه لكل صُوَر التمييز ومعاداته لأدنى أبجديات الطبقية وملامحها البسيطة منها والمعقّدة، والتي كرّسها المستعمر بترسانة من القوانين الجائرة – نظريًّا – وسعى إلى فرضها بسطوته الأمنية وجبروته العسكريّ – عمليًّا – ومن ثم جاءت تطلّعات الشعراء نحو دولة العدل والمساواة الضامنة للحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وحتى على صعيد التعدّديّة الدينيّة (69 .(

ورغم ويلات الحرب وما تفرضه من سلوكيات البطش والشدّة، إلا أن الشعر حفظ تمسُّك الجزائريين برسالة المحبة والسلام ليس لأنفسهم فحسْب؛ بل سعوا إلى تعميم ذلك على كافة الشعوب وفي مختلف أقطار الأرض، بدءًا بمحيطهم العربي والإسلامي ثم الإقليميّ والجهوي، انتهاءً إلى أن يعمّ السلم والأمن والوئام العالم كلّه.

وفي ركاب محاربة التهميش والتضليل الاستعماري من جهة، والتطلع إلى دولة الحرية والعدل والسلام من جهة أخرى، حظيت المرأة والطفولة بعناية متميّزة، اعترافا بما نالهما من صنوف العدوان والقهر والإذلال وما تحمّلتاه من ألوان التضحية وما أدَّيَتاه من واجب الدفاع عن حمى الوطن والدين وترسيخ القيم والمبادئ الإنسانيّة.

الهوامش:

- (1)باعتبار اللغة نظاما إشاريّا يحقق الوظائف المعرفية والتواصلية في عملية النشاط الإنساني، وبالتالي فهي شكل لوجود الفكر وشكل للتعبير عنه.. انظر: لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، الموسوعة الفلسفية، إشراف: م.روزنتال وي.يودين، ترجمة: سمير كرم، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، أكتوبر 1974، ص 410.

-(2)فثورة أول نوفمبر 1954م لم تنطلق من ذاتها كواقعة منفصلة عن تاريخ الحركة الوطنيّة منذ سنة 1830م، ولم تتنكّر جبهة التحرير الوطني للإرث التاريخي المتواصل عبر الأجيال، انظر: بلفردي جمال، ثورة أم حرب تحرير؟ جدلية تحديد المفهوم عند مؤرّخي الثورة" حربي – مينبي– إلسنهانس "، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعيّة، عدد(1) يونيو 2010، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، ص 233. ولهذا فقد لاحت تباشير التحرّر وبدأت إرهاصات الثورة على المستوى الفكري والتنظيري قبل انطلاقها في نوفمبر 1954، تذكيرا بأمجاد الماضي، وإشادة بالبطولات التاريخية للجزائريين على صعيد مقاومة الاحتلال ومن ذلك – على سبيل المثال – ما نشرته صحيفة البصائر بقلم عبد الوهاب بن منصور تحت عنوان "الثورة القومية الجزائرية قُبيْل ولادة الأمير عبد القادر بن محيي الدين"، انظر: البصائر، عدد: 268، الجمعة 20 شعبان 1373هـ/23 أفريل 1954م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 337.

-(3)فقد شغلت الثورة التحريرية بدورها أقلاما عربية كثيرة في مختلف فنون الأدب، فكانت مصدر وحي للشعراء والقصّاصين والمسرحيين والمؤلفين ..، انظر: نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص298–300.

-(4)يحياوي الطاهر، البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1983، ص 41 .

- (5)عبد المالك مرتاض، النص الأدبي.. من أين وإلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعيّة – الجزائر، 1982، ص 13.

- (6)انظر : الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسيّة، الجزائر، 1998، ص ص 7–11.

-(7)عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 1406هـ/1986م، ص 19.

-(8)صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2005، ص429 .

-(9)عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية (1931–1945)، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1981، ص 353 .

– (10)مفدي زكرياء، اللهب المقدّس، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973، ص 104 وأيضاً: محمد ناصر، مفدي زكرياء، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الرغاية، الجزائر، 1989، ص 47.

-(11)مصطفى بن الحاج بكير حمّودة، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، مؤسسة مفدي زكريّاء، الجزائر، 2003، ص 132.

-(12)محمد بن قاسم ناصر بوحجّام، دراسات عن الأدب الجزائري الحديث، نشر جمعيّة التراث، القرارة، الجزائر، 2011، ص 230.

-(13)جمال قنّان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 235 .

-(14)مصالي بن أحمد الحاج (1898–1974م) زعيم التيار الاستقلالي منذ تأسيسه لنجم شمال أفريقيا عام 1926 بفرنسا ثم حزب الشعب الجزائري سنة 1936،حيث نقل نشاطه إلى الجزائر في العام الموالي 1937، ليتحول إلى حركة الانتصار للحريات الديمقراطيّة سنة 1946، بعد الحرب العالمية الثانية، إلى أن= انشطرت الحركة عام 1953إلى تيار المصاليين وتيار المركزيين، هؤلاء الأخيرين الذين كانوا متحمسين لإعلان الثورة التي اندلعت تحت راية جبهة التحرير الوطني في:1 نوفمبر 1954م، انظر عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنيّة، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 2009، ص ص120، 121 .

(15) - André NOUSCHI, La Naissance Du Nationalisme Algérien, Les éditions de Minuit, 1962., P. 61.

- (16)محمد العيد آل خليفة، ديوان محمد العيد آل خليفة، ط3، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1992، ص ص 422–424.

-(17)أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ديوان شعر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995، ص 228.

-(18)الهادي درواز، الأناشيد الوطنيّة، المركز الوطني للدراسات في الدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998، ص 84 .

-(19)أبو القاسم خمار، من أناشيدنا الوطنيّة، (د ت ط) ص 78

-(20)محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1936 –1919))، ج2 ، ترجمة: أمحمد بن البار، ط 1، دار الأمة – الجزائر، 2008 ، ص 969 .

-(21)نور سلمان، الأدب الجزائري ..، مرجع سابق، ص 235 .

-(22)الصورة الشعرية مصطلح نقدي أدبي أولاها النقاد أهمية كبيرة باعتبار خصوصيّة وظيفتها في الخطاب الشعري منذ القدم، فهذا أرسطو يرى أن على الشاعر أن يتحكّم في صناعة الشعر، وأن يصوّر الأشياء كما يجب أن تكون، انظر مزيدا من التفصيل في: إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1979، ص 87 .

-(23)نوّارة ولد أحمد، شعريّة القصيدة الثورية في اللهب المقدّس، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص121 .

-(24)عبد الله الركيبي، قضايا عربيّة من الشعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص28 .

-(25)يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية، من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري ((1954– 1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص 120.

-(26)جمال قنان، ديوان بوشامة..، مرجع سابق، ص ص 201–202 .

-(27)مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج، تصدير عبد العزيز بو تفليقة، ترجمة: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيّة، الجزائر،2007، ص 12.

-(28)الأمير خالد بن الهاشمي بن الحاج عبد القادر الجزائري (1875–1936م) تخرج من المدرسة العسكرية الفرنسية، التي صُرِفَ منها عام 1913م ، ليقود المعركة السياسية بالجزائر بين 1920 و 1923حين أبعدته سلطات الاحتلال إلى فرنسا بعد انزعاجها من حركته، انظر: عبد الوهاب بن خليف، المرجع السابق، ص ص 110، 111 .

-(29)فرحات بن سعيد بن أحمد عباس (1899–1985م) صيدلي متخرج من جامعة الجزائر، تزعم النضال السياسي في إطار الاتجاه الإدماجي الليبرالي، ترأس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري منذ 1944م ، وكان أول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة سنة 1958م، انظر:

Benjamin STORA et Zakia DAOUD, FERHAT ABBAS une autre Algérie , CASBAH EDITIONS, 1995, Alger, P.21.

-(30)فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها (1) ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، دار الجزائر للكتب،.2011 ص 106.

-(31)الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ص 7–8 .

-(32)جمال قنان، ديوان بوشامة .. ، مرجع سابق، ص197 .

-(33)محمد العيد آل خليفة، ديوان الشاعر ، مرجع سابق، ص193 .

-(34)جمال قنان ديوان بوشامة..، المرجع السابق، ص 243 .

-(35)محمد العيد آل خليفة ، ديوان الشاعر ، مرجع سابق، ص 449.

-(36)المرجع نفسه، ذات الصفحة .

-(37)جمال قنان، ديوان بوشامة ..، مرجع سابق، ص 204.

-(38)صالح فركوس، مرجع سابق، ص 430.

-(39)أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، مرجع سابق، ص226 .

-(40)سورة الحشر، الآية: 23 .

-(41)سورة الأنفال، الآية: 61

-(42)أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، نفس الصفحة 226.

-(43)عبد الله الركيبي، مرجع سابق، ص 32.

- (44)محمد بن قاسم ناصر بوحجّام، مرجع سابق، ص208.

-(45)جمال قنان، ديوان بوشامة،..، مرجع سابق، ص 204 .

-(46)صالح فركوس، المرجع السابق، ص 431.

-(47)أبو القاسم سعد الله، ديوان النصر للجزائر، مرجع سابق، ص 35 .

-(48)أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسُه، ص 34 .

-(49)صالح فركوس، المرجع السابق، ص 432 .

– (50)سعيد أحمد باجانة، دراسة مقارنة حول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وموقف التشريع الإسلامي منها، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع 1985... ص18 .

- (51)محمد العيد آل خليفة ، ديوان الشاعر ، مرجع سابق، ص430 .

-(52)هو الشاعر محمد الصالح باويّة، انظر: نور سلمان، الأدب الجزائري ..، مرجع سابق، ص268 .

-(53)كتاب الأناشيد الوطنيّة، مرجع سابق، ص 88 .

-(54)محمد العيد آل خليفة ، المرجع السابق، نفس الصفحة.

- (55)المرجع نفسه، وذات الصفحة .

-(56)الشاعر من نواحي قسنطينة ولد عام 1904، قرأ على الشيخ ابن باديس ولازمه ثماني سنوات، حيث حصل على ثقافة أدبية ولغوية واسعة وبدأ نظم الشعر عبر المسابقات التي كان يعقدها الشيخ، له إنتاج معتبر ولكن لم يصدر له ديوان مطبوع، انظر : عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث،ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص 172.

-(57)المرجع نفسه، ص 126.

-(58)نفســـــهُ، ص 127 .

-(59)انظر..Benjamin STORA et Zakia DAOUD, Op- Cit, P.21 :

-(60)حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة – الجزائر، 2007، ص21.

-(61)مصالي الحاج، المذكرات، مرجع سابق، ص 21.

-(62)نور سلمان، الأدب الجزائري ..، مرجع سابق، ص 259 .

-(63)المرجع السابق، ونفس الصفحة .

-(64)جمال قنان، ديوان بوشامة..، مرجع سابق، ص 201.

-(65)بِالْتِيَاع: من اللوعة، أي: حُرقة القلب وحَسْرتُه.

-(66)المرجع السابق، ص 202.

-(67)المرجع نفسُه، ونفس الصفحة .

-(68)عبد الكريم العقّون، البصائر، عدد 155، الاثنين 8 شعبان 14/1370 ماي 1951م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 153 .

(69)– فقد كان فكر الحركة الوطنية والثورة التحريرية يتناول المرجعية الإسلامية ويعتمدها باعتبار الإسلام دين غالبية الجزائريين، لكن مع الاعتراف بالديانتين المسيحية واليهودية على أقلية أتباعهما، ويفرّق الجزائريون بين عدل الأديان والجوْر الذي قد يصدر من الأتباع، انظر مثلاً: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج3 (1929–1940) ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان 1997، ص ص 78، 79.

تاريخ الاستلام: 2015/12/07 -تاريخ التحكيم: 2016/02/26 -تاريخ النشر2016/06/28

الروابط الاقتصادية بين ضفتي الصحراء الكبرى ودور اليهود في النشاط التجاري أواخر العصر الوسيط

أ.عبد القادر كركار

جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Résumé:

Cette étude porte sur les relations et les liens économiques entre les deux rives de l'Afrique subsaharienne Comme un facteur vital pour les habitants des deux régions

d'abord par les corridors de commerce où l'ouest du Soudan a été relié à un réseau de routes Formé en raison de liens historiques en particulier dans le domaine économique Malgré les difficultés naturelles et les risques de sécurité

Puis les centres commerciaux les plus importants dans le Nord et leur homologue dans le sud, d où L'échange de marchandises

enfin les Juifs dans la Région de Touat est leur présence comme un moteur clé pour l activité commerciale qui les a fait jouer un rôle important en tant qu'intermédiaires

الملخص

تتطرق هذه الدراسة للعلاقات والروابط الاقتصادية بين طرفي الصحراء الافريقية الكبرى كعامل حيوي بالنسبة لسكان المنطقتين بدايتا بالطرق التجارية حيث كان السودان الغربي مرتبط بشبكة من الطرق التجارية تكونت نتيجة العلاقات التاريخية الوطيدة خاصة في المجال الاقتصادي رغم الصعوبات الطبيعية والأمنية ثم التطرق الى أهم المراكز التجارية في الشمال ونظيرتها في الجنوب حيث كان يتم تبادل السلع .

ثم تطرقت الى يهود منطقة توات بداية بظروف تواجدهم بإعتبارهم محرك أساسي لتجارة الصحراء ، و نشاطهم التجاري الذي جعلهم يلعبون دور مهم كوسطاء وهذا ما مكنهم من التحكم في كل هذه التجارة التي تعتبر مظهر إقتصادي حيوي للمنطقة

مقدمة

رغم شساعة الصحراء وما يميزها من صعوبة تضاريس ومناخ فقد قهرتها إرادة الانسان الذي إستقر في ربوعها وسلك دروبها بحثا عن تلبية حاجياته ونقل حاجيات جيرانه من خلال ممارسة التجارة والتي تعتبر أهم نشاط إقتصادي يتميز بالحركية والتفاعل والتواصل بين الشعوب ما يسهل عملية تبادل في مختلف أوجه الحياة، ومن هذا المنطلق نتابع مظاهر هذا النشاط في بقعة من الارض قد يتراى للناظر العادي أنه من الاستحالة تواصل سكانها فيما بينهم في ظل ظروف طبيعية ومناخية قاهرة، وهي أطراف الصحراء الافريقية الكبرى.

الطرق والمسالك التجارية

إرتبطت بلاد المغرب الاوسط الواقعة شمال الصحراء وإفريقيا جنوب الصحراء بشبكة من الطرق و المسالك المتعددة، تمتد من أقصى مناطق الشمال إلى أقاليم السودان الغربي تشكلت نتيجة علاقات تاريخية متينة خاصة في المجال الاقتصادي من أجل تلبية حاجيات كل منطقة وهو ما ساعد على إيجاد سبيل لتواصل فكري وثقافي وإجتماعي في إطار حضاري بين كل من بلاد المغرب الاوسط والسودان الغربي، وقد عرف النشاط التجاري والذي هو عماد هذه الحركية بعض التحول في وتيرته في العهد الحمادي حيث مر في فترات ببعض التغيرات فالحركة التجارية ضعفت شيئا ما مع دول السود بعد إستيلاء الدولة المرابطية في(غانا) على منابع الذهب ثم سيطرت على طريقه فحرمت المدن الحمادية من مورد من أهم مواردها وحياتها الاقتصادية ما حذى بأرباب التجارة الجزائريون إلى تولية وجههم شطر الاسواق الاروبية(1)

أما في عهد الدولة الزيانية فقد إسترجعت الحركية حيويتها وعادت التجارة رائجة فكان التجار يرسلون سلعهم من تلمسان ووهران إلى ماوراء الصحراء عن طريق سجلماسة كذي قبل، حيث تلتقي قوافلنا بقوافل المغرب الاقصى وتؤم جميعا تمبكتو وغانا، وقوافل أخرى تخرج من سجلماسة أيضا وتلتقي في طريقها بالقوافل الخارجة من الصويرة ووادي نون وتؤم موريتانيا و السينغال

والمالي وغانا وغينية (2) هذا قبل أن تتأثر من جديد وتتدهور بعد إزدهار التجارة البحرية نتيجة الكشوفات الجغرافية مما جعل بضاعة جنوب الصحراء تنتقل إلى المدن الساحلية بحرا عبر أروبا.

وقد كانت مدينة تيزيل جنوب تلمسان أول الصحراء ومنها تخرج القوافل إلى سجلماسة وورقلة، وهما بابا السودان (3) وأبرز هذه الطرق التي يمكن ذكرها بإيجاز نجد:

1.: طريق قسنطينة الى امقيد وتمبكتو: و يمر على بسكرة وتقرت و ورقلة، و أمقيد و أيفروان الى تومبكتو عبر الهقار والى شط بوروم (برنوح)، وله فرع إلى الشرق منه يبدأ من جنوب بسكرة، ويتجه إلى وادي سوف ومن هناك الى غدامس وغات ، وأقادم، و ماو وفرع آخر غربي من البيوض الى عين صالح و فرع ثالث الى غات (4) وهو الطريق الرئيسي للشرق الجزائري في إتجاه الجنوب.

2: طريق وهران و أرزيو الى تومبكتو : و يمر على خيثر و مشرية وعين الصفراء و فقيق و يتبع مجرى وادي زوزفانة إلى إيقلي حيث يلتقي بطريق فاس . تومبكتو، وله أيضا فرع آخر إلى شرق منه، مستقيم، يبدأ من الخيثر إلى البيض فالأبيض سيدي الشيخ و المنقب و توات، حيث يلتقي بطريق وهران و فاس و مكناس إلى تمبكتو.

3.: طريق مدينة الجزائر الى تومبكتو : و يمر على البليدة و بوغار والأغواط ووادي ميزاب و القليعة وعين صالح . أي الطريق الوطني رقم 1 الحالي . وأقابلي وبئر تيريشومين حيث يلتقي بطريق توات وتمبكتو، وله هو أيضا فرع آخر من عين صالح إلى بئر عيسو، و تنتيلوست، حيث يتفرع الى فرعين كذلك، فرع إلى أقادم، و ماو، شرق بحيرة تشاد، إلى أقادم، وكوكة جنوبها، وفرع إلى الجنوب الغربي نحو أغاديس حيث يتفرع هو الآخر إلى فرعين : فرع سوكوتو، وفرع
الى كاتسنا (5)

وعلاوة عن هذه الطرق التي تعتبر الاكثر شهرة فقد كان يوجد إلى جانبها طرق تنطلق من محطات تجارية هامة، فقد تميزت الجزائر بأقاليمها التجارية الهامة كمناطق عبور أي مايعرف في لغة التجارة بالترانزيت مثل ورقلة وتوات اللتين كانتا منطلقا لبعض الطرق الرابطة بين شمال الصحراء و جنوبها، فلقد سلكت القوافل التجارية ما بين حاضرة ورقلة وحواضر بلاد السودان الغربي عدة مسالك صحراوية من القرن الثاني الهجري . التاسع الميلادي إلى الثالث عشر الهجري . التاسع عشر الميلادي، أي على مدار أكثر من عشرة قرون من الزمن منها ما هو رئيسي ومنها ما هو ثانوي، ومن أهم المسالك المنطلقة منها :

– مسلك ورقلة تاد مكة . غاو : و يعد هذا المسلك من أقدم المسالك المؤدية إلى السودان الغربي

حيث ورد ذكره في كتاب طبقات المشائخ للدرجيني(6) وهو يمتد في خط مباشر جنوبا عبر الصحراء مسلك ورقلة . أغاديس: لقد كانت العلاقة التجارية بين المنطقتين متميزة وعريقة والمرور إلى

أغاديس يكون على نفس خط تاكدة أي ورقلة ثم غدامس و منها إلى غات ثم تاكدة و منها إلى أغاديس وهو يمر إلى الشرق من تاسيلي

: تخرج القوافل من ورقلة إلى مالي وتتجه نحو الجنوب الغربي حتى مسلك ورقلة . مالي

تصل الى عرق الطوارق، ومنه إلى مجرى وادي مائة إلى المنيعة، ومنها إلى عين صالح عبر تيدكيلت ثم تماساو، ومنها الى تيمياوين ثم تهرسال و منها إلى كيدال بالأراضي المالية، وتقطع هذه المسافة في مدة تقارب الشهر من الزمن .

وإلى جانب ورقلة نجد محطة أخرى هامة لعبت دورا في تجارة الصحراء وأخرجتها من العزلة بإعتبارها مركز تجمع القوافل وهي توات التي تبعد عن مدينة الجزائر مسيرة ثلاثون يوما إلى الجنوب(7) ومن أهم هذه الطرق نذكر:

توات . تنبوكتو: وينطلق من توات إلى حاسي حسدة، حاسي البوز،المالح، رقلة، بير ذهب، تنصر، صبطي، طرفية ندقوير، تليق، تاودسني، تمبكتو توات . غاو: ينطلق إلى مراقن عبرصحراء تنزروفت، حاسي باكتليس، تساليت، أقاهوك، أنافيف، تبنكورت، تنقارا وصولا إلى غاو(8)

بالإضافة هذا نجد طريق أخر ينطلق من محطة تجارية لا تقل شأنا عن ما سبق وهي محطة وادي سوف حيث نعد في هذا الصدد طريق وادي سوف . غات والذي يتجه مباشرة إلى غات، ومن غات تسير القافلة إلى تمبكتو أو إلى كانو ومركز إنطلاق أخر من تقرت الذي يمر إلى غدامس ومنه إلى غات ثم تومبكتو(9).

من خلال تتبع أهم الطرق والمسالك التجارية نرى أنها كانت تمر عبر أراضي قاحلة من أشد مناطق العالم حرارة تصل أحيانا 50 درجة مئوية تحت الظل، ومع ذالك قهرتها إرادة الانسان وعليه فمن الطبيعي أن الرحلات لم تكن تخلو من الصعوبات أو المخاطر التي تواجه القوافل في كثير من الأحيان، ويمكن تصنيف العراقيل والعقبات إلى مشاكل طبيعية كالتيه في الصحراء الذي قد يكون سببا في هلاك القافلة كلها أو بعض أفرادها إذا ما ابتعدوا عنها فإذا ضلت القافلة الطريق لأي سبب كان كعدم وجود أدلة ذوي خبرة كافية بدروب الصحراء أوبفعل الزوابع والعواصف الرملية التي قد تخفي معالم الطريق، أو الهروب من قطاع الطرق، فحينها قد تكون النتيجة الهلاك المحتم خاصة في ظل تباعد أوقات مرور القوافل على مناطق معينة .

كما أن نفاذ مخزون المياه من القافلة مع إفتقاد آبار في الطريق يجعلها مهددة بالموت عطشا خاصتا في ظل صعوبة المناخ المتميز بالمدى الحراري الكبير والذي يؤثر بدوره على مواقيت سير القافلة من حط وترحال لتجنب التأثيرات القاسية، هذا إلى جانب ما قد تتعرض له القوافل من خطر هجمات الحيوانات المفترسة كالسباع و الافاعي حيث أنها تمر عبر تضاريس متنوعة في أرض موحشة

أما النوع الثاني من المخاطر فهي بشرية كالصعوبات الأمنية حيث أنه ولشساعة الصحراء لم يتمكن أي نظام لأي دولة من الدول التي قامت على أطرافها من فرض سيطرته ورقابته على أقاليمها و شعوبها، مما جعل المنطقة كلها تشهد كرا وفر بين قبائل عربية و بربرية للسيطرة على طرق وأقاليم معينة(10) وهو ما ساعد على تشكل عصابات اللصوص و قطاع الطرق التي يتزعمها سكان الصحراء من قبائل التوارق و البدو الرحل وهذا في ظل شح مصادر العيش لهذه العينة من سكان المنطقة وهو ما يفرض تسليح القافلة لتدافع عن نفسها وتزويدها بمحاربين أقوياء من انتماءات قبلية متنوعة وإلزام القبائل التي تستفيد من ضريبة المرور التي كانت تدفعها القوافل بضرورة حماية القافلة وتشكيل ما يشبه شرطة إستعلامات مسبقة، تتكفل بإبلاغ القافلة مسبقا بتحركات العصابات حتى تحتاط لنفسها، موازاة مع إتخاذ أدلاء أوفياء عارفين بمسالك الطرق ومواطن العصابات وهوية أفرادها وانتماءاتهم القبلية وأماكن وجود المياه والطرق الصحيحة(11) لتجنب مختلف المخاطر و المفاجأت الغير سارة.

الأسواق التجارية

تعتبر مراكز الاستقرار على أطراف الصحراء في الواحات والوديان النواة الاولى لبدأ قيام المراكز التجارية، وكان التبادل التجاري في بدايته بشكل بسيط، بين السكان والبدو الرحل لسد متطلباتهم التي يحتاجون إليها وقد تشكلت مراكز تجارية تمثل أسواق كبرى تمون ما حولها من قرى وواحات تعدت أهميتها من المحلية إلى الجهوية والإقليمية ومن أشهر وأهم هذه الأسواق التي تحولت إلى مراكز تجارية لابديل عنها يمكن ذكر :

ورقلة : و تسمى أيضا ورجلان وأيضا وركلان وهي تعتبر البوابة الشرقية لواحات الجزائر، وقد اكتسبت شهرتها الكبيرة كونها المركز الأول للتجارة في المنطقة ومعبر أهم القوافل، ويصف إبن سعيد المغربي مدينة واركلان التي ويصنفها ضمن الجزء الثاني من الاقليم الثالث المتضمن الصحاري المقفرة أنها بلاد نخل وعبيد ... والسفر منها إلى بلاد الصحراء كثير (12)

كما ذكرها الحسن بن محمد الوزان الذي وصف سكان ورقلة في القرن العاشر الهجري . السادس عشر الميلادي بالأغنياء جدا لأنهم في اتصال مع مملكة أغاديس(13) وهي منطقة هامة أخرى سنذكرها، كما تذكر المصادر أن المنطقة أصابها بعض الخمول لظروف تاريخية غير أنه وبعد ثورة إبن غانية إستعادت نشاطها حوالي 1353 م حسب إبن خلدون الذي يصفها بباب الصحراء التي يجب مرور المسافرين الذين يريدون التوجه للسودان ويتحدث عن التجارة الكبيرة الذي يتمركز مع تاكدة المدينة الهامة في إفريقيا الوسطى(14) كما أن بضاعة شمال الصحراء جد رائجة هناك و غالية الثمن بإعتبارها منطقة تماس بين نمطين من الانتاج

وكان لأهلها الدور الريادي في قيادة قوافل التجارة إلى بلاد السودان، منذ زمن إمبراطورية غانة الوثنية و قال عنها الوازن إنها مدينة أزلية بناها النوميديون، سكانها أثرياء و ذلك لإتصالهم بأقادس و بضائعها تنقل إلى بلاد السودان و ونقارة مقابل التبر، الذي تسك منه الدراهم و الدنانير.

التوات : وهي منطقة واسعة تظم قواسم مشتركة بين فروعها التي تتفرع إلى ثلاث مناطق رئيسية وهي قورارة وعاصمتها تيميمون وتوات الوسطى وعاصمتها تمنطيط ثم أدرار في القرن 13 هـ وتيدكلت وعاصمتها عين صالح(15) وسط الصحراء الكبرى و تعتبر توات عموما مركزا هام، وسط الصحراء جعلها حلقة وصل بين الشمال الإفريقي وبين السودان الغربي، حيث عملت على تزويد التجار بما يلزمهم من غذاء وماء وغالبا ما يقوم تجار السودان و تجار الشمال الإفريقي بعرض بضاعتهم بها(16) وهدا راجع لرواج المنتجات من كلا ضفتي الصحراء و بهذا أصبحت توات ملتقى مهم لعدد كبير من القوافل التجارية

وادي سوف : مدينة الوادي هي عاصمة منطقة سوف وأكبر مدنها عرفت كأكبر سوق يؤمه التجار من مختلف مناطق الصحراء ما جعل سوقها يزدهر ويصبح منطلق القوافل التجارية والنجوع .

وادي ريغ : وقد كانت مركز موازي لوادي سوف إلى الغرب منه فعلى طول وادي ريغ امتدت مجموعة من الواحات مثلت مراكز تجارية تفاوتت أهميتها وقد أجمع المؤرخون على أن تقرت و تماسين تعتبر من أهم النقاط التجارية منذ الفترة الرومانية إذ كانت تربط قصور الجنوب و بلاد السودان بالشرق الجزائري إلى جانب جامعة التي إستمدت إسمها من تجمع القوافل فيها حسب البعض.

أما مراكز جنوب الصحراء من الضفة الاخرى فتميزت بأسواق بعضها ثابت على مدار السنة، وبعضها موسمي والبعض الآخر ليس له موعد محدد فكلما دخلت قوافل شمال الصحراء تقام السوق، وعادتا عندما تقترب القوافل من هذه الأسواق و تصبح على بعد يومين أو ثلاثة أيام يرسلون من يعلن اقتراب وصولها حتى يحضر السوق ويتهيأ التجار للبيع و الشراء، وهناك بعض السماسرة من يقصدون القافلة قبل دخولها إلى السوق ويشترون البضاعة لغرض المضاربة و الاحتكار(22) وهذا بالنظر إلى العائدات الهامة التي يتم جنيها من وراء ذالك حيث الربح المضمون ودون مشقة

سوق أغاديس تعني كلمة أغادس باللغة المحلية الزيارة وهي تعد من أهم المدن النيجرية تأسست كمملكة في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي في موقع استراتيجي هام بين الصحراء و الساحل الإفريقي، على مفترق طرق القوافل التجارية القادمة من الشمال بنيت بالمواد المحلية و سورت بسور خارجي، تبعد عن العاصمة نيامي بحوالي تسعمائة كيلو متر إلى الشمال شرقي، وقد كانت من الأسواق الكبرى التي يتردد عليها تجار ورقلة (17) .

ويذكر الحسن الوازن في ذالك أن رفاهية و غناء أهل ورقلة، مرده التجارة مع مملكة أغاديس، و ذلك في القرن السادس عشر الميلادي كما كانت مقصد تجار مصر و غدامس و فزان، و من أهم بضاعتها البخور و الذهب و العلك(18)

سوق غانة : تقع غانة في الجهة الغربية من إفريقيا جنوب الصحراء، و قد اعتمدت في اقتصادها على التجارة الداخلية و الخارجية وعلى رأسها تجارة الذهب بسبب إمتلاكها لمناجم عدة من الذهب، وكانت سوقها من أكبر أسواق السودان الغربي، يتردد عليها تجار شمال الصحراء و من جملتهم تجار ورقلة منذ القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، (19)، وتتم عملية بيع بضاعة شمال الصحراء و شراء بدلا منها التبر والعبيد و بعض الصناعات التقليدية المحلية في سوق غانة والأسواق المجاورة لها.

و قد كانت هذه السوق جد منظمة و محكمة، وعرفت نظام المكوس حيث كانت تقبض على كل حمل بعير داخل للسوق دينارا أو دينارين على كل حمل يخرج من السوق و من أهم بضائعها الذهب والعبيد(20)

سوق تومبكتو : وهي سوق عريقة تعتبر مقصد العديد من القوافل من مختلف الجهات ومرجع لأسعار السلع المتداولة برزت في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي من طرف عناصر من طوارق الازواد، من نقطة التقاء للقوافل و بئر للسقي إلى مدينة كبرى، و منذ تأسيسها انطلقت كسوق تجاري يلتقي فيه تجار الشمال مع الجنوب، واشتهرت كذلك إلى كونها مدينة اقتصادية

حاضرة علمية، و بقيت سوقا عامرة، بها العديد من الدكاكين المتخصصة، و يقصدها تجار الشمال، وتدر أموالا كثيرة للدولة من مداخيل الضرائب التي كانت تفرض على التجار والقوافل الوافدة إليها من مختلف مناطق الصحراء حيث كانت مقصد مفضل لقوافل الشمال.

سوق غاو: وتقع شرق باماكوا وجنوب تاد مكة على منعطف نهر النيجر، وقد عرفت عبر تاريخها الطويل بعدة أسماء منها جوجو وكوكو و كاغو، وأصبحت العاصمة السياسية لمملكة سنغاي على عهد الأسيقيين(21) ، وقد عرفت تمدنا كبيرا و كثافة سكانية مرتفة عن ماجاورها وهذه الخصائص والمميزات جعلتها عاصمة اقتصادية من الطراز الأول، حيث سيطرت على التجارة النهرية و البرية في المنطقة، وقد كان بها سوق كبيرة عامرة بالدكاكين التي يملكها تجار من مختلف الأجناس والأجنحة التجارية المتخصصة في بيع مختلف البضائع بما فيها الرقيق الذي كان رائج في أسواق النخاسة

سوق تاد مكة : تقع إلى الشمال الشرقي من غاو قال عنها الرحالة البكري: " تاد مكة أشبه بلاد الدنيا بمكة و معنى تاد مكة هي مكة وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهي أحسن بناء من مدينة غانة(22) وقد كانت محطة هامة في طريق القوافل حيث تقام فبها سوق كبيرة كلما حلت بها القوافل الوافدة من شمال الصحراء، لكونها تقع في مفترق الطرق المؤدية إلى أسواق مجاورة، ومنها توزع السلع والبضائع على الاسواق المحلية(23) على إعتبار أنها كانت أيضا مقصد للعديد من القوافل .

السلع المتبادلة

عرفت تجارة جنوب الصحراء حركية وحيوية في العهد الزياني مثلما أسلفنا سابقا وقد إزدهرت و إنتظمت وأول شركة صحراوية عرفناها كانت شركة المقريين الذين إستوطن جدهم عبد الرحمان بن أبي بكر صاحب أبي مدين مدينة تلمسان ، فقد نقل لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة عن شيخه أبي عبد الله المقري أنه كان لجده أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمان أربعة إخوة إشتركو في التجارة ومهدوا طريق الصحراء بحفر الابار وتأمين التجار وإتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير، وكان أبو بكر ومحمد بتلمسان وعبد الرحمان بسجلماسة وعبد الواحد وعلي بإيوالاتن الواقعة في الشمال الغربي لتنبكتو على بعد 400 ميل، فكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع وذاك يرسل له بالجلد والعاج والموز والتبر، والسجلماسي بينهما كلسان الميزان يعرفهما بقدر الرجحان ويكاتبهما بأحوال التجار والبلدان فإتسعت أموالهم وعظم شأنهم (24)

وقد كان من الطبيعي أن السلع التي تصدر للسودان هي تلك التي تفتقدها هذه البلاد لظروف طبيعية أو حضارية تعوق إنتاجها محليا وعليه كان التجار يختارون البضاعة المصدرة من السلع الغير معرضة للتلف أثناء الشحن المطلوبة بكثرة والنادرة في تلك البلاد ومن ضمن هذه البضاعة :

– **التمور** : و كانت من الأحمال الكبيرة التي تصدر إنطلاقا من الواحات الصحراوية العديدة وعلى رأسها واحات تقرت ورقلة وتوات(25) حيث أن منتوج التمور كان قليل في جنوب الصحراء وينعدم في شمالها

– **الملح** : يتم إستخراجه من الشطوط المنتشرة في تخوم الصحراء كشط حمراية، الحضنة، مروانة، ملغيغ وغيرها، وقد كانت مادة الملح نادرة في الصحراء(26) فهو ذا أهمية في الحياة اليومية لسكان الصحراء حيث يدخل في مجالات كثيرة كالطهي ودباغة الجلود وفي تجفيف اللحوم، وعلى هذا الأساس فهي مادة مطلوبة جدا وغالية الثمن وصلت في بعض أسواق السودان إلى وزنها ذهبا، (27) ويتم مقايضتها بالمواد النفيسة حيث كان ثمن العبد الواحد قطعة ملح لا تزيد عن حجم رجله

الابل : علاوة على كون الجمال سفن الصحراء و وسيلة نقل هامة فهي تعد أيضا بضاعة في حد ذاتها خاصة المهاري التي تنقل خصيصا لبلاد السودان لغرض بيعها، ورغم أن ثمنها غير مرتفع بالمقارنة مع البغال والأحصنة لكنه يتاجر بها لكونها لا تكلف التاجر شيئا، فالمهري يمشي دون شحن و يأكل من أعشاب الأرض، وحتى إذا أصابه مرض ينحر و يؤكل أثناء الرحلة(28) وبذالك فالاستفادة مزدوجة والربح في كلتا الحالتين وارد.

– المنسوجات : و ذلك لتوفر المادة الأولية في عملية النسيج من صوف الأغنام ووبر الجمال وشعر الماعز، ومن أهمها العباءات الصوفية والبرانس الوبرية والحنابل والأغطية وبعض الألبسة البسيطة والخفيفة المصنوعة من الصوف والقطن والخيام المنسوجة من وبر الجمال وشعر الماعز و الطاقيات، وأقمشة صوفية غير مصنعة تباع في أسواق السودان(29) إلى جانب المنسوجات القطنية التي تدخل في صناعة الألبسة وهو ما يفتقد في جنوب الصحراء.

. ريش النعام : كان النعام موجودا بعدد كبير بالضفة الشمالية خاصة بالسهوب والاطلس الصحراوي، يصطاده السكان لغرض الاستفادة من لحمه و شحمه طازجا و مجففا، أما ريشه الكبير فيجمع على شكل رزم و ينقل إلى السودان، أين يقبل عليه التجار المحليون لشرائه لكونه يستعمل خاصتا لصنع تيجان توضع على الرؤوس في المناسبات وأثناء الرقص التقليدي، كما تصنع منه مراوح ومظلات و بعض الأنواع من السجاد، ويعلق على مداخل المنازل تعبيرا على الترف و الجاه(30) وإستعمالات أخرى لبعض الطقوس المحلية.

. منتجات صناعية: منها الأدوات الحديدية ذات الاستعمال الواسع، والتي لم يكن بالامكان صناعتها جنوب الصحراء لأنها تتطلب مهارة حرفية وإمكانات لصهر وطرق المعدن فقد كان يصنع معظمها محليا من قبل الحدادين والصناع التقليديين كالسكاكين، السيوف، أقفال المنازل، الألجمة الخاصة بالدواب ، الفؤوس والمعاول، المناجل،السروج، والدروع، الخوذات، السهام، الأقواس، النشاب(31) وتنقل إلى الجنوب حيث تلقى الرواج .

. **الحبوب والثمار** : وهي البضائع المطلوبة جنوب الصحراء بسبب الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة وعموما هي من الأنواع التي لا تتعفن في الطريق مثل البقول، التين المجفف، الشاي والسكر، الزبيب، والقمح عند طلبه لكونه ثقيلا و نقله صعب أما عن الزيوت فأجودها ما يعصر في نواحي بسكرة وجبال الأوراس غير أنها لا تنتج إلا بكميات قليله ولذلك كان تجار وادي سوف يستوردون كميات أخرى من بلاد الجريد يحملونها معهم إلى مختلف الأسواق. تستورد أسواق المغرب الاوسط من السودان الغربي ما ندر في الشمال وعلى رأس البضاعة نجد:

الذهب : ويعد أهم بضاعة تصدر إلى حواضر شمال الصحراء كتوات ورقلة من القرن الرابع الهجري و العاشر الميلادي إلى غاية القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي ويعد مصدر ثروة لتجار الشمال قبل أن تستكشف طرق التجارة البحرية من طرف البرتغاليين والاسبان يقول البكري :" إن حوالي مدينة كوغة معادن التبر كثيرٌ و هي أكثر بلاد السودان ذهبا(32)

العبيد : وهي من خصوصيات تجارة جنوب الصحراء وكانت لها أسواق خاصة في مختلف المدن السودانية و أكبر سوق لها كان في غانة حيث يجلب إليه العبيد من مختلف الجهات، وهم أسرى الحروب والغارات التي تقع بين القبائل الزنجية، أو يباعون من طرف أوليائهم بسبب الفقر، وكان العبد يباع أحيانا بكمية من الملح لا تتجاوز 1كغ وبعد شرائهم ينقلون من إفريقيا جنوب الصحراء إلى شمالها(33) وذالك سيرا طول المسافة الفاصلة بين المنطقتين إختبار لقدرة التحمل فقد كان يشترى العبيد الاقوياء الذين لديهم قدرة على التحمل لإستعمالهم في مختلف الاشغال لدى مالكيهم الجدد.

الجلود : وهي جد مطلوبة في الأسواق المحلية لكونها تدخل في صناعات عديدة كصناعة قرب الماء والنعال والأحذية ومحافظ النقود والسروج وتغلف بها أغماد السيوف و السكاكين، وأكياس تدعى المزود وتجلب منها أنواع عديدة منها جلود الغنم وجلود الإبل والبقر والماعز المدبوغة وجلود الحيوانات المفترسة من النمور والأسود وجلود الأفاعي(34)

العاج : ويباع في مدينة كانو لجميع التجار الأجانب و مادة العاج تصنع منها مقابض السيوف والسكاكين وبعض التحف الثمينة، وقد كانت كالحلي مطلوبة أكثر لدى الطبقات الميسورة .

التوابل: كالفلفل الأكحل، الزنجبيل والقرفة وهي غالية الثمن ورغم ذلك يقبل عليها التجار لكونها مطلوبة جدا ومفضلة في الأسواق المحلية، وهي من المواد التي قد يعاد بيعها لأسواق أخرى خاصة ماوراء البحر.

الماشية : يستورد تجار بعض المواشي الملائمة للحياة في الصحراء لكنهم يبيعونها في الحواضر التي تقع على خط القوافل خاصة في منطقة عين صالح و توات و من النادر جدا أن تصل منها شاة الى الشمال، وهذا لوفرة قطعان الماشية في الشمال كما أن الأغنام من نوع سيدوان التي يربيها الطوارق خاصة هي أضعف من حيث النوعية عن بقية سلالات الاغنام في السهوب .

بضائع مختلفة : يتم إستيراد أنواع أخرى من السلع والبضائع تلقى الرواج في الشمال منها بيض النعام، النحاس، الشب، اللحم المجفف، الفول السوداني، الحناء، الصمغ، والعسل والسمن وأنواع عديدة من البخورو الحلي والاعشاب الطبية...الخ

التواجد اليهودي في الصحراء

يعود الوجود اليهودي في شمال إفريقيا إلى التاريخ القديم سواء بالهجرات أو بإنتشار الديانة اليهودية في بلاد المغرب ونفذت إلى داخل القبائل البربرية دونما صعوبة دون الحاجة إلى عملية دعوة أو تبشير(35)،(36) وهذا راجع إلى الاستعداد الفطري لسكان المنطقة لتقبل فكرة التوحيد في الدين كما مثل اليهود القدماء في البلاد اليهود الأصليين الذين أصبحو يعرفون بالعبرية بإسم التوشابيم Tochabim

وبدخول الفتح الإسلامي مع جيوش حسان بن نعمان الأوراس أشير له بأكبر أمرائها الكاهنة والتي قيل أنها يهودية (37) زعيمة قبيلة جراوة إحدى أكبر قبائل الاوراس، ثم كان الزحف الهلالي والذي جلب معه أعداد من اليهود وخلال محنة الأندلس وفدت على البلاد هجرات ضمت عدد (39)Megorachim هام من اليهود الأندلسيين عرفوا بإسم الميغوراشيم(38)

وإن تركزت تجمعات يهودية في الشمال الافريقي وتأثرت بالاحداث التاريخية فقد توغل عدد منهم في الصحراء بسبب الإضطهاد الديني الذي تعرضوا له في العهد الروماني فكانت حياتهم في واحات الجنوب أكثر إستقرار لبعدها عن الإضطرابات والمعارك والكوارث الطبيعية مما ساعد على نوع من الإستقرار الديمغرافي فالصحراء في كل الحالات تمثل ملجئ أمن لكل هارب من أي إضطهاد مثلما كان الامر للإباضيين بعد سقوط الدولة الرستمية وعليه شكل اليهود في الصحراء بين جيرانهم العرب والبربر مجتمع قائم بذاته له خصائصه ومميزاته من حيث الشبه المورفولوجي أواللغوي متضامن بين أفراده الذين يرون في ذالك الشعور بالتمايز سبب ضعفهم وقوتهم في أن واحد والإنعزال سر بقائهم حيث أصبح بالنسبة لهم نمط حياة لاغنى عنه و جزء من تقاليدهم. ومايزيد في تميزهم هو روح التضامن والتجمع والإنغلاق على الذات، متمسكين بالرموز الدينية التي تمثل علامات هويتهم والتي تميزهم عن غيرهم مهما كان التقارب بينهم وبين الشعوب التي يعيشون معها وهذا نابع من التعاليم الدينية حيث نجد في هدا الصدد الكثير من الأيات في التوراة تحث اليهود على الإلتزام بالوصايا والإمتثال لها (سفر تثنية الإشتراع الأصحاح 8 و11) من أجل مواجهة الأخر أو الأغيار حسب المصطلح التوراتي أي الغوييم بالعبرية، ورغم أن السكن في الحارات لم يكن إجباري غير أن الأغلبية الساحقة بقيت متمسكة بشدة وعناد بالبقاء في الحارة منغلقة على نفسها بعيدة عن أعين الفضوليين وعن مخاطر إطلاع الغير على أسرارها وحساباتها. (40) وهذا ما كان يثير الاخرين ضدهم في بعض الحالات، وفي المقابل شعور بالتوجس من طرف اليهود ضد الاخرين.

فحسب اليهود كل الأمم التي يعيشون بينها تحقد عليهم وتكرههم بالسر والعلن، وإزاء ذالك أصبح التقوقع الطبيعة الملائمة لليهود وأصبحت المشاركة الفعالة في المجتمعات التي يعيشون فيها أمر يصل حد الإستحالة، والشك في الأخر يصبح بذالك سلوك وقائي في هذه الحالة إذا ما تعمقنا في جوهر الذهنية اليهودية، كما أن الانتقام منه يكون من خلال إستغلاله وإمتصاص دمه بالربا أوالتجارة فيما ينتجه والربح من وراء ذالك.

وعليه فمن الطبيعي على طول الإضطهاد لأسباب سبق ذكرها أن مثل هذا التعامل خلف أثر على نفسية الطائفة اليهودية للجزائر؛ فمن جهة يلاحظ إنحطاط أخلاق الشعب كما كان يلاحظه الآباء لدى الأرقاء المسيحيين ، .كإستعمال أساليب الخداع الخيانة الكذب السرقة التجسس . ومن جهة أخرى نفس هذه الطائفة إضطرت لإستغلال كل صفات الذكاء والمبادرة

لتعيش ، لكن النجاح نفسه سبب كوارث في كل مرة حيث الوضع مستقر جدا يندلع رد فعل مسلم(عنيف) يزيد المعاناة والكل الى الإعادة من جديد (41)، في شكل حلقة من الاحداث متتالية.

وعموما تشير المصادر إلى أنهم تحت حكم الأمراء المسلمين كان وضعهم أحسن مما كان عليه في أروبا، فهم فلم يكونوا ضحايا إلا في إستثناءات نادرة فلا إضطهاد ولا معاملة خاصة و يستطيعون التنقل بكل أمان دون الخوف من أفعال عنف أوقمع (42) إلا في حالات نادرة لعوامل تاريخية نتيجة أحداث إستثنائية وتراكمات من ممارسات وسلوكلت سلبية، فهم على العموم كانوا يعيشون كالمسلمين يتمتعون بالصداقة والحميمية من الجموع، إلى جانب إحترام الحكام، ومستقرين في حاراتهم أو الغيتو أو مختلطين بالمسلمين(43)، بقدر ما تسمح به ديانتهم كما أسلفا الذكر

وقد إنتشروا في ربوع الصحراء في مناطق شاسعة حيثما كانت التجارة والثروة كان اليهود ومن بين هذه المناطق نجد منطقة توات التي عرفت ثلاث هجرات رئيسية، انطلقت الاولى من ليبيا باتجاه توات في القرن الثاني الميلادي، والثانية كانت في القرن السادس الميلادي، من الموصل ثم انضمت إليها جالية من يهود خيبر في صحراء ليبيا ومصر والاخيرة انطلقت في القرن السابع الميلادي من الأندلس إلى الغرب، لتصل إلى توات في القرن العاشر الميلادي (44) وإن كانت أقل تأثير بإعتبار أن يهود الميغورشيم إستقروا بالمدن الشمالية الشبيهة بالبيئة الاندلسية كتلمسان، وهران، البليدة، الجزائر، قسنطينة وعنابة، ومن توات إنتشر اليهود بوادي ميزاب الدي عرف قدوم عائلات يهودية هاجرت من تمنطيط بتوات بسبب خراب البيعة التي هدمها الشيخ المغيلي، وإنظم إليهم يهود آخرون قدموا من مختلف أقطار المغرب، وقد إشتغل يهود ميزاب بحرفة صناعة الحلى و صناعة الأواني المعدنية وقد منع الميزابيون اليهود من ممارسة التجارة (45) لأنهم رأوا فيهم منافس خطير وهم الذين إنعزلوا في واديهم وإحترفوا التجارة بحكم وجود المنطقة على طريق القوافل لا يمكن أن يسمحوا لأي طرف أن ينافسهم في مصدر رزقهم .

كما إنتشروا في وادي ريغ نظرا لوقوعها في شبكة الطرق التجارية بين بيسكرة و ورجلان وكانت لهم علاقات إقتصادية مع غيرهم من اليهود المحيطين بالمنطقة لتقارب نمط المعيشة والظروف المتشابهة بين أفراد الطائفة في كلتا المنطقتين

وفي وادي سوف عرفت المنطقة منذ الفتح الإسلامي هجرات يهودية، وذلك لما للمنطقة من أهمية تجارية فقد تعاملوا مع السكان بنشاطهم الحرفي من خلال بعض الصناعات التي إشتهروا بها في كل المدن التي تواجدو بها، وفرضوا وجودهم التجاري في المدينة حيث لا تزال إلى اليوم مناطق تشهد على وجودهم الغابر كحي الملاح أو رحبة اليهود بسوق المدينة، أما بورقلة فلأهميتها الاقتصادية السالفة الذكر فقد كان اليهود جزءا من النسيج الإجتماعي للمدينة، فكانوا أرباب مال وتجارة وعلى علاقات ببقية اليهود الاخرين .

كما سجلت إفريقيا جنوب الصحراء في مدنها التجارية حضورا للعنصر اليهودي الذي كان يشكل نسبة هامة من السكان المقيمين بها كمالي والنيجر وأبرزها تونبوكتو وتمكن اليهود من السيطرة المتزايدة في الحركة الإقتصادية بها، بسبب خلو المجال أمامهم وضعف المنافسة من طرف السكان الزنوج.

لقد استفاد اليهود من عدة مميزات مكنتهم من احتلال الصدارة في التجارة الصحراوية، وإن أثار عليهم ذالك نقمة بعض الحكام في بعض الفترات كملك تنبوكتو الذي كان معادي لليهود ومنعهم من مملكته وكان إذا علم أن تاجرا من بلاد البربر يخالطهم أو يتاجر معهم صادر أمواله (46) وهذا بفعل ما كانوا يرتكبونه من مخالفات وتأثير دعوات الحد من نفوذهم المتزايد في بعض مناطق الصحراء حيث لم يعد للمسلمين سوى السلطة الاسمية كما بلغ النفوذ اليهودي ذروته مع نهاية القرن 15 م فكان من الطبيعي أمام هدا التجاوز اليهودي الخطير أن لا يمر وقت طويل لتتفجر ردود فعل المسلمين(59) كإستفاقه ومحاولة لإرجاع الاوضاع إلى نصابها وتصحيح العلاقة التي يجب أن تكون بين المسلم والذمي حسب ما يقتضيه عهد الذمة. والتي سبق وأن حددها الإسلام لأهل الذمة من خلال ما هو موجود في الفقه الإسلامي، وبهذه التصرفات خرق اليهود كل العهود والمواثيق.

نشاط اليهود وثورة الشيخ المغيلي عليهم:

من الناحية الإقتصادية فلقد برع يهود على غرار كل اليهود في إي مكان من العالم في ميدان التجارة حيث تعتلي هده الحرفة منصة المهن التي إشتغل بها اليهود وكان الشتات الدياسبورا (47) من أهم الأسباب التي أدت إلى تفضيلهم هذه المهنة على غيرها؛ ذالك أنهم ليس لهم وطن يأمنون إليه ومن ثم حرصوا على أن تكون أموالهم سائلة، كما كان من الشائع لديهم أن يتركوا أبنائهم لدى إحدى الوكالات التجارية الكبيرة يتعلمون فيها أصول التجارة (48) لذلك بدأ يظهر وينتشر نظام الوكالات التجارية والتي من خلالها إزداد نفوذهم في البلاد، وبإعتبار مناطق الصحراء معبر لأهم البضائع بين الشمال والجنوب وبالتالي فهي واسطة بين منطقتين تختلفان في كل شيئ فلا يوجد من هو أبرع في لعب دور الوساطة من اليهود أتفسهم فهم يحسنون لعب دور الوسيط وهذا ما أثبتته الوقائع التاريخية عبر الزمن، وقد إستمر الامر حتى إذا ما حل الاتراك العثمانيون في الجزائر في وقت لاحق أوكلوا لهم كل مقاليد التجارة الخارجية التي أصبحت حكرا عليهم.

وقد تحصلوا على ثروات ضخمة نتيجة ممارسة السمسرة والمراباة، والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية مهما كانت بسيطة أو تافهة، فاليهودي عموما يبيع كل ما هو ممكن بيعه وبذالك كانت حارات اليهود أهم المراكز التجارية، ناهيك على أنهم أصبحوا خبراء المسالك وأنواع البضائع المتداولة في الجزائر وإفريقيا مع أروبا.(49) وبقية الوجهات التجارية وعبر كل الحقب التاريخية، وبهذا الخصوص فقد كان اليهود عنصر فعال لتجارة توات، فتواجد الجالية اليهودية الغنية والكبيرة بها جعلها تحتكر التجارة، وصياغة وسك النقود، ولعبوا أدوار مهمة كوسطاء، جعلت الطائفة اليهودية طاغية بمالها وثرائها الفاحش الذي اكتسبته بالربا، و نمته بالتجارة الغير مشروعة، عن طريق استغلال الضعفاء. وقد إستغل يهود توات أموالهم و ثراءهم فتحكموا في القادة السياسيين وتسلطوا عليهم، وأخضعوهم لإراداتهم و لخدمة مصالحهم الخاصة، وقد تلاقت مصالح التجار اليهود مع مصالح بعض زعماء القبائل والامراء في تمنطيط وقد أدى تلاقي المصالح هذا إلى السماح لليهود

ببناء وتشييد بيعة كبيرة لهم تجاوزت كل الحدود في ضخامتها تشبيها بهيكل سليمان، كما بنوا بيعا أخرى في واحات توات الأخرى التي يتواجدون فيها، وهذا ما مثل مخالفة للشريعة الإسلامية التي تسمح لهم بترميم معابدهم القديمة فقط، وأصبحت المنطقة بذالك وكأنها مملكة يهودية في أرض إسلامية، إن ماقام به اليهود يدل دلالة واضحة عن مدى التسامح الذي حضيوا به في أرض توات في وفي غفلة عن أهل الفطنة فإن الامر تحول عن المسموح به وقد أعتبر ذالك مساسا بالشعور الإسلامي، وتطاولا على السكان المسلمين وتحولت المسألة إلى جدل فقهي بين علماء المسلمين، وكان من بين من عارض هذا القول بجواز بناء اليهود معابد لهم محمد بن عبد الكريم المغيلي(50)، حيث أصدر فتوى أكد من خلالها: "أن سيطرة اليهود على عموم نواحي الحياة، ولهذا يجب محاربتهم وهدم كنائسهم وكسر شوكتهم" بعد أن أشتكى سكان المنطقة له تصرفات اليهود فأخذ على نفسه عهدا أن يقاومهم وبعيدهم إلى مكانهم الطبيعي كطائفة يهودية في بلاد إسلامية، خاضعة لعهد الذمة ، وقد أثارت هذه الفتوى ردود فعل كثيرة في أوساط معاصريه بين مؤيد ومعارض.

ولم تبق القضية متداولة بين الفريقين، بل راسل كل منهما أكبر علماء العصر في الحواضر المغاربية كتلمسان وفاس وتونس لحشد التأييد لقضيته، فكان ممن عارض المغيلي علماء تلمسان وفاس وعلى رأسهم عبد الرحمن بن يحي العصنوني وقاضي توات أبو محمد عبد الله بن أبي بكر الأسنوني، وممن أيد المغيلي من العلماء الفقيه محمد بن يوسف السنوسي ومحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي مؤلف كتاب "الطراز على ضبط الحراز" في القرآن الكريم، ، وأبو عبد الله التلمساني الحسني، ومفتي تلمسان أبو العباس المغراوي، وفور وصول هذه الفتاوى من هؤلاء العلماء خاصة السنوسي والتنسي لواحة تمنطيط بداء المغيلي الثورة على اليهود سنة 882هـ . 1477م وقد حضى بدعم قبيلة أولاد يعقوب أكبر قبائل توات والبرامكة فشن المغيلي وأنصاره على اليهود حملة شرسة أراد من خلالها أن يعيدهم إلى القوانين التي حددها لهم الإسلام وكان قد جمع تلاميذه و أنصاره، وطلب منهم أن يحملوا المعاول والسلاح وانقضوا على معابد اليهود فدمروها تدميرا ومنها بيعة تمنطيط التي هدموها على آخرها كما هدموا البيع

الموجودة في الواحات الأخرى، ووعد المغيلي أن كل من يقتل يهودي، بسبعة مثاقيل ذهبية، فغضب اليهود، وحقدوا عليه، وصاروا لا يسلمون عليه و على أصحابه عندما يمرون عليه، و أخذوا يشيعون بعض الأقاويل ضده، فأغتاظ أصحابه من ذلك، وقاموا بمهاجمة اليهود و قتلوا واحدا منهم (51) إن ما قام به المغيلي في توات من طرد لليهود، أثار ردود أفعال وجدلا خاصة من طرف العلماء والفقهاء فهناك من أيده وهناك من عارضه فنجد الشيخ السنوسي بعث رسالة إلى المغيلي أثنى فيها على ما قام به. وفي المقابل عارضه قاضي توات وأستنكر على المغيلي ما فعله

كما عارضه مفتي تلمسان ، و مفتي فاس و القاضي أبو زكريا يحي بن أبي البركات وعاد إلى توات ثم إنتقل إلى غاو بالسودان الغربي الذي كان محطته الثانية بعد توات في نشر العلم،

وقد كان من نتائج الثورة أن تعرضت المنطقة لأزمة إقتصادية لأن اليهود كانوا أهل صناعة والمحرك الحقيقي للمبادلات التجارية مع بلاد السودان الغربي وعانت المنطقة كثيرا خلال عهد امارة المغيلي من مشاكل إقتصادية بسبب تجنب تجار الشمال المرور بتوات عند رحلتهم لبلاد السودان الغربي (52) عاد اليهود لتمنطيط بشكوى السكان لزعيم قبيلة أولاد علي بن موسى عمر بن عبد الرحمان بعد تضرر وتعطل تجارتهم وحرفهم وإستند هو على فتوى القاضي العصنوني حيث أن تنفذ اليهود في المنطقة ولقرون عديدة جعلهم المحرك الاساسي للتجارة وجماعة وظيفية لاغنى عنها وهو ما أثبتته التجربة بعد ثورة المغيلي والذي في أثناء وجوده في بلاد السودان يواصل عمله الإصلاحي، بلغه نبأ مقتل أبنه الشيخ عبد الجبار في توات من طرف اليهود فطلب من الأسقيا أن يعتقل كل التواتين ثم تراجع عن ذالك(53)، وجمع أنصاره سنة 902هـ 1496 وجهز جيش للحرب ولم يتمكن من هزم غريمه فعاد إلى مركزه في بوعلي بوادي البرامكة، وإن كان اليهود قد عادو لتوات فلم يكن الامر بنفس القوة والنفوذ الاول بعد أن كسر المغيلي شوكتهم .ولعل أهم النقاط التي يمكن التوقف عندها أن الصحراء رغم شساعتها وصعوبة إختراقها أو عبورها ناهيك عن الحياة فيها لم تشكل حاجز بين سكان ضفتيها الشمالية والجنوبية فقد أوجدت مسالك وطرق إرتادها تجار محترفين إسترزقوا من الحركة التجارية فكان لهم فضل نقل سلع بين المنطقتين وقد أضاف اليهود كجماعة وظيفية للحركة التجارية حيوية في المنطقة وهذا بإعتبار النشاط التجاري يوائم نمط حياتهم ونظرتهم لمحيطهم الذي يعيشون فيه فبرعوا في التجارة وسيطروا على النشاط الاقتصادي في توات ما ولد رد فعل عنيف ضدهم كأحد أوجه الحركية التاريخية وهو أمر تكرر في عدة أزمنة وأمكنة.

الهوامش

1. الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج محمد الطمار سلسلة الدراسات الكبرى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983 ص153

2. نفسه، ص236

3 . مبارك بن محمد الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث جزء 2 المؤسسة الوطنية للكتاب ص.483

4 . يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1999،ص 112

5 . يحي بوعزيز: " طرق القوافل و الأسواق التجارية كما وجدها الأوربيون بالصحراء الكبرى خلال القرن التاسع عشر" تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر،المنظمة العربية للعلوم والثقافة(د ط)،بغداد،1984، ص29

6 . يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ،ص 77

[7] – حسين جاجوا: دور غدامس التجاري ما بين طرابلس و السودان الأوسط و الغربي خلال 1850م-1881م، أطروحة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة ، إشراف : عبد القادر زبادية، جامعة الجزائر،1981، ص52.

[8] – إبراهيم مياسي : " الاهتمام الفرنسي بالصحراء "، مجلة طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ ، مطابع قرفي عمار، باتنة، الجزائر،2001، ص86.

9 . محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في القرن ما بين (1792-1830) ،المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984م،ص ص 163-164.

10 . إلياس بن عمر الحاج عيسى ،" وارجلان دراسة في النشاط الإقتصادي و الحياة الفكرية في الفترة (4–10 هـ /10-16م)"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر،2008-2009،ص87.

11 – نفسه ص89

12- أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا تحقيق إسماعيل العربي المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1970 ص126

13 . الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف إفريقيا ، تر: محمد حجب ومحمد الأخضر دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ،1990م، ج2.ص136.

14 – Notes pour servir a l historiqe d ouargla 1888 REVUE AFRICAINE volume 64 p384 annee 1923

15 . فرج محمود فرج : إقليم توات خلال القرنين (18-19) م، ديوان المطبوعات الجامعية ، (د ط) ، الجزائر ، 2007م ،ص .1

16 – نفسه ، ص 13

17 – الوزان : المصدر السابق ،ج2،ص.171

18 – . إصلاح محمد البخاري حمودة : انتشار الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا ما رواء الصحراء تنبكت غدامس نموذجا (7-11هـ)(13-17م) ،(د ن)، ط1(د،م ن)، 2004، ص.184

19 . محمد بن عبد العزيز الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في إختراق الآفاق , مكتبة الثقافة الدينية ,(د ط), مصر, (د س ن) ، ص .21

20 . إسماعيل العربي:ا لصحراء الكبرى وشواطئها,المؤسسة الوطنية للكتاب,ط1,الجزائر 1983م، ص 61.

21 – جان ليون : قصة الحضارة في اقر يقيا جغرافية و تاريخ تلمسان و بجاية و تونس و نوميديا و الشمال الإفريقي ، تر: نور الدين قورفو ، (د ط) ، دار الكتاب الحديث ، (م د ن) ، 2011م ، .543

22 – . الإدريسي : المصدر السابق ، ص 21.

23 – كانت أغلب الاسواق مناسباتية حيث تقام كلما إقترب موعد وصول قافلة فتتم العمليات التجارية ومن بيع وشراء ومقايضة ثم تنفض السوق إلى أجل لاحق

24 – مبارك بن محمد الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث جزء 2 المءسسة الوطنية للكتاب ص .484

25 . عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء,المؤسسة الوطنية للكتاب,(د ط),الجزائر،1969م، ص37.

26 – أغلب الشطوط والسبخات التي يستخرج منها الملح توجد على أطراف الصحراء ويتعذر إستخراجه من المناطق حيث العرق أو الرق أو الحمادات وهي أبرز مظاهر السطح الصحراوي.

27 – أحمد ذكار : حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي (1000-1301)هـ (1591- 1883)م , أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر , (1430-1431)هـ (2009- 2010) م، ، ص96

28 . نفسه، ص 95.

29 – محمد العربي الزبيري : المرجع السابق، ص ص 165-166.

30 – نفسه ، ص .167

31 . محمد محمود : " العلاقة الثقافية بين السكان في الشمال و جنوب الصحراء الكبرى " في أعمال ندوة التواصل الثقافي و الاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية و كلية الآداب، طرابلس 1998م، ص.57

32 . أبو عبيد الله البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب, دار الكتاب الإسلامي (د ط), القاهرة,(د س ن)، ص176.

33 – احمد ذكار : المرجع السابق ، ص .102

34 . عبد القادر زبادية، مملكة صنغاي في عهد الأسيقيين (1493-1591) م، الشركة الوطنية للنشر والطباعة والتوزيع ، (د ط), الجزائر,1971م، ص 223.

35 – . بشير، عبد الرحمان ، اليهود في المغرب العربي 22هـ . 462هـ ،عين شمس للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، طبعة أولى 2001.ص60

36 – كلمة التبشير مصطلح مسيحي عربي والأجدر قول التنصير إذا ما كان هدف الفعل موجه للمسلمين لأن هؤلاء بشرو بالدين الإسلامي والنبي محمد والذي من ألقابه(البشير) منذ زمن وليسوا في حاجة إلى تبشير بخلاص

37 - Eugène ALBERTINI , Georges MARCAIS, Georges YVER L'Afrique du nord français dans l'histoire . Lyon: éditions Archat 1937 p 136

38 - فوزي ، سعد الله ، نفس المرجع الأنف الذكر ص، ص119

39 - أي المهاجرين ومقطع (إتم) في اللغة العبرية أداة جمع

40- عبد القادر كركار، الطائفة اليهودية في الجزائر 1830 . 1900 التجنيس و ردود الفعل ، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، تحت إشراف الدكتورة مسعودة يحياوي، جامعة الجزائر 2008 ص ص19 . 40

41- BOYER . Op,Cit, p. 172

42 - Alfred BEL – Marice EISENBETH . les principales races de l'Algérie .Paris : institut de l'encyclopédie coloniale et maritime ,1937 p105

43 - BEL – Marice EISENBETH . Op,Cit p105

44 – jacob oleil : op ,cit,p15

45 - فوزي سعد الله : المرجع السابق، ص ص 69-71

46 . وصف إفريقيا الحسن بن محمد الوزان الفاسي ليون الافريقي جزء أول طبعة ثانية 1983 دار الغرب الاسلامي ص 165

47 . الدياسبورا كلمة من أصل يوناني تعني حركة تشتت لإثنية أو شعب يملك روابط هوية قوية تحت تأثير هجرة إجبارية

48 . بشير، عبد الرحمان ، المرجع الأنف الذكر ص 99

49 . أبو القاسم ، سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول ص 392

50 . هو أبو عبد الله، محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني ، ينسب إلى قبيلة مغيلة الأمازيغية التي استوطنت الغرب الجزائري و المغرب الأقصى، وهي فرع من قبيلة صنهاجة ولد في مدينة تلمسان سنة 790 هـ / 1425م ، من عائلة راقية النسب ، حفظ القرآن الكريم على يد والده و الذي علمه أيضا مبادئ العربية من نحو و صرف و البيان ، انتقل بعدها ليدرس عند الإمام الفقيه محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني (ت سنة 875 هـ)، و الذي أخذ عنه بعض التفسير و القراءات ، ولقنه الفقه المالكي ، كما تلقى العلم عن علماء الجزائر تلمسان " ارتحل إلى تونس ثم القاهرة فحج منها وعاد إليها ثم سافر إلى الشام فزار القدس انتقل بعدها إلى بجاية حيث أخذ عن علمائها التفسير و الحديث الشريف، و الفقه إنكب الإمام المغيلي على الدراسة في بجاية، و لم يكتف بما تحصل عليه من علوم في تلمسان و بجاية ، فتوجه مباشرة إلى الجزائر أين اتصل بالمفسر المشهور – العلامة ا الكبير عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن طلحة الثعالبي، و لازمه، و قد أعجب الإمام الثعالبي بالطالب المغيلي ، فزوجه ابنته اعترافا منه بعلمه تحول بعدها ناحية الصحراء منطقة أدرار توات، ساخطا على ما آلت إليه الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فكانت منطقة تمنطيط بداية لدعوته، واحتضنته قبيلة أولاد سعيد العربية حيث عاش بينها كواحد من أفرادها، يستمعون إليه ويتبعون دعوتهومنها قاد ثورته ضد اليهود، إنتقل إلى الالسودان الغربي ثم عاد وإستقر بزاويته بوعلي ، كان كثير التأليف ومن مؤلفاته، التي ذكرها مترجموه :

. ..شرح بيوع الآجال من كتاب أبن الحاجب الفقهي

. .البدر المنير في علوم التفسير.

. .شرح الجمل للخونجي في المنطق .. مقدمة ومنظومة في المنطق ، وله عليها ثلاثة شروح.

. .تأليف في المنهيات ، وموضوعه يتصل بوظيفة الحسبة على ما يبدو من عنوانه.

. .شرح مختصر خليل بإيجاز ، وهو غير تام ، وعليه حاشية سماها إكليل المغني.

. .مختصر تلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة.

51. يحي بوعزيز : تاريخ إفريقا الغربية الإسلامية، المرجع السابق ، ص ص 73-77.

52 أحمد الحمدي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره،إشراف عبد المجيد بن نعمية، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة وهران،عام 2000 ص . 119.120.

53 . عبد القادر زبانه : "التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض آثار هـ و أعماله في الجنوب الجزائري و بلاد السودان"،مجلة الأصالة ، ع26،ص212.

تاريخ الاستلام: 2015/11/15 -تاريخ التحكيم: 2016/02/23 -تاريخ النشر2016/06/28

الجمعية الوطنية الجزائرية على عهد الرئيس بن بلة وإشكالية النهج السياسي:دراسة في التصور والممارسة

د.جمال بلفردي

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Abstract:

1962/08/02meeting allowed agreement between the two teams responsible for the crisis of summer 1962 , and the legacy of physical and moral effects exceeded the limits of the potential of the two conflicting parties to determine the date of the first meeting of Constituent Assembly , which carried the candidates lists for the first National Assembly in the history of Algeria exclusion of opponents of the Political Bureau during the crisis of the summer of 1962 and reward elements that support Ben Bella and allies who tighten their grip on those lists and retaining the right to determine which of the candidate.

Key words: Constituent Assembly , the National Assembly , the legislative ,political practice**.**

الملخص:

سمح اتفاق 1962/08/02 بين الفريقين المسؤولين عن أزمة صيف 1962، وما خلفته من آثار مادية ومعنوية تعدت حدود إمكانات الطرفين المتصارعين إلى تحديد تاريخ عقد أول اجتماع للمجلس التأسيسي، وفيها حملت قوائم المترشحين للجمعية الوطنية الأولى في تاريخ الجزائر إقصاء خصوم المكتب السياسي أثناء أزمة صيف 1962، ومكافأة العناصر التي وقفت مع جبهة الرئيس بن بلة ومن والاه وإحكام قبضتهم على تلك القوائم، واحتفاظهم بحق تحديد من يترشح فيها.

الكلمات المفتاحية: المجلس التأسيسي،الجمعية الوطنية،العمل التشريعي،الممارسة السياسية.

مقدمة:

أفضى اتفاق 02/08/ 1962 بين محمد خيضر باسم جماعة تلمسان من جهة، وكريم بلقاسم وبوضياف الذي أفرج عنه حالا من عملية الاعتقال الأولى بالتوصل إلى اتفاق يهدف إلى وضع حد للأزمة. وتوصلت القادة على ضوء الاتفاق إلى تشكيل مكتب سياسي يكلف بتحضير اجتماع المجلس الوطني للثورة ومؤتمر (ج.ت.و) [1]، وجعل صلاحيات المكتب السياسي تقتصر على الإعداد للانتخابات إلا أن بن بلة والأعضاء المساندون له في المكتب السياسي اعتبروا أنفسهم سلطة قائمة بذاتها بصلاحيات الحكومة والحزب معا، متخلين عن الدور الموكل لهم أثناء انعقاد مؤتمر [2] طرابلس الأخير ماي/ جوان 1962.

1- المصادر البنيوية للجمعية الوطنية :

مع انتهاء الأعمال العسكرية يوم 10 سبتمبر حدد يوم 1962/09/12 كآخر أجل لإيداع ملفات الترشح للجمعية الوطنية (للمجلس التأسيسي الجزائري)، والتي حدد فيها تاريخ إجراء الاقتراع يوم 1962/09/20 حسب أمرية رقم 35/62 الصادرة عن الهيئة التنفيذية المؤقتة بتاريخ 1962/09/8.

وبعد استفتاء تقرير المصير وموافقة الشعب الجزائري له وإعلان الاستقلال ألزمت الهيئة التنفيذية المؤقتة بتنظيم انتخابات المجلس التأسيسي بعد ثلاثة أسابيع من إعلان الاستقلال كما جاء في نص اتفاقية إيفيان. غير أن تراكمات الخلافات بين قادة الثورة، وما انجر عنه من صراعات واقتتال أجلت العملية الانتخابية إلى الخريف من نفس السنة.

وخلال إعداد قوائم المرشحين سهر المكتب السياسي بقيادة الرئيس بن بلة ومن ورائه قائد الاركان العامة العقيد هواري بومدين على اختيار المرشحين وفقا لمعايير المشاركة في الأعمال الثورية، والإرتكاز على انتقاء أنصار المكتب السياسي [3]، وكذا الأشخاص الذين وقفوا موقف الحياد من الصراع الدائر بين الحكومة المؤقتة وبن بلة أثناء أزمة صيف 1962. وإبعاد شخصيات الحكومة المؤقتة والمجلس الوطني للثورة وفيدرالية (ج.ت.و) بفرنسا من القوائم الولائية (بن خدة، دحلب، بوصوف، بوبنيدر ...، والقائمة طويلة وقد أحصينا أكثر من من 56 شخصية ثورية). ومع ذلك بقي أعضاء من المعارضة داخل مؤسسات الدولة

المستقلة رغم اعتراضها وامتعاضها من العمل الشعبوي للرئيس بن بلة حسب ما ذهب إليه كل من بوضياف وآيت أحمد، وكريم بلقاسم.

إن ربط الترشح بالمبدأين الأوليين يكرس ظاهرة التناقض بين المبدأ والتطبيق، فالاختيار الأول على أساس المشاركة في الأعمال الثورية والتشدد فيه، وإقصاء أطراف شاركت في الأعمال الثورية بل وكانت أعضاء في لجنة (22)، ويمثلها كل من بوصوف وبن طوبال، ولجنة الستة التي يمثلها كريم بلقاسم وقيادات تاريخية للمناطق التي فجرت الثورة (الباءات الثلاث) في الوقت الذي كان فيه العديد من إطارات جيش التحرير الوطني قد التحقوا بالثورة سنة 1955، أو فارين من الجيش الفرنسي، وأدمجوا في المصالح التقنية لهيئة الأركان العامة سنة 1958 قد تصدروا قوائم الترشيحات.

أما مبدأ أنصار المكتب السياسي يعني مكافأة من وقف لصالح هذا الأخير في صراعه ضد الحكومة المؤقتة، ومما لا شك فيه هو تطبيق مبدأ الإقصاء المتعمد لإطارات الحكومة المؤقتة، والمجلس الوطني للثورة خوفا من تشكيل معارضة جديدة داخل الجمعية الوطنية المرتقبة كتيار سياسي قوي ينافس الرئيس بن بلة الموجه من طرف هيئة الأركان العامة، وبالتالي مواصلة الصراع بطرق ووسائل أخرى بين الطرفين.

إن أهم ما توصلت إليه دراسة كوانت وليام غياب ورفض بن طوبال، وآيت أحمد لقائمة الترشيحات، وإعلان بوضياف رفضه القاطع للترشح للانتخابات، والإبقاء على مركزه في المكتب السياسي كما لم يكن بيطاط و خيضر من المترشحين، وهما العضوان الفاعلان المساندان لكل تحركات الرئيس بن بلة [4]. بينما تذهب كتابات أخرى إلى تأكيد تبوأ آيت أحمد منصب عضوا في الجمعية الوطنية التأسيسية.

ويذهب محمد بوضياف في كتابه الجزائر إلى أين؟ أنه وداخل المجلس الوطني طرح آيت أحمد سؤالا عن رئيس الجمعية يوم 1963/06/25 عن أسباب الإعتقالات التي راح ضحيتها مناضلون أبرياء، وعلى رأسهم محمد بوضياف، موسى القبايلي منسق سابق بفدرالية (ج.ت.و) بفرنسا، ومحند آكلي بن يونس زميل قبايلي بالفيدرالية، وعلي علواش ناطق باسم الولاية الرابعة [5]، وكان الجواب أن هناك مؤامرة قد أُحبطت، وباعتقاده أن الجماعة المعتقلة لها علاقة بمكيدة الإطاحة بالنظام، وأن

إن ما يمكن أن نذهب إليه هو الإقصاء المباشر لأبرز خصوم بن بلة وهما بوضياف وآيت أحمد حسين وضمان تزكية –إن لم نقل– تبعية باقي الأعضاء في المكتب السياسي (خيضر، بيطاط، بن علا، محمدي السعيد) له جعله في موقع الآمر الناهي لوضع القوائم بالتحالف مع هيئة الأركان التي كانت في حاجة إلى غطاء سياسي ظرفي لسد ورقة الشرعية التاريخية المفقودة لديهم بحكم عدم امتلاكهم لشرف تفجير الثورة [6].

ومع الهدوء النسبي فُتح المجال للترشيحات عن طريق التعينات. فاحتفظ المكتب السياسي بهذا الحق المكتسب ووضع القوائم الوحيدة لكل عمالة، وتم له ما أراد بين 10-1962/09/12، واختيار 16 مرشحا أوروبيا [7] وزعت أسماؤهم على القوائم الانتخابية للعمالات، ولما كانت عملية اختيار المرشحين المسلمين الجزائريين قد وقعت وفق الاتفاق الحاصل في 1962/08/02 وشكلت الولايات (4،3،2) غالبية عدد مقاعد المجلس والمقدرة (105) من أصل (180 مقعدا)، كما حصل المكتب السياسي على حق اختيار 3/2 من مرشحي الدوائر الانتخابية واحتفظت الولايات بحق اختيار الثلث 3/1 الباقي [8].

وكان الرهان بالنسبة للمكتب السياسي وقيادة هيئة الأركان هو كسب اتجاه الجمعية وتركيبتها البشرية وولائها السياسي من خلال السيطرة على الترشيحات فاختيرت لائحة من (196) مترشحا، ثم أصبحت (195) مترشحا [9]. وسعى بعض أعضاء الجيش للسيطرة على مكتب الجمعية دون نجاح يذكر والحصول على منافع مادية وإدارية لمنظمة المجاهدين. غير أنهم شكلوا قوة ترشيح كممثلين للجيش الوطني الشعبي داخل الهيئة السياسية حيث أحصت اللائحة (72) عضوا تم اختيارهم من هيئة الأركان

والولايات التاريخية منهم 7 عقداء و25 برتبة رائد و25 نقيبا، و12 ملازما، و3جنود [10] وحافظت الولاية الثالثة على قائمتها دون تغير عكس الولايات الثانية والرابعة والسادسة التي غيرت قوائمها القليلة العدد مقارنة بالثالثة.

وتباينت الدراسات من حيث عدد الأعضاء الجمعية فيذهب أنيس صالح باي في مقاله حول الجمعية الوطنية فيحصر عدد المترشحين في (194) عضوا [11]، منهم 15 من أصل أوروبي، و10 من العنصر النسوي.

إلا أن المشكل الحاصل منذ البداية وجود أكثر من ثلث أعضاء المجلس التأسيسي كأعضاء عسكريين مناضلين، والمعلوم أن مهمة الجمعية سياسية بحتة، ونفس الوضعية للنواب الذين بقوا مدة معتبرة في السجون والمعتقلات والنفي. كما يمكن تمييز الأعضاء من حيث الأوساط الاجتماعية فهم خليط وفسيفساء تركيبية: مدنيين ريفيين، ومثقفين، وفلاحين، وعمال يدويين، وأعضاء أوربيين وعسكريين [12] وهو ما ينعكس على سير الأشغال الجمعية فيما بعد خاصة على مستوى ادارة المناقشات، والتصويت وسهولة الانقياد للحكومة من جهة، وسلبية تأدية الواجب التشريعي نظرا للولاءات الآلية للمكتب السياسي من جهة أخرى.

كما تسبب النقل بدون تدقيق في كثير من الكتابات للمعطيات التاريخية حول تاريخ إعلان عن اللائحة النهائية لترشيحات الأعضاء (196) [13]، بالمقابل تتفق هذه الدراسات على أن تاريخ الانتخابات جرت في 1962/09/20، ويمكن إيعاز التغيرات التي طرأت على قوائم الولايات التاريخية الثانية والرابعة للمعارضة السابقة أثناء أزمة صيف 1962 ومناوئتها المستمرة للمكتب السياسي، والخصومة التي وصلت إلى حد الاقتتال من جهة، ومن جهة أخرى يعوز قلة تمثيلية الولاية السادسة لقلة قيادتها في أجهزة الثورة.

وفي 1962/09/20 تقرر تنظيم الانتخابات بعقد أول اجتماع للجمعية التأسيسية، والمصادقة على قائمة المترشحين 196 في انتخابات فريدة من نوعها، والتي زكاها وأشرف عليها المكتب السياسي مع الوجود العسكري الكبير [14]، ولم تكن هناك قوائم منافسة لحزب (ج.ت.و) بصفتها الحزب الواحد طبقا لما جاء في نص وثيقة طرابلس.

ومن المفيد تحديد نسب العمر والمهن لأعضاء الجمعية الوطنية غير أنه ليس بالأمر السهل لأن طبيعة ومستوى التكوين الثقافي متضارب في ظل الواقع الحتمي للثورة، وانعكاساتها على نخبة الجمعية فمتوسط العمر لـ (183) نائبا من أصل (194) هو 39 سنة، وبالتالي فإن أغلبية أعضائها من صغار السن نسبيا والأعضاء الذين يفوق سنهم 49 سنة بلغ (20) عضوا، ونصف أعضاء تراوحت أعمارهم بين 23 و 38 عاما والباقي تتراوح أعمارهم بين 30 و34 سنة.[15]

وحاول الباحث ويليام كوانت تصنيف النخبة المكونة للجمعية الوطنية اجتماعيا استنادا إلى المعطيات التي استقاها من إحصائيات أنيس صالح باي في الحوليات السنوية لشمال إفريقيا [16] وبقية الكتابات اعتمدت على كوانت كمغنية الأزرق الباحثة في علم الاجتماع السياسي، ودراستها حول التغيرات الاجتماعية والسياسية بالجزائر بعد الاستعمار، ورغم نوعية الدراسة النقدية حول الجزائر فإنها أوردت إحصائيات كوانت [17] دون الإشارة إلى الحوليات السنوية الذي استقت منه احصائياتها في إطار دراستها لتركيبة الجمعية الوطنية الجزائرية.

إن الإحصائيات والنتائج التي قدمها الباحث أنيس صالح باي أصبحت قاسما مشتركا للكتابات اللاحقة لها وقد كشفت عن الصعوبة في تحديد المعلومات حول الأصول الاجتماعية بالنظر إلى تنوع واختلاف الجذور الاجتماعية للمجتمع الجزائري، والتنوع المهني للنخبة الثورية الحاكمة للجزائر بعد الاستقلال.

فالعسكريون بلغت نسبتهم 18% بين الجنود والمناضلين، وربما تفسر هذه الظاهرة محاولة تغليب صفة العسكري على السياسي و18% من أصحاب المهن الحرة، و14% من التجار، وشكلت نسبة 12% للمعلمين، و10% مزارعين، و10.6% طلاب، والعمال بنسبة و7.2%، والإطارات و4%
والموظفين بنسبة 3.2% والمسؤولين بنسبة 2.6% [18].

ولم يصل كوانت في جدوله إلى تحديد نوع الفئتين السابعة والثامنة فصنفها على التوالي بمجموعة (غير ذلك) وفئة (مجهولون)، ونحت مغنية الأزرق نحوه وصنفت الفئتين السابقتين "بالكوادر" للأولى والطلاب للثانية وبالنسب 10% لكل فئة والملاحظ في دراسة الباحث بن خرف الله أنه استقى المعلومات مباشرة دون تمحيص ولا تعليق ولا تحليل من طرف هذ الأخير.

وتبرز تحليلات أولية حول الأرقام والنسب السالفة أن الجمعية الوطنية كانت أكثر تنوعا حتى في بعض البلدان الغربية. فالأطباء والمعلمون، والتجار، والمهنيون كلهم نواب لولاياتهم. وشكلت فئة التجار بتمثيلها المعتبر نسبيا 14% ويعوز ذلك ترجيحا أنها سعت لكي تكون العنصر الاكثر مقاومة للتغيرات المحتملة. ونقارن ذلك مثلا مع فئة العمال التي تحصلت على نصف ما تحصل عليه التجار أي نسبة 7.2%، ويرجع ذلك لاعتبارات السلطة السياسية وخوفها من النشاط النقابي للاتحاد العام للعمال الجزائري من جهة، وعدم تنظيم نفسه من جهة أخرى استنادا إلى عناصرها المؤسسة لها التي كانت في مجملها من الطبقة المثقفة ومنضوية تحت فيديراليات (ج.ت.و) بتونس والمغرب وفرنسا، وموقفها المعروف من أزمة صيف 1962 ووقوفها إلى جانب شرعية الحكومة المؤقتة كلفها الإقصاء من طرف المكتب السياسي صاحب التعينات والترشيحات لنواب الجمعية الوطنية.

أما أصحاب المهن الحرة فشكلوا نسبة 18% ويتوافق بالتقريب ونشأتهم السياسية الليبيرالية أثناء فترة الحركة الوطنية. ثم ما لبثوا ان التحقوا بالثورة الجزائرية كقادة سياسيين لها خاصة البيانيين وبعضا من المركزيين وبالمقابل شكل المثقفون (معلمون وطلاب) 22.6% من مجموع أعضاء الجمعية الوطنية ويمكن الإشارة إلى بداية أعمالهم السياسية في السنوات الأولى للثورة [19]، والتحقوا بها بعد إضراب الطلبة ماي 1956 بشكل قوي ومكثف، وتمكن التحاق العديد منهم بالولايات الرابعة والثالثة والثانية [20]، وعملت القيادة الخارجية على استقطاب الإطارات المثقفة في عمليات انخراط لاستغلالها في المصالح الإدارية للحكومة المؤقتة، والوزارات النافذة الداخلية والحربية والمواصلات والاستعلامات.

ونود أن نشير الى أنه لا يمكن فهم تركيبة السوسيو- اجتماعية للجمعية إلا بالاستناد إلى المفاهيم خارجة عن الأساس الاجتماعي والمهني، بل ترتبط كما ذهب إليه أنيس صالح باي بالتضامن البديهي في تنفيذ قراراتها نظرا لوجود وشائج القرابة والمصاهرة ،بين اطارات النخب الثورية مما سهل عملية الاختيار من الأساس من جهة، وعملية التنحية والإقصاء للأعضاء من جهة ثانية [21].

وفي الوقت الذي جرت فيه الانتخابات التأسيسية، وتثبيت المكتب السياسي لترشيحات أعضاء الجمعية الوطنية أعلن محمد بوضياف عن تأسيس حزب الثورة الاشتراكية في 1962/09/20 بسبب زيادة حدة مناورات بن بلة والجيش داخل المكتب السياسي. في الوقت الذي أعلن فيه رفيق دربه آيت أحمد حسين عن استقالته من المكتب السياسي والتخلي عن العضوية فيه بسبب مشاركة العسكريين في السلطة السياسية لجزائر الاستقلال [22].

وفي جلسة 1962/09/25 [23] على الساعة الرابعة بعد الزوال انعقدت أول جلسة للأعضاء المنتخبين للجمعية الوطنية بمقره الكائن بشارع زيغود يوسف بالعاصمة ، وهي الدورة الأولى للجمعية الوطنية التأسيسية، والتي تم فيها إعلان الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وتسليم فارس عبد الرحمن مهام الهيئة المؤقتة التنفيذية للمجلس التأسيسي بقيادة فرحات عباس باعتباره الأكبر سنا من النواب الذين أخذوا بنصيحة الحاج بن علا واقترح باسمه الشخصي، وباسم عدد من زملائه النواب ترشيح السيد فرحات عباس لمنصب رئاسة الجمعية [24].

كما لا يفوتني تقديم مقترح آيت أحمد حسين ثاني المتدخلين لأول دورة لمجلس الجمعية الوطنية واقتراحه سن تقاليد راسخة للمجلس وذلك عن طريق تقديم مرشحين، أو أكثر لرئاسة المجلس، وهو ما وافق عليه فرحات عباس وسئل النواب في ذلك غير أنه لا أحد قام بترشيح نفسه [25].

وبعدها بدأ فرحات عباس بمناداة النواب للتصويت على تعيين رئيس الجمعية، ومع انتهاء العملية شرعت اللجنة المكلفة بالاقتراع بفرز الأصوات، وتم اختيار عباس رئيسا للجمعية الوطنية بواقع (155) صوتا بنعم، و(36) صوتا ملغاة من أصل

(191) عضوا، وبنسبة تعدت 81% من الأصوات المعبر عنها [26] دون معارضة لرئاسة فرحات عباس للمجلس. ونسجل هنا غياب خمسة نواب عند افتتاح الجلسة الأولى للجمعية التأسيسية بحكم أن عدد النواب -كما ذكرنا سالفا- كان (196) عضوا، في مقابل التباين الشديد حول هوية الغائبين عن تلك الجلسة من جهة. ومن جهة اتفاق بعض الأدبيات عن أسماء الأعضاء الغائبين محمد بوضياف، الآنسة لافاليت والسيدة بن ميهوب مريم والتي غابت لأسباب خاصة [27]، وتبقى الاستفسارات غامضة حول معالم غياب النائبين الآخرين.

وتم تعيين المجلس المؤقت لإدارة أشغال الدورة الأولى للجمعية الوطنية تكونت من النائبين الزهرة ظريف والسيد مصطفى جلول باعتبارهما الأصغر سنا من مجموع النواب، وقاموا بعملية فرز أصوات النواب لانتخاب رئيس الجمعية كمرحلة أولى. ثم مواصلة فرز أصوات الأعضاء على زملائهم نواب الرئيس والكتاب والمتصرفين والتي جاءت نتائجها على الشكل الآتي، فعدد المصوتين (190) عضوا ويستثنى بالطبع صوت الرئيس فرحات عباس. أما الأوراق الملغاة فكانت (31) صوتا. وعبر (159) عضوا بالموافقة بأغلبية مطلقة فاقت 83%.

وتحصل الفائزون في نهاية فرز الأصوات بعد اقتراع النواب [28] بصيغة القوائم التي قدمت من طرف النواب: علي منجلي، بشير بومعزة، شريف بلقاسم، وآلت النيابة الاولى للحاج بن علا كنائب رئيس بـ (147) صوتا، ونائب الرئيس الثاني باي حاج أخموخ (131) صوتا، ونائب رئيس ثالث: روجي روث (136) صوتا، وكاتب أول: زهرة ظريف (100) صوت، وكاتب ثاني مريم بن ميهوب (107) اصوات وكاتب ثالث كلود ستيفاني (108) اصوات، وكاتب رابع: مولود بلهوان (109) اصوات متصرف أول: بلقاسم شريف (109) اصوات، ومتصرف ثاني بوعلام موساوي (134) صوتا [29] وعلى إثر النتائج طلب منهم الرئيس فرحات عباس الالتحاق بالمنصة لإعلان تأسيس مكتب المجلس التأسيسي للجمعية الوطنية.

إن تحليل البنى الاجتماعية والثقافية، والانتماءات السياسية لتركيبة الجمعية الوطنية يقودنا حتما إلى إبراز المهام الموكلة لهذه الهيئة لرسم سياسة السلطة الجديدة، وكيفية ممارستها لتلك المهام في ضوء العلاقة وصلاحيتها أمام الحزب ومع السلطة التنفيذية.

2- مهام الجمعية الوطنية :

وفي يوم 1962/09/20 أسس المجلس الوطني التأسيسي الذي تناول في مواده الستة مهام الجمعية الوطنية في مواده الستة تطبق حال صدورها كما أقر بذلك هذا الدستور الظرفي نظرا لقوته القانونية والأساسية، أين قررت في المادة الأولى جعل الهيئة التشريعية صاحبة السيادة الوطنية بالتحضير لمهمة إقرار الدستور، وتتمثل المهمة الثانية من المادة الأولى في العمل على التشريع باسم الشعب الجزائري.

وتشير المادة الثانية من نفس القرار أنه يحق للمجلس التأسيسي إنشاء حكومة عقب استفتاء 1962/09/20 كما لها الحق في موافقة ورفض قائمة رئيس الحكومة من الوزراء المسؤولين أمام المجلس والتصويت عليها [30].

إن المعطيات التي يقدمها كل من أنيس صالح-باي، والسعيد بو الشعير ودراستهما التي تخص كيفية تقديم بشير بومعزة لهذا القرار كقوة قانونية أساسية يحدد وفي نطاق واسع ملامح المؤسسات المؤقتة إلى غاية إرساء قواعد الدستور. فالمادة الثانية من هذا القرار تقر بمسؤولية الحكومة ووزرائها أمام المجلس الذي له حق سحب الثقة منها جزئيا أو كليا، أو قبول استقالتها [31]. مما يعني احتواء صلاحيات السلطة التنفيذية "الحكومة" ويصبح أعضاؤها مجرد منفذين لتوجيهات وتوصيات الجمعية الوطنية مما حدا بمقدم هذا الطرح أي بشير بومعزة سحبه فورا حفاظا على هيبة وسلطة الحكومة، ورفض مبدأ القيادة الجماعية من أساسه ما دام أن ضغط أعضاء المكتب السياسي جاء بثماره بسحب هذا المشروع[32].

ثم قدم بومعزة اقتراحا آخر يتولى فيها المجلس تعيين رئيس الحكومة الذي يشكل قائمة وزرائه ويقترح برنامجا لموافقة المجلس عليه، وهو ما يوفر للباحث تفسيرين لا ثالث لهما، أولاهما إقرار واستدراك بومعزة نتيجة المعطيات المتعلقة بالاقتراح الأول، والتي تولدت نتيجة ضغوطات المكتب السياسي وعلى رأسهم بن بلة والثاني الحصول على تزكية المجلس لمقترح الحكومة يعني إقرار سلطة

رئيس الحكومة دون مناقشته لأن إجراءات النظام الداخلي فيما يتعلق بالرقابة على الحكومة لم تكن بالشكل الفعال التي يقصد بها ردع الحكومة التي نراها فيما بعد أنها غير مجدية في تحديد العلاقة بين السلطتين، مما يجعل الوزراء مجرد منفذين ومساعدين أمام رئيس الحكومة في اختصاص تنصيب وعزل من يشاء، وتغليب كفة النظام الرئاسي على البرلماني في بداية القيادة الثورية بالجزائر، وملامح العلاقة بين الهيئتين في المرحلة الجنينية لاستقلال الجزائر.

ودائما وفق الأحكام الصادرة عن المجلس التأسيسي المقررة في يوم استفتاء الشعب 1962/09/20 [33] والتي فيها أخذت سلطة التشريع باسم الشعب الجزائري، وصاحب السيادة الوطنية فيها بإقرار وسن الدستور [34].

ومنذ انتخابه رئيسا للجمعية التأسيسية حاول فرحات عباس القيام بإعداد الجلسات وتسييرها على النمط الغربي "البرلمانات الليبيرالية" البحتة كالمناقشات بين النواب أثناء تدخلاتهم، وكيفية توزيع أسبقية إدراج الموضوعات والمشاريع المراد مناقشتها، وحاول هذا الرجل الليبيرالي وضع خبرته وذكائه في مواجهة مخططات رئيس الحكومة فيما بعد.

ومن هنا ندرك إيمان الرجل العميق بالقوانين الكلاسيكية القاضية بأن مجال القانون مطلق، وأن مجال التنظيم يقتصر على التنفيذ، غير أن مسار عمل الجمعية أصبح عسيرا أمام فاعلية ما رسمه الرئيس بن بلة وحكومته فالديمقراطية لا تحاول –حسبه- أن تعبر عن اتجاهات التنوع، والتي من شأنها تقويض فكرة عمل الحزب الواحد، وتفريق جهوده الرامية لتحقيق الوحدة الاشتراكية [35]

.

وهذا ما أدى إلى نتيجة لاحظها العديد من الدارسين خاصة القانونيين منهم، والمتمثلة في استغلال رئيس الحكومة للمادتين الثالثة والرابعة من القرار الدستوري للمجلس التأسيسي، والذي يحق للحكومة التشريع بطريقة القرارات القانونية "مراسيم" حكومية في المواد التي لها طابع استعجالي. بشروط محددة من طرف المجلس التأسيسي، وهذا ما يتجلى اسقاطه بوضوح على الخطاب الأول لرئيس الحكومة أحمد بن بلة مساء يوم 1962/09/28، والذي حدد فيه اختيارات حكومته، وتوجيهات المكتب السياسي من أجل تطبيق الثورة الديمقراطية بنزعة اشتراكية، وتطبيق الإصلاح الزراعي والصناعي، وبرنامج البناء والأمن والجيش والإدارة الذاتية [36].

إن ما يمكن التأكيد عليه في هذا السياق هو ارتفاع نسبة سلطة الهيئة التنفيذية، بل وتعدت بهذا الشكل خطاب سلطة الهيئة التشريعية بقيادة فرحات عباس، مما أدخل الهيئتين في علاقة تصادمية منذ البداية وانعكس سلبيا في أداء مهامهما فيما بعد خاصة مع كثرة مراسيم الحكومة كقرارات مارس للتسيير الذاتي 1963، ومسودة الدستور جويلية من نفس السنة التي اطلع عليها العام والخاص من الحزب والإدارة، وفي أروقة السينما – نسبة إلى سينما ماجيستيك-، ولم يسمع بها رئيس الهيئة التشريعية السيد فرحات عباس إلا بعد طرحه للمناقشة.

إن المهمة الثالثة التي أقرها القرار التأسيسي للجمعية الوطنية في مادته الأولى هو سن دستور للبلاد وأكد بند المادة خطاب رئيس الحكومة معترفا بتولي الجمعية بحق السيادة عليه كما لها الحق في وضع دستور يستجيب لمطالب الشعب ومطامحه في مضمونه وتطبيقه، وكيفية المصادقة عليه دون تدخل الحكومة [37].

ولم ينتظر بن بلة طويلا، وسابق الزمن للانقلاب على خطابه الأول أمام المجلس التأسيسي، وبعد عشرة أشهر تم له ما أراد بتحضير مسودة الدستور وتقديمها للمصادقة عليها من طرف نواب الهيئة التشريعية الذين لا حق لهم في مناقشة مسودة أعدت من طرف الحزب وقيادة المكتب السياسي رغم معارضة فرحات عباس لذلك. بل وعجلت باستقالته على رأس المجلس التأسيسي.

3- الممارسة السياسية للجمعية الوطنية :

إن أغلب الدراسات التي تناولت موضوع الممارسة السياسية للجمعية ونخبة النواب المكونة لها تركزت على دراسة بعض أنماط وسلوك هذه النخبة فكوانت رائد الدراسة القيمة حول الثورة الجزائرية والقيادة السياسية 1954-1968 تطرق إلى المناقشات الخمسة الرئيسية في السنة الأولى من عمر الجمعية الوطنية والتي استغرقت فترة طويلة نسبيا مقارنة بالسنة الثانية للجمعية

[38]وربما يعود ذلك إلى فاعلية الجمعية من الناحية العملية، اين كانت أقل إثارة للجدال من جهة، ونظرا للظروف العاجلة لاتخاذ القرارات بشأن إنشاء مؤسسات النظام النهائي من جهة ثانية.

ومن جهة أخرى يمكن تبرير ذلك بتفاقم تداخل الصلاحيات بين الجمعية التي تتمتع بامتيازات البرلمانات العادية في الديمقراطيات الغربية بحسب رئيسها يقابله المفهوم الماركسي للعمل البرلماني للرئيس بن بلة، مما نتج عنه صراع بين الحزب والجمعية انعكس على صيرورة المشاركة الفعلية للنواب المؤيدين والمعارضين خلال المناقشات والتصويت خاصة خلال السنة الثانية لعمر الجمعية [39] توافقا منقطع النظير بين الجمعية والمكتب السياسي ويعود ذلك إلى رفض ثم استقالة فرحات عباس من على رأسها، ومجيء الحاج بن علا المساند والوفي لبن بلة على رأس هذه الهيئة كما هو الحال في المكتب السياسي مزكيا من طرف رئيس الحكومة وموافقا لسياسة الحزب الواحد ومدينا له بولاء المريدين.

وقد حاول أنيس صالح باي الإشارة إلى أنه رغم الضغوطات التي عاشتها الجمعية الوطنية خلال السنة الأولى من تأسيسها إلا أنها –وبحنكة رئيسها- رفضت التخلي عن اختصاصاتها لصالح الحكومة وسلطتها التنفيذية، فقامت بتزكية مشروع إنشاء البنك المركزي، وإصدار واعتماد قانون المالية للربع الأول من عام 1963، واعتماد النظام الداخلي للمجلس، ودراسة مشاريع والمقترحات التشريعية المقدمة من طرف الأعضاء، وكذا استدعاء الحكومة ومناقشة عملها، وطلبت بصلاحيات تبدو أكثر قناعة. [40]

واسترسل المجاهد عمار قليل في التأصيل لمنجزات الجمعية الوطنية، ومنها اقتراح مشروع يتضمن قانون الجنسية الجزائرية والذي صادقت عليه لجنة التشريع والعدل والداخلية والوظيف العمومي كمصالح تابعة للمجلس التأسيسي مطلع سنة 1963 [41]

.

هكذا اختتمت السنة الأولى من الجمعية الوطنية بدراسة مسودة الدستور المقترح والتي دامت خمسة أيام واعتماد النظام الداخلي للجمعية يوم 20 نوفمبر، والموافقة على السياسة العامة للحكومة يوم 1962/11/26، وتمرير والمصادقة على نظام التقشف في 30 ديسمبر من سنة 1962. وفي السنة الثانية للمجلس نوقشت نقطة واحدة وأساسية وهي مسألة عقوبة الإعدام وكيفية تنفيذه وتقنينه مع الدستور [42].

ولاحظ كوانت في دراسته لنخبة النواب من حيث درجة مشاركتهم في مناقشات الجمعية، والإنهيار التدريجي لها مع الزمن. فقد شهدت المناقشة الأولى المتعلقة بالنظام الداخلي للجمعية كشأن داخلي لها مشاركة (85) نائبا، ومناقشة قضية عامة تهم الوطن ونقصد بها الدستور ومشاركة (51) نائبا فقط مما يستشف آليا تغليب المصلحة الخاصة والشخصية للنواب على المصلحة العامة التي تهم البلد، وأثناء مناقشة مسألة حكم الإعدام خلال السنة الثانية للجمعية كمسألة أساسية تهم المجتمع والوطن كانت هناك فقط (36) مشاركة ومداخلة للأعضاء النواب [43].

ومع مرور الوقت أصيبت الجمعية بشلل ظرفي ساهم فيها الحزب بشكل مباشر وفعال بصفة خاصة والظروف التي تشكلت فيها الجمعية بصفة عامة، وخلفيات النواب التي خلقت نوعا من معارضة داخلية بالمجلس، والتي بدأت بشكل فردي كآيت أحمد حسين الذي أثار مسألة تشغيل ميكانيزم ملتمس الرقابة لسحب الثقة من حكومة الرئيس بن بلة، ورد عليه هذا الأخير بلفظة "إخواني المعارضين" ووعد في خطابه الأول إعطاء السيادة الوطنية للجمعية لإعداد وإصدار دستور البلاد، غير أن تدخلاته عطلت عمل اللجان بين الفينة والأخرى [44].

إن حالة الغموض وتداخل الصلاحيات التي فرضتها سلطة الرئيس بن بلة زادت في إرهاق النواب منذ الجلسة التي تم فيها دراسة النظام الداخلي للجمعية الوطنية. أين تم وبإلحاح النواب على إطلاق "الجمعية التأسيسية والتشريعية"، وجرت مناقشة حادة بعد تدخل تيار آخر من النواب يطالب بالفصل بين التسميتين وجعلها إما تشريعية، وإما تأسيسية وقبل بالحل الأخير رغم مهمة الجمعية التشريعية البحتة [45].

إن هذه التبريرات من المفاهيم لا معنى لها واقعيا بل نظريا لأن تدعيم الجمعية أساسا هو مدى قدرتها في مواجهة التسلط المحيط بها من طرف الحكومة التي تحاول احتوائها بشتى الطرق والوسائل فأنيس صالح باي يستند إلى تدخل النائب محمد غرسي الذي تقدم بمداخلة عبارة عن تظلم مفاده أن الجمعية أصبحت مقبرة لمراسيم الحكومة، ومدافعا عن الصلاحيات التي خولتها الجمعية التأسيسية لنفسها [46].

إن إعادة الاغتراف من دراسة كوانت لدليل على أهميتها في هذه الورقة البحثية، والذي يعتبر مكمن الصعوبة بالنسبة للباحثين هو تحديده لأربعة معايير لتصنيف النواب حسب المنظومة السياسية السابقة وارتباطها بعوامل وظروف متغيرة كالتنشئة الاجتماعية والسن، والمنبع الثقافي والمركز السياسي وعلاقتها بالمشاركة في نقاشات الجمعية الوطنية، وتوصل إلى أن العناصر الكفيلة في تحديد نمط المشاركة وفعاليتها ترجع بالأساس إلى المنبع الثقافي، والمركز السياسي والتنشئة الاجتماعية كمحددات هامة في تحديد نمط المشاركة الفعالة في جلسات الجمعية.[47]

إن ما يعاب على تطبيق هذه المعايير، والتي يبقى تطبيقها نسبي نظرا لاستقلال البلد لتوه، وجنينية التجربة البرلمانية الحديثة للجمعية. فالمقاييس المعتمدة تسقط في الغالب على الدول ذات الأصول العريقة في الحكم البرلماني والفيدرالي، ومن ناحية أن المعايير التي حاول كوانت إسقاطها على الجمعية الوطنية تشمل العدد الإجمالي للنواب بطرحه غير الدقيق نظرا للعينات "المقابلات الشخصية الأربعين" التي اعتمد عليها في دراسته، وانتهى إلى النتائج المعبر عنها في أشكال بيانية ومدرجات تكرارية مستخرجا منها نسبا مئوية لمشاركات النواب في مناقشات المشاريع التي قدمت للجمعية.

إن الارتباطات النسبية بين المشاركة في مناقشات النواب يتبين لدى الباحث كوانت مكامن الخلل في عمل السلطة التنفيذية أفضل لديه من النواب الصامتين لأن عدم معرفة توجهاتهم من المسائل المطروحة يشكل تهديدا حقيقيا للنظام القائم بتفسير السلطة من جهة، ومن جهة أخرى عدم إفصاحهم للتأييد المباشر لسلطة الحكومة. كما يمكن استعمال الترشيح للعضوية داخل الجمعية الثانية كمكافأة للنواب المعارضين من أجل احتوائهم بالمنصب وشل حركتهم النشطة خارج أسوار الجمعية.

وهو ما تفسره التقديرات عندما تخلف مجموعة من نواب المعارضة من إعادة ترشيح نفسها لانتخابات الجمعية الوطنية الثانية وأعيد انتخاب 52% من المعارضة الشديدة، و20% من المعارضة الوسطية و36% من الذين لم يبدو بأية معارضة [48].

الخلاصة :

إن الوضع السائد للجزائر غداة الاستقلال، وظروف الصراع على السلطة، وتداخل صلاحيات هيئات السيادة قبل دستور 1963، أفشلت مخططات الجمعية كلها لتحقيق الاستقلالية التشريعية، وأثبط عزمها في إيجاد ميكانيزمات التعايش مع الآخر. بل وأفقدها صلاحياتها للهيئة التنفيذية فلا هي صاحبة السلطة التشريعية، ولا بوصفها هيئة اتخاذ قرار نابع من اقتراحات وتصديق نوابها، ولا أداة اندماج سياسي.

وإن من نتائج الفشل هو غياب وتغييب المثقف خاصة سياسيي وثوري الحكومة المؤقتة وفقدت على إثرها الجمعية الإطارات المتخصصة في الدراسات الاقتصادية التي غدت مشاكلها التحدي الأول للسلطة السياسية الجزائرية.

وتحولت الانتماءات السياسية مع مرور الوقت كظاهرة تاريخية للنخب الوطنية قبل الثورة، وأرست بظلالها على تركيبة الجمعية الوطنية الأولى، فمن النواب من ينتمي إلى التيار الإصلاحي، والبياني، والمركزي والثوري غير أن النقاشات الحرة أعطت بعدا سلسا للنقاش، بين اتجاهات مختلفة أثناء السنة الأولى للجمعية وأصبحت تطرح قضايا ومشاريع بنوع من الواقعية وتبسيط الأمور، وزادتها مرونة رئيس الجمعية في تحريك النقاشات بين المتكلمين باللغة الفرنسية والعربية لتحقيق أهداف تأسيسها عكس السنة الثانية التي أصبحت فيها الجمعية ممرا للمراسيم الحكومية.

الهوامش والإحالات:

(1) Mouhamed Boudiaf : **ou va Lalgerie** ? **notre revolution**, edtion hiwar-com, maisson de la presse, alger, 1964, P17

(2) استقال كل من محمد بوضياف وآيت أحمد حسين من عمل المكتب السياسي بسبب خلافاتهما التقليدية مع رئيس المكتب السياسي منذ فترة السجن بفرنسا ولم يبق إلا خمسة أعضاء: بن بلة، خيضر، بيطاط ، الحاج بن علا، ومحمدي السعيد.

(3) Anisse Salah-bey : « L'assemblée nationale constituante algerienne », », **annaire de l'afrique du nord**, **CRESM**, Vol1, paris, 1964, P117.

(4) William Quandt: **Revolution and political leadership Algeria 1954-1968**, Cambridge and London, England, 1969, P178

(5) Mohamed Boudiaf : Opcit, P30.

(6) عبد النور خيثر: **تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1954–1962**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (إشراف) حباسي شاوش، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص410.

(7) ويذكر علي هارون من بين هؤلاء: شولي (نقابي)، فاليت، لامارج (محامي) عن عمالة الجزائر، تاكسيي عن عمالة المدية وبيرناداك عن عمالة تيزوزو، والدكتور دورزند والدكتور ستيفاني ممثلين لعمالة وهران، والدكتور مانوني ممثل لعمالة قسنطينة مع الراهب المسيحي الأب بيرنغر المناضل في الثورة الجزائرية. **ينظر** علي هارون: **خيبة الإنطلاق أو فتنة صيف 1962**، (تر) الصادق عماري وأمال فلاح، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص212.

(8) William B. Quandt : Op cit. P177

(9) انسحب مرشح واحد وبقي العدد الإجمالي للأعضاء المعينين 195 مترشحا، وربما يفسر ذلك بانسحاب محمد بوضياف ورفضه الالتحاق بالمجلس. **ينظر** علي هارون، المرجع نفسه، ص212.

(10) William Zartaman : « L'armée dans la politique Algerienne », **annaire de l'afrique du nord**, CNRC, Vol 3, France, 1967, P270.

(11) تضاربت العديد من الكتابات التاريخية حول تحديد عدد الأعضاء المترشحين عن القوائم الترشيحات لدوائرهم الانتخابية فعلي هارون مثلا يؤكد قائمة بـ 195 عضوا بما فيها 16 عضوا أوربيا، بينما يذهب وليام كوانت إلى تأكيد وجود 196 عضوا واستقالة هجرس من المجلس التأسيسي بعد انتخابات 20 سبتمبر ورفض بوضياف الإلتحاق بالمجلس من الأساس، بينما يشير عمار قليل العضو بالمجلس التأسيسي الأول عن دائرة الميلية إلى ترشيح المكتب السياسي لـ 196 عضوا بالتشاور مع قيادات الولايات التاريخية. **ينظر**: عمار قليل: **ملحمة الجزائر الجديدة**، ج3، دار الطباعة للنشر والطبع، قسنطينة، الجزائر، 1991، ص319. **وكذا** يمكن العودة والإستفادة من: علي هارون، المرجع السابق، ص212. **وأيضا** Quandt : Op cit. P179.

(12) Anisse salah- bey : op cit. P118.

(13) فكوانت وليام الباحث والمهتم بتاريخ القيادة السياسية للثورة الجزائرية بين 1954-1968 يقدم قائمتين الأولى حسبه قدمت في 20 أوت 1962 رشحت للانتخابات التي سوف تجري في ديسمبر 1962، وربما يقصد القائمة التي كان على رأسها كبار الشخصيات التاريخية (أعضاء من الحكومة المؤقتة والمجلس الوطني للثورة الجزائرية) **ينظر**: Quandt : Op cit P178. ثم التبس عليه التاريخ ويقر أنه بعد 15 أوت أسقط 50 اسما من هذه القائمة ومست التغييرات قوائم الولايات 3 و2 و4 (ص179). بينما لم يشير ويليام زرتمان إلى تاريخ إعلان لائحة الترشيح هل هي الأولى أم الثانية والأدهى تأكيده من جهة ثانية أن 59 عضوا تم استبدالهم وتعويضهم بأعضاء جيش الشعبي الوطني وربما يقصد اللائحة الثانية الخاصة والنهائية ليوم 19 سبتمبر 1962. **ينظر**: William Zartaman , op cit, P270، ومن جهة أخرى يمكن التذكير بما أشرنا إليه آنفا أن تغير القوائم لم يمس الولاية 3 بل الولايات 4، 2 و6.

(14) Garcia L'opez bernabé : « constitutiononalisme et participation politique dans les etats du maghreb : une approche historique **» Revista de estudios internacionales mediterraneos REIM**, N :06, 2008, Madrid, P12.

(15) anisse salah-bey : opcit. P118.

(16) يلاحظ أن المقال الذي اعتمدناه حول الجمعية الوطنية التأسيسية تبدو المعلومات فيه أكثر تأصيلا وقربا للأحداث التاريخية التي نحن بصدد دراستها، مقارنة بالأدبيات الأخرى اللاحقة لها التي اعتمدت عليها من طرف الباحثين بشكل متواتر ككوانت ومغنية الأزرق وغيرهم كثير أعطى لها صفة المصدر في هذا العنصر من الموضوع.

(17) مغنية الأزرق: **نشوء الطبقات في الجزائر "دراسة في الاستعمار والتغير الاجتماعي السياسي"** (تر) سمير كرم مؤسسة الأبحاث العربية، 1980، ص91. وتواترت إحصائيات الباحثة لدى الباحث الطاهر بن خرف لله بشكل مباشر دون الإشارة في بعض الأحيان إلى مصدر تلك المعلومات ولخص خلفية وتركيبة الجمعية والنسب العالية للرجال العسكريين والمنخفضة لفئة العمال. وللإطلاع أكثر **ينظر** الطاهر بن خرف الله: **النخبة الحاكمة في الجزائر 1962–1989 بين التصور الإيديولوجي والممارسة السياسية**، ج2، دار هومة، الجزائر، 2007، ص26.

(18) هذه عينات ونسب كمعدل متوسط قدمها الباحث أنيس صالح باي ولم تصل النسبة التى أوردها إلى ما مجموعه 100%، وهي العينات التي أشار إليها كوانت وبن خرف الله ومغنية الأزرق والذين حاولوا إعطاء نسب تقريبية بحذفهم للفواصل في المستويات الاجتماعية للفئات الواردة في تحليلاتهم (الطلاب، العمال، الموظفين، والمسؤولين) وحددوا نسبة 100% لعدد الأعضاء التي كانت محل عينة لدراستهم والبالغ عددهم 194 عضوا. **ينظر** بن خرف الله: المرجع السابق، ص26. ومغنية الأزرق: المرجع السابق، ص91. **وكذا** Anisse Salah-Bey : opcit. P118.

(19) ذكر كوانت أن هذه الفئة لم يكن لها حظ في السنوات الأولى للثورة مبرزا أن أعمالها السياسية بدأت في السنوات الأخيرة للثورة، وهو ما يتناقض مع الدور الكبير الذي قام به الطلبة سواءا بتأسيسهم للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين كبلعيد عبد السلام، وأحمد الطالب الإبراهيمي ومحمد خميستي ومحمد الصديق بن يحي واستعانة دوواين وزارات الثورة بهم كمحمد حربي في ديوان الوزارة الحربية لكريم بلقاسم، بل وشكلوا غداة تأسيس الحكومة المؤقتة 50% من الإطارات السياسية لهيئات الثورة الجزائرية والجمعية الوطنية التأسيسية بشهادة كوانت نفسه، **ينظر**: محمد حربي: **حياة تحد وصمود مذكرات سياسية 1945–1962**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص273. **وأيضا** William B, quandt, opcit. P181.

(20) تلقى الطلبة جزاء سنيمار بعد حادثة "مؤامرة لابلويت" lablleute التي أشرف عليها العقيد غودار، ونفذها النقيب ليجي وأعدم فيها 1800 طالب بالولاية الثالثة على يد العقيد عميروش نظرا لتأثره بتضليلات المخابرات الفرنسية وأكثر من 500 طالب بالولاية الرابعة **ينظر**: علي كافي: **مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946–1962**، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011، ص159.

وكذا Alistare Horne: **Histoire de la guerre d'algerie**, editions Michel, paris, 1987, PP 268-270. ويشير أ.عبد النور خيثر في مبحث تفصيلي حول هذه النقطة مبرزا دوافع الحرب التضليلية الفرنسية واختراقاتها المتكررة للقضاء على الثورة ونتائج ذلك على القيادة الثورة، ومبرزا في الوقت نفسه ردود أفعال العقيدين عميروش وبوقرة اتجاهها. **ينظر**: خيثر عبد النور، المرجع السابق، ص ص 268-286.

(21) Anisse salah-bey : opcit. p119.

(22) Abdelkader yefsah : « L'armée et le pouvoire en Algerie de 1962-1992 ». **Revue: du monde musulmane et la méditerranée** N :65**, REMAM**, France,1992, P81.

(23) تتضارب دائما التواريخ والمسؤوليات المنوطة للمسؤولين الجزائريين، فالغالب مثلا- لا حصرا – من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع تقر أن اجتماع الجمعية التأسيسية كان يوم 1962/07/25. **ينظر** عمار قليل: المرجع السابق، ص312. **وكذا** Julien Rocherïeux : « l'evolution de l'algerie depuis l'indépendace ». **Revus. Sud/ nord**,N14, 2001, CAIRN, France, P30.

وتذكر أدبيات أخرى أن تاريخ تنصيب رئيس الحكومة هو يوم 1962/09/26. **ينظر أيضا**: عبد الرحمن فارس: **الحقيقة المرة، مذكرات سياسية 1954-1965**، دار القصبة للنشر، 2007، الجزائر، ص208.

(24) عمار قليل، المرجع السابق، ص326.

(25) نفسه.

(26) يمكن الاستفادة من الموضوع بالرجوع إلى. عبد الرحمن فارس: المرجع السابق، ص214، **وكذا** عمار قليل: المرجع السابق، ص327.

(27) عمار قليل: المرجع نفسه، ص320.

(28) أصبح المكتب يتكون من الرئيس فرحات عباس، والحاج بن علا الأكبر سنا كنائب أول وعضوا بالمكتب الجمعية، الحاج باي أخموخ ممثل الصحراء نائب ثاني، وروجي روث عن قسنطينة نائبا ثالثا وممثلا للأقلية الأوروبية في الجمعية الوطنية وعضوا سابق بالهيئة التنفيذية المؤقتة و وزهرة ظريف =الأصغر سنا، ولم تخلو مؤشرات العمل داخل الجمعية من تشابك عناصر انتقاء البرلمانيين فكانت شروط المصاهرة والقرابة من مرتكزاتها وهو ما نسقطه على زهرة ظريف زوجة رابح بيطاط، ومريم بلميهوب زوجة الوزير عبد العزيز زرداني على عهد حكومة بومدين **ينظر**: Anisse Salah-bey : opcit, P123.

(29) عمار قليل: المرجع السابق، ص328.

(30) tabrizi ben salah : **la république algérienne**, (preface). P.F. Gonidec libiraire générale de droit et de juris prudence, paris, 1979, P82.

(31) السعيد بوالشعير: **النظام السياسي الجزائري**، ط2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1993، ص42.

(32) Anisse Salah-bey : opcit, P123.

(33) تشير بعض الكتابات أن تاريخ إصدار هذا القرار كان في نفس يوم انتخاب استفتاء المجلس التأسيسي الموافق لـ 1962/09/20 وينفرد عمار قليل العضو بالمجلس التأسيسي بالقول أنها كانت بتاريخ 1962/09/25، ويمكن لنا ترجيح التاريخ الأول نظرا لقصر الوقت ذلك اليوم وطول أشغال الجلسة الأولى للمجلس التأسيسي والتنصيبات العديدة لرئيس المجلس ونوابه وأعضاء المجلس، وإعلان إعادة ميلاد الجمهورية الجزائرية، وإنهاء مهام الهيئة المؤقتة التنفيذية، وقيام رئيسها عبد الرحمن فارس بتسليم المهام لرئيس المجلس ، وكذا خطاب عباس التاريخي فيه وغيرها من الأشغال من جهة، ومن جهة أخرى تدوين أشغال وجلسات المجلس التأسيسي بالنسبة للمجاهد عمار قليل وثقت على أساس اعتماد محاضر الجلسات I وII للمجلس يوم 1962/09/26-25، ولم يشير إلى محضر الجلسة مما يرجح لدينا فكرة أن المعلومة استقاها من الجريدة الرسمية الخاصة بالعدد المؤرخ في 25 سبتمبر 1962 والذي يوافق تاريخ تنصيب المجلس الوطني التأسيسي. **ينظر**: عمار قليل: المرجع السابق، ص 336.

(34) Tabrizi Ben salah : opcit, P82.

(35) Hervé Bourges : **L'algérie a l'épreuve du pouvoir 1962-1967**,(preface) jaques berque, editions bernard grasset, paris, 1967, P99

(36) عمار قليل: المرجع السابق، ص343.

(37) Tabrizi Ben Salah : opcit, P87.

(38) Wiliam, b, quandt : opcit, P186.

(39) يجدر بنا توضيح أنه بتاريخ 1962/09/20، وبعد موافقة النواب على المترشحين حددت فترة سنة كاملة لهذا المجلس و تمديده لفترة زمنية حسب ظروف تحضير مسودة الدستور غير أنه مددت فترة الجمعية لغاية سبتمبر 1964، أين جرت انتخابات المجلس الجديد ويلاحظ فيه انخفاض عدد النواب من 194 فعليا إلى 138 عضوا، وفقدت الولايات المعارضة بضعا من مقاعد نوابها في الجمعية الوطنية في عامها الثاني. **ينظر**: عمار قليل، المرجع السابق. و William. B, quandt: op,cit, P199.

(40) Anisse Salah-bey : opcit, P120.

(41)عمار قليل: المرجع السابق، ص356.

(42) William. B, quandt: opcit, P186.

(43) Anisse Salah-bey: opcit, P122.

(44) الطاهر بن خرف الله: **النخبة الحاكمة في الجزائر 1962-1989**، ج2، المرجع السابق، ص28.

(45) Anisse Salah-bey : opcit, P124.

(46) الطاهر بن خرف الله: المرجع السابق، ص29.

(47) William. B, quandt, opcit, P192.

(48) ibid, P200, 201.

تاريخ الاستلام: 2015/11/17- تاريخ التحكيم: 2015/12/25 -تاريخ النشر2016/06/28

نشأة الإباضية بالمغرب العربي :دارسة تاريخية ومذهبية

أ.د.عبد الرحمان تركي

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Résumé

Cet article expose les premières étapes de la genèse de la secte ibadite, une des sectes islamiques dans le Maghreb arabe , ainsi que l'influence de cette doctrine, qui se trouvait en Orient arabe, sur l'environnement social et politique du Maghreb en général. Cette etude a été faite à partir des sources historiques et idéologiques ibadites et autres.

ملخص :

هذ ا المقال يتعرض إلى الخطوات الأولى في نشأة المذهب الإباضي وهو أحد المذاهب الإسلامية بالمغرب العربي ، وما كانت عليه البيئة الاجتماعية والسياسية المغاربية عموما أثناء تأثرها بهذا المذهب المتواجد بالمشرق العربي ، وهذا انطلاقا من المصادر التاريخية والعقائدية الإباضية وغيرها .

تقديم :

كان للإباضية كفرقة عقائدية ومذهب يمثل أحد المذاهب الإسلامية أثر واضح في تشكيل مجرى الأحداث في العهود العربية الإسلامية الأولى ،كما كان لهم دور كبير في نشأة العلوم والمعارف بالحضارة العربية الإسلامية ، حيث اهتموا بالكتابة والتأليف في القضايا السياسية والعقائدية والفقهية والتاريخية ، ولهم تراث ضخم في هذه المجالات ومجالات الدراسات اللغوية والأدبية والدراسات الاجتماعية .

والمصادر التي كتبت عن الإباضية كثيرة أذكر منها تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري الذي جمع كثيرا من الروايات والأخبار عنهم ، والكامل في الأدب لأبي العباس المبرد ، ومن مصادر الإباضيين التاريخية سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا يحي بن أبي بكر المتوفي سنة 471 هـ ، والذي أرّخ لأحداث ليست بعيدة عن عصره كدخول الإباضية إلى المغرب العربي ونشوء الدولة الرستمية وسير أئمتها وعلمائها .

أما علماء الملل والنحل كأبي الحسن الأشعري وعبد القاهر البغدادي ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني وابن حزم الأندلسي فقد خصصوا فصولا لمقالات الإباضية وآرائها في الإيمان والتوحيد والصفات ، وفي النبوة والقدر والفعل الإنساني ، وفي الإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لكن دون تفصيل ، وأحيانا يكتفي بعضهم بالقول أن مذهب الإباضية في التوحيد أو في القدر كمذهب المعتزلة .

ومن بين علماء الإباضية أبو عمار عبد الكافي وأبو طاهر الجيطالي وأبو حفص ابن جميع ، وهؤلاء عبروا عن المذهب الإباضي وبينوه بوضوح .

ومن المؤلفات الحديثة التي عُنيت بجمع بعض آثارهم الأدبية من أشعار وخطب ورسائل أذكر ديوان شعر الخوارج لإحسان عباس ، وديوان الخوارج لنايف معروف ، وفي هذين الديوانين التعبير عن آرائهم وأفكارهم والأحداث والأسباب التي دعتهم إلى انتحالها (أي الآراء والأفكار) والتشبث بها والدفاع عنها لكن ينقصهما (أي الديوانين) آثارهم الأدبية في العصر العباسي وأقوالهم المنثورة في كتب الأدب والتاريخ .

وأشير في هذا التقديم إلى أن بعض المستشرقين قد اهتم بدراسة الإباضية كتاديوس ليفيتسكي في دراسته (المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية) (1) ، وكارلو ألفونسو نلينو في بحثه (الصلة بين مذهب المعتزلة ومذهب الإباضية المقيمين في إفريقيا الشمالية) (2) ، وإلفرد بل في كتابه (الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي) (3) ، ومسكراي (إ) في بحثه (ترجمة كتاب بني المزاب في جزائر المغرب) (4) ، وما يلاحظ على دراسات هؤلاء المستشرقين حول الإباضية أنها ركّزت على الجوانب التاريخية والعقائدية .

في هذا المقال أحاول الإجابة على التساؤلات الآتية : ماهو مدلول تسميتهم أو مصدرها ؟ ، وماهي ظروف نشأتهم بالمغرب العربي ؟ ، ومن هم علماؤهم وأئمتهم ؟ .

– مدلول التسمية :

يعتبر علماء الفرق والمؤرخون الإباضيةَ من فرق الخوارج ويرجعون نسبتها إلى عبد الله بن إباض التميمي(5) الذي ظهر الأيام الأولى من عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، والذي (أي عبد الله بن إباض) تبرأ من فرق الخوارج الأخرى التي تؤمن بالتكفير واستحلال الدماء في زمنه ، وعلى خلاف هذا جاء في الخطط المقريزية أن الإباضية تنسب إلى أباض وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها أحد رؤساء الخوارج وهو نجدة بن عامر الحنفي(6)(7) .

أما بعض الباحثين الإباضيين المعاصرين كبكير بن سعيد أوعوشت فلا يعدون الإباضية من الخوارج ويرفضون إطلاق هذه التسمية عليها لما في هذه الكلمة من معنى الخروج عن الدين ، ويرون أنه لا يجمعهم معهم سوى إنكار التحكيم في وقعة صفين بين علي ومعاوية(8) .

ويسمي الإباضية أنفسهم الوهبية نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي(9) (10) ، ويعدون من أئمتهم جابر بن زيد الأزدي(11) ، وهو عندهم إمام الدعوة الإباضية ومؤسس فقهها ومذهبها ، وخليفته أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة(12) ، والربيع بن حبيب(13) واضع مسند الإباضية في الحديث(14) ، وبالمقارنة مع جابر بن زيد ينسب الإباضية إلى عبد الله بن إباض دورا ثانويا ، لأن ابن إباض كان يصدر في كل أقواله وأفعاله عن جابر ، ونسبة الفرقة إليه ترجع إلى ظهوره لدى عامة الناس حيث غلب اسمه على من اتفق معه في الرأي ، وظهوره كان بمناظرة خصومهم والحديث باسمهم ، وبمراسلاته مع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(15) .

وبالرجوع إلى المصادر التاريخية يتبين أن آراء الإباضية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأحداث والأوضاع التي عاصروها ، ولكي تفهم هذه الآراء يجب أن توضع في إطارها التاريخي ، فاختلاف المؤمنين أيام الخليفتين الراشدين عثمان وعلي وأيام الخلاف بين علي ومعاوية بن أبي سفيان ألجأت المؤمنين إلى تشتت مواقفهم في المسائل السياسية والفلسفية ، هذه المسائل حظيت عند الإباضية بالعناية والاهتمام ، يتجلى هذا في مناداتهم بالشورى والعدل والاختيار في الحكم ، وقد ساروا من الناحية العملية على هذا الطريق عند اختيار عبد الرحمان بن رستم أول حاكم للدولة الرستمية حيث عرضوا عليه الحكم فدفعه عن نفسه ، وبعد تشاورهم اتفق رأيهم على توليته ، إلا أنهم خالفوا ذلك الطريق لما جعلوا دولتهم وراثية توارث إمامتها أبناء عبد الرحمان بن رستم .

ويُذكر الإباضية كمذهب فقهي عند الفقهاء كما يُذكرون عند علماء الملل والنحل كمذهب عقائدي ضمن المذاهب الإسلامية ، ويتبين أنهم من خلال المصادر العقائدية الإباضية مطلعون اطلاعا واسعا على مذاهب المخالفين مسلمين وغيرهم ، كما يتبين أنهم يستدلون على آرائهم بأدلة نقلية وعقلية كثيرة ، يشترك معهم في الاستدلال بها جميع الطوائف الإسلامية كما هو ملاحظ عند أبي طاهر الجيطالي في كتابه (قناطر الخيرات) ، وأبو عمار عبد الكافي في كتابه (الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف) .

– النشأة بالمغرب العربي :

يذهب بعض الباحثين إلى أن المصادر على اختلافها مشرقية ومغربية لا تسعفنا بتحديد وقت لظهور الإباضية على أرض إفريقية والمغرب العربي(16) .

أما عن الأسباب فيرجع تسرب آراء الإباضية إلى المغرب العربي حسب المصادر التاريخية إلى سوء تصرف ولاة الأمويين وسوء سيرتهم ، حيث يُروى أنهم اشتطوا في جمع الضرائب من مسلمي المغرب وأخذ الهدايا إلى الخلفاء بالمشرق ، وهو أمر لم يكن معهودا من قبلُ(17) .

كما يرجع انضمام بعض مسلمي المغرب للإباضية الواردة من المشرق العربي إلى الآراء الإباضية التي ترفض الخلافة الوراثية وتدعو إلى الشورى في الحكم واختيار الإمام دون اعتبار لمولده أو أصله القرشي ، والتي تدعو كذلك إلى تطبيق المساواة في الحقوق والواجبات والعدالة في الأحكام(18)(19) .

وقد انجذب دعاة الإباضية إلى المغرب بسبب الاضطهادات والهزائم التي تعرضوا لها من قادة الجيوش الأموية ، حيث هاجروا إلى بلاد المغرب البعيدة عن سلطان الخلافة ، وكان المغرب العربي لبعده عن مركز الخلافة من النواحي التي لاذ بها الكثير من الناس طلبا للأمن ، وذلك لاتساع أرضه وتشعب مسالكه وكثرة قبائله(20) .

هذا بالإضافة إلى أن مسلمي المغرب كانوا لا يزالون ينعمون بحياتهم الدينية في إطار المذهبية الدينية البسيطة بعيدا عن الخلافات والمذاهب العقائدية المتنازعة ، مما جعل أرضهم تربة خصبة لزرع آراء الإباضية ونشر دعوتهم وتقوية صفوفهم(21) .

وسلكت الدعوة الإباضية في انتشارها ببلاد المغرب مسلكين هما(22) :

1 – مسلك علمي دعوي مثّله سلمة بن سعد الذي كان يدعو إلى الإباضية (سلمة بن سعد أو مسلمة بن سعيد كان أول داع للمذهب الإباضي بالمغرب أوائل القرن الثاني الهجري) (23) .

2 – مسلك دعائي سرّي مثّله دعاة ينبثون بين البربر ، حيث كان الرباط على الثغور والسواحل بقصد العبادة والحراسة والتعلم والتجارة من أهم ما أعان الإباضية على نشر مذهبهم في نطاق الشرعية المحاطة بالسرية التامة .

ويذكر المؤرخون أن سلمة بن سعد تتلمذ على مسلم بن أبي كريمة ، ثم جاء من قِبلِه إلى المغرب يدعو إلى المذهب الإباضي واجتذب إليه نفرا من كبار أهل المغرب كان فيهم عبد الرحمان بن رستم(24) ، وحثهم سلمة على الذهاب إلى البصرة حيث أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وخرجت البعثة العلمية المعروفة عند الإباضية بحملة العلم ، والمكونة من خمسة نفر ، وقضوا مع أبي عبيدة سنين عدّة تلقوا فيها علوم المذهب في كتمان وسرية لأن أبا عبيدة كان مستخفيا متخوفا من بعض أمراء البصرة ، ولما همّوا بالرجوع إلى المغرب انضم إليهم أبو الخطاب المعافري(25) ، وكان قدم إلى البصرة في عدد من أهل اليمن حيث التقوا ببعثة أهل المغرب وتلقوا العلم من أبي عبيدة في فترة واحدة ، ولما وصلوا إلى المغرب وجدوا المذهب الإباضي منتشرا في القيروان وما حولها وذلك بجهود سلمة بن سعد وبايعوا أبا الخطاب بالإمامة عملا بمشورة مسلم بن أبي كريمة(26) .

واستطاع أبو الخطاب أن يدخل القيروان سنة 141هـ وولّى عليها عبد الرحمان بن رستم ، وبعد انهزام ابن رستم أمام محمد بن الأشعث الخزاعي أمير إفريقية من جهة الخلافة العباسية نزل وأصحابه بتيهرت(27) ، وبايعوه بالإمامة سنة 160هـ(28) .

وقد كان أتباع عبد الرحمان بن رستم عرضوا عليه الإمامة فأعرض عنها ودفعها عن نفسه وهو أهل لها لعلمه وسابقته ولاسيما وأنه ليست له قبيلة تمنعه إن بدل أو غيّر ، واتفق رأيهم جميعا على توليه فبايعوه على الإمامة بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الخلفاء الراشدين فأحسن السيرة في إمامته ولم ينقم عليه أحد في حكمه ولم يكن في أيامه اختلاف(29) .وبعد موت ابن رستم سنة 171هـ عقدت الإمامة لابنه عبد الوهاب(30) ، وفي عهده افترقت الإباضية(31) .

واستمرت المملكة الإباضية التي أسسها عبد الرحمان بن رستم قرابة مائة وخمسين عاما من 160هـ/776م إلى 296هـ/909م (32) ، وكان بيت الرستميين بيت العلوم وجامعا لفنونها من الأصول والفقه والفرائض والتفسير والحديث وعلم الخلاف وعلم النحو والإعراب والفصاحة(33) ، والإباضيون إلى اليوم لا يزالون متمسكين بمبادئهم ومميزاتهم التي ورثوها عن سلفهم ، ولهم أئمة وعلماء وفقهاء ومؤرخون وأدباء .

- خاتمة :

في ختام هذا المقال نرى أن الآثار التاريخية والأدبية الكثيرة التي تنسب إلى الإباضية من خُطب وأشعار وأقوال ورسائل ، والمتناثرة في كتب التاريخ والأدب ، هذه الآثار تحتاج إلى جمع ودراسة وبحث ، هذا إضافة إلى التراث الضخم للإباضية ، الذين هم من أكثر الكُتاب والعلماء تأليفا ، هذا التراث لم ينل ما يستحقه من الاهتمام والدراسة .

- الهوامش :

(1)- تاديوس ليفيتسكي : **المؤرخين الإباضيون في أفريقيا الشمالية** ، ترجمة ريما جرار وماهر جرار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2000م .

(2)- هذا البحث ضمن كتاب (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) ، دراسات لكبار المستشرقين ترجمها عبد الرحمان بدوي ، دار القلم ، بيروت ، ط4 ، 1980م .

(3) – الفرد بل : **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي** ، ترجمة عبد الرحمان بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1981م .

(4)- نجيب العقيقي : **المستشرقون** ، دار المعارف ، مصر ، ط4 , ج1 ، ص202 .

(5)- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) : **المعارف** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1407هـ ، ص 333 ، والطبري (محمد بن جرير) : **تاريخ الأمم والملوك** ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، ط1 ، 1405هـ ، ج5 ، ص 286 ، والأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل) : **مقالات الإسلاميين** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الحداثة ، بيروت ، ط2 ، 1405هـ ، ج1 ، ص 185 ، والشهرستاني (محمد بن عبد الكريم) : **الملل والنحل** ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ج1 ، ص 134 ، والمقريزي (أبو العباس أحمد بن علي) : **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية** ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، ج2 ، ص 355 .

(6)- هو نجدة بن عامر الحنفي اليمامي لُقب بأمير المؤمنين ، يقال لأتباعه النجدات نسبة إليه أو العاذرية لأن نجدة كان يرى الجهل بالشريعة عذرا لمن خالفها ، ذُكر في صحيح مسلم أنه كاتب عبد الله بن عباس . (صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم والنهي عن قتل صبيان أهل الحرب ، دار الفكر ، بيروت ، ج5 ، ص 197) ، استولى نجدة على اليمامة والبحرين سنة 66هـ ، وقُتل سنة 69هـ . (الأشعري : **المرجع السابق** ، ج1 ، ص 174 ، والشهرستاني : **المرجع السابق** ، ج1 ، ص 122 ، 123 ، والمقريزي : **المرجع السابق** ، ج2 ، ص 354) .

(7)- المقريزي : **المرجع السابق** ، ج2 ، ص 355 .

(8)- بكير بن سعيد أوعوشت : **دراسات إسلامية في الأصول الإباضية** ، دار البعث ، قسنطينة ، ط1 ، 1982م ، ص 19 ، 20 ، و**حركة أهل الدعوة والاستقامة** ، المطبعة العربية ، غرداية ، طبعة 1992م ، ص 21 .

(9)- عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي أول إمام للخوارج ، شهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص ، ثم كان مع علي بن أبي طالب ، بايعه الخوارج بعد إنكارهم التحكيم ، كان كثير العبادة حتى لُقب ذا الثفنات ، كان لكثرة سجوده صار في يديه وركبتيه كثفنات البعير ، قتل بالنهروان سنة 38هـ . (ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) : **الإصابة في تمييز الصحابة** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج3 ، ص 95 ، و**لسان الميزان** ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط2 ، 1390هـ ، ج3 ، ص 284) .

(10)- أبو زكريا (يحي بن أبي بكر ت 471هـ) : **سير الأئمة وأخبارهم** ، تحقيق إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط3 ، 1984 ، ص 211 ، والدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد ت 670هـ) : **طبقات المشائخ بالمغرب** ، تحقيق إبراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، ج1 ، ص 21 ، وسليمان بن داوود : **الخوارج هم أنصار الإمام علي** ، دار البعث ، قسنطينة ، ط1 ، 1403هـ ، ج1 ، ص 131 .

(11)- هو أبو الشعثاء جابر بن زيد البصري العُماني ، كان عالم أهل البصرة ومن كبار تلامذة ابن عباس ، وكان من المجتهدين في العبادة ، له ديوان في مسائل العلم ، ويذكره الدرجيني في الطبقة الثانية من أئمة المذهب ، توفي سنة 93هـ . (أبو زكريا : **سير الأئمة** ، ص 143 ، والدرجيني : **طبقات المشائخ** ، ج1 ، ص 6 ، والذهبي (محمد بن أحمد) : **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط4 ، 1406هـ ، ج4 ، ص 481 ، 483 ، وابن حجر العسقلاني : **تهذيب التهذيب** ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1404هـ ، ج2 ، ص 34 ، وابن العماد (عبد الحي بن أحمد) : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج1 ، ص 101) .

(12)- هو مسلم بن أبي كريمة أبو عبيدة مولى بني تميم ، اشتهر بلقب القفاف لأنه كان يشتغل بصنع القِفاف ، تولى التدريس بعد جابر بن زيد وأخذ عنه العلم وأصول المذهب ، روى عن علي بن أبي طالب ، وذكره ابن حبان في الثقات . (أبو زكريا : **المصدر السابق** ، ص 55 ، والبخاري (محمد بن إسماعيل) : **التاريخ الكبير** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج7 ، ص 271 ، وابن حبان (محمد بن حبان) : **الثقات** ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط1 ، 1399هـ ، ج5 ، ص 401 ، وعلي يحي معمر : **الإباضية في موكب التاريخ** ، تصحيح أحمد عمر ، المطبعة العربية ، غرداية ، 1986م ، الحلقة الأولى ، ص 153) .

(13)- هو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي من أعيان المئة الثانية للهجرة ومن أهل البصرة ، له كتاب في الحديث (الجامع الصحيح) ، وذكر البخاري أنه سمع الحسن البصري ومحمد بن سيرين ، وذكره ابن حبان في الثقات ، راسله إباضية المغرب عند تولية عبد الوهاب الرستمي وخروج يزيد بن

فندين عليه فأثبت إمامة عبد الوهاب وتبرأ من ابن فندين ، ويذكره الدرجيني في الطبقة الرابعة من أئمة المذهب . (أبو زكريا : **المصدر السابق** ، ص 90 ، 97 ، والدرجيني : **المصدر السابق** ، ج1 ، ص 6 ، والبخاري (محمد بن إسماعيل) : **المرجع السابق** ، ج3 ، ص 277 ، وابن حبان (محمد بن حبان) : **المرجع السابق** ، ج6 ، ص 299) .

(14)- بحاز إبراهيم بكار : **الدولة الرستمية** ، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ، ط2 ، 1414هـ ، ص 76 .

(15)- عوض محمد خليفات : **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية** ، دون ذكر دار النشر ، ص 9 ، 10 .

(16)- علي الشابي : **مباحث في علم الكلام والفلسفة** ، دار بو سلامة ، تونس ، ط 1 ، ص 162 ، وعبد المجيد بن حمده : **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية** ، ، دار العرب ، تونس ، ط1 ، 1406هـ ، ص 79 .

(17)- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد) : **الكامل في التاريخ** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط4 ، 1403هـ ، ج4 ، ص 222 ، وابن عذارى المراكشي (أبو عبد الله محمد) : **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق كولان وبروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ط2 ، 1400هـ ، ج1 ، ص 52 .

(18)- يخالف الإباضية في هذه المبادئ الشيعة الذين يرون أن الإمام معين بالنص .

(19)- عبد الرحمان الجيلالي : **تاريخ الجزائر العام** ، دار الثقافة ، بيروت ، ط4 ، 1400هـ ، ج1 ، ص 152 ، وحسين مؤنس : **تاريخ المغرب وحضارته** ، دار العصر الحديث ، بيروت ، ط1 ، 1412هـ ، ج1 ، ص 143 .

(20)- عبد الرحمان الجيلالي : **المرجع السابق** ، ج1 ، ص 152 ، وموسى لقبال : **المغرب الإسلامي** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط3 ، 1984م ، ص 153 .

(21)- موسى لقبال : **المرجع نفسه** ، ص 153 .

(22)- علي الشابي : **المرجع السابق** ، ص 169 ، وموسى لقبال : **المرجع السابق** ، ص 153 .

(23)- أبو زكريا : **المصدر السابق** ، ص 40 ، والدرجيني : **المصدر السابق** ، ج1 ، ص 12 .

(24)- هو عبد الرحمان بن رستم الفارسي الأصل ، وفد مع أبيه إلى مكة المكرمة وهناك توفي أبوه وتزوجت أمه رجلا من حجاج القيروان وصحبها معه ، وتلقى عبد الرحمان تعليمه بالقيروان على سلمة بن سعد ، وبالبصرة على يد مسلم بن أبي كريمة ، استعمله أبو الخطاب المعافري على القيروان ، وبويع بالإمامة سنة 160هـ ، وأحسن السيرة في إمامته ولم ينقم عليه أحد . (أبوزكريا : **المصدر السابق** ، ص 54 ، 55 ، 65 ، 83 ، والدرجيني : **المصدر السابق** ، ج1 ، ص 19 ، 20 ، 40 ، وتاديوس ليفيتسكي : **المرجع السابق** ، ص 37) .

(25)- هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني إمام الإباضية بطرابلس ، أحسن السيرة في أيامه وأحكامه ودامت ولايته أربع سنين . (أبوزكريا : **المصدر السابق** ، ص 59 ، وابن عذارى المراكشي : **المرجع السابق** ، ج1 ، ص 71 ، 72) .

(26)- أبوزكريا : **المصدر السابق** ، ص 55 ، 56 ، 59 ، والدرجيني : **المصدر السابق** ، ج1 ، ص 12 ، 21 .

(27)- تيهرت مدينة بين تلمسان وقلعة بني حماد ، وهي معروفة اليوم بتاقدمت . (ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج2 ، ص 8 ، وعبد الرحمان الجيلالي : **المرجع السابق** ، ج1 ، ص 165) .

(28)- أبوزكريا : **المصدر السابق** ، ص 71 ، 81 ، والدرجيني : **المصدر السابق** ، ج1 ، ص 35 ، 40 ، وابن عذارى : **المرجع السابق** ، ج1 ، ص 196 ، وابن الصغير : **أخبار الأئمة الرستميين** ، تحقيق محمد ناصر وبحاز إبراهيم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1406هـ ، ص 43 .

(29)- أبوزكريا : **المصدر السابق** ، ص 82 ، 83 ، والدرجيني : **المصدر السابق** ، ج1 ، ص 42 .

(30)- هو عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم بويع إثر وفاة أبيه وهو من أعلم علماء الإباضية ومجتهديهم ، انتصر على مخالفيه والخارجين عليه . (أبوزكريا : **المصدر السابق** ، ص 86 ، 99 ، والدرجيني : **المصدر السابق** ، ج1 ، ص 46 ، 47 ، وتاديوس ليفيتسكي : **المرجع السابق** ، ص 40) .

(31)- أبوزكريا : **المصدر السابق** ، ص 88 ، والدرجيني : **المصدر السابق** ، ج1 ، ص 47 ، وابن الصغير : **المرجع السابق** ، ص 43 .

(32)- عبد الرحمان الجيلالي : **المرجع السابق** ، ج1 ، ص 165 .

(33)- أبوزكريا : **المصدر السابق** ، ص 99 ، والدرجيني : **المصدر السابق** ، ج1 ، ص 56 ، وعبد الرحمان الجيلالي : **المرجع السابق** ، ج1 ، ص 174

تاريخ الاستلام: 2016/01/15- تاريخ التحكيم:2016/03/17 -تاريخ النشر2016/06/28

مظاهر إنتشار الثقافة العربية الإسلامية في حواضر السودان الغربي خلال القرنين و15-17

د.عبد الكامل عطية

جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي- (الجزائر)

Résumé

Cet article fait partie des études sur l'histoire de l'interaction culturelle entre les pays du monde arabe et les civilisations de l'Afrique sub - saharienne au cours des 15ème et 17ème siècles, où se manifestent les aspects de l'influence culturelle du monde arabe dans la vie culturelle et littéraire. En fait, la langue arabe et l'islam étaient des affluents principaux qui ont contribué à la prospérité de la culture arabo-musulmane aux royaumes africains islamiques, tels que le Ghana, le Mali , le Royaume de Songhai, dont leur notoriété a dépassé les frontières reconnues .

الملخص:

يندرج هذا المقال ضمن الدراسات المتعلقة بتاريخ التواصل الحضاري بين بلدان العالم العربي وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين 15,17م،حيث يبرز مظاهر التأثير الحضاري للعالم العربي في الحياة الثقافية والأدبية ،ولقد كانت اللغة العربية و الإسلام من أهم الروافد التي ساهمت في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية في الممالك الإفريقية الإسلامية كغانا ومملكة مالى وسنغاي وقد تعدت شهرتها حدودها المتعارف عليها.

مقدمة:

من المعروف أن منطقة السودان الغربي قد تلاحمت في إطارها العربي والإفريقي تلاحما بشريا وثقافيا وثيقا،وذلك بحكم الروابط الجغرافية والتاريخية الأزلية،وهي عوامل ساعدت على تقوية صلات وانسجام وانصهار شعوب المنطقتين العربية والإفريقية،دون تنافر أو تنازع بين المقومات الثقافية العربية والإفريقية،التي نلمسها اليوم في حياة عدد كبير من مجتمعات غرب إفريقيا المعاصرة[1].

كان للإسلام الفضل الكبير في نقل اللغة العربية ومختلف علوم الدين إلى أماكن كثيرة في غرب إفريقيا وخاصة مدينة تمبكتو التي ارتبطت ولادتها وظهورها بدخول الإسلام في المنطقة مع المرابطين الذين حملوا لواء الإسلام على عاتقهم لتعليم المجتمع السوداني معالم الدين الإسلامي ومبادئه وتعريفهم الآداب الإسلامية وقواعد الدين،هذه هي بداية تسرب الثقافة الإسلامية إلى السودان الغربي والتي ستصل ذروتها في ما بعد[2].

ويمكن تقسيم المراحل التي عبرت بها الثقافة الإسلامية إلى مجتمع جنوب الصحراء بصفة عامة والى المجتمع التمبكتى بصفة خاصة إلى مراحل:

المرحلة الأولي: حمل أعبائها الدعاة وسط القبائل والمساجد في المدن،واستمرت هذه المرحلة إلى أواسط القرن الرابع عشر،وكانت ثمرتها تعلم السواد الأعظم أحكام العبادات والمعاملات والسلوك الديني.

المرحلة الثانية: امتازت بتوثيق عرى الصداقة والإخوة بين المشارفة والمغاربة مع السودانيين،فوفد كثير من العلماء إلى المنطقة فأقتفى إثرهم المهندسون المعماريون الذين هم النواة الأولى المعماري العربي في غرب إفريقيا،وإنشاء مدرسة سودانية في مجال العلوم الدينية.

المرحلة الثالثة: تمتاز هذه المرحلة بتوسع مجالات المعرفة وتجاوز الأغراض السابقة لتضيف أغراضا فكرية جديدة أكثر عمقا وإبداعا كالفلسفة والمنطق والتاريخ وأدب الرحلة والإنشاء والشعر،و ابتدأت هذه المرحلة مع نهاية القرن السادس عشر[3].

لقد انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي بفضل عدة وسائل أهمها طرق القوافل التجارية،والتجار المغاربة،والطرق الصوفية،والدعاة والمبشرون الأفارقة،غير أن العامل الأهم والذي ساعد في انتشار الإسلام في تلك المنطقة يعود إلى الدين الإسلامي نفسه،فهو ذو نظام اجتماعي راق يدعو إلى المساواة بين الناس لا يقيم وزنا لفوارق اللون أو الطبقة،وإنما الفارقة من خلال ما يفعله العبد من أعمال صالحة،لذلك فان الدين الإسلامي كثيرا ما يوصف بأنه أكثر الأديان ديمقراطية[4].

تقول جلوار ويزنر: « إن الإسلام يجتذب الأفريقيين ،لأن مبادئه لا تنطوي على شئ من العنصرية،فأيا كان لون بشرة الرجل،وأيا كان مركزه الاجتماعي،وأيا كانت حالته الاقتصادية،فإنه يرحب به دائما للصلاة في المسجد والاختلاط بإخوانه المسلمين ،وهو أمر لا تستطيع المسيحية في وجهها العملي أن تدعيه»[5].

ويقول أحد الباحثين الغربيين:« لقد حمل الإسلام المدنية إلى قبائل همجية،وجعل من الجماعات الوثنية المتناثرة أمما...ووسع الأفاق،ورفع مستوى الحياة بخلقه وسطا اجتماعيا أسمى،فسمو الجماعات الإسلامية الثقافي والسياسي مرده بالأساس إلى ديانتها.ولقد ادخل الإسلام فن القراءة والكتابة،وهو بتحريمه شرب الخمر،وأكل لحوم البشر.والأخذ بالثأر،والعادات البربرية الأخرى قد مكن الزنجي السوداني من أن يصبح مواطنا عالميا»[6].

ومن مظاهر انتشار الثقافة العربية الإسلامية في حواضر غرب إفريقيا خلال القرنين و19–15م نجد:

شيوع اللغة العربية:

انتشرت اللغة العربية في حواضر السودان الغربي،جنبا إلى جنب مع تغلغل الإسلام في النفوس بحيث أصبح لزاما على الزنجي الذي اعتنق الإسلام،أن يتقن اللغو العربية،باعتبارها أداة العبادة ومفتاح الولوج إلى عوالم الثقافة العربية الإسلامية،ومن ثم الانفتاح على حضارة هذا الدين الحنيف،وعلى الرغم من أن بعض القبائل الزنجية،المسلمة ظلت متمسكة،بلهجتها الأصيلة منافحة عنها،فإن اللغة العربية،أمكن لها أن تتطور وتنمو في ظل هذه المخفقات لتغدو لغة المثقفين والفقهاء الذين أدلوا بدلوهم في إخصاب التفاعل الحضاري والثقافي[7].

لقد اهتم سلاطين السودان الغربي (مالي وسنغاي الإسلامية) بالعلم والعلماء ويذكر أن سلطان مالي منسى موسى وولي عهده كان يتقنان العربية قراءة وكتابة وحديثا وقد عمل على جعل اللغة العربية اللغة الرسمية إلى جانب اللغة المحلية[8].

واللغة العربية بصفتها اللغة التي يقرأ بها القران الكريم وتدرس بها تعاليم الدين وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم،لذا كان تأثيرها عميقا في لغات مناطق غرب إفريقيا وبخاصة لغة السنغاي التي تصل عدد كلمات اللغة العربية المستخدمة فيها إلى ما يزيد على 270 كلمة.أما اللغة الفلانية والهوسا بغرب إفريقيا فإن العربية فيهما ظاهرة مع قليل من التحريف الذي مرده اللهجة المحلية، وتعتبر اللغة العربية وتعلمها عند الأفارقة واجبا دينيا على كل مسلم تأكيدا لاصالة الثقافة الإفريقية التي امتزجت فيها اللغة بالدين[9].

وقد ساعد على انتشار اللغة العربية في إفريقيا عامة وإفريقيا جنوب الصحراء خاصة،عدم جواز ترجمة القرآن وكتابته بغير اللغة العربية التي نزل بها، فضلا عن عدم جواز قرأته بغير اللغة التي نزل بها وهي اللغة العربية.ولذا فإن كل إفريقي حباه الله بالإسلام، وجب عليه حفظ سور من القرآن الكريم يصلي بها،ثم معرفة معاني تلك السور وما يتعلق بأحكامها حتى ل يكون إسلامه سطحيا دون فهم لمحتوى آيات القرآن الكريم[10].

انتشار المذهب المالكي:

أعجب مسلمو السودان الغربي بالمذهب المالكي،وهو مذهب المغاربة الذي آثروه على المذاهب الأخرى منذ ردح من الزمن،إن ترحيب أهل السودان بهذا المذهب يعتبر مظهر من مظاهر الإتلاف بين الجانبين.إن المذهب المالكي ظل دائما أداة لم شعت الشعوب الإسلامية في السودان الغربي،والأمة العربية الإسلامية[11].

فقد تصادف أن كان لقاء السودانيين مع الإسلام بفضل أهل المغرب المالكيين،فأحب أهل السودان الإسلام ،وساروا في ركاب الذين جاؤوهم به.ولأن المذهب المالكي كما يقول الأستاذ – عمر الجيدي- مذهب عملي يعتد بالواقع ،ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم،ويتمشى مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تعقيد.فقد ساهم هذا العامل في ترسيخ المذهب المالكي ببلاد السودان[12].

وحتى عندما تطورت الثقافة الإسلامية بعض الشئ بالمنطقة خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي. وأخذ أهل مالي يتعرفون على المذاهب السنية الأخرى ويتبينون الاختلافات بينها،وجدناهم أكثر تشبثا بالمذهب المالكي وأكثر تعلقا به[13].

ومن الفقهاء المالكية البارزين في هذه الديار نجد:

الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي[14].

الفقيه الشيخ عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن على بن يحي الصنهاجي[15].

الفقيه احمد بابا التمبكتي[16].

مراكز التعليم:

اقترن تاريخ الحياة الثقافية في السودان الغربي بمدينة تمبكتو التي كانت،بصدق،قلب الحركة الفكرية النشطة في المنطقة،والتي امتد إشعاعها العلمي إلى أرجاء واسعة عمت " كانم" و" السنغال" و"النيجر"،وذلك بفضل توافد التجار والعلماء عليها من عرب مغاربة وأندلسيين ومصريين وغدامسيين وطرابلسيين وغيرهم من سكان شمال إفريقيا والأقطار الإسلامية المعاصرة.وقد وحد العلماء وأهل الفكر تشجيعا من أهل تمبكتو وملوكها الذين أغدقوا عليهم بسخاء،الأمر الذي أدى إلى بلورة حركة علمية وأدبية واسعة النطاق لم يعرف السودان الغربي لها مثيلا[17].

أصبحت المساجد في تمبكتو مراكز للتعليم، وقد ألحقت بها حجرات لتعليم الأطفال وطلاب العلم،وكانت الدروس تلقى فيها طوال اليوم،ولا تنقطع إلا في أوقات الصلاة،ويستمر التعليم والتدريس فترة من الليل على ضوء الحطب[18].ومن المنارات العلمية التي كان لها دور بارز في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تمبكتو نجد:

المسجد الكبير بتمبكتو(جينكير بيري) الذي تم بناؤه من قبل السلطان منسى موسى 1312–1337م بعد عودته من الحج،ومسجد سيدي يحي ويعد أول مسجد بني في مدينة تمبكتو في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي . ويقال أنه شيد على ضريح رجل من العلماء الصالحين قدم من المغرب الأقصى،يدعى سيدي يحي[19]

وقد لعبت هذه المساجد دور كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية في حواضر السودان الغربي.غير أنني هنا سأتطرق بشي من الشرح لأهم هذه المرافق التعليمة في تمبكتو وهي:

جامعة سنكوري:

كانت هذه الجامعة تتصدر منارات العلم والعبادة،ويذكر صاحب كتاب تاريخ السودان عبد الرحمن السعدي أن الذي قام ببنائها سيدة غلالية فاضلة،كانت ذات ثروة وحسب ونسب،وقد حدد بناؤها القاضي العاقب عام1578م وبلغت هذه الجامعة أوج ازدهارها في عهد إمبراطورية سنغاي زمن الأسقيا الحاج محمد الكبير.1492–1528م وقد ذاع صيتها بما بلغته من مستوى علمي رفيع،وجعلت من مدينة تمبكتو عاصمة من عواصم الدين والعلم والأدب في بلاد السودان[20].

وقد انفتحت هذه الجامعة على العديد من مراكز العلم في الأندلس والشمال الإفريقي ،في فاس ومراكش وبجاية وتونس وطرابلس وغيرها من مراكز الحضارة،حيث كان التشابه واضحا بينها وبين جامعة القرويين بفاس،في التدريس وأساليبه وفي المناهج التي كانت تدرس في فاس وتمبكتو.كما توافد طلاب منها إلى مدينة فاس من أجل التزود بالعلم.وما رحيل القاضي – كاتب موسى- إلى مدينة فاس لتعلم العلم في عهد مملكة مالي إلا دليل واضح على الامتزاج الحضاري بين جامعة سنكري ونظيراتها بالشمال الإفريقي[21].

المحاضر: (الجامعات البدوية المتنقلة).

بحلول القرن السابع عشر تقريبا،صارت الحركة الثقافية تتجه من المدن إلى البوادي والأرياف،وذلك نتيجة للتحولات الجديدة التي شهدتها المنطقة. وصار يفد على هذه المحاضر جموع الطلاب من مناطق نائية نسبيا،ولهذا صاروا يسمون – تلاميذ الغربة-

،وهم يحلون ويضعنون مع الحي البدوي الذي يوجد فيه شيخ محضرتهم دون أن تتعطل دراستهم.تعد المحاضر مدارس علم ورباط جهاد،ومنارة وإشعاع،كما كانت وعاء للتواصل الفكري والديني على مدى قرون في الصحراء[22].

فهذه المؤسسة كانت نتاجا للظروف الموضوعية التي شهدت انتقال العلماء والفقهاء من المدن إلى الأرياف في كامل أنحاء السودان الغربي ،والدليل على ذلك أن المؤرخ عبد الرحمن السعدي صاحب تأليف تاريخ السودان الذي عاش في الفترة التاريخية نفسها قد ذكر لفظ محضرة أثناء حديثه عن الحياة العلمية بالسودان الغربي[23].

المكتبات:

نشطت المكتبات في تمبكتو بشكل ملحوظ.ويقصد بها المكتبات العامة التي انتشرت في المدن حيث وجد عدد من الذين يمارسون هذه المهنة التي لاقت رواجا وكذلك المكتبات الملحقة بالمساجد والجوامع بالإضافة إلى المكتبات الخاصة لدى العلماء والمثقفين.وقد اهتم عدد من ملوك السودان الغربي باقتناء الكتب النادرة،مهما كلف ذلك من جهد أو مال ونذكر من هؤلاء منس موسى والأسكيا محمد الكبير سلطان مملكة سنغاي[24].

وبالإضافة إلى الخزانات العامة،كانت الأسر الكبيرة في تمبكتو تحرص على أن تقتني أمهات الكتب وتحتفظ بها في خزاناتها الخاصة.وقد كان كثير من العلماء والفقهاء لا يبخلون على طلاب العلم والمعرفة بإعارتهم ما يحتاجون إليه من كتب من مكتباتهم الخاصة التي كانت تحتوي على آلاف الكتب[25].

ومن الأسر التي اقتنت عددا من الكتب القيمة الغالية والمخطوطات النادرة أسرة آقيت.وقد أنجبت هذه الأسرة عددا من الشخصيات العامة من العلماء والفقهاء والقضاة المشهورين في السودان الغربي منهم العالم الفقيه احمد بابا التمبكتي صاحب كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج[26].

حركة التأليف وأعلامها:

لقد ساهمت المؤثرات الثقافية العربية الإسلامية في السودان الغربي في خلق جيل من كبار العلماء السودانيين الذين نالوا شهرة كبيرة ومقدرة علمية أهلتهم إلى منح الإجازات العلمية لبعض علماء الشمال الإفريقي وغيرهم،ولم يقف الأمر عند ذلك،بل وصل إلى درجة مشاركتهم في حركة التأليف في مختلف العلوم المعروفة في عصرهم[27].،ومن مشاهير هؤلاء الذين ساهموا في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية ونشر العلم والمعرفة في مختلف أرجاء السودان الغربي:

- سيد بن عبد المولى الجلالي برز في فن القراءات
- محمج بن عبد الكريم المغيلي الذي كان عالما موسوعيا بمعنى إجادته لعدد من العلوم من بينها التفسير وقد ألف تفسير فاتحة الكتاب والبدر المنير في علوم التفسير.
- المحدث الفقيه احمد بن احمد بن عمر أقيت،الذي كان بارعا في عدد من العلوم من بينها علم الحديث.وكان مادحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم،ومدرسا للصحيحين في مسجد سنكوري.
- الفقيه احمد بابا التمبكتي صاحب نيل الإبتهاج.وغيرهم هم كثر أغنى المكتبة العربية الإفريقية من مؤلفاتهم في شتى فنون العلم[28].

والخلاصة من كل ما تقدم أن العلاقة بين سكان بلدان المغرب العربي وحواضر السودان الغربي كانت علاقة إسلامية تاريخية قوية وقديمة وعلمية وأدبية وفقهية وسياسية وتتناول جميع الروابط الاجتماعية.وقد تطورت حقيقة على حسب ما ودر في الوثائق حتى امتدت إلى أقصى الغاية والآثار الدالة عليها مازالت مشهودة وملموسة.أما العلاقة الثقافية فقد حققت بالتعاليم الدينية وتأثير اللغة العربية وازدهارها وتمسك الملوك بالشريعة الإسلامية وبذلهم قصارى جهدهم لنشر الدين والاهتمام بعلماء الإسلام ووطدوا العلاقات الثقافية مع العالم العربي.وكانت اللغة العربية لغة الإدارة والدواوين والمراسلات الأدبية والفقهية وبالطرق الصوفية وكذلك أيضا بالتبادلات التجارية[29].

الهوامش:

(1)- مطير سعد غيث احمد:الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي،ط1،دار المدار الإسلامي،بيروت ،لبنان،2005،ص217.

(2)- عبد الرحمان ميقا:الحركة العلمية في مدينة تمكت،في مجلة دار الحديث الحسنية،العدد:14، 1997،المملكة المغربية،ص329.

(3)- نفسه،ص ص 329-330.

(4)- جميلة إمحمد التكتيك:مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير 1493-1528م،منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،د ت،ص156.

(5)- عبد السلام أبو سعد:العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها،أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء،سنة 1998 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،ليبيا، ص25-26.

(6)- نفسه،ص26.

(7)- جمال زكريا قاسم:الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية،ص155.

(8)- مبخوت بوداوية:أعلام السودان الغربي مابين القرنين التاسع والعاشر الهجريين، في حولية المؤرخ،العدد:6، 2005،الجزائر،ص179.

(9)- إصلاح محمد البخاري حمودة: انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ما وراء الصحراء تنبكت- غدامس نموذجا(13-17 م)،دار الكتب الوطنية،2004،ص ص 106.

(10)- نفسه،ص107.

(11)- الطيب الوزاني: مقومات التفاعل الثقافي والحضاري بين دول غرب إفريقيا والمغرب الأقصى معالجة في التركيب، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء،سنة 1998 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،ليبيا، ص484.

(12)- احمد الشكري:الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230-1430م،المجمع الثقافي،ابو ظبين1999،ص 229.

(13)- نفسه.

(14)- عبد الرحمان السعدي: تاريخ السودان، ص169.

(15)- نفسه، ص 159

(16)- نفسه،ص158.

(17)- الهادي المبروك الدالي:مملكة مالى الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا،ط1،دار الملتقى للطباعة والنشر،لبنان،2001،ص101.

(18)- شوقي عطا الله الجمل:تنبكت وعلاقاتها بالمغرب قبل حملة المنصور السعدي وتحت الحكم المغربي،اعمال ندوة المغرب وإفريقيا في بداية العصر الحديث،مراكش،المغرب،1992،منشورات معهد الدراسات الإفريقية،الرباط،ص45.

(19)- مبخوت بوداوية:مساجد السودان الغربي ودورها الإشعاعي مابين القرنيين الثامن والعاشر الهجريين، في حولية المؤرخ،العدد 9-10، 2010،الجزائر،ص ص 102-103.

(20)- الهادي المبروك الدالي:المرجع السابق،ص 105.

(21)- نفسه،ص106.

(22)- مطير سعد غيث احمد: المرجع السابق،ص 224.

(23)- نفسه.

(24)- شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق،ص ص 46-47.

(25)- نفسه،ص47.

(26)- نفسه.

(27)- مطير سعد غيث احمد: المرجع السابق،ص 236.

(28)- نفسه، ص ص237، 241 .

(29)- محمد محمود:العلاقة الثقافية بين السكان في شمال الصحراء وجنوب الصحراء الكبرى، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء،سنة 1998 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،ليبيا، ص58.

تاريخ الاستلام: 2016/02/25- تاريخ التحكيم: -2016/06/02- تاريخ النشر2016/06/28

الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف

د.محمد السعيد عقيب

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Resumé

Cet article traite une partie de la vie du cheikh Hussein Hamadi, qui est l'une des personnalités marquantes qui ont défini la région Amish en général et Nakhla en particulier, la vie Sheikh vécu et des circonstances difficiles l'ont conduit à aller pour sauver le Coran et aidé son père en lui pour être un imam, il a pris Sheikh tellement au sérieux concernait le même sauver le Coran, et le travail pour elle et déplacés parmi Nakhla et Nafta la Mosquée Zitouna (Tunisie(

Le Sheikh a contribué à enseigner le Coran à de nombreux étudiants et forment un lien entre el-meknassi (Tunis) et Nakhla –El-oued(Algérie.(

الملخص:

يعالج هذا المقال جزء من حياة الشيخ الحسين حمادي الذي يعتبر من الشخصيات الفذة التي عرفتها منطقة عميش عموما والنخلة خصوصا، فقد عاش الشيخ حياة صعبة وظروفا أدت به إلى التوجه لحفظ القرآن وساعده أباه في ذلك لكونه إمام، فأخذ الشيخ ذلك على محمل الجد وتعلقت نفسه بحفظ القرآن ، وعمل من أجل ذلك وانتقل من النخلة إلى نفطة ثم جامع الزيتونة (تونس)، ولقد ساهم الشيخ تلقين القرآن الكريم للعديد من الطلبة وشكل همزة وصل بين المكناسي –تونس – والنخلة –الوادي

1- المقدمة:

عرفت العلاقات الجزائرية التونسية عبر الزمان تنوعا وتطورا، ارتقى خلال حقبات زمنية إلى درجة الارتباط على المستوى السياسي وغيره، كما كان الأمر خلال العهد الأغلبي والحفصي وغيرهما، ومقابل ذلك عرف خلال فترات أخرى نوعا من التوتر الذي أدى إلى التنافر و الصراع، كما حدث أحيانا على العهد العثماني، لكن باحتلال فرنسا للجزائر وعمل السياسة الاستعمارية على تفكيك البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع الجزائري، كانت تونس ملاذا للجزائريين الفارين من جحيم الاحتلال وبطشه.

ولقد توطدت عرى التواصل بين الجزائر وتونس وشهدت تنوعا بين الجوانب المجسدة لذلك فشملت الجانب الاقتصادي، والاجتماعي و الثقافي، ولعبت العديد من الشخصيات دورا هاما في توطيد هذا التواصل وتمتينه من خلال الاحتكاك بالشعب التونسي والعمل بينهم بما يخدم العلم والتعليم والثقافة.

ومن بين الشخصيات التي قامت بدور هام في نشر التعليم الديني القرآني، الشيخ الحسين حمادي الذي احتضنته تونس طالبا متعلما في الزاوية والزيتونة، ثم معلما وخطيبا بين تونس ومنطقة وادي سوف.

فمن هو الشيخ الحسين حمادي؟ . وكيف التحق بتونس متعلما ومعلما، وماهو التأثير الذي احدثه في كل تونس ووادي سوف؟

2- نبذة عن الشيخ الحسين حمادي:

ولد في سنة 1900 حسب ما ورد في الدفتر الأصلي وفق سجلات الحالة المدنية بالبلدية تحت رقم 5911، ويذكر نجله لمين أنه ولد في حوالي 1902 بقرية النخلة [1] بداية القرن العشرين، وهو الحسين بن علي بن حمادي بن علي بن سالم بن نصيب بن بلقاسم بن لعجال[2]، أباه هو علي وأمه مريم بنت عبد الله بن علي، من أولاد العباسي، إخوته من الذكور : الطيب وحمادي وميداني وإبراهيم وعبد القادر، ومن الإناث ساسية فقط، وقد رضع الحسين أكثر من إخوته بما يفوق السنتين العادية للراضعة، وهو آخر إخوته بالبيت[3].

نشأ وتربى بقرية النخلة، بدأ تعليمه على يد والده في المسجد بالنخلة، لأن والده كان إماما ويحفظ القرآن ، بالمسجد الذي كان بين الحيين الشمالية والشرقية، ووصل حتى الحزب الخامس من القرآن الكريم، وتقريبا كان ذلك في سورة التحريم[4] .

وكانت حياة الصبي كعادة أطفال القرى بسيطة وطبيعية، خاصة وأن الحياة الاجتماعية لأهل الشيخ الحسين كانت حياة ضعيفة مادية.

3- الانتقال لتونس:

ولما سمع بأن الجنوب التونسي به ازدهارا للزوايا والتعليم سافر إلى هناك.بعد ثلاث محاولات للوصول لمبتغاه، وفي المرة الثالثة نقله ابه للزواية في نفطة زاوية سيدي ابراهيم وكان عمره تقريبا 12 سنة ، وفي نفطة أتم حفظ القرآن الكريم كاملا على الشيخ الحبيب الذي أوصاه والده عن ايصاله به خيرا. ودرس هناك على يد مشايخ منهم: " الشيخ التابعي" و"ابن حمد" و"الشيخ ابراهيم الصمادح"، وقد أعجب مشايخه بذكائه وسرعة حفظه[5].وقد مكث الشيخ في زاوية نفطة حوالي ست سنوات تقريبا.

4- الشيخ الحسين والعمل عند أولاد العمامي:

ذات مرة وصلته رسالة من أبيه ، قال له فيها: ((راهي جاتك 50 فرنكا ، وأنا أكتب الرسالة وهي ليست لدي وإنما سلفا))[6].

أدرك الشيخ الحسين مدى العوز الذي يحياه أباه وأهله بالنخلة، فقرر البحث عن عمل عله يساعدهم على شظف العيش ومتاعب الحياة، فبدأت رحلته في سبيل مبتغاه.

ذهب الشيخ من نفطة إلى توزور ومن ثم ركب القطار، حيث قادته الصدف للتعرف على شخص في محطة القطار من قرية المكناسي، كان عائدا من توزر، وعند تجاذب أطراف الحديث علم الرجل بحفظ الشيخ الحسين للقرآن الكريم، فطلب منه أن يعلم عندهم الأطفال، واقترح عليه مرافقته لأولاد العمامي، لأنهم يبحثون عن معلم قرآن(طالب)، فوافق الشيخ الحسين عن المقترح وصحبه، وقد أخبره الرجل بأنهم عشرة إخوة[7].

وهكذا تمكن الشيخ من الحصول على عمل يعيل منه نفسه ويساعد به أهله، فاشتغل معلما وإماما يدرس بأولاد العمامي.

ونظرا لإعجابهم بأخلاقة وعمله وعيشه بينهم عرضوا عليه تمليكه مكانا للزرع وقطيع من للغنم وتزويجه أحد بناتهم، لكن الشيخ امتنع عن ذلك، ويظهر من خلال هذا أن عرش آل العمامي كانوا ذوي نفوذ وجاه ومال[8].

5- الشيخ الحسين حمادي ومواصلة التعليم بالزيتونة:

كان الشيخ الحسين حمادي محبا للتعلم والزيادة فيه، وكان طموحه كبيرا في الوصول غلى الموارد الرئيسة للعلم ومنها الزيتونة، لكثرة وصول صداه إلى آذان كل الطلبة الراغبين في العلم آنذاك من جهة، وبحكم انتقال الشيخ لتونس من نفطة إلى المكناسي فكان من الطبيعي أن لا يضيع الفرصة التي ظلت روحه تتوق إليها.

وبعد مكوثه حوال عشر سنوات بين أولاد العمامي بالمكناسي اختار الشيخ مواصلة رحلته العلمية، وربما هذا الشغف الضامر عنده هو الذي دعاه لرفض الزواج عند أولاد العمامي لما يترتب عنه من تفضيل للاستقرار بدل الترحال في طلب العلم. فانتقل الشيخ الحسين للزيتونة في حوالي سنة 1928، وكان انخراطه للدراسة في الزيتونة بعد اجتيازه لامتحان الدخول، فدرس سبع سنوات قضى السنوات الأربع ألأولى منها بالانتساب، ومن السنة الخامسة صار طالبا منظما بالزيتونة، بداية من الموسم 1930 -1931 واجتاز السنة الخامسة والسادسة بنجاح واقتدار.[9]

وفي السنة السابعة الموافقة للسنة الدراسة 1932-1933 لم يكمل الشيخ دراسته في سبيل الحصول على شهادة التطويع، وذلك بسبب الأحداث التي عاشتها تونس والاضطرابات التي شهدها جامع الزيتونة ضد عميد الجامع الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وذلك بسبب الأحداث التي انطلقت من بنزرت حيث راجت شائعة في ديسمبر1932 مفادها أن رئيس المتجنسين بتلك المدينة المسمى "محمد شعبان " قد مات ، فأصر السكان على عدم دفنه بمقابر المسلمين، وما صاحب ذلك من فتاوى منها ما قاله الشيخ الطاهر بن عاشور بجواز دفن المتجنس إن لم يخرج من الدين وشهدا بالإسلام، ونتيجة لهذه الاضطرابات لم تتم

الدارسة خلال هذه السنة واحتسبت سنة بيضاء لكل الدارسين في الزيتونة بحكم الإضراب والاضطرابات المواكبة لقضية التجنيس[10].

ولقد درس الشيخ الحسين الذي حمل في الوثائق الرسمية والسجلات بجامع الزيتونة اسم " الحسين بن علي السوفي" على عدد من المشايخ المتخصصين في عدد من العلوم ومنهم:

- الشيخ محمد عبد العزيز النيفر
- الشيخ محمد الحطاب بوشناق
- الشيخ أحمد بن عثمان
- الشيخ محمد التارزي.
- الشيخ ابراهيم النيفر
- الشيخ محمد البشير النيفر.
- الشيخ محمد الزغواني[11].

وكان الشيخ أثناء دراسته بجامع الزيتونة يعود في العطل للمكناسي، وعند توقف الدراسة بالزيتونة سنة1933 عاد إلى إقامته عند أولاد العمامي وذلك بعد شهر فيفري1933[12].

6- الشيخ الحسين حمادي العودة والتدريس بالنخلة:

كان على عادة الشيخ التواصل الدائم مع الده، خاصة بعد زواجه سنة 1934، ورغم طموحه الواسع لمواصلة الدراسة في الأزهر الشريف، والتي قال من أجلها شعرا جاء فيه:

فلو كانت الدنيا تدوم رأيتني *** سكنت بمصر فهي أحسن موطن

ولكنها ليست تدوم لحادث *** لهذا رضيت منها بالوطن الدني

وفي سنة 1940 كان رجوعه من أجل زيارة أهله، لكن القدر كان يخفي شيئا آخر وهو وفاة والده علي، وذلك لأن في رمضان 1940 عند خروجه أمام البيت مع صلاة المغرب أمره الصلاة بالجماعة والتراويح إذا بقي وإذا لم يبق تؤمهم ووصى زوجته:((قولي للحسين يهنيني على الجماعة الصباح))[13].

وبوفاة والده كان عليه الاستقرار نهائيا في النخلة للتدريس والإمامة بالمسجد الذي صار فيما بعد بالنخلة الشرقية- الوسطى- آخذا بوصية والده بتدريس القرآن وإمامة الجامعة في صلواتهم زيادة على تعليم القرآن الكريم.

وهكذا أقحم الشيخ خلفا لوالده في المهنة التي أوصاه بأن يتولاها بعده ، فاشتغل بالتدريس والإمامة، ولم يكتف بتعليم القرآن فحسب، بل كان يدرس الفقه والنحو والصرف وكانت له معرفة كبيرة بالنحو وهكذا ظل الشيخ إماما ملتزما بوصية والده بخلافته الإمامة بقرية النخلة فعكف على تعليم الأجيال المتون باللغة العربية، والقرآن وبعض العلوم الشرعية فتخرج على يديه عدد كبير من الحفاظ لكتاب الله قدر بحوالي 95 طالبا[14].

ومن بين الأسماء التي حفظت القرآن على يد الشيخ الحسين: الطاهر حميداتو- عمر شويرفات- عبد الله دوش- أحمد سواكر- الضيف بن علي- عبد الرحمان بن علي – عمار حميداتو- لزهاري حميداتو....الخ.

7- مشاركته في الثورة التحريرية:

انخرط في صفوف الثورة التحريرية في الجناح السياسي (التنظيم المدني) وأصبح هو المسؤول عن التنظيم المدني متكفلا بجمع الاشتراكات والتجنيد، وكان يساعده المولدي دادة، وبقاص عمار والتجاني فطحيزة التجاني[15].

تفطنت فرنسا عن طريق الاستخبارات وبالوشاية، لعمل الشيخ الذي كان يسد فراغا رهيبا يعيشه المجتمع في قضايا نزاعات الأرض والحدود كان الناس يتحاكمون إليه تحل هذه المشاكل، واستمر الوضع حتى بعد الاستقلال، وكذلك الفتوى والمساهمة في حل المشاكل الاجتماعية[16].

لما تم اكتشاف التنظيم المدني تم استدعاؤه من طرف الإدارة الفرنسية لأنه لم يحصلوا عنده على شيء يدينه، فقرروا نفيه لتونس. خروجه لتونس كان خروجا سريعا لأنهم طلبوا منه عدم المبيت بالبيت "كورنبا " cornet-boit » فقال له: ((لو تبيت فقد تموت)). فأعطاه التسريح بالنفي، فخرج مساء من بيته رفقة كل عائلته : زوجته والأولاد لمين – علي – بوبكر والبنات رفقة أخيه عبد القادر للذهاب كدليل ثم الرجوع بالجمال من نفطة ، وذلك في شهر جوان 1957.[17]

عند الوصول على تونس تم سجنهم من قبل الإدارة التونسية بغرض التحقيق، حيث مكث حوالي شهر أو أقل من ذلك لعدم وجود أية نية تدينه بشيء وكلف خلفا له بالنخلة شويرفات عمر لتدريس القرآن[18].

بعد الخروج من السجن استقر في الجنوب التونسي بالرديف حيث بقي مواصلا عمله الثوري حيث مثل بيته مركزا للثوار المجندين ومركز عبور لهم لمدة خمس سنوات حتى الاستقلال.

عند الاستقلال في جويلية 1962 تم الرجوع للنخلة وواصل عمله حتى وفاته سنة 1982م، وبرجوع الشيخ عمل إماما بالمسجد، وظل على ذلك متطوعا في البداية وبعدها أصبح موظفا بصفة رسمية ابتداء من سنة 1963. ولما عاد إلى النخلة من أول يوم أخذ يصلي بهم وعاد للتعليم كما كان، ولكن صحته لم تسمح له ببذل النشاط كما كان، إن شيخنا عليه رحمة الله كان من رجالات الدين والإخلاص وكتاب الله. وكان يجيب عن الأسئلة التي تأتيه في الفقه وفي العبادات والمعاملات وفي سبيل التعليم والإمامة، كان يتحمل كل شيء في فهو يؤمن بأنه مطالب بتبليغ هاته الرسالة.

8– طريقة تحفيظ القرآن:

الطريقة التقليدية باللوح، بوضع الطلبة صفوفا متوالية ، فيملي عليهم بالتوالي ، ويكتبون بطريقة متتالية وتتم الدراسة على فترتين صباحا ومساء بحيث يخصص الصباح لكتابة اللوح الجديد، وفي المساء يتم محو ما حفظ، ويستعمل الطالب كلا جهتي اللوح ، وكان الشيخ يبدأ من اليمين ، ويصحح الشيخ ألواح الطلبة بعد إكمال كتابة اللوح، وإذا كثر الطلبة يتم الاستعانة بالطلبة القدامى للمساعدة [19].

ومن المتون في ما يتعلق بعلوم القرآن، مثل:

– مورد الضمآن – المصباحي في الرسم – متون الفقه كابن عاشر وخليل.....وكان وقت التدريس من قبل الشروق حتى الضحى ، وكان التحفيظ تركيزا على الصغار ولكن كان هناك ايضا للكبار وتدريسهم كمحو للأمية للسور القصار، ولم تكن له دروسا بانتظام وإنما كانت مناسباتية [20] .

المشايخ الذين عاصروه منهم:عبد الكريم عسيله– الهادي العمامرة (الخبنة)– عوينات البخاري.

بعدما نالت الجزائر استقلالها عاد الشيخ للجزائر من تونس إلى أرض الوطن وبالضبط للنخلة وتولى تدريس القرآن الكريم والإمامة والإفتاء والفنون كالنحو والصرف والفقه فدرس الميراث والأربعون النووية.

وكان له الفضل في تكوين وتعليم أهالي المنطقة أصول القراءة والكتابة لافتقاد أهلها فقوم منطقتهم وكتابتهم و محى أميتهم وحفظ على يديه الكثير نصفا وربعا كاملا. كان للشيخ أسلوبا مميزا في تحفيظ القرآن الكريم للناشئة يمتاز بالسلاسة والمعاملة الحسنة والحنو على طالب العلم ، وكان لا يضرب إلا من ظلم غيره أو وصل متأخرا أو من تلفظ بما لا يليق، وكانت له فراسة لطلبته[21].

كان ينظم من يكتبون بالحرف يأتون في الصف الأول، وبعدهم من يكتب لهم الكلمة، ومن يملي لهم في الصف الثالث وكان لا يأخذ دينارا ولا درهما عن أحد، وكان يقول : ((لأن يحفظ لي ولد القرآن الكريم أحسن من ستون جبارا في غوط))[22].

9- شهادات بعض طلبته عن أسلوبه وطريقى تدريسه للقرآن:

شهادة محمد الكبير خالدي: إمام ومجاهد معروف أحد تلامذة الشيخ الحسين ، اتصل بالشيخ آخر الحرب العالمية الثانية حيث أتى بي والدي إليه في النخلة الشرقية عند أخوالي للدراسة عند الشيخ الحسين، وكانت سورتي " الحجر " وطلب مني محو لوحي وإكمال الحفظ إلى نهاية القرآن، وكان وقت التدريس من قبل الشروق حتى الضحى، وكنت آتيه من العقلة[23].

كان للشيخ أسلوبا مميزا في تحفيظ القرآن الكريم للناشئة يمتاز بالسلاسة والمعاملة الحسنة والحنو على طالب العلم ، وكان لا يضرب إلا من ظلم غيره أو وصل متأخرا أو من تلفظ بما لا يليق، وكانت له فراسة لطلبته.

كان ينظم من يكتبون بالحرف يأتون في الصف الأول، وبعدهم من يكتب لهم الكلمة، ومن يملي لهم في الصف الثالث، ووصل العدد منهم حيث بلغ 100 طالب، وكان لا يأخذ دينارا ولا درهما عن أحد، وكان يقول : ((لأن يحفظ لي ولد القرآن الكريم أحسن من ستون جبارا في غوط)).

شهادة لزهاري حميداتو:

- كنت صبيا في سنة 1957 حيث جئت صباحا متأخرا ذات يوم وكان يعرض الأطفال ، ولما وصلت إلى آية : ((إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم)) فسألني من وضع الشدة وهي ليست موجودة ، فقلت له فلان، فتركني في المسجد وأن لا أمحو لوحي ذلك اليوم.

- الثانية كنت في سورة المطففين كتبت قبلها آية : ((تعرف في وجوههم نظرة نعيم)) فقال: لي توقف هنا ولا تزيد، وكانت قليلة فطلبت منه الزيادة في اللوح، فقال لي بأنني لما كنت أقرأ توقفت عند هذه الآية فقط ، وعندما تصل ستكون مثلي[24].

وعندما عاد بعد الاستقلال سألته عن سبب عدم محو لوحي عن الشدة فقال: حتى لا تنساها طيلة حياتك، والثانية لأنني توسمت فيك خيرا بأنك من الوجوه الطيبة.

إنه الشيخ الذي خدم دينه ووطنه بإخلاص ووفاء.الصبر تاج على رأسه رغم الظروف العسيرة والابتسامة على شفيته واضحة كشمس الظهيرة والأخلاق الفاضلة لباسه وأصل العشيرة كرم وجود وزهد وتواضع وبحر من فصال كريمة إنه الإمام الورع المطمئن لقضاء الله ، المخلص في دينه ودنياه إنه الشيخ الحسن حمادي. يتمتع الشيخ بموهبة خاصة في تعليم القرآن الكريم وله مميزات قل نظيرها[25] .

شهادة بقاص الطاهر بن صالح:

قرأت على يديه القرآن العظيم والحقيقة من ناحية تعليمه للتلاميذ كان إنسانا حكيما عنده موهبة من الله عز وجل التعليم حيث لا يعرف إلا القرآن في المسجد، نصائحه لنا كأننا أبناءه، ولا يعنف ولا يشمت تلميذ ولا يضرب تلميذ ، كانت الابتسامة الدائمة لتلامذته ، وكان يمل علينا ولو يخطئ أحدنا لا يضيق به ولا يقلق، ثم يرشد بأسلوب جيد وبالتي هي أحسن وكان يقول: ((هز مني الملة التي أعطيك إياها واكتبها كنطقي إياها لك)). معنى ذلك كان له المنطق وهو زيتوني يقرأ القرآن مضبوطا بالنحو والأحكام فكل ترتيبات القرآن كان يحوزها وعلمنا المنطق الصحيح وكان ينصحنا بالفصاحة ويشدد على التنوين والإدغام والشد والمد.

وكان من ميزاته عند المغرب نخرج لساحة المسجد بجامع النخلة قبلة الباب وكنا نقرأ جميعا نسرد وهو معنا ويسمعنا ومن يخطأ ينبهه وكنا نكرر كلنا وهو يقومنا[26].

10- وصاياه ونصائحه لطلبته:

من نصائحه : ردوا بالكم لا تكونوا صريحين بدرجة كبيرة وإنما تحفظوا أحيانا حتى لا تحصلوا .

القرآن بحفظه أنتم أغنياء – داوموا على التكرار والقراءة فالقرآن هو سلاحكم يوم القيامة وعليكم بتدريس غيركم بإخلاص ودون طمع حتى تنالوا الثواب الكامل .

محمد الكبير خالدي يقول: كان يوصينا بفعل الخير وصية حين موته لابنه لمين: عليك بفعل الخير وعليكم بالطهارة كذلك القرآن جون نسيانه. وعليكم بالابتعاد عن الشر لأن صاحبه لن ينجح[27].

11- وفاة الشيخ وآثاره:

بقي الشيخ يوجه وينصح ويزرع بذور العلم والمعرفة ويوجه طوال مشوار حياته ويثابر على ذلك إلى آخر أيام حياته.

ظل الشيخ يواصل نصائحه حتى سنة 1982، حيث مرض أيام قلائل وتوفي يوم 15 أفريل 1982.[28]

كانت جنازته جنازة مهيبة وكبيرة جدا، طلبت من عمي الصلاة عليه ، وكذلك الإمام للصلاة عليه لكنهم رفضوا فصليت عليه أنا (ابنه لمين)، وكل ثلاث صفوف احد يسمع الناس حتى يسمع الناس لكثرتهم. [29]

وفاته كانت كبيرة جدا على الجهة فليس له مثيل في ذلك الوقت، إذا أردنا أن نقتدي بالرجال المخلصين الذين كرسوا حياتهم لخدمة الدين وتحفيظ كتاب الله والنضال من أجل الوطن.

كان يعلم القرآن للناس، ومحافظا عن الصلاة والتحلي بالصدق ومعرضا عن الدنيا وإماما مثابرا، كان مثالا في الصدق والإخلاص والتغافل عن أخطاء الناس، إن الشيخ الحسين كان مثالا للأجيال يقتدى به مثالا للأئمة مثالا لخدمة الوطن مثلا في الإخلاص، والصدق.

أحب الشيخ كتاب الله والعمل به. وفضل زرعه في قلوب أجيال الأمة لأنه أراد أن يضع رجال يحملون في صدورهم قرآنا يمشي على الأرض يبلغونه للأجيال، التي تأتي من بعده لتكون المسيرة مشرقة بالأنوار الإيمانية الخالدة فكان بحق رجلا مخلصا لدينه ودنياه وعلما عارفا بالله[30].

الخاتمة:

إن دراسة شخصية الشيخ الحسن حمادي تظهر لنا خصائص وفضائل هذا الرجل، الذي

عاش للقرآن متعلما ومعلما، في قرية بعيدة عن مراكز العلم، فكان الوجهة التي يقصدها الناس للتعلم والتفقه .

ولم يصل الشيخ لهذه المرتبة إلا بعد معاناة كبيرة وحياة مليئة بالشداد التي عركت حياته على الاجتهاد والجد، ولم تفت هذه الأمور من عزمه وطموحه وإرادته وشغفه للعلم وأهله.

ولقد تجاوز إشعاع الشيخ النخلة والجزائر ليصل إلى بلد الجوار تونس، فكان له دور هام في تدريس القرآن والمتون التي تمكن منها بالزيتونة وغيرها، بكل من المكناسي بتونس.

شكل هذا الانتقال بين(المكناسي) تونس و(النخلة- الوادي) الجزائر همزة الربط والتواصل بين القطرين، وذلك في المجال الديني والثقافي، من خلال تعلم الشيخ في نفطة والزيتونة، ثم توليه التدريس في كلا المنطقتين.

كان للشيخ الفضل الكبير في إخراج الكثير من الناس من الأمية والجهل، من خلال تعليم الكثير كبارا وصغار مبادئ الكتابة والقراءة، والحفظ ، فتمكن من تلقين الكثير حيثما حل تلك المبادئ والأسس الأولية في القراءة والكتابة، مما فتح الباب واسعا أمام تعلق الكثير من الطلبة بحفظ القرآن حتى اشتهرت القرية بالحفاظ ماضيا وحاضرا.

الشيخ لم يكتف بالتعليم القرآني فحسب، بل مثل المفتي والموجه والمصلح القاضي في الخصومات، والناصح الواعظ لمرتكبي الزلات، والأب الذي تفشى عنده الأسرار، والمقصد وقت الأزمات والشدة.

لم يخرج الشيخ عن المألوف في تدريس القرآن الكريم، وظل محافظا على استخدام اللوح الخشبي والدواة كوسائل أساسية في تعليم الناس القراءة.وقد ساهم الشيخ الحسين حمادي في التعريف بقريته وأهله، وتقديم نفسه كهمزة وصل بين الجزائر وتونس، حيث عاش بين آل الهمامي بالمكناسي –تونس –، وظل البعض منهم على ارتباط باسم الشيخ حتى وفاته.

الهوامش:

1- النخلة: هي بلدية من بلديات ولاية الوادي ب. الجزائر- سميت بهذا الاسم لآن أول من ابتدع نخيلها غرس في هذا المكان نخلة واحدة ، وعجز عن المزيد فكبرت ، ولما امتد عمران عميش صار أهله يقولون : أذهب إلى النخلة أو جئت من النخلة، فصارت علما للمكان. ينظر: أحمد بن الطاهر منصور، **الدر المرصوف في تاريخ سوف**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 53.

وقد أخذت المكان في استقرار الرحل حوله تدريجيا عبر فترات زمنية حتى صارت عامرة ، وأصبحت قرية في طريق مرور القوافل نحو الصحراء شرقا وجنوبا، فتكاثر حولها السكان فعرفت بهذا الاسم، صنفت النخلة كبلدية سنة 1958 من طرف الإدارة الاستعمارية، وبعد استقلال الجزائر ضمت بلدية النخلة إلى بلدية الرباح في 01 جويلية 1963، وعند إقرار تقسيم إداري جديد سنة 1984 أصبحت النخلة بلدية من جديد. ينظر: محمد الصالح بن علي، **شهداء الثورة التحريرية ببلدية النخلة**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، ص8.

تقع بلدية النخلة في الجنوب الشرقي لـ ولاية الوادي، يحدها من الشمال بلدية البياضة وجنوبا بلدية العقلة وشرقا بلدية دوار الماء وغربا بلدية الرباح. تبلغ مساحة بلدية النخلة 700 كلم^2 معظمها مغطاة بالكثبان الرملية. تتكون بلدية النخلة منا لعديد من الأحياء: حي النخلة الشرقية مقر البلدية ،حي النخلة الشمالية، وحي الخبنة وحي النخلة الغربية وحي النصر والبدر .يبلغ عدد سكان بلدية النخلة ما يزيد : 15000 نسمة . وتشتهر النخلة بالمحيطات الفلاحية التي تنتج : البطاطا والدلاع وغيرها من الخضروات زيادة على التمور. للمزيد انظر: مكتب الأرشيف ببلدية النخلة. وكذلك : موسوعة ويكبيديا ، تاريخ الاطلاع: 2012/08/15.

2- لقاء شخصي مع: لمين حمادي، ببيته بحي الشهداء في 12 أفريل 2012 مساء.من الساعة:17:10 حتى 18:30.وكذلك: محمد العيد قدع، **الشيخ الحسين حمادي دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902-1982م** ،ط1، الوادي، مطبعة ذويب، 2013 ، ص ص38-42.

3- لقاء شخصي مع: لمين حمادي، ببيته بحي الشهداء في 12 أفريل 2012 .

4- نفس المرجع.

5- لقاء شخصي مع: لمين حمادي، ببيته بحي الشهداء في 19 أفريل 2012 مساء.من الساعة 17:00 حتى الساعة 18:10.

6- لقاء شخصي مع: لمين حمادي، ببيته بحي الشهداء في 19 أفريل 2012 وكذلك:

- محمد الصالح بن علي ، **الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح**، ط1، الوادي، مطبعة صخري، 2012، ص40.
- محمد العيد قدع، المرجع السابق،، ص48.

7- لقاء شخصي مع: لمين حمادي، ببيته بحي الشهداء في 19 أفريل 2012 مساء.من الساعة 17:00 حتى الساعة 18:10.

8- نفسه.

9- علي الزيدي، **الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسي 1904-1945**، ط1، صفاقس، دار نهى،2007، ص ص359-361. وكذلك لقاء لمين حمادي، يوم 2012/04/19.

10-نفس المرجع، ص52.

11-وثائق خاصة عند ، بوبكر حمادي، أطلعت عليها واستنسخت نسخا عليها بتاريخ: 10مارس2012.

12-محمد العيد قدرع، المرجع السابق، ص53. وكذلك لقاء يوم 2012/04/19.

13-لقاء يوم 2012/04/12.

14-نفس المرجع.

15-لقاء شخصي مع السيد بوبكر حمادي ببيته بالنخلة ، يوم 2012/08/16 من الساعة 17:20 حتى18:00.

16-حصة إذاعية " أسماء في الذاكرة"، إذاعة سوف المحلية ،من تقديم: الحافظ بن خليفة، حصة يوم 2007/04/27.

17-لقاء مع السيد لمين حمادي، يوم 2012/04/19. وكذلك: محمد الصالح بن علي، **الشيخ الحسين حمادي**، ص ص164-165.

18-حصة إذاعية " أسماء في الذاكرة"، إذاعة سوف المحلية ، من تقديم: الحافظ بن خليفة، حصة يوم 2007/04/27.

19-محمد العيد قدع، المرجع السابق، ص100.

20-لقاء مع الطاهر حميداتو ، ببيته بالنخلة، يوم2012/03/22، من الساعة9:30 حتى 11:00.

21-شهادة محمد الكبير خالدي، في حصة أسماء في الذاكرة من تقديم: الحافظ بن خليفة، يوم:2007/05/03.

22- نفس المرجع.

23-نفس المرجع.

24-الحصة الإذاعية، 2007/05/03.

25-نفس المرجع

26-الحصة الإذاعية، ليوم2007/05/11..

27-لقاء مع السيد لمين حمادي، يوم 2012/04/19.

28- لقاء مع السيد لمين حمادي، يوم 2012/04/19.

29- نفس المرجع.

الحصة الإذاعية، ليوم2007/05/24.

تاريخ الاستلام: 2015/11/03- تاريخ التحكيم:2016/01/16- تاريخ النشر2016/06/28

علاقة الإمام عبد الحميد بن باديس بعلماء وادي سوف قبل تأسيس جمعية العلماء

الشيخ الطاهر العبيدي نموذجا

أ.جمال زواري احمد

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Résumé:

Il est connu que l'Imam Abdelhamid Ibn Badis a établi des contacts avec plusieurs savants et réformateurs, aussi bien dans les différentes villes d'Algérie que dans les multiples contrées du monde arabo-musulman. D'ailleurs, ceci était vrai dès les débuts de son parcours scientifique et son orientation réformiste. Faut-il rappeler qu'Oued Souf fut l'une des premières villes où Ibn Badis a noué des relations d'amitiés avec ses différents savants, au premier rang desquels le célèbre Cheikh Tahar Loubaidi, et cela avant même la création de l'association des Oulémas. Ils se sont fréquentés durant les années de leur formation à l'Université de Zaytouna, et malgré les divergences qu'ils ont eues, ils ont échangés des poèmes et des correspondances, et Ibn Badis a même fait l'éloge et commenté plusieurs publications de son ami. Cette relation entretenue entre les deux savants dévoile certains aspects méconnus de la vie d'Ibn Badis, notamment les éléments contenus dans la lettre envoyée par ce dernier à Tahar Loubaidi en 1919.

ملخص:

عرف عن الإمام عبد الحميد بن باديس تواصله مع رجال العلم والإصلاح في نواحي القطر الجزائري المختلفة وفي العالمين العربي والإسلامي، وربط علاقات معهم منذ بدايات توجهه العلمي والإصلاحي، ومن المناطق التي تواصل مع علمائها مبكرا قبل تأسيس جمعية العلماء منطقة وادي سوف، حيث ربطته علاقة صداقة مع أحد أشهر علمائها ممثلا في الشيخ الطاهر العبيدي، الذي تبادل معه القصائد والرسائل، وعلق على بعض مؤلفاته ومنظوماته وقرظها، بعدما جمعتهما مرحلة الطلب في جامع الزيتونة، مع ما كان بينهما من اختلاف، وهي العلاقة التي كشفت عن بعض الجوانب الخفية من حياة ابن باديس خاصة ما أثبته في رسالته للعبيدي سنة 1919.

مقدمة:

إن المتتبع لحياة الإمام عبد الحميد بن باديس يجده كان حريصا على التواصل مع العلماء في كل من الجزائر وتونس ومصر والحجاز في الفترة التي سبقت تأسيسه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وربط علاقات معهم قصد الاستزادة من العلم والحصول على إجازاتهم العلمية وتبادل الرأي والمشورة حول مسائل العلم والإصلاح، وكذا تقريظ بعض رسائله التي ألفها أو العكس كما فعل مع رسالته((رسالة جواب سؤال عن سوء مقال)) والتي طبعها ونشرها سنة 1922 ومعها تقريظ عدد من علماء الجزائر وتونس والمغرب[1].

أما علاقته برجال العلم والثقافة في منطقة وادي سوف فقد اشتهرت بعد تأسيس الحركة الإصلاحية في بداية الثلاثينات من القرن الماضي، حيث شارك بعض علماء سوف في اجتماع التأسيس وتقلدوا مواقع قيادية في أول مكتب إداري لها كما هو الحال مع الشهيد الأمين العمودي[2] الذي كان تربطه علاقة وثيقة بابن باديس وهو ما ينطبق على الشيخ حمزة بوكوشة[3] وكذلك الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي[4] شيخ الطريقة القادرية الذي اختير عضوا في المجلس الإداري للجمعية بعد انضمامه إليها، لتتوج علاقة ابن باديس بمنطقة سوف بزيارته لها مع وفد الجمعية سنة 1938[5].

لكن لم يشتهر عن ابن باديس علاقته بعلماء المنطقة قبل تأسيس جمعية العلماء رغم أن الوثائق التاريخية تؤكدها من خلال علاقة الصداقة التي ربطته بالشيخ الطاهر العبيدي أحد أشهر علماء سوف منذ بدايات القرن العشرين الميلادي عندما التقيا في رحاب جامع الزيتونة المعمور، وتوطدت أكثر بعد زيارته إلى مدينة تقرت سنة 1918 أين كان يقيم العبيدي إماما لمسجدها الكبير.

وهي العلاقة التي حملت بعض الغرابة على ما يبدو كما كشفت عنها الرسائل المتبادلة بينهما، والتي أظهرت بعض الجوانب المجهولة من حياة ابن باديس في الفترة التي سبقت تأسيس الجمعية خاصة قبل العشرينات من القرن الماضي، كتجواله داخل القطر الجزائري بجهاته الأربع وزيارته لأضرحة الأولياء والصالحين والدعاء عندها، وهو الاكتشاف الذي يعود الفضل فيه إلى الدكتور أبي القاسم سعد الله حيث نفض غبار النسيان عن هذه المراسلات التي تمت بين ابن باديس والعبيدي ونشرها في بعض كتبه، وهو الأمر الذي لم يعجب بعض المحسوبين على الحركة الإصلاحية خاصة ما تعلق منها بزيارة ابن باديس للأضرحة وهو ما يتنافى وحياة ابن باديس ومواقفه بعد ذلك خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء، حيث يذكر الدكتور عاشوري قمعون[6] أنه كان برفقة الدكتور سعد الله بالعاصمة سنة 1981 فالتقيا بأحد هؤلاء الذي لام الأستاذ سعد الله بفظاظة وحدّة لما كتبه في جريدة الشعب حينها عن المراسلة التي تمت بين ابن باديس والطاهر العبيدي[7]، رغم أن الأحداث والوثائق التاريخية عموما لابد وأن تقرأ في سياقها الزمني الذي وردت فيه، ورغم أن المراسلات المذكورة .كما سنعرف خلال هذا المقال . لا تنقص مطلقا من مكانة ابن باديس بقدر ما تزيد في ثراء تجربته، وتدلل على تطور موقفه خاصة من التصوف والطرقيين، وتبقي الباب مفتوحا للباحثين في البحث في حياته ومساره العلمي والإصلاحي، لذلك كان سعد الله محقا عندما ختم تقديمه لهذه المراسلة . وكأنه كان يعلم ما ستثيره من ردود أفعال لدى البعض .:"ومهما كان الأمر فإن هذه المراسلة بين العبيدي وابن باديس أصبحت جزءا من التاريخ المعاصر للجزائر ومن الأدب الإخواني الذي كان متداولا بين الأدباء ورجال العلم، ونعتقد أننا بتقديمنا لهذين النصين(القصيدة والرسالة) نكون قد خدمنا التاريخ والأدب معا، وأضأنا نقطة أخرى من حياة الرجلين العالمين ابن باديس والعبيدي"[8].

أولا . التعريف بالرجلين ابن باديس والعبيدي:

1) . التعريف بعبد الحميد بن باديس:

ولد عبد الحميد بن باديس في 4 ديسمبر 1889م بقسنطينة، وترعرع في أحضان أسرة عريقة في الجاه والمال والعلم والوظيف والنضال، حفظ القرآن الكريم وهو ابن الثالثة عشر، وتعلم اللغة العربية ومبادئ الفقه على يد علماء المدينة وشيوخها، انتقل إلى جامع الزيتونة للاستزادة من طلب العلم، فتحصل على شهادة التطويع، ثم ارتحل إلى الديار المصرية والحجازية، لأداء فريضة الحج وطلب العلم، ولما عاد إلى أرض الوطن، اتجه إلى التعليم وتربية النشء ووعظ الكبار، بإلقاء الدروس العامة في المساجد والمدارس والنوادي، كما مارس العمل الصحفي، ليتوّج تحركه بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ماي 1931، وظل الإمام ابن باديس مكافحا مجاهدا على كل الجبهات، إلى أن وافاه الأجل في 16 أفريل 1940[9].

2) . التعريف بالطاهر العبيدي:

هو الفقيه والأصولي والأديب والمتصوف، ولد بواد سوف سنة 1886، حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، ودرس مبادئ العلوم الدينية واللغوية على يد أهم علماء المنطقة، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة سنة 1904 حيث مكث ثلاث سنوات أين تصادف مع الإمام ابن باديس، ثم عاد إلى الوادي قبل أن يكمل تعليمه بسبب ظروف والده المادية، لكنه واصل تعليمه عصاميا، فنبغ في الكثير من العلوم الشرعية واللغوية، حيث مارس التدريس في بعض مساجد الوادي، ثم انتقل إلى تقرت التي استقر بها كإمام ومدرس في مسجدها الكبير بداية من سنة 1907 بحيث أصبح عالم المنطقة وإمامها ومفتيها إلى أن وافاه الأجل سنة 1968، وقد ترك الكثير من الآثار العلمية كرسائل ومنظومات[10].

ثانيا . العلاقة بين ابن باديس والعبيدي:

وقبل التطرق للمراسلات المتبادلة بين الرجلين كدلائل تاريخية ثابتة على صداقتهما في بدايات القرن الماضي، لا بأس أن نقف عند أوجه الشبه وكذا أوجه الاختلاف كمقارنة بينهما نظرا لتواجد كل منهما في بيئة وظروف تختلف على الآخر ومع ذلك استطاعا أن يقيما علاقة الصداقة هذه ويتواصلا فيما بينهما بمثل هكذا رسائل.

1) . المقارنة بين الرجلين:

فرغم علاقة الصداقة التي ربطت الرجلين ابن باديس والعبيدي خاصة في الفترة التي سبقت تأسيس جمعية العلماء، فإنهما لم يكونا متوافقين في كل شيء، بل كانت هناك بعض أوجه التباين والاختلاف بينهما، كما كانت هناك بعض أوجه الشبه والاتفاق.

1 . أوجه الشبه والاتفاق بينهما:

إذا بدأنا بأوجه الشبه والاتفاق بين ابن باديس والعبيدي فيمكننا رصد ما يلي:

أ . التحصيل الزيتوني:

حيث أن كليهما توجه إلى جامع الزيتونة لإتمام دراسته وتحصيله العلمي بعد الطلب الأولي في مسقط الرأس قسنطينة بالنسبة لأبن باديس ووادي سوف بالنسبة للعبيدي، فقد تزاملا في الدراسة الزيتونية في نفس الفترة تقريبا، وهو السبب الرئيس الذي كان وراء لقائهما الأول وصداقتهما بعد ذلك[11].

أما ابن باديس فقد قرر والده أن يرسله إلى جامع الزيتونة سنة 1908 ليكمل تعليمه ويوسع مداركه بعد رحيل شيخه حمدان لونيسي[12] إلى الحجاز واستقراره بالمدينة المنورة إلى غاية وفاته، وبعد ثلاث سنوات من الجد والاجتهاد تحصل على شهادة التطويع سنة 1911 والسنة الرابعة قضاها مدرسا كما هي عادة المتخرجين من جامع الزيتونة في ذلك الوقت[13].

أما العبيدي فقد شد الرحال إلى جامع الزيتونة سنة 1904(1322 هـ) ومكث ما يقارب الأربع سنوات هناك ولكنه عاد إلى الوادي دون أن يكمل دراسته ودون أن يحصل على شهادة التطويع بسبب ظروف والده المادية القاهرة، ومع ذلك استطاع أن يواصل تكوينه العلمي والفقهي عصاميا[14].

وقد تتلمذ كل من العبيدي وابن باديس على نفس مشايخ الزيتونة تقريبا وخيارهم من أمثال محمد الطاهر بن عاشور[15] ومحمد النخلي[16] ومحمد الخضر حسين[17] وغيرهم[18].

ب . البداية الصوفية الرحمانية:

ومن أوجه الشبه بين الرجلين كذلك البداية الصوفية لكليهما وانتماء كل منهما إلى الطريقة الرحمانية، حيث كان ابن باديس قريب من شيخها في قسنطينة حينها مصطفى باش تارزي في بداية حياته، وهو الذي طلب منه تصحيح ((المنظومة الرحمانية)) والإشراف على طبعها وهي التي نظمها عبد الرحمن باش تارزي[19]، وقد قام ابن باديس بذلك، وظهرت طبعتها الثانية التي أشرف عليها وصححها ابن باديس بقسنطينة سنة 1923 تحت عنوان((المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية))[20] ، كما أنه سافر مع الوفد القسنطيني الذي تعوّد أن يزور الجزائر العاصمة كل سنة لزيارة ضريح الشيخ محمد بن عبد الرحمن بوقبرين[21] مؤسس الطريقة الرحمانية الخلوتية للتبرك والدعاء في حدود سنة 1925، وهو ما أثار على ما يبدو اعتراض بعض رواد الإصلاح كذلك، فكتب مقالا في العدد الثاني من ((الشهاب)) تحت عنوان:((نقد العلماء)) ينتقد فيه تواجد ابن باديس ضمن الوفد المذكور، ويطرح عليه جملة من الأسئلة حول مدى مشروعية هذه الزيارات، وكذا التبرك بقبور الصالحين وغيرها والدعاء عندها[22].

وقد رد عليه الإمام ابن باديس في العدد الرابع من ((الشهاب)) تحت عنوان((زيارة القبور)) يؤكد فيه أن مسألة زيارة قبور الصالحين والتبرك بهم مسألة خلافية بين العلماء، ويورد فيه أقوال الفريقين ويذكر في خلاصته:((فخير لمن يريد السلامة بدينه أن يقتصر . في المسألة . على المتفق عليه وحده، أو مع إتيان المختلف فيه مع مبالغته في تحسين قصده وتمام تحرّيه.

وأما عملي في خاصة نفسي في هذا الباب فالله يعاملني فيه على حسب نيتي وقصدي، والله عالم بقصد كل عامل ومجازيه عليه))[23].

أما العبيدي فقد انتمى إلى الطريقة العزوزية وشيخها المكي بن عزوز[24]، وقد كانت العزوزية أحد أهم فروع الطريقة الرحمانية، وهي منتشرة في طولقة(زاوية الشيخ علي بن عمر) وفي وادي سوف(زاوية يدي سالم) وفي الجريد التونسي(زاوية نفطة)[25] ، وقد أخذ ورد الطريقة من شيخ زاوية سيدي سالم حينئذ وهو الشيخ محمد الصالح بن سيدي سالم(1916/1846)[26][27].

ج . محورية المسجد في التربية والتعليم والتوجيه:

فقد كان المسجد هو محور نشاط الشيخين ابن باديس والعبيدي التربوي والتعليمي والتهذيبي والتوجيهي، فقد بدأ ابن باديس التعليم والوعظ والإرشاد بالمسجد الكبير في قسنطينة عقب رجوعه من تونس مباشرة حيث كان يدرس كتاب((الشفا)) للقاضي عياض، ولما منع من التدريس فيه انتقل إلى عدد من مساجد قسنطينة الصغيرة مثل مسجد سيدي قموش ومسجد سيدي بومعزة ومسجد سيدي فتح الله ومسجد سيدي عبد المؤمن، ليستقر به المقام في الأخير في المسجد الأخضر الذي رابط فيه معلما ومربيا ومدرسا وموجها لأكثر من ربع قرن من سنة 1913 إلى غاية وفاته سنة 1940، رغم تعدد اهتماماته وكثرة مشاغله، فإنه كان يربي ويعلم الصغار والشباب في النهار، ويعظ ويرشد الكبار في الليل، وفيه ختم تفسير القرآن الكريم وشرح موطأ الإمام مالك، كما جعل منه معهدا يتلقى فيه الطلبة المتفرغون لطلب العلم دروسهم اليومية صباحا ومساء وهو يتكفل بإيوائهم وإطعامهم حيث وفدوا عليه من كل مناطق الجزائر[28].

أما العبيدي فقد ارتبط بالتعليم والتوجيه المسجدي لمدة تجاوزت الستين سنة من 1907 إلى غاية وفاته سنة 1968، حيث بدأ بمساجد الوادي مثل مسجد سيدي مسعود الشابي ومسجد النخلة، ليستقر به الأمر في آخر المطاف في مسجد تقرت الكبير إماما وخطيبا ومعلما، وقد ختم فيه بدوره تفسير القرآن الكريم، وكان أيضا يقسم دروسه فيه إلى فترتين:صباحية يتلقى فيها الطلبة دروس اللغة والنحو والتجويد والميراث والتوحيد وأصول الفقه، ومسائية:يحضرها عامة الناس وتكون في التفسير والفتاوى والحديث، وهي شبيهة لما كان يفعله ابن باديس في الجامع الأخضر[29].

د . تفسير القرآن الكريم:

يعتبر كل من ابن باديس والعبيدي من علماء الجزائر القلائل الذين استطاعوا أن يفسروا القرآن الكريم كاملا تدريسا في المسجد، فقد أنهى ابن باديس تفسيره للقرآن الكريم في الجامع الأخضر بقسنطينة في مدة ربع قرن من 1913 إلى 1938 وقد أقيم احتفال ضخم بالمناسبة[30].

أما العبيدي فقد تمكن من إتمام تفسيره للقرآن الكريم في المسجد الكبير بتقرت في نفس المدة تقريبا التي قضاها ابن باديس في ذلك أو تزيد عنها قليلا وإن أكمله قبله، حيث بدأه في 1907 أو 1908 إلى غاية 1934، وبدوره فقد أقيم له بالمناسبة مهرجانا احتفاليا كبير[31]ا.

ويشترك الرجلان في أنهما لم يدونا تفسيرهما للقرآن الكريم كما لم يدونه تلاميذهما والمستمعين إليهما، وبذلك ضاع خير كثير على الأجيال اللاحقة، حيث لم ينج من تفسير ابن باديس إلا جزء يسير كان ينشره كمقدمات في صحيفته((الشهاب)) وهو ما طبع بعد ذلك تحت عنوان((مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))، أما تفسير العبيدي فيبدو أنه لم ينج منه شيء مكتوب وضاع بأكمله، وهي خسارة كبيرة لا تقدر بثمن نظرا لقدرات الشيخين العلمية، وهو ما عبر عنه الشيخ البشير الإبراهيمي[32] بالنسبة لتفسير ابن باديس وهو ما ينطبق على تفسير صديقه العبيدي كذلك حيث قال:" إن من دواعي الأسف أنه لم ينتدب من مستمعي هذه الدروس من يقيّدها بالكتابة، ولو وجد من يفعل لربحت هذه الأمة ذخرا لا يقوم بمال، ولا ضلع هذا الجيل بعمل يباهي به جميع الأجيال، ولتمخض لنا ربع قرن عن تفسير يكون حجة هذا القرن على القرون الآتية، ومن قرأ تلك النماذج القليلة المنشورة في الشهاب باسم مجالس التذكير علم أيّ علم ضاع وأيّ كنز غطى عليه الإهمال"[33].

هـ . التزام المذهب المالكي في الفقه والفتوى:

رغم الإمكانات العلمية الكبيرة لكل من الشيخين ابن باديس والعبيدي إلا أنهما كانا ملتزمين بالمذهب المالكي في الفقه والفتوى وهو المذهب السائد في البلد والمنطقة المغاربية وإفريقيا، حيث كانت أمهات كتبه ومتونه هي مرجعهما في التعليم والإفتاء، فقد كان ابن باديس معتزا بمذهبه المالكي متمسكا به ومرجحا له في الخلاف الفقهي المعتبر ومفتيا وفق المشهور من أقواله[34].

أما العبيدي فقد كان تعليمه الفقهي كذلك مالكيا كابن باديس فهما من طلاب الزيتونة والمعروف أن المذهب الفقهي الغالب تدريسه في الزيتونة هو المذهب المالكي، وأغلب شيوخه هم مالكية كالشيخ محمد الطاهر بن عاشور مع تواجد بعض الأحناف وإن كان وجودهم ضعيفا، لذلك كان العبيدي يلتزم بالمذهب المالكي في فتاويه ودروسه الفقهية وكان بارعا فيه حتى لقب بمالك الصغير[35].

ولكن مع مالكيتهما لم يكن الشيخان ابن باديس والعبيدي متعصبين بل يقرّا بأن الاختلاف الفقهي في الفروع بين المذاهب الأربعة المشهورة معتبر وهو رحمة بالأمة، لذلك كان كل منهما يخرج عن رأي المذهب أحيانا ويخالفه إلى غيره من المذاهب المعتبرة عندما تدعو الحاجة ومصلحة الأمة إلى ذلك، فلطالما مال الشيخ الطاهر إلى رأي الإمام أبي حنيفة في بعض المسائل الفقهية ولا سيما في العبادات مستدلا في ذلك بقوله تعالى:((يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)) [36][37].

أما ابن باديس فقد أفتى مثلا في مسألة ذكاة الحيوان المضروب المتخبط بما يخالف مشهور مذهب مالك حيث يقول:"إذا أدركها(أي الشاة) غير منفوذة المقاتل فإنه يذكيها ويأكلها اتفاقا، وإذا كانت منفوذة المقاتل فالذكاة لا تفيد فيها في مشهور مذهب مالك، وتفيد فيها في مذهب الشافعي وجماعة من المالكية، وهي فسحة ينبغي اعتمادها"[38].

2 . أوجه التباين والاختلاف:

ومع علاقة الصداقة التي كانت تربط الشيخين ابن باديس والعبيدي وعديد أوجه الشبه بينهما كما ذكرنا، فقد كانت بينهما كذلك بعض أوجه التباين والاختلاف يمكننا أن نرصد منها:

أ . الوظيف الرسمي:

حيث لم يقترب ابن باديس من الوظيف الرسمي طيلة حياته، وكان ينفر منه وينصح العلماء والمصلحين بالبعد عنه تنفيذا واقتناعا بوصية شيخه حمدان لونيسي الذي يقول عنه:"وإني أذكر للأول(لونيسي) وصية أوصاني بها، وعهدا عهد به إلي، وأذكر أثر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله. فأجدني مدينا لهذا الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدد علي أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حييت، ولا أتخذ من علمي مطية لها، كما يفعله أمثالي في ذلك الوقت"[39]، لذلك فهو يرى لزاما على كل من يعد نفسه لخدمة الإسلام ونشره والدعوة إليه وتبيان حقائقه لأبنائه وغير أبنائه أن يبتعدوا عن الوظيف[40].

على عكس العبيدي الذي توجه نحو الوظيف الرسمي مبكرا وصار موظفا رسميا كإمام وخطيب في المسجد الكبير بتقرت وعمره 22 سنة منذ 1907 إلى وفاته سنة 1968 أي لمدة تجاوزت 60 سنة[41].

ولعل السبب الجوهري لتباين الرجلين في هذا الأمر هو الحالة الاجتماعية لكل منهما، فقد كان ابن باديس من أسرة غنية وكان والده أحد أكبر أثرياء قسنطينة، وتكفل بالإنفاق عليه بسخاء إلى غاية وفاته، فلم يكن بحاجة إلى الوظيف وقيوده، حتى أن والده أوصاه عندما وجهه للتعليم:"يا عبد الحميد أنا أكفيك أمر الدنيا أنفق عليك، أقوم بكل أمورك، ما طلبت شيئا إلا لبيت طلبك كلمح البصر، فاكفني أمر الآخرة، كن الولد الصالح العالم العامل الذي ألقى به وجه الله"[42].

في حين كان العبيدي من أسرة فقيرة، حيث كان والده صاحب عيال، يمارس حرفة الحدادة للحصول على قوت يومه، حتى أنه بسبب هذه الظروف المادية القاهرة لم يستطع إكمال دراسته في الزيتونة، وانقطع عنها واتجه إلى الوظيف الرسمي[43].

ب . كثرة التأليف:

فقد كان العبيدي من المكثرين نوعا ما من التأليف، حيث ألف عددا معتبرا من المنظومات والقصائد والرسائل في الفقه واللغة والتصوف منها:

. جريان المدد في الاعتصام برجال السند وهي 856 بيتا في التصوف.

. منظومة في التيمم.

. رسالة الستر.

. رسالة في الميراث.

. رسالة السلاح والعدة في مهمات أحكام المعتدة.

. رسالة في كيفية العبادة.

. رسالة رفع اللهو في كشف مسائل السهو.

. رسالة رفع الإلهام عن مسائل الصيام.

. رسالة الحج والعمرة وبيان كيفيتهما الشرعية.

. رسالة إنكفاف الدمعة لانكشاف مسألة الجمعة.

. رسالة تنويل الصلات في تطويل الصلاة.

. رسالة الحيض والنفاس وأحكامهما.

. رسالة التخويف والتخوف على منكر إيمان الصوفية والتصوف.

. النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية ومعها نصيحة الشباب المزيحة للسحب والضباب.

. رسالة في الجبر والاختيار والدليل عليهما.

. رسالة الطبيعة.

. نظم رسالة القطب الدردير في البيان بأسهل بيان.

. بغية الأمل في نظم رسالة العوامل.

. رسالة تخليص الأجرومية.

. رسالة في قبلة الصلاة.

. منظومة في الرسول صلى الله عليه وسلم.

. منظومة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

. منظومة في مدحه صلى الله عليه وسلم((قل لمن يعشق)).

. معارضة لقصيدة النابلسي المشهورة((قالت أقمار الدياجي)).

. رسالة النصوص الصريحة في رد شبهة غير صحيحة، وفيها عشر نقاط في دور العبادة أو مسائل التصوف والأذكار[44].

أما ابن باديس فلم يلجأ إلى تأليف الكتب رغم مقدرته العلمية الكبيرة التي اعترف بها شيوخه في كل من الجزائر وتونس والحجاز ومصر، ولكنه اهتم بتأليف الرجال كما يقول[45]، وأغلب ما ترك من آثار علمية هو عبارة عن مقالات منشورة في صحفه وصحف جمعية العلماء ((المنتقد))و((الشهاب))و((السنة))و((الشريعة))و((الصراط))و((البصائر)) وكذلك في صحيفة ((النجاح))، والتي كانت في مجالات متعددة من التفسير والحديث والعقيدة والفقه والسيرة والتراجم والتربية والسياسة وغيرها، لم تجمع في حياته وإنما تم جمعها بعد وفاته خاصة بعد الاستقلال من طرف بعض تلاميذه والمهتمين بفكره مثلما فعل عمار طالبي[46] في كتابه ((ابن باديس حياته وآثاره)) من أربعة أجزاء، ومحمد الصالح رمضان[47] في التفسير والعقائد والتراجم، ووزارة الشؤون الدينية في عهد الوزير عبد الرحمن شيبان[48]التي أخرجت وطبعت((آثار الإمام عبد الحميد بن باديس)) في ستة أجزاء، ولم يؤلف ابن باديس كتابا في حياته إلا رسالة صغيرة هي((رسالة جواب سؤال عن سوء مقال)) ردا على شيخ الطريقة العليوية بمستغانم أحمد بن عليوة[49]، وتحقيقه لكتاب الإمام أبي بكر بن العربي المالكي الأندلسي[50] ((العواصم من القواصم))[51].

ج . الغرق في التصوف:

رغم تشابه الشيخين ابن باديس والعبيدي في البداية الصوفية الرحمانية لكليهما كما ذكرنا من قبل، إنما اختلفا في مستوى العلاقة بالتصوف واستمرارها وكثرة الاهتمام والتعلق به، حيث تحرر ابن باديس منه ومن قيوده وانفصل عنه، وأعلن عن مشروعه الإصلاحي بعد ذلك، وتطور موقفه من الصوفية والطرقيين من الاعتدال والتعاون والتعاطي معهم، إلى التصعيد والمواجهة والرفض المطلق لأغلبهم حتى لا نقول لكلهم ولممارساتهم خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء، وقد كانت هناك أسباب عديدة وراء تحول الموقف الباديسي من الصوفية والطرقيين لا يتسع المجال لذكرها هنا[52].

في حين ظل العبيدي وفيا للتصوف ومتعلقا به وبرجاله وطرقه وكتبه إلى غاية وفاته، حيث اخذ ورد الطريقة العزوزية بشكل رسمي من شيخ زاوية سيدي سالم بالوادي، وكان يحضر لقاءات الطرق وحفلات مديحها ومناسباتها[53]، كما ظل منافحا عن الطرق والتصوف منتصرا لهم منكرا على خصومهم طيلة حياته، فألف في ذلك الرسائل والقصائد والمنظومات مثل:((النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية)) و((جريان المدد في الاعتصام برجال السند)) و((رسالة التخويف والتخوف على منكر إيمان الصوفية والتصوف))[54].

ولعل مما يوضح علاقته المتينة بالتصوف والطرق وحبه وتفضيله لها قوله في إجازته العلمية المنظومة لأخيه أحمد العبيدي وهو يعدد خصاله:

ثم المجاز أحمد العبيدي شقيقنا قانص كل صيد

الناظم الناثر ذو العلم الصريح بفكره الوقاد والفهم الصحيح

محب أهل الله والطريقة لا زال ينحو للهدى طريقه[55].

لذلك فسر البعض عدم استجابة العبيدي لدعوة صديقه ابن باديس لحضور الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء المنعقد بنادي الترقي بالعاصمة يوم 5 ماي 1931 بسبب شدة علاقته بالتصوف والطرق وكذا الوظيف الرسمي[56].

د . دائرة التحرك والنشاط:

رغم الدور الكبير الذي قام به كل من ابن باديس والعبيدي خاصة على مستوى التعليم والتوجيه والتهذيب ونشر العلم وتربية الناس، إلا أن دائرة تحرك ونشاط كل منهما قد اختلفت عن الآخر، فابن باديس مع أنه بدأ من قسنطينة وكان أغلب نشاطه خاصة التعليمي في مساجدها وعلى الأخص المسجد الأخضر، إلا أنه لم تقتصر دائرة اهتمامه وتحركه في حدود قسنطينة وفقط، وإنما انطلق مبكرا إلى خارجها حيث كان كثير الزيارة والرحلة والتطواف بمعظم جهات الجزائر للإطلاع على أوضاعها خاصة الدينية والعلمية من ناحية، ومتواصلا مع علمائها وأعيانها، ومساهما في حركة التوجيه والإرشاد بقدر ما يستطيع، وبقدر ما تتاح له الفرصة لفعل ذلك من ناحية أخرى، فعل ذلك منذ عودته من الزيتونة وقبل سنوات عديدة من تأسيس جمعية العلماء التي كان تأسيسها يعتبر تتويجا لنشاط ابن باديس وتحركاته في كل ربوع الوطن، ولعل رسالته إلى صديقه الطاهر العبيدي ذاتها والتي كانت في مارس 1919 تدلل .كما سنعرف . على نشاط ابن باديس خارج قسنطينة وتجواله في جهات الجزائر الأخرى للأهداف التي ذكرناها[57].

وفي هذه الفترة لم يكتف ابن باديس بتوسيع دائرة نشاطه وتحركه وتواصله بالجزائر فقط وإنما زار الحجاز ومصر والشام كذلك في رحلته سنة 1913 والتي كانت للاستزادة من العلم والتواصل مع العلماء ونيل تزكياتهم والإطلاع على أوضاع العرب والمسلمين رغم أن عنوانها المعلن كان أداء فريضة الحج، وقد استطاع من خلالها أن ينال عدد من الإجازات العلمية من علماء الحرمين ومصر، كما جلس لإلقاء بعض الدروس العلمية في كل من مكة والمدينة وجامع الأزهر بالقاهرة وهو الشاب الذي لم يتجاوز عمره 25 سنة حينها، لذلك نالت شخصية ابن باديس الصيت والشهرة في الجزائر وخارجها من قبل تأسيس جمعية العلماء[58].

في حين انحصر نشاط العبيدي في أغلبه في منطقتي الوادي وتقرت وكان نشاطه الأكبر في هذه الأخيرة، ورغم قدراته العلمية الكبيرة التي اعترف له بها العديد من العلماء حتى قال فيه الشيخ عبد المجيد حبة[59]:" لم أر فقيها متمكنا وأصوليا قادرا بعد حجة الفقه الإسلامي خليفة بن حسن القماري في منطقة الجنوب باستثناء الفقيه الأصولي الطاهر العبيدي"[60]، وقال عنه الشيخ إبراهيم بيوض[61] عندما أبنه في وفاته:"لقد سقطت عرصة في الإسلام"[62]، إلا أنه لم يمتد نشاطه العلمي وتحركه التوجيهي والإرشادي إلى خارج منطقتي الوادي وتقرت إلا في القليل النادر حيث قدم بعض الدروس العلمية في كل من الجلفة وزاوية الهامل ببوسعادة[63]، وقد أدى العبيدي بدوره فريضة الحج سنة 1959 ولكن رحلته كانت للحج فقط وليس كرحلة ابن باديس سالفة الذكر، ولعل من أهم أسباب عدم امتداد نشاط العبيدي التعليمي والإرشادي إلى خارج الوادي وتقرت هو انخراطه في الوظيف الرسمي كإمام خطيب مبكرا، وهو ما قيده على ما يبدو على عكس ابن باديس الذي كان حرا طليقا لم يتقيد بوظيفة رسمية يمكنها أن تثقل تحركه وتحد من دائرة نشاطه، لذلك لم ينل العبيدي من الشهرة خارج منطقته الشيء الكثير إذا استثنينا طبع ونشر رسالتيه((النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية))و((نصيحة الشباب المزيحة للسحب والضباب)) في مطبعة حجازي بالقاهرة في مصر سنة 1954 بإشراف تلميذه الطويل مسعود محمد[64]، مع ما كان يتمتع به من إمكانات علمية جعلته يناظر علماء كبار ويعترفون له بالفضل والعلم أمثال المكي بن عزوز ومحمد الخضر حسين[65].

هـ. شمول الاهتمام:

اختلف الشيخان ابن باديس والعبيدي كذلك في المجالات التي اهتم بها كل منهما، ففي الوقت الذي تعددت فيه اهتمامات ابن باديس حيث مارس التدريس والوعظ والإرشاد والفتوى وهو ما اشترك فيه مع العبيدي، اهتم أيضا بالتربية والتعليم وإنشاء المدارس والمساجد والنوادي العلمية والثقافية، كما اهتم بالإعلام والصحافة فأنشأ الصحيفة تلو الصحيفة، كما اهتم بالفن والترفيه فشجع على إنشاء الفرق الفنية والمسرحية، كما اهتم بالشباب والطلبة فساهم في إنشاء الجمعيات الرياضية، وكذلك فعل مع المال والتجارة فأسس جمعيات التجار والتعاونيات الاستهلاكية لكسر احتكار اليهود خاصة في قسنطينة ونواحيها، إلى إبداء رأيه في الشأن السياسي الوطني والأحداث الدولية[66].

حيث فعل ابن باديس كل ذلك قبل تأسيسه لجمعية العلماء إذ كان شمول رؤيته الإصلاحية تصورا وممارسة سابقا لإنشائها، فلم يكن ذلك الشيخ المنعزل المتفرغ فقط لوعظ الناس وإرشادهم في المسجد لا يبرحه رغم بلائه في ذلك البلاء الأوفى، دون أن يهتم بما يدور حوله من أحداث، ولم يتوقف عند ذلك وإنما استغل كل وسيلة يمكنها أن تؤدي دورا إصلاحيا تهذيبيا وكل منبر يمكنه أن يبلغ من خلاله رسالته من غير منبر المسجد، فليس كل الناس الذين يستهدفهم يرتادونه بشكل دائم، وهو ما اختلف فيه عن صديقه العبيدي الذي اقتصرت دائرة اهتمامه على التعليم والتوجيه المسجدي لم يبرحه إلا في القليل النادر، إضافة إلى التأليف في الفقه واللغة والتصوف، ولم يعرف عنه مثلا اهتمامه بالصحافة أو الشأن السياسي العام، ويرجع اقتصار العبيدي بمجال العلم دون سواه لاعتقاده بأن العلم هو روح الدين وأساس كل إصلاح حيث يقول:

وإنما الدين أساس الإرتقا ومن يرقق دينه فما ارتقى
وكل من لم يحتفظ بدينه فإنه الناقص في تمدينه
والدين جسم روحه بالعلم كالروح في قالب هذا الجسم
بالعلم تدري واجبات الله والواجبات لعباد الله
وتعرف الحقوق والحقائق وما عليه هذه الخلائق
وتدرك السلطة والسلطان والدين والإخوان والأوطان[67].

ولذلك ظل العبيدي مرابطا على ثغر التعليم والتوجيه المسجدي لم يغادره ولم يكل ولم يمل أو ييأس لمدة فاقت الستين سنة حتى وافاه الأجل وهو على ذلك، إلا الفترة القصيرة التي قبل فيها إدارة مدرسة الفلاح بتقرت سنة 1950 بتكليف من جمعية العلماء[68].

2) . الصداقة بين الرجلين:

لقد كان الرجلان ابن باديس والعبيدي تربط بينهما علاقة حميمة، وتجمعهما صداقة متينة بدأت أيام الطلب في رحاب جامع الزيتونة في بدايات القرن العشرين الميلادي، وتوطدت أكثر بعد ذلك خاصة بعد زيارة ابن باديس إلى مدينة تقرت سنة 1918 والتقائه مرة أخرى بصديقه الطاهر العبيدي، وإن كانت علاقة الصداقة هذه قد أصابها بعض الوهن فيما يبدو بعد تأسيس ابن باديس لجمعية العلماء وعدم تلبية العبيدي دعوة صديقه لحضور اجتماعها التأسيسي رفقة أخيه أحمد العبيدي[69] والشيوخ إبراهيم العوامر[70] والميداني موساوي[71] وعمار بن لزعر[72] حيث لم يحضر منهم غير الأخير[73].

ولعل من أهم دلائل علاقة الصداقة التي ربطت بين الرجلين ما يلي:

1 . قصيدة العبيدي في ابن باديس:

وهي القصيدة التي نظمها العبيدي في صديقه ابن باديس بعد زيارته لمدينة تقرت سنة 1918، حيث مدحه فيها ووصفه بخصال العلم والأدب والتقى، حتى شبهه بالبدر، كما أشاد فيها بآل باديس جميعهم وعدد دورهم السياسي والعلمي في بلاد المغرب والأندلس قديما وحديثا والتي قال فيها:

بروحي جليلا حل(تقرتنا) النضرا ... يفوت شذا أخلاقه المسك والعطرا

فأما محياه المحي فإن من ... يشبهه بالبدر مرتكب أمرا

أفي البدر من أخلاقه وعلومه؟ ... وهل فيه تحرير التقارير والإقرا؟

ولكنه قد ضم مع علمه تقى ... ويسلك في التعليم منهجه الأحرى

وما كان في الحسبان رؤية مثله ... بوقت هوت فيه القراءة والقرا

رأيت له علما وعقلا مطهرا ... وحسن اعتقاد للهدى يشرح الصدرا

هنيئا لكم أهالي قسنطينة الألى ... لهم غيرة في همة تزحم الشعرى

ستلقون في علم الشريعة جدة ... وترقون في الأخلاق مرتبة كبرى

فدونكم عبد الحميد ودونكم ... مآدب آداب لكم تنعش الفكرا

ولا زلتم يا آل باديس في اعتلا ... بغير اعتلال لا يرى عزكم ضيرا

وتبدون في كل النوادي نوادرا ... من العلم يقفو النجل آباءه إثرا

تروضون من عالي العلوم عوائصا ... وترضون بالأعمال ربكم البرا

كما كنتم في غابر الدهر سادة ... تسوسون ذاك الغرب سيرتكم غرا

فحاصلكم إما مليك مظفر ... يهز لواء العدل يبسطه نشرا

وإما عليم يبعث الناس علمه ... يحوط مشيد الدين من شبه تطرا

جزى الله خيرا ذلك السلف الذي ... تقلد سيف الملك يحمله إصرا

وبارك فيكم أيها الخلف الرضى ... لقد شدتم علما وسدتم ولا فخرا

سلام عليكم يشمل الكل عرفه ... من القيروان للجزيرة الخضرا

من الطاهر الود العبيدي محتدا ... بتقرت والوادي مناوبة قرا

وأسألك اللهم تطهير قالبي وقلبي وطيب العيش والفوز في الأخرى
وصل على خير البرايا الذي برى بصمصامه أس الرذائل والكفرا
وأصحابه من أكمل الله دينهم وآله أمن الله من هذه الغبرا[74].

2 . رسالة ابن باديس إلى العبيدي:

بعد أن أرسل العبيدي قصيدته سالفة الذكر إلى صديقه ابن باديس ولم يأته رد عليها، كتب له يعاتبه على عدم الرد، وقد كان ابن باديس حينها غائبا عن قسنطينة يقوم بجولة في غرب ووسط البلاد، وحين رجع وجد رسالة عتاب صديقه العبيدي له على عدم رده على قصيدته التي أرسلها إليه، فكتب له رسالة اعتذار قوية العاطفة متينة الأسلوب جزلة العبارة جاء فيها:" بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

إلى حضرة علم العلم والفضل، ومعلم الكرم والنبل، التقي الطاهر الأثواب، السرّي البارع الآداب، مستحق الشكر منا، بما له علينا من سابق الأيدي، العلامة الشيخ سيدي أبي الطيب الطاهر العبيدي، أدامه الله بدرا طالعا في هالة درسه، وغيثا هامعا يُحيي ربع العلم من بعد طمسه، حتى يبدل وحشة قطره بأنسه، ويجني من بساتين تلاميذه ثمرات غرسه، آمين.

وبعد، سلام كما تفتحت الأزهار، في نسمات الأسحار، وتحية تحيي قديم التذكار، وإن شطت الدار، فإني كتبته إليكم من حضرة قسنطينة يوم قدومي من رحلة كنت أعملتها لناحية الجزائر وتلمسان، لزيارة الأحياء والأموات من العلماء والصلحاء وأعيان الزمان، فتشرفت بسادات كثيرين من العلماء والصالحين، ومن أعظم الجميع قدرا، وأشهرهم ذكرا، سيدي أبي مدين الغوث[75]، وسيدي محمد السنوسي[76] بتلمسان، وسيدي محمد بن عبد الرحمن، وسيدي عبد الرحمن الثعالبي[77] بالجزائر، ودعونا لنا وللمؤمنين عامة، ولإخواننا أمثالكم خاصة، بما نرجو من الله تعالى فيه القبول، وبلوغ المأمول، وذكرت لكم هذا لما أعلمه فيكم من محبة الصالحين، وإن مكنتني الفرص إن شاء الله تعالى، كاتبتكم عن هذه الرحلة بمزيد تفصيل. ووافى كتابكم في غيابي في هذه الرحلة، فلما قدمت، وقبلته، قدمته على غيره وقبلته، وكان ما داخلني من السرور بمجلو خطابه، مخففا لما غشيني من الخجل لمر عتابه، ولك العتبى يا سيدي فيما ذكرت، ومنك الفضل فيما به ابتدأت وتفضلت، فقد بلغتني القصيدة الغراء التي راقت ورقّت، واستوجبت الحمد واستحقت، نظرت إلى أوصافك الكريمة فحليتني بها، ونسبتني إليها، والله يصدّق ببركة محبتك الخالصة ما ظننت، ويجازيك بالخير الجزيل على ما فعلت.

هذا وإني ما أخرت الجواب متهاونا . استغفر الله . ولا متكاسلا، ولكنني حسبت أني أجبتكم فيمن أجبت، حتى جاء كتابكم فعلمت أنني غالط فيما ظننت، فبادرت بهذا متحاملا على فهمك، معتمدا على فضلك، والعفو يا سيدي من شيم أمثالك، لا أحرمني الله من أفضالك، وأقول:

إن كنت قصرت في الكتابة والله ما حلت عن ودادي
وإنما كان ذاك مني عن غفلة ليس من مرادي
فسامحوا طاهري بفضل وحسبكم مسكنا فؤادي

ويعود من العبد وجماعته، والسلام عليكم وعلى جماعتكم وأحبابنا كلهم لديكم، وركبته داعيا لكم بالخير، طالبا منكم مثله. أخوكم وشاكر فضلكم ومملوك إحسانكم:

في شهر جمادي الثانية عام 1337.

عبد الحميد بن باديس
عفى عنه"[78].

3 . تقريظ ابن باديس لمنظومة العبيدي:

عندما ألف العبيدي رسالته((النصيحة العزوزية)) وجمع معها رسالته الأخرى((نصيحة الشباب المزيحة للسحب والضباب)) يبدو أنه عرضها على صديقه ابن باديس لإبداء رأيه فيها، وعندما اطلع عليهما خاصة الرسالة الثانية أعجب بها وقرظها بأبيات من الشعر قال فيها:

ذي درر حسنة التنضيد سالمة من وصمة التعقيد

من نظم زين العلما العبيدي جازاه رب الناس من مفيد

بالعلم والعمل والتأييد

قاله وكتبه عبد الحميد بن باديس عفا الله عنه يوم الثلاثاء 7 من رجب سنة 1337 هـ"[79].

وقد صدرت النصيحتان في كتاب واحد بمصر سنة 1954 ومعهما تقاريظ كل من ابن باديس ومحمد بن عبد الرحمن الديسي وعبد ربه بن سليمان المصري[80].

خاتمة:

يظهر من خلال كل ما سبق إثباته أن علاقة الإمام ابن باديس بعلماء منطقة وادي سوف لم تقتصر على الفترة التي أعقبت تأسيس جمعية العلماء التي شارك بعضهم في تأسيسها، وإنما كانت تربطه علاقة صداقة مع بعضهم قبل هذه الفترة، وكان يتواصل معهم بالرسائل المتبادلة، ويقرظ بعض مؤلفاتهم العلمية، ويتعلق الأمر بالشيخ الطاهر العبيدي أحد أشهر علماء سوف في تلك المرحلة، حيث كان يقيم في مدينة تقرت كإمام لمسجدها الكبير منذ بدايات القرن الماضي، وقد كان زميل دراسة وتحصيل لابن باديس في جامع الزيتونة رغم أنه لم يكمل دراسته بسبب ظروفه المادية القاهرة، على عكس صديقه ابن باديس الذي أتمها حتى تحصل على شهادة التطويع وهي أعلى شهادة كانت تمنح في الزيتونة في ذلك الوقت.

وقد حملت هذه العلاقة بين الرجلين(ابن باديس والعبيدي) بعض أوجه الغرابة، وأظهرت بعض الجوانب المجهولة من حياة ابن باديس خاصة في المرحلة المبكرة منها، وهو الأمر الذي حفزنا على البحث في هذه العلاقة التي ربطت بين الرجلين وتشريحها من زوايا مختلفة، والوقوف عند دلالاتها وأدلة ثبوتها من قصائد ورسائل وتقريظات كانت متبادلة بينهما، مع مقارنتنا بين هذين العالمين الجليلين، ورصد بعض أوجه الشبه وأوجه التباين التي ميزت حياتهما، لنتوصل في الأخير من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

1 . رغم صعوبة البيئة التي كانت تميز منطقة وادي سوف والظروف العصيبة التي كانت تعانيها في العهد الاستعماري، إلا أنها أنجبت الكثير من العلماء الذين كانت لهم مكانة مرموقة وشهرة علمية تجاوزت منطقتهم، ووصلت حتى إلى خارج حدود القطر، حيث طبعت بعض مؤلفاتهم في بلدان أخرى منذ وقت مبكر، كما حدث مع بعض مؤلفات إبراهيم العوامر ومحمد الساسي معامير في تونس، وكتب خليفة بن حسن القماري والطاهر العبيدي في مصر في بدايات القرن العشرين الميلادي.

2 . علاقة الإمام ابن باديس بعلماء منطقة سوف كانت سابقة لتأسيس جمعية العلماء، ولم ترتبط فقط بالحركة الإصلاحية، حيث تواصل مع بعضهم وربطته علاقة صداقة معهم منذ أيام الطلب في الزيتونة في العقد الأول من القرن الماضي، وزارهم وتبادل معهم الرسائل الإخوانية، واطلع على مؤلفاتهم وقرظها كذلك كما هو الحال مع الشيخ الطاهر العبيدي.

3 . حملت علاقة الصداقة بين ابن باديس والعبيدي بعض أوجه الغرابة، وكشفت بعض النواحي الخفية والمجهولة من حياة ابن باديس في المرحلة التي سبقت تأسيس جمعية العلماء، أسفرت عنها بوضوح الرسائل المتبادلة بين الرجلين، ولعل من أهمها وأكثرها غرابة علاقته بالتصوف ورجاله ومشايخه الأحياء منهم والأموات وزيارة أضرحتهم والدعاء عندها.

4 . إن زيارة ابن باديس لأضرحة الأولياء والصالحين في تلمسان والعاصمة كما أثبته في رسالته إلى صديقه الطاهر العبيدي، لا ينتقص من مكانته وقيمته كما ظن بعض المحسوبين على الحركة الإصلاحية مما جعلهم يعترضون على نشر هذه الرسالة، بقدر ما يزيد في إثبات ثراء تجربة ابن باديس وتنوعها، وتدلل على التطور التدريجي لموقفه خاصة من الصوفية والطرقيين، وتؤكد أنه في

الأصل ليس ضد التصوف والصوفية بإطلاق، وإنما يرفض انحرافات بعضهم وخرافاتهم وبدعهم البعيدة عن جوهر الإسلام وحقيقة التصوف السني الذي مثله بعض العلماء والمشايخ الذين أثنى عليهم ابن باديس ومنهم الذين ذكرهم بأسمائهم في رسالته للعبيدي، وكذا موالاة بعضهم الواضح والصريح للاستعمار.

5 . إن تطور موقف ابن باديس من التصوف والصوفية والطرق عموما، ووصوله إلى مرحلة الصراع والتصعيد والمواجهة مع بعضهم خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء وخروج مشايخ الطرق الذين شاركوا في تأسيسها منها منذ عامها الأول وتأسيسهم جمعية موازية هي ((جمعية علماء السنة))، أثر على ما يبدو وبشكل سلبي على استمرار علاقة الصداقة بين ابن باديس والعبيدي، لتمسك هذا الأخير بالتصوف والطرق إلى آخر حياته، وهو الأمر الذي جعله لا يلبي دعوة صديقه ابن باديس لحضور الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء، رغم أن بعض مشايخ الطرق حضروه في البداية، وذلك لأنه لم يكن مقتنعا بمنهجها الإصلاحي مثله مثل أخيه أحمد العبيدي، وإن قبل الإشراف على مدرستها ((الفلاح)) بتقرت سنة 1950 بعد ما يقارب العشرين سنة من تأسيسها.

6 . سعة أفق الرؤية الإصلاحية الباديسية منذ وقت مبكر، لتتجاوز الأطر الضيقة على مستوى الوسائل وكذلك على مستوى الجغرافيا، بحيث كان يتطلع منذ البداية إلى أن يصل مشروعه الإصلاحي إلى ما بعد قسنطينة، ليعم كل ربوع الوطن وحتى خارجه، وأن لا يقتصر في الإصلاح والتوجيه والتهذيب على استعمال المسجد وفقط دون غيره . مع إدراكه لأهميته ومحوريته .كما فعل غيره من العلماء ومنهم صديقه الطاهر العبيدي، وإنما تعداه إلى استعمال كل الوسائل الإصلاحية التي كانت متاحة بين يديه أو التي استطاع أن يوجدها بنفسه، فاستعمل إلى جانب المسجد، المدرسة والصحيفة والفن والرياضة والرحلات وحتى السياسة، وهو الأمر الذي أهّله منذ البداية ليكون أحد أهم المصلحين الذين ظهروا في العالم الإسلامي في القرون الأخيرة.

7 . لقد كانت ظاهرة التواصل بين رجال العلم منتشرة رغم بعد المسافات، ومحدودية وسائل الاتصال والنقل، وظروف الاستعمار، ويتراسلون فيما بينهم، ويعرضون على بعضهم إنتاجهم العلمي والأدبي قصد تصحيحه وتقريظه، في أجواء يسودها الكثير من الأدب والاحترام المتبادل والاعتراف بالفضل، مع ما كان بين بعضهم من اختلاف وتباين في الرأي والرؤية والموقف وحتى التوجه والمذهب في بعض الأحيان، وهي ظاهرة صحية بدأت في التلاشي شيئا فشيئا للأسف الشديد، وهي بحاجة ماسة إلى إعادة بعثها وتشجيعها من جديد لتسود الأوساط العلمية والثقافية والأدبية.

الملاحق:

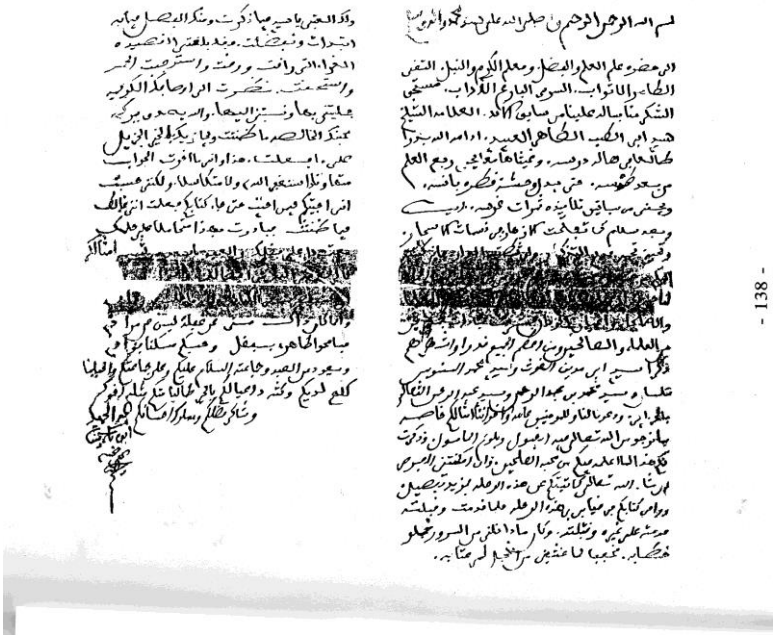

رسالة الإمام عبد الحميد بن باديس إلى صديقه الشيخ الطاهر العبيدي بخط يده[81].

الهوامش:

1 . عبد الحميد بن باديس:**آثار الإمام عبد الحميد بن باديس**، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية, دار البعث، قسنطينة، ج3، 1985، ص 213.

2 . الأمين العمودي: الأديب والشاعر والصحفي، ولد بالوادي عام 1890 م، تلقى تعليمه في المدرسة الرسمية الفرنسية بالوادي ثم في قسنطينة أين تخرج بشهادة المحاماة والترجمة، عمل وكيلا شرعيا في كل من بسكرة والعاصمة، كان أحد مؤسسي جمعية العلماء وأول أمين عام لها، كما كان بارعا باللسانين العربي والفرنسي لذلك كان المترجم الخاص للإمام ابن باديس، كتب في أغلب الصحف الوطنية والإصلاحية، وأسس صحيفة((الدفاع)) بالفرنسية، اغتالته اليد الحمراء بالعاصمة في أكتوبر 1957 م.أنظر:علي غنابزية:**مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900 . 1986**، مديرية الثقافة لولاية الوادي، 2014، ص ص 65 . 72.

3 . حمزة بوكوشة: الأديب والشاعر والصحفي ولد بالوادي عام 1907 تعلم أولا في الوادي على يد بعض المشايخ كإبراهيم العوامر، ثم رحل إلى جامع الزيتونة ليتحصل منه على شهادة التطويع، كان أحد مؤسسي جمعية العلماء ومرافقي الإمام ابن باديس في التدريس في الجامع الأخضر، وعمل في مدارس الجمعية، وكتب الكثير من المقالات في الصحف التونسية والجزائرية، وأسس جريدة المغرب العربي بوهران عام 1937 م، وعمل بعد الاستقلال في التعليم والقضاء، توفي بالعاصمة ودفن بها في نوفمبر 1994 م.أنظر:علي غنابزية:**نفس المرجع**، ص ص 55 . 59.

4 . عبد العزيز بن الهاشمي الشريف: ولد بالبياضة بالوادي عام 1898 م، ونال شهادة التطويع بالزيتونة بامتياز في حياة والده، وتولى مشيخة الزاوية القادرية بوادي سوف اثر وفاة والده الهاشمي عام 1923 م، انضم إلى جمعية العلماء وراسل الإمام ابن باديس الذي رحب به وعينه عضوا نشيطا في مكتب الجمعية مكلفا بمناطق الوادي وماجاورها، وحضر المؤتمر السنوي للجمعية بنادي الترقي عام 1937 م، فحول الزاوية القادرية مابين 1937 . 1938 إلى أحد قلاع الحركة الإصلاحية في الجزائر، وأسس أول مدرسة عصرية إصلاحية بمدينة الوادي وعين لها أساتذة من رجال الجمعية منهم عبد القادر الياجوري وعلي بن سعد، وقام بتنظيم زيارات رجال الجمعية إلى الوادي، وعلى رأسهم الإمام ابن باديس والفضيل الورتلاني، كما تزعم الانتفاضة الشعبية بسوف عام 1938 م، حيث تصادم مع السلطات الاستعمارية، مما تسبب في سجنه بقسنطينة ثم نفيه خارج سوف، ومنها إلى تونس التي ساند فيها الثورة التحريرية وتوفي بها عام 1965 م.أنظر:علي غنابزية:**نفس المرجع**، ص ص 80 . 81.

5 . عمار عوادي:**كتابات ووثائق من تاريخ وادي سوف**، دار هومة، الجزائر، 2011، ص 21.

6 . أستاذ التاريخ بجامعة الوادي وصاحب مؤلفات((الشيخان:إبراهيم بن عامر والهاشمي الحسني))و((الشقيقان:الطاهر وأحمد العبيدي))و((حمزة بوكوشة العالم الموسوعي)).

7 . محمد الأمين بلغيث:**رحيل شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله بأقلام أحبابه**، البصائر الجديدة، الجزائر، 2014، ص 261.

8 . أبو القاسم سعد الله:**تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 102.

9 . الزبير بن رحال:**الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889 . 1940**, دار الهدى, عين مليلة , 1997، ص ص 1 . 132.

10 . عاشوري قمعون:**الشقيقان الشيخ الطاهر العبيدي الشيخ أحمد العبيدي**، دار الثقافة لولاية الوادي، 2010، ص ص 9 . 62.

11 . أبو القاسم سعد الله:**المرجع السابق**، ص 101.

12 . حمدان لونيسي: العالم والمحدث والفقيه والمصلح، ولد بقسنطينة عام 1272 هـ /1856 م، تلقى تعليمه على أيدي علماء قسنطينة منهم الشيخ عبد القادر المجاوي، عين مدرسا بالجامع الكبير بقسنطينة عام 1881 م، ونظرا لآرائه الإصلاحية ضويق من طرف الاستعمار وأعوانه، مما اضطره إلى الهجرة نحو المدينة المنورة عام 1908 م، والتي ظل مدرسا للحديث النبوي بها خاصة في المسجد النبوي إلى أن وافته المنية عام 1338 هـ /1920 م ودفن بها، وهو الشيخ الأول للإمام ابن باديس الذي ارتبط به روحيا وبقي متأثرا به إلى آخر حياته.أنظر:رابح خدوسي وآخرون:**موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، منشورات الحضارة، الجزائر، ج2، 2014، ص 720.

13 . عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان:**إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس**، دار الأمة، الجزائر، 2012، ص 33.

14 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 15.

15 . محمد الطاهر بن عاشور:الإمام الضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية، ولد بتونس عام 1296 هـ /1879 م، حفظ القرآن الكريم والتحق بجامع الزيتونة عام 1892 م حيث أحرز على شهادة التطويع بعد أربع سنوات، عين مدرسا بالمدرسة الصادقية، ثم أصبح عضوا في نظارة جامع الزيتونة وكذا التعليم فيه، ليتقلد منصب قاضي المالكية بتونس عام 1913 م، ثم يتم تعيينه شيخا للإسلام عام 1932 م وشيخا لجامع الزيتونة وفروعه، وبعد استقلال تونس عام 1956 سمي عميدا للجامعة الزيتونية ، توفي عام 1393 هـ /1973 م بتونس، وقد كان كثير النشاط وكثير الإنتاج العلمي ومن أهم مؤلفاته تفسير القرآن الكريم((التحرير والتنوير)).أنظر:محمد محفوظ:**تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج3، 1984، ص ص 304 . 309.

16 . محمد النخلي القيرواني:من أشهر أعلام جامع الزيتونة ومصلحيه في عصره، حيث كان مع الشيخ محمد الطاهر بن عاشور يشار إليهما بالرسوخ في العلم وسعة الإطلاع، والميل إلى مدرسة محمد عبده الإصلاحية، ولد بالقيروان عام 1285 هـ /1867 م، التحق بالزيتونة عام 1886 م، وبعد تخرجه انتصب للتدريس فيه وهو أحد أهم أساتذة كل من الإمامين ابن باديس والعبيدي، كما درس بالمدرسة الخلدونية، وكان عضوا بالجمعية الزيتونية، وكان ينظم الشعر ويجيده، وقد سببت له آراؤه الإصلاحية الجريئة الكثير من الأذى داخل الزيتونة وخارجه، توفي عام 1342 هـ /1924 م في تونس ودفن في القيروان، له منظومة ألفية في الجغرافيا.أنظر:محمد محفوظ:**تراجم المؤلفين التونسيين**،ج5، ص ص 26 . 27.

17 . محمد الخضر حسين: أصيل بلدة طولقة بالجزائر ولد بنفطة بالجريد التونسي سنة 1293 هـ / 1873 م، انتقل إلى تونس العاصمة عام 1888 م حيث حفظ القرآن الكريم والتحق بالزيتونة ليتحصل على شهادة التطويع سنة 1898 م ليعين مدرسا فيه، وأصدر مجلة((السعادة العظمى)) سنة 1904، كما عين قاضيا في بنزرت سنة 1905، ليعود للتدريس بالزيتونة والمدرسة الصادقية، ثم يهاجر إلى المشرق سنة 1912 ويستقر بدمشق مدرسا بالمدرسة السلطانية إلى سنة 1917 حيث أستدعي إلى الأستانة ليعين مفتشا بوزارة الحربية، ليسافر إلى برلين ثم يعود إلى دمشق ولما احتلها الفرنسيون سنة 1920 توجه إلى مصر فعمل مصححا بدار الكتب المصرية ونال العالمية بالأزهر فعين مدرسا فيه، فأسس جمعية الهداية الإسلامية سنة 1928 كما تولى رئاسة تحرير مجلة((نور الإسلام)) و((الأزهر))، ويختار عضوا في المجمع اللغوي المصري بعد تأسيسه، وكان أحد مؤسسي ((جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا))، وفي سنة 1950 أصبح عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر ليتم تعيينه شيخا للأزهر سنة 1952 ليستقيل من المشيخة بعد سنتين، توفي بالقاهرة ودفن بها سنة 1377 هـ / 1958 م، ترك الكثير من المؤلفات منها((رسائل الإصلاح)) و((أسرار التنزيل)) و((والحرية في الإسلام)) وغيرها كثير.أنظر:محمد محفوظ:**تراجم المؤلفين التونسيين**، ج2، ص ص 126 . 135).

18 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 15.

19 . عبد الرحمن بن أحمد بن مامش باش تارزي القسنطيني:أديب وناظم وصوفي، نشأ بمدينة الجزائر ثم انتقل إلى قسنطينة فاستوطنها، ونشر فيها الطريقة الرحمانية، له ((عمدة المريد)) في بيان الطريقة، و((منظومة الرحمانية)) و((غنية المريد)) شرح به نظم مسائل التوحيد وهي 45 مسألة، وله قصائد وموشحات غربية، توفي بقسنطينة سنة 1807.أنظر: عادل نويهض:**معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص30.

20 . أبو القاسم سعد الله:**المرجع السابق**، ص 99.

21 . محمد بن عبد الرحمن القشطولي الجرجري الأزهري:عالم من الصلحاء الزهاد، مؤسس الطريقة الرحمانية، ولد في آيت إسماعيل بجرجرة سنة 1715 م، ورحل صغير إلى مصر فتعلم بالأزهر الشريف، وعاد إلى بلده سنة 1769 م فتصدر للتدريس إلى أن مات في آيت إسماعيل سنة 1793 م، وسمّي بوقبرين لأن قبرين .كما قيل . يضمّان رفاته، له رسائل كثيرة اعتنى بجميعها رجال طريقته.أنظر:عادل نويهض:**نفس المرجع**، ص 258.

22 . الشهاب، ع2، 19 نوفمبر 1925.

23 . الشهاب، ع 4، 3 ديسمبر 1925.

24 . محمد المكي بن مصطفى بن عزوز: الإمام والمحدث واللغوي والصوفي، أصله من طولقة بإقليم الزاب ولد بنفطة عام 1270 هـ / 1854 م، تلقى تعليمه على يد علماء الجريد التونسي ثم التحق بجامع الزيتونة ونال شهادة التطويع، تولى مشيخة الطريقة العزوزية الرحمانية بعد وفاة والده، كما تولى الإفتاء والقضاء بنفطة عام 1883 م، انتقل بعد ذلك إلى تونس للتدريس غير الرسمي بجامع الزيتونة، ثم رحل إلى المشرق مصر والحجاز والشام واستقر به المقام بالأستانة ليتولى تدريس الحديث بدار الفنون ثم في مدرسة الواعظين، واستمر على ذلك إلى أن توفي بها عام 1334 هـ /1916 م، وقد كان غزير الإنتاج كثير التأليف في مجالات متعددة، ومن بين كتبه((الأجوبة المكية)) و((إرشاد الحيران)) و((أصول الطرائق)) وغيرها.أنظر:محمد محفوظ:**تراجم المؤلفين التونسيين**،ج3، ص ص 382 . 390.

25 . أبو القاسم سعد الله:**المرجع السابق**، ص 101.

26 . محمد الصالح بن سيدي سالم:شيخ زاوية سيدي سالم الرحمانية بالوادي خلفا لوالده، ولد بالوادي عام 1263 هـ /1846 م، أخذ الطريقة وأورادها على يد والده، كان كثير التردد على زاوية مصطفى بن عزوز بنفطة بالجريد التونسي، عرف بالصلاح والزهد في حكايات كثيرة عنه وثقها الشيخ إبراهيم العوامر في كتابه حول سيرته((البحر الطافح))، توفي عام 1335 هـ / 1916 م، ودفن بزاويته بالوادي.أنظر:عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 110.

27 . عاشوري قمعون:**نفس المرجع**، ص 28.

28 . عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان:**المرجع السابق**، ص 256.

29 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص23.

30 . عبد الحميد بن باديس:**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1982، ص 445.

31 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 20.

32 . محمد البشير الإبراهيمي:عالم وكاتب وأديب وشاعر، ولد في قصر الطير بأولاد إبراهيم بالقرب من سطيف عام 1889 م، عضو المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، وأحد أهم رجال الإصلاح في الجزائر والعالم الإسلامي، درس في مسقط رأسه، هاجر إلى المدينة المنورة عام 1911 م ليلتحق بأبيه وهناك التقى بالإمام ابن باديس، ثم انتقل إلى سوريا ليعمل أستاذا للأدب العربي بالمدرسة السلطانية، ليعود إلى الجزائر عام 1921 م ويستقر بسطيف، ليكون أحد أبرز مؤسسي جمعية العلماء ونائبا لرئيسها ثم رئيسها بعد وفاة ابن باديس، رحل إلى المشرق مجددا في بداية الخمسينات واستقر بالقاهرة وزار معظم الأقطار العربية والإسلامية داعيا لمؤازرة قضية الجزائر وفلسطين، وبعد الإستقلال عاد إلى الجزائر وألقى أول خطبة جمعة بجامع كتشاوة، توفي عام 1965 م، من أهم مؤلفاته ((آثار الإبراهيمي)) خمسة أجزاء، و((عيون البصائر)).أنظر:رابح خدوسي وآخرون:**موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، ج1، ص ص 11 . 13.

33 . عبد الحميد بن باديس:**مجالس التذكير**، ص 400.

34 . محمد الدراجي:"الاختلاف الفقهي ووحدة الأمة الإسلامية عند ابن باديس تعدد المسار ووحدة المصير"، **مجلة الوعي**، ع 1، جويلية 2010، ص 60.

35 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 19.

36 . سورة البقرة الآية 185.

37 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 24.

38 . عبد الحميد بن باديس:**الآثار**، ج3، ص 257.

39 . عمار طالبي: **ابن باديس حياته وآثاره**, دار الأمة, الجزائر, ج1، 2012 ، ص 78.

40 . (. ، .):**ابن باديس حياته وآثاره**, دار الأمة, الجزائر, ج4, 2012، ص 205.

41 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 16.

42 . أحمد توفيق المدني:**حياة كفاح**, دار البصائر, الجزائر, ج2, 2009 ، ص 27.

43 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 9.

44 . علي غنابزية:**المرجع السابق**، ص ص 37 . 38.

45 . باعزيز بن عمر:**من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي**، ط2، منشورات الحبر، الجزائر، 2007، ص 36.

46 . عمار طالبي:عالم وباحث ومحقق ولد بخنشلة عام 1934 م، حاصل على دكتوراه في الفلسفة، درّس بجامعة الجزائر ومؤسس معهد العلوم الإسلامية بها عام 1982 م، ترأس جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، كما درّس بجامعة قطر، وهو نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى يومنا هذا، من مؤلفاته ((مدخل إلى علم

الفلسفة)) و((آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية)) كما حقق الكثير من كتب التراث.أنظر:رابح خدوسي وآخرون:**موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، ج2، ص ص 243 . 244.

47 . محمد الصالح رمضان:كاتب وشاعر ولد عام 1924 م بالقنطرة، حفظ القرآن الكريم ودرس اللغتين العربية والفرنسية، أحد تلاميذ الإمام ابن باديس، كرس حياته للتربية والتعليم والتأليف، من رواد الكشافة الإسلامية الجزائرية، اشتغل بالتدريس في قسنطينة وغليزان، ليعين عام 1944 م مديرا لمدرسة دار الحديث بتلمسان، وبعدها عمل مفتشا في مدارس جمعية العلماء، ثم مديرا للتعليم الديني بوزارة الأوقاف بعد الإستقلال، كتب في أغلب الصحف الإصلاحية، توفي سنة 2008 م، من مؤلفاته ((ألحان الفتوة)) مجموعة شعرية و((سوانح وإرتسامات عابر سبيل)) و((شخصيات ثقافية جزائرية)).أنظر:رابح خدوسي وآخرون:**نفس المرجع**، ص ص 64 . 65.

48 . عبد الرحمن شيبان:عالم وأديب ومصلح اجتماعي، ولد عام 1918 م بقرية الشرفة بمشدالة بالبويرة، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ العربية والفقه والتوحيد بالزاوية السحنونية بزواوة، ثم في مدارس جمعية العلماء ثم بالزيتونة، عين أستاذا بمعهد ابن باديس عام 1948 م، وكان عضو لجنة التعليم العليا بجمعية العلماء، كتب في جرائد النجاح والبصائر والمنار والشعلة، التحق بالثورة وعمل في ميدان الإعلام التابع لها، وبعد الإستقلال انتخب عضوا في المجلس الوطني التأسيسي، كما عين مفتشا عاما للأدب العربي والتربية الإسلامية، أشرف على طبع المناهج التعليمية في اللغة والنصوص والتربية الإسلامية للمستويين المتوسط والثانوي بوزارة التربية الوطنية، عين عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى ثم وزيرا للشؤون الدينية عام 1981 م، اختير نائبا لرئيس جمعية العلماء ثم رئيسا لها بعد إعادة إحيائها عام 1991 م، توفي في أوت 2011 م.أنظر:رابح خدوسي وآخرون:**نفس المرجع**، ص ص 210 . 214.

49 . أحمد بن مصطفى بن عليوة:أحد أشهر أقطاب التصوف في الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين، مؤسس الطريقة العلاوية، ولد بمستغانم عام 1296 هـ /1869 م، أخذ مبادئ أولية في التعليم على يد والده، حيث لم يكن له حظ كبير من التعليم، تلقى مبادئ الطريقة البوزيدية الدرقاوية على يد الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي الذي تأثر به كثيرا، وبعد وفاة شيخه أسس الطريقة العلاوية عام 1914 م التي انتشرت في الكثير من المناطق داخل الجزائر وخارجها، توفي بمستغانم عام 1934 م ودفن بزاويته، ترك الكثير من الآثار خاصة في التصوف والتي آثار بعضها جدلا كبيرا منها((الديوان))و((القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد))و((المنهاج المفيد في أحكام الفقه والتوحيد)) وغيرها.أنظر:غزالة بوغانم:**الطريقة العلاوية ومكانتها الدينية والاجتماعية 1909 . 1934**، (مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008/2007.

50 . أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي:العالم والفقيه والإمام المالكي المشهور، ولد باشبيلية عام 468 هـ /1076 م، تلقى العلم على يد والده وغيره من علماء الأندلس، ثم رحل إلى المشرق رفقة أبيه، وأخذ العلم على علماء الشام وبغداد منهم أبي حامد الغزالي، كما أخذ عنه العلم عدد لا يحصى من العلماء.

له مؤلفات كثيرة منها((أحكام القرآن)) و((القبس في شرح موطأ مالك)) و((العواصم من القواصم)) الذي حققه وعلق عليه ونشره الإمام ابن باديس في بداية القرن الماضي، توفي بفاس عام 543 هـ /1148 م.أنظر: الذهبي:**سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 20، 2001، ص ص 198 . 204، ومحمد مخلوف:**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تحقيق:عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 2003، ص 136.

51 . عبد الحميد بن باديس:**الآثار**، ج3، ص 213.

52 . أبو القاسم سعد الله:**المرجع السابق**، ص 102.

53 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 27.

54 . نفسه، ص 49 .

55 . نفسه، ص 18.

56 . أبو القاسم سعد الله:**المرجع السابق**، ص 102.

57 . نفسه، ص 99.

58 . عبد العزيز فيلالي:**وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية**, دار الهدى, عين مليلة, 2012، ص 44.

59 . عبد المجيد حبة:عالم وأديب وشاعر ومؤرخ، ولد بسيدي عقبة عام 1329 هـ / 1911 م والتي نشأ وتعلم بها وحفظ القرآن الكريم وأخذ عن كبار علمائها ومشايخها، تولى الإمامة والتدريس بمسجد عقبة بن نافه وفيه أتم تفسير القرآن الكريم تدريسا على العامة، انتقل سنة 1952 إلى بلدة المغير التي استقر بها وأخذ في التدريس، وعندما اندلعت الثورة كان يحث تلاميذه على الالتحاق بها ويساهم في جمع المؤن للمجاهدين، وهو الأمر الذي لفت أنظار الاستعمار إليه مما جعله يغادر المغير هاربا حيث استقر في الجزائر العاصمة باسم مستعار إلى غاية الإستقلال، حيث استأنف نشاطه الفكري والتعليمي حيث كان مرجعا في الفقه والتاريخ والأنساب، توفي بالمغير ودفن بها سنة 1413 هـ / 1992 م، ترك الكثير من الرسائل والمخطوطات في الفقه والتاريخ والأنساب طبعت بعد وفاته في كتاب((آثار الشيخ عبد المجيد حبة النثرية والشعرية والمسرحية)) من طرف تلميذه التواتي بن مبارك.أنظر:رابح خدوسي وآخرون:**موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**،ج1، ص 696، وكذلك:عبد الحليم الصيد:**معجم أعلام بسكرة**، دار الهدى، عين مليلة، 2012، ص ص 56 . 60.

60 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 20.

61 . إبراهيم بن عمر بيوض: عالم وفقيه ومفسر ومصلح، ولد بالقرارة عام 1899 م، حفظ القرآن الكريم وتعلم على يد الشيخ الحاج أعمر بن يحي وقربه إليه لما كان يتمتع من الذكاء والنجابة، وكلفه بتدريس اللغة العربية والفقه، ثم تولى إدارة المدرسة، وانضم إلى حلقة العزابة المعروفة عند إباضية بني ميزاب، أسس معهد الحياة عام 1925 م بالقرارة وتولى الإشراف عليه إلى غاية وفاته، وشارك في تأسيس جمعية العلماء وكان عضو مكتبها الإداري الأول، انتخب عضوا في المجلس الجزائري عام 1947 م، واسندت له مهمة الشؤون الاجتماعية في الحكومة الانتقالية بعد وقف إطلاق النار في مارس 1962 م، كان له نشاط علمي وإصلاحي بارز خاصة في مناطق بني ميزاب، ترك الكثير من المؤلفات أهمها تفسير القرآن الكريم الذي أكمله تدريسا، وفتاويه في جزئين و((دروس في الدين والتربية والاجتماع)) وغيرها، توفي عام 1981 م.أنظر:رابح خدوسي وآخرون:**المرجع السابق**، ص ص 512 . 513.

62 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق** ، ص 60.

63 . نفسه، ص 38.

64 . أبو القاسم سعد الله:**المرجع السابق**، ص 100.

65 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 38.

66 . عبد العزيز فيلالي:**المرجع السابق**، ص 48.

67 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 40.

68 . نفسه، ص 37.

69 . أحمد العبيدي:ولد بالوادي عام 1306 هـ /1888 م، حفظ القرآن الكريم وتعلم العلوم الشرعية واللغوية على يد شقيقه الطاهر ثم أكمل تعليمه بجامع الزيتونة حيث تحصل على شهادة التطويع، رجع إلى مسقط رأسه وبدأ التدريس بجامع سيدي مسعود الشابي، ثم انتقل إلى تقديدين بمدينة جامعة إماما لمسجدها الذي بقي فيه سنوات وتخرج على يديه مجموعة من الطلبة، ثم عاد إلى الوادي للتدريس في بعض مساجدها، كما كان يقدم دروس اللغة والنحو بمنزله حيث كان بارعا فيها، استقر به المقام بالجزائر العاصمة رفقة ابنه إلى أن وافاه الأجل سنة 1977 ودفن بالوادي، وقد ترك مجموعة من الرسائل والمنظومات والقصائد في اللغة والنحو والفقه والتصوف.أنظر:عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص ص 65 . 126.

70 . إبراهيم العوامر:الفقيه والمؤرخ والأديب، ولد بالوادي عام 1298 هـ /1881 م، وبعد تلقيه العلم بالمنطقة توجه إلى جامع الزيتونة، وصار من أشهر علماء سوف، تولى العمل في سلك القضاء في الوادي وأولاد جلال وتقرت، وكان له نشاط فكري وعلمي معتبر، توفي عام 1932 م، وقد كان كثير الإنتاج حيث ترك عدد من الكتب والمؤلفات والمخطوطات لعل أشهرها كتابه((الصروف في تاريخ الصحراء وسوف)). أنظر:علي غنابزية:**المرجع السابق**، ص 34.

71 . الميداني بن محمد العربي موساوي: ولد بالوادي عام 1896 م، ونشأ يتيما فحفظ القرآن الكريم، ورحل إلى جامع الزيتونة لكنه عاد منه مبكرا، لازم علماء المنطقة وفقهائها منهم الشيوخ إبراهيم العوامر والطاهر وأحمد العبيدي، ثم تولى الإمامة في المسجد العتيق بالوادي مما جعله مفتي الوادي لسنوات طويلة من عام 1939 م إلى غاية وفاته عام 1956 م.أنظر:علي غنابزية:**نفس المرجع**، ص 78.

72 . عمار بن الأزعر:(**1898 . 1968 م**): أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأول من نشر الفكر الإصلاحي بمنطقة سوف، اضطره الظلم الاستعماري إلى الهجرة نحو المدينة المنورة عام 1937، فعمل بالتدريس في مدرسة العلوم الشرعية، ثم عين مدرسا بالمسجد النبوي، وله مؤلفات وتعاليق منها مؤلف في أصول الفقه، خلف بعض المخطوطات من تأليفه لكنها حرقت مع مكتبته ولم يبق منها شيء.أنظر:علي غنابزية:**نفس المرجع**، ص30.

73 . أبو القاسم سعد الله:**المرجع السابق**، ص 102.

74 . نفسه، ص ص 102 . 103.

75 . أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني:ولد سنة 509 هـ/1126 م في قطنيانة بالقرب من اشبيلية بالأندلس، فقيه متصوف وشاعر يلقب بشيخ الشيوخ ولقبه ابن عربي بمعلم المعلمين، تعلم في اشبيلية وفاس وقضى أغلب حياته في بجاية وكثر أتباعه هناك واشتهر أمره، فوشى به البعض عند يعقوب المنصور الموحدي بمراكش فبعث إليه للقدوم عليه لينظر في أمره، وفي طريقه مرض وتوفي ودفن بتلمسان سنة 594 هـ/ 1198 م وبني له مسجدا هناك، وأثناء رحلته إلى الحج وقعت معركة حطين الشهيرة بقيادة صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين لتحرير بيت المقدس سنة 1187 م فانضم إلى جيش صلاح الدين وشارك في المعركة التي فقد فيها ذراعه ودفنه في القدس، وعند عودته إلى بجاية أوقف من ماله الخاص الكثير من الأوقاف في القدس منها قرية ((عين كارم)) بضواحي القدس الشريف، من آثاره ((بداية المريدين)) و((أنس الوحيد)) وغيرهما.أنظر:أبو عباس الغبريني:**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص23 وما بعدها.

76 . محمد بن يوسف السنوسي:كبير علماء تلمسان وزهادها في عصره، ولد بها سنة 832 هـ /1428 م، تعلم على أيدي أبرز علمائها وحفاظها، برع في التفسير والحديث والتوحيد وألف فيها جميعها، واشتهرت كتبه وانتشرت، كان من المكثرين من التأليف، ومن كتبه((العقيدة الصغرى))و((العقيدة الوسطى))و((شرح صحيح البخاري)) وغيرها كثير، توفي بتلمسان سنة 895 هـ / 1490 م.أنظر:عادل نويهض:**المرجع السابق**، ص 180.

77 . عبد الرحمن بن محمد الثعالبي:صوفي من كبار العلماء وأعيان الجزائر، ولد سنة 786 هـ/1384 م بناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، وتعلم في بجاية وتونس ومصر ودخل تركيا، ثم حج وعاد إلى تونس سنة 1416 م ومنها إلى الجزائر، وولي القضاء على غير رضى منه ثم خلع نفسه، له أكثر من تسعين كتابا أبرزها ((الجواهر الحسان في تفسير القرآن)) و((روضة الأنوار ونزهة الأخيار)) في الفقه، توفي سنة 885 هـ/1480 م ودفن بجبانة الطلبة بمدينة الجزائر.أنظر:عادل نويهض:**نفس المرجع**، ص 90.

78 . أبو القاسم سعد الله:**المرجع السابق**، ص ص 103 . 105.

79 . عاشوري قمعون:**المرجع السابق**، ص 47.

80 . أبو القاسم سعد الله:**المرجع السابق**، ص 100.

81 . الزبير بن رحال:**المرجع السابق**، ص 138.

REVUE EL-BAHITH

En Sciences Humaines et Sociales

Revue périodique académique Editée par Faculté des Sciences Sociales et Humaines

Directeur d'honneur
Pr. FARHATI Omer
(Directeur de l'université)

Directeur de la Revue:
Dr.TERKI Abderrahmane
(doyen de Faculté des Sciences Sociales et Humaines)

Rédacteur en chef
Dr.CHAFOU radhouane

Comité Editorial
Dr.machri soulaf
Ismahan djbali
Amrani mouad

Numéro 7 / Juin 2016
ISSN 2170-0370 ردمد

REVUE EL-BAHITH

En Sciences Humaines et Sociales

Revue périodique académique Editée par Faculté des Sciences Sociales et Humaines

Cinquième année (5) -Numéro 7 /Ramadan 1437– Juin 2016

ISSN 2170-0370